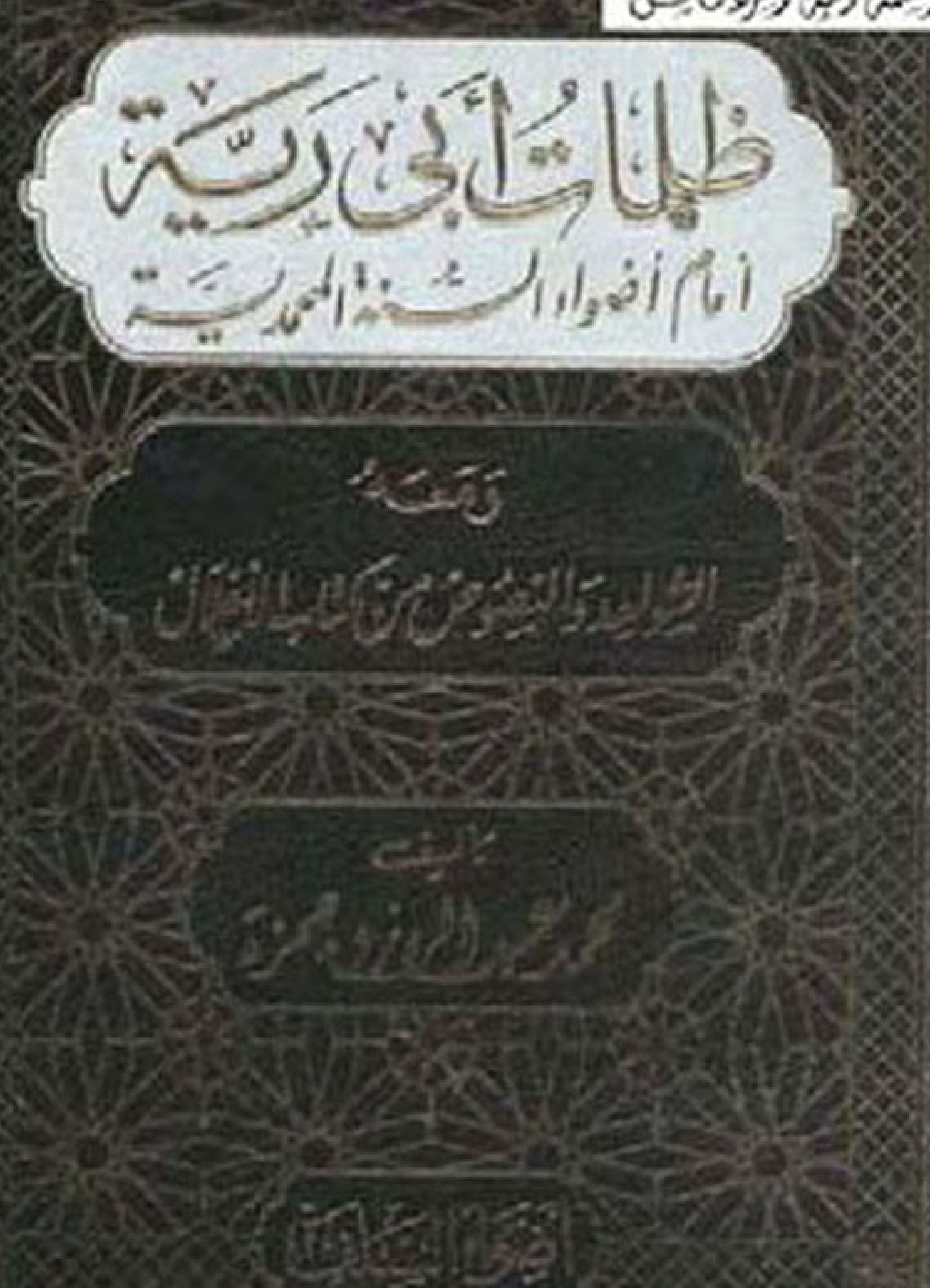

ظلمات أبي رية
أمام أضواء السنة المحمدية

ظلمات أبي رية

أمام أضواء السنة المحمدية

تأليف
محمد عبد الرزاق حمزة
مدير (دار الحديث) بمكة المكرمة
والمدرس بالحرم المكي الشريف

القاهرة
١٣٧٨

المطبعة السلفية - ومكتبتها
٢١ شارع الفتح بالروضة تليفون ٨٩٨٣٦٤

رقم الايداع
٢٠١٠/٢٧٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلى الله على محمد نبيّ الرحمة ، وهادى الانسانية ، وعلى آله وصحبه الذين حفظوا لنا سنته ، بعد أن حفظ بهم كتابه ، وعلى من تبعهم باحسان إلى يوم الدين

وبعد فقد وصلتْ اليّ نسخة من كتاب ألفه الشيخ محمود أبو رية ، وتعرض فيه لجهود أربعة عشر قرناً بذله أعلام المسلمين ، لتحرّى سنة سيد المرسلين ، وصيانتها من عبث العابثين ، وأهواء المغرضين . فررت بفصوله وأبوابه وأنا عَلَى فراش المرض فى مستشفى الطائف بعيدا عن المَراجع ، وكنتُ كلما وقعت فيه عَلَى ظلم للحق ، وهضم لأعظم مجهود علمى فى الاسلام ، وانحراف عن جادة الصواب ، ازددت يقيناً بوجوب التنبيه على ذلك ، الى أن خار الله لى كتابة هذا الكتاب ليكون قربة لى عنده سبحانه ، ودفاعا منى عن سنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه

أعطانا الأستاذ نموذجاً فى (التعريف بكتابه) بما سينطوى عليه من الشك والتشكيك فى علم الحديث وتحقير جهود أهله فيه ، فقال عنه فى ص ٤ :

إن العلماء والأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس ، وتركوا أمره لمن يسمون رجال الحديث يتداولونه فيما بينهم ، ويدرسونه على طريقتهم . وطريقة هذه الفئة التى اتخذتها لنفسها قامت على قواعد جامدة لا تتغير ولا تتبدل الخ

ولنا أن نسأل الأستاذ عن هؤلاء العلماء الذين لم يولوا الحديث ما يستحق من العناية ، هل يريد بهم الجعد بن درهم والجهم بن صفوان وواصل بن عطاء والنظّام والقاضى عبد الجبار والزمخشرى والرازى وأضرابهم ؟

ونسأله أيضا عن الذين يسمون رجال الحديث ــ على حد تعبير الأستاذ ــ والذين ترك العلماء والأدباء أمر الحديث لهم يدرسونه على طريقتهم التى قامت على قواعد جامدة لا تتغير

ولا تتبدل ، هل منهم فى نظر الأستاذ أكابر التابعين كالحسن البصرى وابن سيرين وسعيد ابن المسيب وابن جبير والشعبى ، ومن بعدهم كالزهرى وشيوخه وعروة بن الزبير وتلاميذه كمالك وسفيان بن عيينة والثورى والليث بن سعد ، وتلاميذهم كالشافعى وأحمد بن حنبل ، ومن بعدهم كالبخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى فمن بعدهم

هل هؤلاء الاعلامُ أيها الأستاذ غير علماء ، وطريقتهم جامدة ولا تتغير ولا تتبدل ؟ وإذا كان هؤلاء وأمثالهم ليسوا من العلماء عند الاستاذ وجامدون لا يعرفون التجديد ولا مسايرة الزمن ومراعاة مقتضى الحال ، فليدلنا الأستاذ مشكورا عن المجددين الذين يرضاهم ، ويأسف على مجانبتهم لدراسة الحديث وتجديده وتهذيبه

أما مجانبة الأدباء لدراسة الحديث فقد نتفق مع الأستاذ فى ذلك إذا كان يريد بالأدباء أمثال ابن المقفع وبشار بن برد وحماد عجرد والجاحظ وعبد الحميد الكاتب وجرير والفرزدق والبحترى وأبى تمام والزمخشرى والحريرى

هؤلاء الذين اجتمع جماعة من أئمتهم فقال أحدهم : علام اجتمعتم ؟ فقال ثان منهم : لنقذف المحصنات ! وقال ثالث : وهل فى الدنيا محصنة ؟

فأمثال هؤلاء صان الله حديثَ نبيــــه عنهم وعن دراستهم له ، وماذا يعجبهم فى الحديث مما يخف على قلوبهم ؟ !

ثم ألم يشتغل بالحديث من الأدباء من هم خير من أولئك وأقوم سبيلا وأزكى دينا ، ألم يكن ابن جرير محدثا وأديبا ، بَلْهَ ابن قتيبة وابن الأعرابى وأبا عبيد وأمثالهم

لقد لخص ابن الأثير كتابه غريب الحديث من خمسة وعشرين كتابا فى غريب الحديث لأعلام من المؤلفين كلهم أئمة فى الأدب واللغة والحديث والفقه ، وقد أبلوا فى ذلك بلاء حسنا

فضلا عن شراح الحديث كالبغوى والخطابى والحافظ العسقلانى ، بل الأئمة الفقهاء المحدثين كمالك والشافعى وأحمد وخيار أصحابهم كشيخ الاسلام ابن تيمية وتلاميذه الأئمة

شمس الدين بن القيم وشمس الدين الذهبي وابن عبد الهادى وابن مفلح . وقبلهم ابن قدامة صاحب المغنى وسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام وعبد الغنى المقدسى ، وقبلهم إمام الأئمة ابن خزيمة وتلميذه الامام الفيلسوف المحدّث ابن حبّان وغيرهم كثير من نجوم الهدى وشموس الرشاد وبدور العلم

فهل لم يكن هؤلاء علماء ولا أدباء لأنهم اشتغلوا بالحديث ، وإنما العلماء والأدباء عند أبى رية هم الجهمية والمتكلمون وأمثال عبد الحسين الرافضى والطاعنون على أهل الحديث والصحابة كأبى هريرة ومعاوية والمفرّقين بين الصحابة إلى بكرية وعمرية وعثمانية وعلوية ، كأنما دين الإسلام ثوب مهلهل خيط من رقع متباينة ، وفرق متناجزة متعادية

والذين عرفوا حقيقته هم أمثال جولدزيهير اليهودى المستشرق الطاعن على نبى الاسلام بأنه مصروع مهستر بوق لحكاية سخافات العهد القديم الخ ما قاءه فى كتابه العقائد الاسلامية ، وكتابه الآخر مذاهب المسلمين فى التفسير .

وقد تعجل أبو رية شيئا من شكوكه (فى ص ٥) حيث تساءل « هل أمر النبى ﷺ بكتابة هذا النص بلفظه عند إلقائه ، أو تركه ونهى عن كتابته ؟ وهل دوّنه الصحابة ومن بعدهم أو انصرفوا عن تدوينه » وتساءل : « هل ماروى منه قد جاء مطابقاً لحقيقة ما نطق به النبي — لفظا ومعنى — أوكان مخالفا له ؟ وما هى العوامل التى تدسست اليه من نزعات أعدائه ، والمؤثرات التى أصابته من أغراض أوليائه ، حتى شيب بما ليس منه ، وتسرب اليه ما هو غريب عنه » ؟ « وماذا كان موقف علماء الأمة منه ؟ وما مبلغ ثقتهم به ومدى اختلافهم فيه ، بعد أن عراه ما عراه وتأثر به ! وما إلى ذلك من الأمور المهمة التى يجب أن يعرفها كل مسلم أو باحث فى الدين الاسلامى قبل النظر فيه »

وسأؤخر مناقشة هذه الشكوك ، وترياق هذه السموم ، حتى يجىء موضع بسطها ، وحينئذ سنقول له : إن الاسلام والباحث فيه فى غنى عن آراء اليهودى المستشرق جولد تزيهير وما قاله عن نبى الاسلام ، فضلا عن قوله فى حديث نبى الاسلام وحملته . ونعجل

له مقدما بأن عدالة أهل الحديث بتعديل النبي ﷺ لهم بقوله « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه كيد الكائدين وانتحال المبطلين » ، وتذكر له مَثَل من أعرض عن سنة النبي ﷺ أو كاد لها من حديث أبي موسى الأشعرى مرفوعا الى النبي قال « مَثَل ما بعثنى الله به كمَثَل غيث أصاب أرضا ، فكان منها طيبة أنبتت العشب والكلأ ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فشرب الناس والأنعام وسقوا منها زروعهم ، وكان منها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت به زرعا ، فذلك مثل من نفعه الله بما جئت به ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا » اﻫ

وهؤلاء القيعان التى لا تمسك ماء ولاتنبت زرعا الذين لم يرفعوا بما جاء به النبي ﷺ رأسا هم الذين ألهتهم بطونهم وفروجهم عن التوجه لما جاء به النبي ﷺ ، أو صدفتهم الأهواء والبدع عن الاشتغال بما جاء به النبي صلوات الله عليه واتبعوا أهواءهم التى سموها « معقولات » ، وقالوا عن أحاديث النبي ﷺ إنها أحاديث آحاد ظنية لا تفيد اليقين كما تفيده أهواؤهم ، ومنهم من انتصب لعداوة السنن والتشكيك فيها كالخوارج والروافض والجهمية وعلماء الكلام المبتدَع المحدَث الذين قال الشافعى فيهم : رأيى فى أهل الكلام أن يضربو بالجريد والنعال ويطاف بهم فى الأسواق ويقال : هذا جزاء من ترك ما جاء عن الله ورسوله الى الهوى والبدع

جاء رجل من الخوارج الى عمران بن حصين الصحابى الجليل يشككه فى العمل بالحديث النبوى ، فقال له عمران بن حصين : أرنى فى القرآن كيفية الصلاة وآدابها وشروطها وأوقاتها . أرنى فيه كيفية الزكاة وأنواعها ومقاديرها . أرنى فيه مناسك الحج والعمرة وأحكامها

فأجابه وكان منصفا ، ولم يكن جهله جهلا مركّبا : شفيتنى شفاك الله

إن هذا الخارجى أعقل وأورع من كثير ممن يشكون ويشككون فى سنة النبي ﷺ ولزومها لمن يريد أن يعمل بالقرآن كما عمل به النبي ﷺ وأصحابه وخيار سلف

هذه الأمة و من تبعهم من أهل السنة والجماعة

أما هؤلاء المرتابون فى دينهم ، التاركون للسنة والجماعة ، فقد سمعنا عنهم غرائب وأوابد كقول بعضهم : آخذ صلاتى من القرآن فأسجد مرة واحدة وأركع بعد السجود ، ولا أتشهد ، ولا أتقيد بعدد من الركعات ، ولا بأوقات للصلاة الى آخر ما سمع عنهم من هزء وسخف

يقول أبو رية (ص ٦) فى أسباب تأليفه لكتابه إنه عندما درس الحديث وجد فى معانى كثير من الأحاديث ما لا يقبله عقل صريح ولا يثبته علم صحيح ، وأنه وجد مثل ذلك فى كثير من الأحاديث التى شُحنت بها كتب التفسير والتاريخ وغيرها

والحمد لله الذى جعله يصب غضبه وحقده عَلَى كثير من الأحاديث التى شحنت بها كتب التفسير والتاريخ ، فليست كتب التفسير والتاريخ هى كتب الأحاديث ، بل الأحاديث حيث هى فى دواوين السنّة المشهورة كأمهات الكتب التى تخصصت لتدوين أحاديثه صلوات الله عليه

وإذا كان فى غرائب الأحاديث وشواذّها وموضوعها ما لا يوافق العقل ولا يثبته العلم — كما فى كثير من كتب التفسير — فلا يضر ذلك صحيح الأحاديث ، وما ثبت منها عند أهله الذين وقفوا حياتهم عليه

يقول : إن مما يثير عجبه أنه كان اذا قرأ كلمة لأحد أجلاف العرب يهتز لبلاغتها . . وإذا قرأ بعض ماينسب إلى النبى ﷺ لا يجد هذه الأريحية ولا ذلك الاهتزاز

ونحمد الله أن بعض الأحاديث هو الذى لم يهز أريحية الاستاذ ولم ير فيه ما يعجبه من البلاغة والفصاحة ، ولكن ذلك فى الغرائب والضعاف والمناكير

أما الصحيح فان عليه ولله الحمد أنوار النبوّة وبلاغة سيد من نطق بالضاد ، والحكَمُ العدلُ فى ذلك ذوق العلماء الراسخين من الأئمة الفضلاء والأدباء المتمكنين ، لا ذوق أبى رية وأمثاله

وليعلم الأستاذ أبو رية أن فى المستمعين لأغانى أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وليلى مراد وعبد الحليم حافظ من يأخذهم الطرب عند سماع الأغانى ، ولكنهم يضيقون صدرا بسماع القرآن والحديث ، وربما ضرب النوم على آذانهم عند سماع القرآن والحديث

وليس ذلك بعيب فى القرآن والحديث أو لأنه لابلاغة أو فصاحة فيهما ، ولكن للناس فيما يعشقون مذاهب ، والجُعَل كما قيل تؤذيه أو تقتله الرائحة الزكية ، وتلذ له الروائح الكريهة ويعيش فيها

ونقول للأستاذ : ان الرسول بعثه الله معلما ومربيا ومزكيا للأبيض والأحمر والأسود فلا ضير إذا تنزّل فى كلامه الى بعض طبقات من يعيش معلما لهم ولم يتكلف ما يتكلف الشعراء والمتقعرون من أنواع الخيالات والاستعارات ومحسنات البديع . بل إنه كان يتحرى فى بعض الأحوال أن يخاطب أبناء القبائل بالألفاظ الشاذة من لهجاتهم

ويقول الأستاذ (فى ص ٧) : إنه بعد طول البحث وطول السير والكد انتهى إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة ! إذ وجد أنه لا يكاد يوجد فى كتب الحديث كلها مما سموه صحيحا أو ما جعلوه حسنا ، حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه كما نطق الرسول به . قال : ووجدت أن الصحيح — على اصطلاحهم — إن هو إلا معان مما فهمه بعض الرواة . وتبين له أن ما يسمى فى اصطلاحهم حديثا صحيحا إنما كانت صحته فى نظر رواته ، لا أنه صحيح فى ذاته . قال : ومن أجل ذلك جاءت أكثر الأحاديث وليس عليها من ضياء بلاغته ﷺ إلا شعاع ضئيل الخ. فيقال للأستاذ : « ما أنت بالحكم التُّرْضَى حكومته » ويقال له : لكل علم وفن علماؤه وفرسانه ونقاده

فغضَّ الطرفَ إنك من نمير فلا كعبا بلغتَ ولا كِلابا

إن أئمة الدين والفقه ونجوم الهداية والتقوى من الصحابة والتابعين ومن تبعهم قد تلقوا ما صحَّ عن النبى ﷺ بالقبول ، وبنوا عليه دينهم وأحكامهم وفقههم . وقديما قيل :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

وقيل : ومن يكُ ذا فم مرّ مريض يجد مرّاً به الماء الزُّلالا

و : قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

والذى يمارى فى علوم ليست من اختصاصه

كناطح صخرة يوما ليوهنها ولم يهنها وأوهى قرنَه الوَعِلُ

نظر أبو رية الى الحديث بمنظار أسود ، منظار الجهمية والخوارج والرافضة ، فقال : إنه لا يرى فى أكثره شعاع النبوّة ، وأنه مغسول من البلاغة والفصاحة ، إلى آخر ما رمى به الحديث . وقولنا له : إن كل إناء ينضح بما فيه ، وعين السخط تبدى المساويا

وقد نظر سلف الأمة وأئمتها فى خير القرون إلى الحديث بعين البصيرة والإنصاف فرأوه ناصعا وعلى الصحيح منه أنوار النبوة وأضواء الهداية

وقوله (فى ص ٧) إنه وجد الصحيح من الحديث على اصطلاحهم إن هو إلا معان مما فهمه بعض الرواة الخ ، وأن الصحيح انما كانت صحته فى نظر رواته لا أنه صحيح فى نفسه . .

هذا الحكم الجائر على الحديث الصحيح ، وأنه معان مما فهمه بعض الرواة ، حكم متهور جاهل بطرق الحديث ومتونه ، وخلاف ما أجمعت عليه الأمة من تلقى أحاديث الصحيحين بالقبول ، وعلماء الحديث الذين تلقوا حديثه ﷺ بالقبول والعمل أصح قولا وأهدى سبيلا

وقوله (ص ٧) : انه قد بان له أن النبى ﷺ لم يجعل لحديثه كتّابا يكتبونه عندما كان ينطق به كما جعل للقرآن الحكيم ، وتركه يذهب بغير قيد الى أذهان السامعين ، تُخضعه الذاكرة لحكمها القاهر ، الذى لا يستطيع إنسان مهما كان أن ينكره أو ينازع فيه من سهو أو غلط أو نسيان . ثم علق على ذلك بالحاشية أن الأنبياء والرسل يعتريهم من النسيان

والخطأ ما يعترى كل انسان لأنهم بشر، إلا فيما يبلغونه عن الله ، وفى هذه الحالة فقط يبين الله لهم الحق ، فما بالك بغيرهم !

ثم قال : وبذلك تفككت نظم ألفاظه ، وتمزق سياق معانيه . ثم ذكر حديث مسلم « لا تكتبوا عنى سوى القرآن ، فمن كتب عنى غير القرآن فليمحه »

ونقول : إذا كان الرسول أمر بالتبليغ عنه فقال فى حجة الوداع « هل بلّغت ؟ قالوا نعم . قال : ليبلغ الشاهد الغائب » وقال « نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » وقال الله تعالى لزوجات نبيه ﷺ ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ وحدث عنه الصحابة بعضهم بعضا وحدثوا عنه من بعدهم من التابعين هم وزوجاته الطاهرات ، كل حدث بما سمع من النبى ﷺ من غير تحرج من خطأ أو نسيان ، وصحابة النبى ﷺ هم الذين اختارهم الله لصحبة النبى ﷺ وتحمل دين الله تعالى عنه من القرآن والحديث وتبليغهما لسائر الناس عامة ، ولو رأى النبى ﷺ أو لو علم الله تعالى ضرورة كتابة الحديث وتدوينه فى زمنه ﷺ كالقرآن لما سكت النبى ﷺ عن ذلك ولا أهمله الله تعالى الذى بعث رسوله فى الاميين يتلو عليهم آيات الله تعالى ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال

والتشكك فى الحديث لأنه لم يكتب فى زمانه ، وتجويز الخطأ والنسيان وتبديل اللفظ النبوى بمعانى فهمها الرواة ورووها بالمعنى مردود هذا الشك والتشكيك بما أثنى الله تعالى على هذه الأمة بقوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾

وأى منكر أنكر من تحريف دين الله بتبديل أحاديث النبى ﷺ بالمعنى والنسيان والخطأ وغسلها من الفصاحة والبلاغة كما زعم هذا الأستاذ أبو رية

ولقد انتصب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لحفظ دين الله

فى كتابه وسنة نبيه ﷺ تحقيقا لوعد الله تعالى بحفظ كتابه وما بينته سنة نبيه ﷺ ، قال الله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ والذكر هو القرآن وما بينه من حديث .
وقديما قال زنادقة الرافضة وغلاتهم : إن القرآن لم يحفظ كما أنزل . لأنه لم ينص على خلافة على رضى الله عنه ، واتهموا الصحابة بكتمان ما هو نص فى على مداهنةً لأبى بكر وعمر وعثمان ، فضاعت نصوص القرآن بزعمهم

واليوم يجىء أبو رية فيزعم للمسلمين أن أقوال النبى ﷺ وأحاديثه بسبب عدم كتابة الصحابة لها وما بدله الرواة بمعانيه التى فهموها أو لم يفهموها من الأحاديث ، مع ما يعتريهم من الخطأ والنسيان وهما لم يسلم منهما أحد حتى الأنبياء والمرسلون

فإذا انضم الى مزاعم غلاة الرافضة فى القرآن رأى أبو رية فى الحديث انفتح باب التحلل من الدين ، والالحاد فيه على مصراعيه ، أمام الفجار والفساق والملاحدة ، ولم يبق لله حجة على خلقه فى زعم هؤلاء

بل لم يبق لقول الله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ أىُّ طعم أو معنى أو مغزى

وكذلك قول الله تعالى ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ ، فأين هى الحجة على الناس إذا ضاع القرآن بزعم غلاة الرافضة ، وضاعت السنة بخطأ الرواة ونسيانهم وتصرفهم فى الحديث برواية معناه وتضييعهم لنصوص كلامه ﷺ بزعم أبى رية

فاهنئوا أيها الملاحدة والفجار والفساق بما أتحفكم به غلاة الرافضة وأبو رية

حديث

« من كذب علىَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »

يذكر أبو رية (فى ص ٩) أنه عُنى بالبحث عن هذا الحديث حتى وصل بعد

طول السعى الى أن كلمة (متعمدا) لم تأت فى روايات كبار الصحابة ، قال : ويبدو أن هذه الكلمة قد تسللت الى هذا الحديث من سبيل (الإدراج) لكى يتكىء الرواة فيما يروونه عن غيرهم من جهة الخطأ والوهم أو الغلط أو سوء الفهم ، ليدرءوا عن أنفسهم إثم الكذب ، ولا يكون عليهم فى الرواية أى حرج . أو أن هذه الكلمة قد وضعت ليسوّغ بها الذين يضعون الأحاديث عن غير عمد عملهم ، ليسندوا بها أقوالهم ، وليثق الناس فيهم (كالقُصّاص وغيرهم) . اهـ كلامه

فكلمة « متعمدا » على تحقيق الأستاذ أبى رية إما مدرجة فى الحديث أو موضوعة مكذوبة ، وليست من كلام النبى ﷺ ، كما انتهت اليه عناية هذا الاستاذ وطول بحثه

فيقال له : من هم كبار الصحابة الذين خلت رواياتهم لهذا الحديث من كلمة متعمدا حتى يرد بروايتهم رواية من روى « متعمدا » . والحديث قد ذكر العلماء تواتره بهذه اللفظة ، والحديث لا يكون حديثا نبويا إلا إذا رواه عنه صحابى ، فلا يكون ترك من ترك هذه الرواية حجة على من حفظها ورواها

والتعمد شرط لعقوبة من ارتكب محظور أى محظورا ، ألم يقل الله فيما علّم المؤمنين أن يدعوا به ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ وفى الحديث نص على رفع المؤاخذة عن الناسى والمخطىء

ألم يقل الله سبحانه ﴿ ومن قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا أليما ﴾ فجعل هذا الوعيد الشديد الذى تقشعرّ له الجلود والأبدان على قاتل المؤمن « متعمدا »

الاستاذ أبو رية يأبى رحمة الله للناسى والمخطىء ، ويريد أن يسوّى بينهما وبين المتعمد فى الوعيد وتبوُّء مقعد النار

ولعل الخوارج الذين يكفّرون بالذنوب لا يسوّون بين الناسى والمخطىء وبين المتعمد

رواية الحديث بالمعنى

وقال أبو رية (فى ص ٨) : «ولما رأى بعض الصحابة أن يرووا للناس من أحاديث النبي ﷺ ووجدو أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بالحديث على أصل لفظه كما نطق النبي به استباحوا لأنفسهم أن يرووا على المعنى ، ثم سار على سبيلهم كل من جاء من الرواة بعدهم فيتلقى المتأخر عن المتقدم ما يرويه عن الرسول بالمعنى ثم يؤديه الى غيره بما استطاع أن يمسكه ذهنه منه » . . ثم استشهد على ذلك بقول وكيع : اذا لم يكن المعنى واسعا فقد هلك الناس . ويقول الثورى : إن قلت إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقونى ، فانما هو المعنى

قال هذا الأستاذ : وقد ظلت الألفاظ تختلف والمعانى تتغير بتغير الرواة ، وفيهم كما قال السيوطى الأعاجم والمولدون وغيرهم ممن ليسوا بعرب ولهجتهم العربية ليست خالصة . ورمى البخارى بأنه كان يروى على المعنى . ثم ذكر أن رواية الحديث بالمعنى ضرر كبير فى الدين واللغة والأدب . وذكر أنهم أباحوا لأنفسهم أخذ الحديث إذا أصابه اللحن أو اعتراه الخطأ أو اختل نظمه بالتقديم والتأخير ، أن يأخذوا ببعض الحديث ويَدَعون بعضا

أقول : أى عداء للاسلام أكثر من هذه العداوة ؟ الصحابة وجدوا أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بالحديث على أصل لفظه كما نطق به النبي ﷺ واستباحوا لأنفسهم أن يرووا على المعنى ، وسار على سبيلهم كل من جاء من الرواة بعدهم . وعلى رأيه الألفاظ تختلف ، والمعانى تتغير بتغير الرواة ، وفيهم على رأيه الأعاجم والمولدون ممن ليسوا بعرب ولهجتهم العربية ليست بخالصة ، والبخارى على جلالة قدره يروى بالمعنى ، ورواية الحديث بالمعنى عنده ضرر كبير فى الدين واللغة والأدب لما يصيبه من اللحن والخطأ واختلال نظامه بالتقديم والتأخير ، فأى تحلل من الاسلام الذى بينه رسول الله لدين الله وكتابه فوق هذا التحلل ؟ !

أحسن الله عزاء المسلمين فى سنة نبيهم ﷺ التى هى بيان لكتاب الله بعد شكوك أبى رية فى أمانة الصحابة والتابعين وسائر الرواة واختلافهم فى ألفاظ الحديث وتغيير المعانى بتغيير الألفاظ وما عراه من اللحن والخطأ والتقديم والتأخير والاختصار فى نظر التشكيك. وأى إساءة ظن وسوء رأى بسلف الأمة من الصحابة والتابعين الذين أثنى الله عليهم فى كتابه بقوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ أكبر من هذا الظن السىء الذى ظنه هذا المتشكك بل المشكك فى سنة النبى ﷺ بهذه السموم التى نفثها من صدره على الصحابة وخيار الأمة من رواة سنة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه

صحابة النبى ﷺ الذين قال الله سبحانه فيهم ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رُحماء بينهم تراهم رُكّعا سُجّدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود، ذلك مَثلهم فى التوراة، ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستوى على سُوقه يُعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار ﴾

من هم العجم من الرواة الذين أفسدت عجمتهم حديث رسول الله ﷺ باللحن والخطأ والاختصار والتقديم والتأخير، أهم نافع مولى ابن عمر؟ أم عكرمة مولى ابن عباس؟ أم ابن سيرين والحسن البصرى وأمثالهم ممن لا تقل عربيتهم عن قرنائهم من العرب؟ فهذا نافع مولى ابن عمر كان فرس رهان مع سالم وبلال وغيرهما من أبناء عبد الله بن عمر. وهذا عكرمة مولى ابن عباس وناشر علم مولاه أكثر من أبناء ابن عباس أنفسهم العرب الهاشميين

والبخارى الإمام الجليل لم يسلم من لمز أبى رية بأنه يروى بالمعنى، فيكون على رأيه عرضة للحن والخطأ والتقديم والتأخير عند أبى رية لأنه أعجمى ولا يقدر أن يقيم اللفظ النبوى بزعمه، وأين البخارى من الصحابة الذين رماهم أبو رية بأنهم عجزوا عن أداء اللفظ النبوى على وجهه فرووه بالمعنى المعرض للّحن والخطأ والحذف والاختصار؟

وإذا كان هذا رأى أبى رية فى خير القرون بشهادة النبى ﷺ فمن الذين بعدهم عنده ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم فى سلف خير أمة أخرجت للناس ، وضياع لما تكفل الله بحفظه من دينه وكتابه وبيانه الذى أرسل به رسوله

ماذا يقول أبو رية فى قوله تعالى ﴿ وأنزلنا اليك الكتاب لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ فهل ضاع هذا البيان وعصفت به العجمة واللحن والخطأ ورواية المعنى ؟ ويقول الله سبحانه ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويعلمكم الكتاب والحكمة ﴾ فأين الحكمة المعطوفة على الكتاب ؟ هل نسفتها رواية المعنى والعجمة واللحن والخطأ التى سلطها أبو رية للشك فى الحديث النبوى ؟

جمع القرآن وتدوينه

ذكر أبو رية جمع القرآن وتدوينه (فى ص ١٠) حتى جاء متواترا ، ثم قال : ولو أن الحديث قد دون فى عصر النبى كما دون القرآن ، واتخذ له من وسائل التحرى والدقة ما اتخذ للقرآن لجاء كله متواترا كذلك ولما اختلف المسلمون فيه هذا الاختلاف الشديد الذى لم يستطع أحد ـ على مر العصور ـ تلافيه

ثم ذكر أن تدوين الحديث لم يقع إلا فى القرن الثانى بعد وفاة النبى ﷺ بأكثر من مائة سنة . قال : ولم يكن ذلك بدافع من الرواة وانما كان بوازع من الولاة ، وأنه قد بدا أول ما بدا غير كامل ، ثم تقلب فى أطوار مختلفة ، حتى خرج فى صورته الأخيرة حوالى منتصف القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى

ثم قال (فى ص ١١) : فالمتكلمون وعلماء الأصول لما كان الخبر عندهم ينقسم الى متواتر وآحاد . . . قال : والآحاد لا يعطى إلا الظن ، والظن لا يغنى من الحق شيئا ورأوا ـ يعنى المتكلمين والأصوليين ـ أن ما يأتى من طريق الآحاد الذى هو ظنى الدلالة ولا يجوز البناء فى العقائد على الظن ، فقد ردّوا كل حديث لا يتفق مع ما ذهبوا اليه من أصول ، وما وضعوه من قواعد . ومما اتفق عليه جميع النظار أن أحاديث الآحاد

لا يؤخذ بها في العقائد مهما قويت أسانيدها وتعددت طرقها

ويقال لهذا المتهجم على الحديث بهذه المجبات الجاهلة :

إن تواتر القرآن لفظه ومعناه حتى حركات ألفاظه وإعجازه للانس والجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أمر اختص به القرآن دون سائر الوحى الإلهى من التوراة والانجيل والزبور والحديث النبوى ، ليجعله الله حجة على خلقه الى يوم القيامة

أما الوحى الآخر من الكتب السماوية السابقة والحديث النبوى فقد راعت فيها الحكمة الربانية التنزل عن الجلال الالهى والإعجاز الذى اختص به القرآن الى مدارك البشر مختلفى المراتب فى الفهم والإدراك ، فالعيب على الحديث النبوى والتشكيك فيه - بأنه لم يتواتر أو روى بعضه بالمعنى - جهلٌ بالحكمة الربانية فى تنويع وحيه حسب حاجة الناس اليه ، فمرة بالتواتر والإعجاز الإلهى ومرة بالتنزل الى أفهام الناس على اختلاف طبقاتهم فى الفهم ، فلو كان الحديث فى درجة القرآن تواترا وإعجازا وعلوا لما انتفع به إلا القليل الأقل من الناس ، ولاحتاج الى بيان آخر أنزل منه حتى يخالط عقول الأسود والأحمر والأبيض من الناس

وذهب أبو رية وراء المتكلمين والأصوليين الى أن الأحاديث آحاد لا تفيد إلا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً ، وأن المتكلمين يردّون من الأحاديث ما يخالف الذى ذهبوا اليه من الأصول والقواعد

ونسأله : من هم المتكلمون بأن الأحاديث لا تفيد إلا الظن الذى لا يغنى من الحق شيئاً ، والذين يردون الأحاديث المخالفة لأصولهم وقواعدهم ؟ أهم الجهمية والخوارج والمعتزلة الذين وضعوا لأنفسهم أهواء وبدعا سموها أصولا وقواعد ردّوا بها الأحاديث الصحيحة وحرفوا القرآن لأجلها ؟

خذ مثلا حديث جرير بن عبد الله البجلى مرفوعا « إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون البدر ليس دونه سحاب لا تضامون - أو لا تضارون - فى رؤيته »

رده الجهمية والخوارج والمعتزلة بأهوائهم وبدعهم التي سموها أصولا عقلية وقواعد منطقية بزعمهم أنه يقتضي التشبيه والتجسيم والجهة والمواجهة

ولما أيد السلف هذا الحديث بقول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ﴾ حرّفوا الآية بتأويل أنها منتظرة ثواب ربها !

مثل آخر : حديث أبي هريرة وغيره مرفوعا « ينزل الله الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : هل من داع فأستجيب له ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ حتى يطلع الفجر » رواه أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد

وردّه الجهمية والمعتزلة وأمثالهم بشبهات جهلية سموها أصولا عقلية بأنه يستلزم الحركة والانتقال وهما من صفات الاجسام

فاذا أورد عليهم من القرآن قوله تعالى ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ ، وقوله ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر ﴾ ، وقوله ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أو تأتيهم الملائكة أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ الخ حرفوها بما يوافق أهواءهم وبدعهم التي وصفوا الله فيها بأوصاف المعدوم والمستحيل وأنه لا فوق العالم ولا داخله ولا ولا ولا التي لا تنطبق الا على العدم والمستحيل

ثم يقال لأبي رية : من هم المتكلمون الذين ردّوا الأحاديث المخالفة لاصولهم وقواعدهم ؟ أهم الصحابة وخيار التابعين وأجله الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأبو حنيفة والثوري وابن عيينة وابن المبارك وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهم من أئمة الهدى وشموس الهداية ؟

وأنزل قليلا الى من بعدهم : فهل ردّها أبو الحسن الاشعري في كتابه الإبانة في أصول الديانة وهو آخر كتبه ، والاشعري علم شهير من أعلام علماء الكلام ويقتدى به ويعظمه جماعة الاشاعرة . وخذ من مشاهيرهم القاضي أبا بكر الباقلاني ، فهل ردّ هذه الأحاديث في كتابه التمهيد وقد طبع حديثا كاملا ؟

يا أبا رية ، إن المتكلمين الذين ردّوا الحديث الصحيح المخالف لقواعدهم وأصولهم

بزعم أنه حديث آحاد ظنى هم الجهمية والمعتزلة والذين قال قائلهم فى خاتمة مطافه :

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

وقال الآخر : لقد تأملت الطرق الكلامية فلم أرها تشفى عليلا ، أو تروى غليلا . ورأيت أحسن الطرق طريق القرآن ، اقرأ فى الإثبات ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وأقرأ فى التنزيه ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ ، ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ ، ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾

وأما الأصول التى يرد أهلها الحديث الصحيح بدعوى أنه حديث آحاد وظنى فهى مثل محصل الرازى الذى قال فيه شيخ الاسلام ابن تيمية :

محصّل فى أصول الدين حاصله من بعد تحصيله علم بلا دين

وقال فيه « كأنما هو من وحى الشياطين »

أما أمثال الرسالة للامام الشافعى والموافقات للامام الشاطبى ونحوهما فلا ترد الحديث الصحيح فضلا عما جرى عليه خيار السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم القيامة ، فالحديث الصحيح حجة عندهم فى الأصول والفروع على حد سواء فى الإيمان والعقائد والاعمال الصالحة

ولم توجد التفرقة بين الأصول والفروع فى الاحتجاج بالحديث الصحيح بدعوى أنه حديث آحاد وظنى إلا عندما نبت فى المسلمين أهل البدع والأهواء والكلام المبتدع الذى قال الشافعى فى أهله « رأيى فى أهل الكلام أن يضربوا بالحديد والنعال ويطاف بهم فى الأسواق ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة إلى البدع ، واتخذ غير سبيل المؤمنين »

ان الاحتجاج بالحديث الصحيح وتصديق رواية العدل الثقة أثبته الكتاب الكريم والسنة النبوية المتواترة واتفقت عليه فطر الخلائق وعقولهم فى كل زمان ومكان فقد قال الله تعالى ﴿ وأشهدوا شاهدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل

وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكّر إحداهما الاخرى ﴾ فقبل شهادة رجلين مرضيين من الشهداء أو رجل وامرأتين ولم يردّ شهادتهم بدعوى أنها شهادة آحاد ظنية ولا بد من التواتر

وقال تعالى فى شهادة الرجعة والطلاق ﴿ وأشهدوا ذوى عدل منكم ﴾ ولم يقل شهادة تواتر — وقال تعالى ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ أو (فتثبتوا) فأمر بالتبين والتثبت فى خبر الفاسق فيفيد قبول خبر العدل الرضى بلا شرط تواتر

وفى السنة النبوية الكثير الطيب من قبول خبر العدل الثقة ، فهذه كتب رسول الله ﷺ الى الملوك فى سائر الاقطار ، إلى كسرى وقيصر والنجاشى والمقوقس وأمراء نجد وقطر وغيرها ، ما كان يقوم بها إلا أفراد من الرسل . ولم يقل لهم أحد من الملوك : أنتم آحاد لا يستفاد من خبركم اليقين

هاهم أهل قباء فى العصر النبوى أتاهم آت وهم يصلون الى بيت المقدس فقال : أشهد لقد صليت مع رسول الله ﷺ إلى الكعبة ، فتحولوا وهم ركوع من التوجه إلى بيت المقدس إلى التوجه إلى الكعبة المشرفة ، ولم يقولوا لهذا الآتى إن خبرك خبر آحاد لا يفيد اليقين ، وانما يفيد الظن الذى لا يغنى من الحق شيئاً

لقد كذب وأخطأ خطأ فاحشا من قال : إن خبر الآحاد لا يفيد إلا الظن الذى لا يغنى من الحق شيئا ، فخبر الآحاد قد يقترن به من القرائن ما يجعله كالشمس الطالعة صدقا ويقينا

إذا سمعت طارقا ببابك وجاءك الخادم يقول : إن الامير أو رسوله بالباب يريد مقابلتك ، وكان التأثر باديا فى كلامه وعلى وجهه ، أليس من الحماقة أن تقول له : إن خبرك خبر آحاد وهو لا يفيد اليقين ، وانما هو ظن لا يغنى من الحق شيئا ؟

إن معاملات الناس فى دينهم ودنياهم ومعايشهم قائمة كلها على قبول خبر العدل الرضا ، فهذا المؤذن يقبل الناس دلالة أذانه على دخول الوقت ، فيصلون ويمسكون

ويفطرون بأذانه إذا كان معروفا عندهم بالعدالة والرضا، ولا يقولون له: إن نداءك نداء آحاد لا يفيد اليقين، وإنما هو ظن لا يغني من الحق شيئا

يجيء خادمك فيقول: إن ثمن الشاي أو السكر أو اللحم أو الخضر قد زاد عما أخذت له من نقود وأحتاج الى زيادة قدرها كذا وكذا، وهو عدل رضا عندك، فهل تعطيه ما أخبرك به أم تقول له: إن خبرك خبر آحاد ولا يفيد اليقين، وإنما هو ظن لا يغني من الحق شيئا؟

إن أمارات الصدق وسمات الصادقين وعلامات الكذب والكاذبين أمرٌ بيّن في فِطَر الناس وعقولهم وتمييزهمْ، وهو سبيل الانتفاع بصدق الصادقين وتجنب الكذب والكاذبين

وهؤلاء أنبياء الله ورسله في أدوار بعثهم، وبجانبهم المتنبئون والكهنة والسحرة، والناس تميز سبيل الأنبياء والصادقين والرسل والناصحين، وتحذر طرق الكذبة من المتنبئين والكهان والسحرة ﴿ اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾، ﴿ قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله، إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾، ﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾، ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا. ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت في الدنيا بصيرا؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى. وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآياتنا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾

وقوله (آخر ص ١٠): «إن تدوين الحديث لم يكن بدافع من الرواة، وإنما كان بوازع من الولاة» فأي عيب على الحديث في ذلك؟ وأبو رية يعني بالولاة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، وهو نفسه كان من كبار العلماء والرواة، ولحديثه مسند مطبوع في الهند، ولو تفرغ لذلك لكان هو المباشر لتدوين الحديث قبل الذين ندبهم لهذا الخير العظيم

والقرآن نفسه جمع فى صحف بمشورة من زيد بن ثابت على أبى بكر لما استحرّ القتل بالقراء فى قتال أهل الردّة باليمامة ، وكتبت مصاحف الأمصار فى خلافة عثمان عندما اختلف الناس فى غزوة أذربيجان وصار كل واحد يصحح قراءته التى تلقاها عن بعض الصحابة وينكر قراءة الآخرين ، فذهب بعضهم الى عثمان رضى الله عنه فقال له : أدرك أمة محمد قبل أن يختلفوا فى كتاب ربهم كما اختلف من قبلهم ، فكتب مصاحف الأمصار على العرضة الأخيرة ، وأمر بحرق سواها . فاذا أشار عمر بن عبد العزيز رحمه الله ـ وهو الملحق بالخلفاء الراشدين علما ودينا وورعا ونصحا للأمة ـ على قاضى المدينة أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بتدوين ما بلغه من أحاديث النبى ﷺ فامتثل ، فأى عيب يلحق الحديث أو رجال السلف من ذلك ؟ وهل يرى أبو رية فى عمل عثمان بالمصاحف ما يؤاخذه به كما يحاول أن يؤاخذ عمر بن عبد العزيز على عمله فى تدوين السنة ؟

وقوله (فى ص ١٢) : وان هؤلاء الأئمة الكبار قد كانوا لقربهم من الصحابة وكبار التابعين أوسع علما وأعمق فقها من أصحاب كتب السنة الذين لم تشتهر كتبهم إلا بعد انقضاء القرون الأولى التى هى خير القرون بنص الحديث

ويقال له : هؤلاء الأئمة الكبار ألم يكونوا من أئمة الحديث ؟ أليس مالك والشافعى وأحمد والثورى وابن عيينة وابن المبارك وأضرابهم أئمة فى الحديث كما هم أئمة فى الفقه ؟ أليست أحاديثهم هى المروية فى كتب السنة الشهيرة التى عابها أبو رية بأنها لم تشتهر إلا بعد القرون الفاضلة ، مع أن مافيها من أحاديث هى بعينها أحاديث خير القرون من الصحابة والتابعين وتابعيهم : لم يخترعها أصحاب هذه الكتب ، وإنما تلقوها عن الطبقة التى قبلهم ، ودونوها بعد الجهد المشكور فى الرحلة والرواية وتمييز الرواة صادقهم من كاذبهم

فهمزه لهم ولمزه بأن كتبهم لم تشتهر إلا بعد انقضاء القرون الثلاثة كذب وظلم وبهتان ، فليس فى كتبهم إلا رواية خير القرون

وقد أعجب أبو رية بكتابه ـ إعجاب بعض الطير بابنه ـ إذ قال (ص ١٣) : ولما كان هذا البحث لم يُعنَ به أحد ، وكانت دراسته واجبة قبل النظر فى كتب الحديث والتفسير والتاريخ والفقه والأصول والنحو وكل ما يتصل بالدين الاسلامى ، وكان يجب أن يفرد بالتأليف منذ ألف سنة عندما ظهرت كتب الحديث المعروفة . . . حتى توضع هذه الكتب فى مكانها الصحيح من الدين ، ويعرف الناس حقيقة ما روى فيها من أحاديث ليكونوا منها فى أمرهم على يقين ، من أجل ذلك رأيت من الخير أن أسوّى منه كتابا مبوّبا جامعا أذيعه فى الناس حتى يكونوا على بينة من الحديث النبوى يدرسونه على نور العلم ويفهمونه بمنطق العقل

ثم قال (ص ١٤) : وأرجو وقد حسرت النقاب عن وجه الحق فى أمر الحديث المحمدى ـ الذى جعلوه الأصل الثانى من الأدلة الشرعية بعد السنة العملية ، واتخذوا منه أسانيد لتأييد الفرق الاسلامية ودلائل على الخرافات والأوهام ، وقالوا بزعمهم إنها دينية ـ وكشفت القناع عما خفى على الناس من أمره ، وعرضت صورة صادقة من تاريخه ، أرجو أن أكون قد وفقت الى اصابة الغرض الأول ـ الدفاع عن السنة القولية وحياطتها مما يشوبها

الى أن قال (ص ١٥) : وإذا كان هذا الكتاب سيغير ولا ريب آراء كثير من المسلمين فيما ورثوه من عقائد وما درسوه من أحكام ، فانه سيفقهم إن شاء الله على حقائق كثيرة تزيدهم تبصرة وعلما بدينهم ، ويحل لهم مشاكل متعددة مما تضيق به صدورهم ، ويدفع عنهم شبهات مما يتكىء عليها المخالفون والصادون عن دينهم ، وبذلك يستقيم النظر إلى معرفة أصول الدين ، ويعتدل الرأى فى أغراضه من المسلمين وغير المسلمين » وذكر (ص ١٥) أنه يتوجه بعمله هذا ـ بعد الله ـ إلى المثقفين من المسلمين خاصة ، وإلى المهتمين بالدراسات الدينية عامة ، لأنهم الذين يعرفون قيمته ويدركون قدره

أقول : سأصبر على هذا الغرور والتهويل ، حتى أرى نوع العلم ومنطق العقل الذى سيقدمه أبو رية فى كتابه الذى عجز المسلمون من ألف سنة مضت عن الإتيان بمثله ! والذى سيقلب العقائد والآراء والأفكار — كما زعم — رأسا على عقب ، والذى توجه به إلى الله والى المثقفين من المسلمين وغير المسلمين الذين يعرفون قيمته ويدركون قدره .

سأصبر على هذا كله ، وليس الخبر كالعيان ، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان

ولو أنه قد تيسر له ما كتبه المسلمون فى خدمة الدين والحديث من كتب الجرح والتعديل ومن كتب علل الحديث وشواذه وبيان المنكر من السليم لما ادّعى أن كتابه لم يكتب مثله من ألف سنة مضت ! وظنى أنه نظر فى شىء من كتب الحديث نظر العوام الذين لا يفقهون منه إلا أمانى ، فساءت نظرته الى ما نظر منه

النهى عن كتابة الحديث

نهى النبى ﷺ عن كتابة حديثه ـ عمل الصحابة بذلك

قال (ص ٢٣) : « كان رسول الله صلوات الله عليه ـ كما قلنا ـ مبينا ومفسرا للقرآن بفعله وقوله ، ولكن أقواله فى هذا البيان أو فى غيره لم تحفظ بالتدوين كما حفظ القرآن »

هذا البيان لكتاب الله والتفسير له من فعل النبى ﷺ وقوله قد حفظت أحاديثه عن النبى ﷺ كما حفظ القرآن ، ولا يضيرها أنها لم تدوّن فى زمنه ﷺ شأن سائر العلوم ـ الفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة ومفردات اللغة ـ ويظهر أن أبا رية لا يفرق بين الكتابة والتدوين ، فأخذ من عدم التدوين النهى عن كتابة الحديث .

وكتابة الحديث وجوازها بل واستحبابها والترغيب فيها دل عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وخيارها إلى يوم القيامة

فمن الكتاب قوله تعالى ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ وقال ﴿ وأنزلنا اليك الكتاب لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ فبين للناس بيانه الذى يبقى لهم ما بقى الكتاب الذى تعهد الله بحفظه . وقال لنساء نبيه ﷺ ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ فآيات الله كتابه ، والحكمة بيان النبى ﷺ للكتاب بأقواله وأفعاله ، فهل بين النبى ﷺ كتابه بالحكمة التى بعثه بها مع الكتاب لتحفظ وتبقى ما بقى الكتاب حفظا وكتابة ؟ أم بينها ونهى عنها لتنسى وتترك ويستبدل بها الناس أهواءهم وبدعهم وما يشتهون ؟

وسنة النبى ﷺ المتواترة من الكتابة للملوك : قيصر وكسرى والنجاشى والمقوقس وأمراء نجد وقطر وغيرهم ، فكتب اليهم يبلغهم رسالته من الكتاب والحكمة ، فهل كتب لهؤلاء ونهى عن كتابة حديثه لمن يأتى بعده إلى يوم القيامة ؟ لماذا ينهى عن ذلك ؟

أليس هو مبعوثا لهم كما هو مبعوث الى من كتب لهم ؟ أم يريد لهم أن لا يعرفوا هديه وحكمته ويستعيضوا عنها بأهوائهم وبدعهم ومحدثاتهم ؟

وفى حديث حجة الوداع بعرفات الذى حضره ما ينيف على مائة ألف حينما سألهم ﷺ : هل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال : اللهم اشهد . ورفع اصبعه إلى السماء وحطها اليهم ليبلغ الشاهد الغائب . أليس التبليغ يكون باللفظ وبالكتابة ، أم يباح لفظا ويحظر كتابة ؟

وفى الحديث « نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » يحظر هذا التبليغ بالكتابة ، أم يؤمر به بما يستطيع السامع المبلّغ لفظا وكتابة ؟

وحديث أبى شاه اليمانى لما طلب من النبى ﷺ كتابة خطبته يوم فتح مكة فقال « اكتبوا لأبى شاه » أكان خاصا بأبى شاه ومن أمرهم بالكتابة فلا يجوز لغيرهم أن يكتب أو يكتب له ؟ !

ثم عمل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من خيار الأمة إلى يوم القيامة فى كتابة حديث رسول الله ﷺ أكان هدى أو ضلالة حتى يأتى أبو رية وأمثاله فى القرن الرابع عشر ببدعة النهى عن كتابة الحديث النبوى بشواذ ظنوها أدلة على ذلك ، وما هى إلا شبهات لا تخدش وجه الكتاب والسنة والإجماع والعمل المتوارث من خير القرون إلى يوم القيامة وسبيل المؤمنين وصراطه المستقيم

شبهات من ظن النهى عن كتابة الحديث

(١) حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً « لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن ، فمن كتب عنى غير القرآن فليمحه » رواه مسلم وأحمد والدارمى والترمذى والنسائى عنه

فيقال (أولا) لمن احتج به : كيف تحتج بحديث نهى النبى ﷺ عن كتابته وأمر بمحوه ؟ فالحديث المنهى عن كتابته المأمور بمحوه كيف يكون حجة ودليلا ؟ ألا يقال فيه

ما قيل فى حجج المتكلمين قديما :

حجج كالزجاج تهافتن فكلهن كاسر مكسور

والحديث له وجه صحيح سنذكره قريبا إن شاء الله تعالى

(ثانيا) الذين رووه أحمد ومسلم والدارمى والترمذى والنسائى لماذا كتبوه هو وغيره؟ هل هم لم يفهموه ، أم فهموه وخالفوه فينطبق عليهم قوله تعالى ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وحاشاهم من ذلك : من عدم فهمه ، أو من مخالفته

(ثالثا) الإجماع منعقد على جواز كتابة حديث النبى ﷺ من عهد خير القرون إلى يوم القيامة ، فما يخالفه إما غير صحيح ، أو منسوخ ، أو معارض بما هو أقوى منه ، والعمل للأقوى

الحديث صحيح ، ووجهه ـ كما قال العلماء ـ خوفه ﷺ فى بداية الأمر أن يختلط القرآن بغيره ، الى أن يتمرنوا بأسلوب القرآن ويتمرسوا ببلاغته وتوجد لهم ملكة تميز نظم القرآن وإعجازه من نظم كلام البشر ، وهى حكمة صحيحة ووجه معقول ، يدركها من نظر فى أسباب ورود القراءات الشاذة وتدوين ما سمع من الصحابة على وجه التفسير على أنه قرآن قرؤه على هذا الوجه كما قرؤا القرآن المتواتر ، وفيه كتبت كتب الشواذ من القراءات كالأربع فوق العشر والقراءات الشاذة لابن خالوية ، ولقد أحسن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ثالث الراشدين حينما كتب المصاحف الأئمة وبعث بها إلى الأمصار : الكوفة والبصرة والشام وأمر بحرق ما عداها ، ومع هذا بقيت شواذ القراءات فى روايات الناس وفى كتب الشواذ والتفاسير

وقوله (ص ٢٧) : إنه سبب لا يقتنع به عاقل عالم ولا يقبله محقق دارس اللهم إذا جعلنا الأحاديث من جنس القرآن فى البلاغة وأن أسلوبها فى الاعجاز من أسلوبه الخ

ونقول له : هو سبب معقول عقله الأئمة والعلماء ، ولا يضيرنا أنك لا تعقله ، وليس كل الناس يعقل إعجاز القرآن ويفرق بين بلاغته وبلاغة سائر الكلام ، والناس طبقات فى المدارك ، وفيهم الأعجمى والمولد ومن فسدت لغتهم بالاختلاط بالأعاجم

رأت امرأة زوجها من الصحابة خارجاً من عند أمته المملوكة له ، فظنت أنه واقعها ، فأنكر ذلك ، فقالت لا أصدق حتى تقرأ قرآنا إن كنت لست جنبا منها ، فقال :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طافٍ وفوق العرش رب العالمينا

فقالت : صدق الله وآمنت بأنك لم تمس الجارية . وأمثال هذه المرأة التى لم تفرق بين الشعر والقرآن كثير وكثير جدا

هؤلاء الذين رووا عن ابن عباس قول الله ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ فى موسم الحج ، فرووا قوله « فى موسم الحج » على أنه قراءة لابن عباس ، وظاهر أنها تفسير منه فهؤلاء لم يكونوا مفرقين بين القرآن المعجز المتواتر وبين ما قاله ابن عباس على وجه التفسير فرووه على أنه قراءة له . والذين سمعوا من ابن مسعود ﴿ وامرأته قائمة ﴾ وهو قاعد ، فرووها عنه قراءة له — والذين سمعوا منه أو من غيره ﴿ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ﴾ متواليات ، فرووها قراءة . والذين سمعوا من حفصة وغيرها ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ وصلاة العصر ، فرووها قراءة . هذا وأمثاله كثير فى كتب القراءات الشاذة والتفسير وغيرهما لم تمنع بلاغة القرآن وإعجازه أمثال هؤلاء أن يغلطوا فيما سمعوا من الصحابة على وجه التفسير أن يرووه قراءة ، ولولا مصاحف عثمان وانتشار أئمة القراء ومشاهير الحفظة لاختلط على كثير من الناس بل على أكثرهم ماقيل تفسيراً وروى غلطا أنه قراءة

فاذا خاف النبى ﷺ على هؤلاء وأمثالهم فى بداية العهد أن يختلط عليهم القرآن بما

كتبوه من حديثه فنهاهم عن كتابة الحديث مؤقتا حتى يتمرسوا بأساليب القرآن ويتذوقوا بلاغته وإعجازه ألا يكون ذلك من نصحه ﷺ لأمته ؟

وقول أبى رية (ص ٢٥) إن أحاديث النهى عن كتابة الحديث أصح وأقوى ، جهالة منه وتهور ، فكيف يجعل ماانفرد به مسلم أصح وأقوى مما اتفق عليه فى الصحيحين البخارى ومسلم وهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.

وقوله (ص ٢٥) : لنا أن نستدل على كون النهى هو المتأخر بأمرين : أحدهما استدلال من روى عنهم من الصحابة الامتناع عن الكتابة ومنعها بالنهى عنها وذلك بعد وفاة النبى ﷺ ، وثانيهما عدم تدوين الصحابه الحديث ونشره ، ولو دونوه ونشروه لتواتر ما دونوه.

والجواب عن الأول أن الأحاديث المنسوخة رواها رواتها وعملوا بها بعد النبى ﷺ حينما لم يعلموا بالنسخ ولهم العذر فى ذلك ، فهذا تطبيق ابن مسعود يديه بين ركبتيه وقت الركوع ، ووقوفه بين اثنين هو إمامهما فى الصلاة بلا تقدم عليهما ، وعمله بذلك بعد وفاة النبى ﷺ لعدم علمه بنسخ ذلك ، ومتعة النساء ــ أى الزواج المؤقت ــ يقول بها ابن عباس بعد موت النبى ﷺ وقد أخبره ابن عمه على بن أبى طالب رضى الله عنه بتحريم النبى ﷺ لها فى غزوة خيبر ، وكذلك قوله بحل الحمر الانسية للأكل مع رواية غيره كعلى ابن أبى طالب نهى النبى ﷺ عنها ، وتحريم كثير من أهل العلم من الصحابة وغيرهم للانتباذ فى آنية الجر والدباء والمزفت للنهى عن ذلك أولا ثم نسخ ذلك بقوله ﷺ « انتبذوا فى كل شىء ولا تشربوا مسكرا » ، والامثلة فى ذلك كثيرة جدا . فرواية بعض الصحابة لأحاديث النهى عن كتابة الحديث بعد وفاته ليس دليلا على عدم نسخها ، فالمنسوخات كلها رويت بعد وفاته لعدم علم رواتها بنسخها

وقوله « ثانيهما عدم تدوين الصحابة الحديث ونشره الخ » دليل على أن أبا رية لا يفرق بين الكتابة والتدوين ، وإن بلغ به إعجابه بكتابه إلى حد الدعوى بأنه لم يؤلف

مثله من ألف سنة ، فالصحابة لم يدونوا الحديث ، ولا الفقه ، ولا الأصول ، ولا النحو ، ولا البلاغة ، ولا مفردات اللغة ، ولا التاريخ ، فهل يدل عدم تدوينهم لهـذه العلوم الاسلامية على النهى من كتابتها ، وبالتالى تحريم تدوينها ؟!

الصحابة رضى الله عنهم من الأميين الذين بعث فيهم رسول الله ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وقد تحملوا دين الله عن رسوله ﷺ فى الكتاب والسنة بقلوب واعية وحفظ عديم النظير ، حتى القرآن لو لم يبلغوه حفظا لما حفظته كتابة بعضهم الخالية من النقط والشكل وألفات المد مثل ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فسوا ﴾ قرئت فتثبتوا بالثاء من الثبات ، وقرئت فتبينوا بالياء من البيان ، ولولا الحفظ كيف كنا نميز قراءة ﴿ فازلهما الشيطان ﴾ أى من الزلل ، من قراءة « فازالهما » من الإزالة ، كيف تتميز القراءتان من رسم (فأزلهما) ؟ وهكذا قراءة ﴿ إلا لله يقص الحق ﴾ من القصص وقراءتها « إلا لله يقضى الحق » من القضاء وقد رسمت « يقص » وقراءة ﴿ وكأين من نبى قتل ﴾ قرئت « قُتل » بالبناء للمجهول و « قاتل » بالبناء للفاعل

وهكذا حفظ الله القرآن والحديث النبوى بحفظ الصحابة لهما لا بالكتابة ، والقرآن لو لم يكتب قط لكان تسلسل تلقيه وتلقينه من حفظ الحفاظ من العهد النبوى إلى الآن هو المظهر الأعلى لما تولاه الله من حفظه إلى يوم القيامة . وهذه مزية امتازت بها شريعة الاسلام على جميع الشرائع ، ومن يجهل ذلك فهو أجهل الجهلاء

ولما زالت الأمية عن هذه الأمة المعصومة عن الخطأ دونوا القرآن لفظه وقراءاته ، ودونوا الحديث والفقه الخ

فالشك فى الحديث أنه لم يدونه الصحابة شك عدو فى الدين وفى حفظ الله له حجة على خلقه إلى يوم القيامة : كتاب الله المجيد ، وسنة نبيه ﷺ وعمل السلف الصالح فى خير القرون بذلك

بقية أدلة النهى عن كتابة الحديث

(٢) قصة عائشة (ص ٢٣) فى جمع أبى بكر لخمسمائة حديث ثم حرقها الخ رواها الحاكم وجمع الجوامع للسيوطى وتقييد العلم للخطيب البغدادى وتذكرة الحفاظ للذهبى.

والجواب: عجبا لمحقق القرن الرابع عشر أن يتشكك فى أحاديث الصحيحين والسنن والمسند لأنها دونت على خلاف نهى النبى ﷺ عن كتابة حديثه، ويخرق إجماع الأمة على قبولها، ثم يجىء إلى أثر يرويه الحاكم والخطيب البغدادى والسيوطى فى جمع جوامعه وهى مملوءة بالموضوعات والضعاف والمناكير. حسبك أن الحاكم قال فيه الذهبى: إن ربع مستدركه موضوعات ومكذوبات، وربعه صحيح على شرطيهما. وربعه صحيح ليس على شرطيهما، وربعه حسن أو ضعيف. وقد ألف الذهبى المستدرك على المستدرك ناقض فيه الحاكم فى الكثير الأكثر مما زعم صحته، ولذلك دأب العلماء بعد الذهبى على تصحيح أغلاط الحاكم وأوهامه بما قاله الذهبى على مستدركه. وأما السيوطى فلم يتقيـــد بالصحيح فى كتبه، فهو حاطب ليل جمع الأفاعى والحطب، على أنه حطب قد ينفع

ثم هؤلاء الذين رووا هذا الأثر الصديقى كيف ساغ لهم خلافه فكتبوا الكتب الطوال والقصار والبسائط والمختصرات فى علم الحديث، خصوصا الخطيب البغـــدادى والسيوطى. فلو صح عندهم هذا الأثر ما ساغ لهم مخالفته

وهذا محققنا أبو رية كيف ساغ له الاستدلال بشىء وضع كتابه للتشكيك فيه وصحح نهى النبى ﷺ وعمل أصحابه بنهيه عن كتابته ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة تردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ والآية فى وعيد اليهود، ولكن من عمل بمثل عمل اليهود مما نهاه الله عليهم فله نصيب من وعيدهم

وقد قال سفيان بن عيينة أو الثورى: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن

فسد من عبّا نافقيه شبه من النصارى

ثم أليس فى قصة أبى بكر — إن صحت — احترام الحديث والعمل به ؟ فقد حرق ما جمع منه خوفا من أن يكون وثق بغير ثقة ، إذن فالثقة هو موضع القبول بخلاف غير الثقة . ألم تقل القصة عنه إنه حرق ما جمع حتى لا يشك الناس فيما لم يجمع مما لم يبلغه ؟ فقد احترم ما لم يجمع مما لم يبلغه فحرق ما جمع حفظا لما لم يجمع ، فهو قد احترم الحديث ما جمع منه وما لم يجمع ، وعلم أن دين الله محفوظ فى الصدور ، وستدونه الأمة متى تيسر لها التدوين . فأبو بكر لم يقل أحرقت ما جمعت لأنه لا فائدة فيه ، ولا لأن النبى ﷺ قد نهى عن كتابته ، ولكنه أحرق ما جمع — إن صحت الرواية بذلك — لأنه خاف من إعراض الناس عما لم يجمع بسبب ما جمع ، وخاف من دخيل فيما جمع ، فهو على كل حال يحترم حديث رسول الله ويرى لزومه للدين ، ما جمع منه وما لم يجمع

وليس يرى ما يراه محقق القرن الرابع عشر أبو رية فى ظُلُماته أن الحديث ليس من الدين ولا حاجة للدين به وأنه منهى عن كتابته الخ

(٣) قصة عمر (ص ٢٤) التى رواها ابن عبد البر والبيهقى فى المدخل عن عروة — يعنى ابن الزبير — أن عمر أراد أن يكتب السنن ، فاستفتى أصحاب رسول الله أو استشارهم فأشاروا عليه أن يكتبها ، فطفق يستخير الله شهرا ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال : إنى كنت أريد أن أكتب السنن ، وإنى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإنى والله لا أشوب كتاب الله بشىء أبدا ، أو لا ألبس كتاب الله بشىء أبدا . وعن يحيى بن جعدة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة ثم بدا له أن لا يكتبها ، ثم كتب إلى الأمصار : من كان عنده شىء فليمحه . اهـ

والجواب أن هذه القصة لو كانت صحيحة لما ساغ لراويها ابن عبد البر والبيهقى وهما من علماء الحديث وممن دوّن فيه الدواوين النافعة الممتعة كالتمهيد شرح الموطأ لابن عبد البر والاستيعاب فى أسماء الأصحاب له والعلم وفضله له كالسنن الكبرى للحافظ البيهقى ومعرفة

السنن له والمدخل اليها له

بل سائر أئمة الحديث من عهد مالك فى موطئه ومن بعده من تابعى التابعين فمن بعدهم إلى زمن ابن حزم وابن عبد البر وقبلهم البيهقى وابن جرير وغيرهم ، كل هؤلاء كتبوا الحديث ودوّنوه وانتفع بدواوينهم خيار الأمة وأهل السنة والجماعة ، عدا من طبع الله على قلوبهم من الجهمية والرافضة وشرار أهل الكلام من المعتزلة وأشباههم ومن غرق فى أهوائهم وبدعهم ومحدثاتهم

(ثانيا) راوى القصة عروة بن الزبير من أوساط التابعين ، وأنى له فى إدراك عمر ، وهو لم يدرك الرواية عن أبيه الذى بعد عمر ببضع عشرة سنة

ويحيى بن جعدة كذلك لم يدرك عمر

(ثالثا) إن صحت هذه القصة عن عمر كانت من اجتهاداته الكثيرة التى قد نخالفه فيها مع احترامنا لجلالة قدره وسابقته فى الاسلام وعز الاسلام على يديه بعد إسلامه وفى خلافته ونصحه لصحبة الرسول ووزارته لأبى بكر وقيامه بأمر الاسلام أيام خلافته خير قيام ، ومع هذا كله وفوق هذا كله يسوغ لنا أن نخالف بعض اجتهاداته إلى ما هو أقوى منها فى السنة الصحيحة أو النص الصريح ، من ذلك : (١) فى مرض الوفاة النبوية طلب ﷺ كتابا يكتبه لأمته لا يضلون بعده ، فقال عمر : حسبنا كتاب الله ، وجوز أن يكون ذلك من أثر الحمى ، وقال ابن عباس : الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابة الكتاب . ونحن نوافق عمر أن كتاب الله فيه الهدى والكفاية ، وليس فى ترك الكتاب رزية ولا كل الرزية كما قال ابن عباس ، وإنما فات من ذلك وصية كان ﷺ يريد تأكيدها ، فلم يضع بترك كتابته ﷺ الكتاب شىء من الدين ، وإنما كان بيانا وتأكيدا لما سبق له بيانه وتأكيده . (٢) نهى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أيام خلافته لمتعة الحج وقرانه بالعمرة اجتهادا منه رضى الله عنه لاكثار زوار بيت الله بحج مفرد وعمرة مفردة بسفر آخر ، وقد صحت السنة الصحيحة الصريحة مع نص القرآن

بمشروعية التمتع والقران ، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ فى حجة الوداع منهم المتمتع ومنهم القارن ومنهم المفرد ، كل هذا بعلمه وإقراره ، بل أوجب على من لم يسق الهدى أن يفسخ الحج إلى العمرة . وقال عمران بن حصين : تمتعنا مع رسول الله ﷺ وجاء القرآن بالتمتع ولم يجيء نسخ لذلك ، فقال رجل برأيه ما شاء ، يعنى عمر أو معاوية ، وانعقد الاجماع بعد عمر ومعاوية بمشروعية التمتع والقران وخالفوا عمر لاتباع النص من القرآن والسنة الصريحة وعذروا عمر فى اجتهاده ، وعرفوا أن فضله الكثير يغمر هذه الاجتهادات ويغطيها ، مع خلافهم لكثير من اجتهاده متى صح النص بخلاف اجتهاده ، ولسنا فى حاجة إلى تعديد ما خالف اجتهاده لنص من النصوص واتباع الناس للنص وخلافهم لاجتهاده مع الاحترام له والتبجيل

(رابعا) نحن نوافق أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه — ان صحت عنه هذه القصة — فى أن نعرض عما يشغل عن كتاب الله ، فضلا عما يستبدل بكتاب الله و يستعاض به عن كتاب الله

أما ما يبين كتاب الله ويحث عليه ويفسره فهو الركن الثانى من دين الاسلام ، وفى الحديث « تركت فيكم ما إن تمسكتم به بعدى لن تضلوا : كتاب الله ، وسنتى »

(٤) قصة القاسم بن محمد (ص ٢٤) ومنعه عبد الله بن العلاء أن يكتب عنه حديثا ، وقول القاسم : إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشدَ الناس أن يأتوه بها ، فلما أتوه بها أمر بتحريقها ، مثناة كمثناة أهل الكتاب اه ، رواها ابن سعد

والجواب كما تقدم أنها لو صحت لما خالفها الناس جميعا من عهد عمر إلى يوم القيامة ، وكيف جاز لراويها ابن سعد أن يخالفها ، وقد كتب طبقاته فى عدة مجلدات ، وكان يقرؤها الامام أحمد كراسة كراسة . ومن قبله كان سائر الناس من الصحابة والتابعين وتابعيهم يروونها الى يوم القيامة

وأين للقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق أن يدرك عمر بن الخطاب ، وقد كان

طفلا صغيرا فى خلافة على بن أبى طالب حينما حرق للصريون أباه لاتهامه بقتل عثمان مع قاتليه ، فضمت عائشة القاسم الى كفالتها حينئذ ، ولعله لم يكن وُلد ولا كان موجوداً أيام عمر

والعجب من محقق القرن الرابع عشر الذى زعم أنه وضع كتابه الذى لم يوضع مثله وكان يجب أن يوضع من ألف سنة ، العجب منه أن يشكك فى صحيح الأحاديث وعمل خير القرون فمن بعدهم ممن اقتفى آثارهم بهذه المنقطعات والميتات المنكرة الشاذة التى هى كالدم ، ولحم الخنزير ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وأكيلة السبع ، بجانب الكثير الطيب من مؤلفات أئمة الاسلام فى المسانيد والصحاح والسنن

(٥) وذكر (فى ص ٢٤) قصة دخول زيد بن ثابت على معاوية وقول زيد : إن رسول الله أمرنا أن لا نكتب شيئا من حديثه ، فمحا معاوية ما كتبه عن زيد بن ثابت

ذكر أبو رية هذه القصة بلا زمام ولا خطام ، بل سيبها كالسوائب التى سيَّبها المشركون لأصنامهم ، فبالله عليك هل يبطل عمل خيار الناس من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان إلى يوم القيامة بأمثال هذه السوائب التى لا زمام لها ولا خطام ؟ أما كان يجب على المستدل بشىء أن يذكر من رواه ومن صححه ومن احتج به ومن عمل به ؟

فاذا كان أبو رية لم يعزُ قصة زيد مع معاوية الى شىء من كتب الرواية ، ولو التى تروى الغرائب والمنكرات والشواذ ، فنحن فى حل من الإعراض عنها واطراحها ، وقد ذكرها ابن عبد البر ، وفى سندها طعن وانقطاع

(٦) وذكر (فى ص ٢٤) خطبة على — يعنى ابن أبى طالب — وقوله : أعزم على كل من عنده كتاب إلا رجع فمحاه ، فانما هلك الناس حيث تتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم . اه

ذكرها بلا زمام ولا خطام ، بَحِيرة من البحائر وسائبة من السوائب ، لم يعزُها حتى ولو لرواة الأكاذيب والموضوعات ، فكيف نترك لأجلها — وهذا حالها — كتابَ الله

وسنة نبيه وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم الى يوم القيامة ؟ أبمثل هذه الموقوذة تترك عمل مالك والثورى وابن عيينة ، ومن بعدهم الشافعى وأحمد والبخارى ومسلم وأصحاب السنن والصحاح والمسانيد وغيرها ؟

وراوى القصة عن على — على ما ذكره المشكك فى السنة — هو جابر بن عبد الله بن يسار ، ولا يحضرنى الآن من هو جابر بن عبد الله بن يسار هذا ، ولعل اسمه محرف عن جابر بن عبد الله بن جابر العقيلى روى عن بشر بن معاذ أنه صلى مع النبى ﷺ ، قال الحافظ الذهبى فى الميزان : وهذا كذب ، وبشر لاوجود له فيما أحسب . ويحتمل أن يكون جابرا آخر وهو جابر الجعفى ذاك التالف الهالك المؤمن برجعة على وأنه فوق السحاب ، فان يكن هو الجعفى فلا غرابة فيمن يقبل فى أبى هريرة طمن عبد الحسين النجفى الرافضى أن يقبل فى هدم سنة رسول الله ﷺ رواية هذا الهالك الساقط جابر الجعفى المؤمن بالرجعة ، فلعل هذا العمل مما لم يهتد اليه المسلمون فى ١٤ قرنا واهتدى اليه محققنا فى القرن الرابع عشر . وإن يكن غير جابر بن عبد الله العقيلى وغير جابر الجعفى فنكرة من النكرات لا يؤبه له

(٧) قصة ابن مسعود (ص ٢٤) أنه أتى بصحيفة فيها حديث ، فدعا بماء فمحاها ثم غسلها ثم أمر بها فأحرقت ثم قال : أذكر الله رجلا يعلمها عند أحد إلا أعلمنى به ، والله لو أعلم أنها بدير هند لبلغتها ، بهذا هلك أهل الكتاب قبلكم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون

وهذه كسوابقها مفلوته بلا رباط ، لا تستحق مجهود الجرى ورائها

ثم فى لفظ القصة « صحيفة فيها حديث » ولم يذكر فى القصة حديث مَن ؟ أهو حديث رسول الله ﷺ فيستحق هذا الغضب عليه من ابن مسعود ، كلا ثم ألف كلا . ابن مسعود الذى يولم وليمة عندما أفتى بفتوى نذكر له حديث يؤيد فتواه ففرح فرحا عظيما ، والفتوى فى امرأة مات عنها زوجها قبل الدخول بها ولم يسم لها صداقا فقال : لها

صداق مثلها ولها الميراث وعليها العدة ، فذكر له أن رسول الله ﷺ حكم لبروع بنت واشق بمثل ذلك ، ففرح ابن مسعود بذلك فرحا شديداً ، وأولم وليمة لذلك . هكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ مع حديثه حبا وفرحا واحتراما . وأما اذا كان فى هذه الصحيفة خرافة من خرافات أهل الكتاب فحق لابن مسعود أن يغضب هذا الغضب وان يتبعها إلى دير هند ليحرقها . ويشهد لهذا اعتباره مما أملاه أهل الكتاب من قبلنا من نبذهم كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . يعنى واتباعهم ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ، وكذلك ما قال الله فيهم ﴿ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا ﴾

وحاشا للمسلمين خصوصاً أئمة الحديث والكتاب والسنة أن يكونوا كذلك عند ابن مسعود أو غيره من الصحابة

وقوله (ص ٢٥) : وهناك غير ذلك أخبار كثيرة يرجع إليها فى كتابى جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر وتقييد العلم للبغدادى وغيرها

وجوابه أنه لو وجد فى الكتابين أمثل مما ذكره من الأمثال للنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وأكيلة السبع التى مرت عليك ميتات غير مذكاة ، لما تأخر عن شحن كتابه بجثثها ورممها ، ولما ضنّ بجيفها على قارئى كتابه . وقد ناقشناه فى جميعها وبينا أنه لا يستدل بها إلا عدوّ لدين الاسلام مجتهد فى هدم ثانى أصوله أو مَن اتبع غير سبيل المؤمنين فى العمل بحديث نبيه ﷺ وحفظه وتدوينه

وقوله (ص ٢٥) : ولئن كان هناك بعض أحاديث رويت فى الرخصة بكتابة الحديث فان أحاديث النهى أصح وأقوى منها الخ ، فقد أجبناه على ذلك وبينا كذبه وجهله فى ذلك وأن جواز كتابة الحديث النبوى والترغيب فى ذلك جاء به الكتاب والسنة الصحيحة وعمل المسلمين من لدن الصحابة إلى قيام الساعة . فارجع إلى ذلك إن شئت

قوله (ص ٢٧) فى تهوين أمر الحديث والعمل به : ثم ما جرى عليه علماء الأمصار

فى القرن الأول والثانى من اكتفاء الواحد منهم كأبى حنيفة بما بلغه ووثق به من الحديث وان قل ، وعدم تعنيه فى جمع غيره اليه ليفهم دينه ويبين أحكامه ــ قوى عندك ذلك الترجيح (يعنى النهى عن كتابة الحديث على جواز كتابته)

ونقول لذلك الشاك المشكك فى الحديث النبوى : إن الواجب على كل مسلم أن يعمل بما بلغه من دين الله ــ كتابه وسنة نبيه ﷺ ــ لقول الله تعالى ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ فتى لم يبلغه شيء من كتاب الله أو سنة نبيه فهو معذور فى عدم العمل بما لم يبلغه من ذلك

وأما اتهامه علماء الأمصار بعدم تعنيهم فى جمع غير ما بلغهم فتهمة باطلة لهؤلاء العلماء ، وكيف ساغ له أن يرميهم بما هم برآء منه من عدم الجد والاجتهاد فى تحصيل دينهم وهم لم يبلغوا درجة الإمامة فى الدين إلا بالجد والاجتهاد والإخلاص للدين ، أصوله وفروعه ، كتابه وسنة نبيه

والتمثيل بأبى حنيفة لقلة الرواية وعدم التعنى فى تحصيلها له محل آخر نناقشه فيه ، وليس إقلال أبى حنيفة من الحديث بحجة على إكثار أقرانه من جمع الحديث والاجتهاد فى تحصيله ، فليس أبو حنيفة بحجة على الزهرى وتلاميذه مالك وابن عيينة والأوزاعى والثورى وأضرابهم ، ولا من بعدهم كابن المبارك والشافعى وعبد الرحمن بن مهدى ، ومن بعدهم أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وهلم جرا

وقوله ص ٢٧ « بل تجد الفقهاء ... لم يجتمعوا على تحرير الصحيح والاتفاق على العمل به . فهذه كتب الفقه فى المذاهب المتبعة ولا سيما كتب الحنفية فالمالكية فالشافعية فيها مئات المسائل المخالفة للأحاديث المتفق على صحتها ، ولا يعد أحد منهم مخالفا لأصول الدين »

وجوابه : أن الفقهاء ليس من وظيفتهم تحرير الصحيح ، وإنما ذلك عمل أهل الحديث وأما عدم الاجتماع على العمل به ووجود مئات من المسائل المخالفة للأحاديث المتفق

على صحتها ولم يعد أحد منهم مخالفا لأصول الدين ، فجوابه أن هؤلاء المخالفين للأحاديث المتفق على صحتها من الفقهاء إن كانوا مقلدين فلا حساب لهم ، وقد تقدم عن ابن عبد البر إجماع العلماء على أن المقلد ليس بعالم

وإن كانوا من الأئمة فلا يظن بإمام من أئمة المسلمين له قدم صدق فى الأمة أن يخالف حديثا صحيحاً بغير عذر من الأعذار التى ذكرها شيخ الاسلام ابن تيمية فى رسالته القيمة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) فذكر عشرة أعذار لما وجد من بعض الأئمة من مخالفة لحديث صحيح ، منها عدم بلوغه إياه والله يقول فى القرآن ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾

ومنها أن يتعارض بما هو أصح عنده منه كظاهر آية أو حديث يبلغه يراه أصح من الآخر أو يظنه منسوخا ، وإن كان غيره لايرى رأيه . وفى الحديث « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » ـ والمؤاخذة مرفوعة عن الناسى والمخطىء بدلالة القرآن والحديث ، قال الله تعالى تعليما لرسوله والمؤمنين ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ وفى حديث مسلم « قال الله : قد فعلت » يعنى أنه سبحانه رفع المؤاخذة عن الناسى والمخطىء . وأفاد حديث عبد الله بن عمرو أجر المخطىء المجتهد فى طلب الحق على قدر وسعه ، فسقط قوله : ولم يعدَّ أحد منهم ـ أى بعد مخالفته للأحاديث ـ مخالفا لأصول الدين . لأن الأئمة الذين وجد منهم مخالفة ما للحديث لهم من الأعذار ما بينه شيخ الاسلام فى كتابه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام)

وقوله (ص ٢٧) : « وقد أورد ابن القيم فى اعلام الموقعين شواهد كثيرة جداً من رد الفقهاء للأحاديث الصحيحة عملا بالقياس أو لغير ذلك »

وجوابه أن ما أورده ابن القيم فى ذلك إنما هو شكوى من تعصب المقلدين الذين هم بشهادة ابن عبد البر ليسوا من أهل العلم ، فلا يكون عملهم حجة على الاسلام وعلمائه ولا على الحديث وأهله ، ومتى كان عمل التعصب والجهل والتقليد حجة فى الدين ؟

روى الشافعى حديثاً ، فقيل له : أتأخذ بهذا ؟ فامتقع له وقال : أترانى خارجاً من

كنيسة ؟ ترانى فى وسطى زنار ؟ — أمارة الكفار — أروى حديثا عن رسول الله ﷺ ولا آخذ به ؟ ! وحكى الاجماع على أنه من تبينت له سنة رسول الله ﷺ فلم يأخذ بها أنه فاسق ، حكاها عنه البيهقى فى (المدخل الى معرفة السنن)

وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى فى شرح حديث ابن عمر « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » فى باب قوله تعالى ﴿ فإن تابو وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ من كتاب الايمان فى أول صحيحه ، قال الحافظ : وفيه — أى فى حديث ابن عمر — دليل على أن السنة قد تخفى على أكابر الصحابة ، أى كما خفى حديث ابن عمر هذا على أبى بكر وعمر الذى فيه أن مانع الزكاة يقاتل كما يقاتل تارك شهادة الاسلام . قال : ويطلع عليها آحادهم — أى كابن عمر — قال ابن حجر : فلا عبرة بالآراء ولو قويت مع وجود سنة تخالفها .

الصحابة ورواية الحديث

قال (ص ٢٩) : رغبتهم عن روايته ، نهيهم عنها ، تشديدهم فى قبول الأخبار ، نهى عمر لأبى هريرة وكعب عن رواية الحديث

ثم قال (ص ٢٩) : « إذا كانت الآثار الصحيحة قد جاءت فى نهى النبى ﷺ عن كتابة حديثه ، والأخبار الوثيقة قد ترادفت بأن صحابته قد استمعوا الى نهيه ، ولم يكتبوا حديثه بعد موته — كما علمت مما مر بك »

قلت : لم يمر حديث صحيح فى النهى عن كتابة حديثه ﷺ إلا حديث أبى سعيد الخدرى عند مسلم وأحمد وغيرهما ، وتقدم الجواب عنه وأنه كان فى حالة خاصة هى خوف اختلاط الحديث بالقرآن فى أول الأمر ، فلما تبين الأمر واتضح الطريق أباح عليه السلام لهم الكتابة وصحت الأحاديث بذلك وتواترت السنة به فضلا عن أمر القرآن بذكر ما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة التى هى سنته ﷺ ، وكتابة الرسول إلى الملوك والأقيال

والأمراء يبلغهم دينه ، وأما الآثار عن الصحابة باستماع نهيه فليست وثيقة ولا مترادفة كما زعم ، بل هي ميتات منخنقة وموقوذة ومتردية ونطيحة وأكيلة السباع والذئاب ومن البحائر والسوائب التي لا زمام ولا خطام لها ولا ظهر يركب ولا لبن يشرب ، كما مر عليك ذلك فيما مضى والعهد بذلك قريب ، وحسبك أنها عن أمثال جابر الجعفي المؤمن برجعة علي إلى الدنيا وارتفاعه فوق السحاب إن لم تكن عن موهوم ، ثم عن عروة بن الزبير الذي لم يلق عمر ، وعن الأسود بن هلال عن ابن مسعود ، ومن هو الأسود بن هلال ؟

قال (ص ٢٩) : فإنا نجد هؤلاء الصحابة لم يقف بهم الأمر عند ذلك ، وإنما كانوا يرغبون عن رواية الحديث وينهون عنها ، وأنهم كانوا يتشددون في قبول الأخبار تشديداً قويا

وسترى أن ما استدل به من ضوال الآثار الشاردة التي ضاعت عن أربابها في فيافي القفار ومهالك الصحاري

وقال (ص ٢٩) : « روى الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ قال : ومن مراسيل ابن أبي مليكة أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال : إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه »

والجواب : (١) إن راوي هذا الأثر قد بين انفصام ظهره بأنه من مراسيل ابن أبي مليكة الذي لم يدرك أبا بكر ولا رآه بعينه ، ومثل هذا الأثر الساقط كيف تقوم به حجة على إبطال عمل خير القرون من الصحابة والتابعين وتابعيهم ثم إلى يوم القيامة في رواية حديث رسول الله ﷺ والتحدث به ، وكيف ترد به الأحاديث الصحيحة بل المتواترة في أمره ﷺ بالتبليغ عنه ، قال ذلك في حجة الوداع في ملأ يزيد على مائة ألف ، وقاله في مناسبات كثيرة ، ولا زال الصحابة يحدثون عن رسول الله ﷺ في حياته وبعد موته حتى دونت دواوين السنة من عهد التابعين وتابعيهم

ويظهر أن محقق القرن الرابع عشر أبا رية لايميز المرسل والمنقطع من المتصل والمسند ، أو لا مانع عنده فى تفكيره ومنطقه أن ينسف الجبل بهباءة يحملها الريح

(٢) وهل لم يهده عقله المعجب به إلى أن هذا الأثر لو صح لما خالفه راويه الذهبى ، بل الأمة كلها من عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم القيامة ، فهل ضل جميع المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى القرن الرابع عشر حتى اهتدى أبو رية إلى هذا الاكتشاف ، أم هى الدسيسة الرافضية التى حكمت بضلال الصحابة والتابعين وتابعيهم إلا نفرا من الروافض والزنادقة والملاحدة !

وقال (ص ٢٩) : « وروى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف قال : والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق ، عبد الله بن حذيفة وأبا الدرداء وأبا ذر وعتبة بن عامر فقال : ما هذه الأحاديث التى أفشيتم (؟!) عن رسول الله فى الآفاق ؟ قالوا : تنهانا ؟ قال : أقيموا عندى ، لا والله لا تفارقونى ما عشت ، فنحن أعلم ، نأخذ ونرد عليكم . فما فارقوه حتى مات »

قال : « وفى رواية ابن حزم فى (الأحكام) أنه حبس ابن مسعود وأبا موسى وأبا الدرداء فى المدينة عَلَى الإكثار من الحديث »

وهذه عجيبة أخرى من تفكير محقق القرن الرابع عشر أن ينسف عمل سلف الأمة وخيارها من صدر الاسلام إلى الآن بمنكر من منكرات تاريخ ابن عساكر فى القرن السادس أو السابع . إن بين ابن عساكر وبين عبد الرحمن بن عوف مفاوز تنقطع فيها أعناق المطى وتهلك فيها نفاثات الطائرات ، فأين سند ابن عساكر إلى عبد الرحمن بن عوف الذى تريد أن تهدم به دواوين السنة من مسانيد وصحاح وسنن ، وتهدم به عمل الأمة الاسلامية من عهد نبيها إلى قيام الساعة ؟

لقد كان السيوطى حاطب ليل فى جانب أئمة الحديث وأعلامه ، لكنه أعقل وأعرف بهذا الشأن من محقق القرن الرابع عشر ، فذكر فى أول جامعه أن علامة

الضعف تشمل ما ينقله من تاريخ ابن عساكر وتاريخ بغداد للخطيب وكامل ابن عدى وضعفاء العقيلى الخ ، فلم يعول عَلَى ما فى هذه الكتب وأمثالها اذ هى كتب الغرائب والمناكير ، وأين هى من كتب الصحاح والسنن والمسانيد ، وأين الثرى من الثريا ، وأين البعر من اللآلىء والجواهر ؟

لو كان لأبى رية علم أو عقل لما استدل على إبطال السنة بهذه الجيف التى وقع عليها ، بل لو كان له فهم لعلم بطلان القصة من متنها فضلا عن سندها ، اذ كيف يغضب عمر على أربعة من الصحابة فقط هم عبد الله بن حذيفة وأبو الدرداء وأبو ذر وعقبة بن عامر ، ويترك سواهم مئات ومئات من الصحابة فيهم عبد الله ابنه ، وعبد الله بن عمرو ، وأبو هريرة ، وأنس بن مالك وغيرهم ، فلم يضق عمر ذرعا إلا بهؤلاء الأربعة ويرضى عن مئات من الصحابة سواهم

ولو كان أبو رية يفهم صناعة القول لأدرك بطلان القصة من قولها « فجمعهم من الآفاق » فأى أفق كان فيه أبى ذر وأبو الدرداء وعقبة بن عامر وعبد الله بن حذيفة ؟ إنهم لم يكونوا الا بالمدينة . ولو صدقنا القصة وتشككنا فيما رواه هؤلاء الأربعة وأهملنا روايتهم لبقى لنا من السنة المحمدية وحديث رسول الله ﷺ الكثير الطيب الذى يرين منه فؤاد أبى رية !

وكيف ساغ لابن عساكر أن يكتب تاريخه الكبير فى ثمانين جزءاً ، ولابن حزم أن يكتب كتبه الممتعة فى السنة وفقهها كالايصال الذى قيل فيه إنه ٥٠ مجلدا والمحلى المطبوع والفِصَل وغيرها من نفائس مؤلفاته ، كيف ساغ لهؤلاء وغيرهم أن يكتبوا كتبهم ويدونوا دواوينهم لو صح هذا الأثر ؟

لعل أبا رية لا يتورع عن تفسيقهم لمخالفتهم فى نظره هذه الجيف التى وقع عليها . وظنها بجهله أنها تهدم عمل الأمة فى حفظ سنة نبيها !

قال (فى أول ص ٣٠) : « وروى ابن عساكر عن السائب بن يزيد قال : سمعت

عمر بن الخطاب يقول لأبى هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس (أى بلاده) . وقال لكعب الأحبار : لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة . وكذلك فعل معهما عثمان بن عفان »

والجواب أنها كسابقتها مما لا يحتج به إلا جاهل بكتب الحديث ، ولا يميز بين ما هو حجة وما ليس منها بحجة . ولقد صدق ولىّ الله الدهلوى إذ قال ما معناه : إن الحجة فى الحديث الصحيحان وكتب السنن المشهورة ، وما وراء ذلك فشبه المبتدعين من الروافض والجهمية والخوارج . وظاهر القصة يدل عَلَى أنها من وضع الروافض الذين يريدون وسم عمر بكراهته حديث رسول الله ﷺ ثم شهادة الأثر نفسه على تناقضه ، فتهديد عمر لأبى هريرة بنفيه إلى أرض دوس بلاده ، الأنها لا تستحق نصح عمر وحمايته لها من أحاديث أبى هريرة إن كانت غير صحيحة ، وغير الصحيح تحمى منه أرض دوس كما تحمى منه غيرها . ولو كانت أحاديث أبى هريرة غير صحيحة عند عمر لنكل به بقطع لسانه لا بنفيه إلى أرض قومه أو غيرها

أما كعب فما كانت له أحاديث إلا عن إسرائيلياته ، وهو ليس من حملة الحديث النبوى ولا هو أهل ذلك ، والقصة تدل على غيظ راويها من أبى هريرة حتى قرنه بكعب الأحبار فى رواية الحديث

(٤) قال (ص ٣٠) : « وروى ابن سعد عن محمود بن عبيد (صوابه ابن لبيد[1]) قال : سمعت عثمان بن عفان على المنبر يقول : لا يحل لأحد يروى حديثا لم يسمع به فى عهد أبى بكر ولا فى عهد عمر ، فانى لم يمنعنى أن أحدّث عن رسول الله أن لا أكون أوعى أصحابه ، إلا أنى سمعته يقول « من قال علىّ ما لم اقل فقد تبوّأ مقعده من النار »

والكلام على هذه كالكلام على سابقاتها من جهة سقم سندها وإعراض أصحاب الدواوين الشهيرة عنها ، وطبقات ابن سعد ليست من دواوين السنة ، وإنما هى تاريخ

(١) وقد صحح أبو رية خطأ تلك الصفحة ولم يصحح هذا الخطأ فيها لأنه لا يعرفه

لطبقات الرواة ، ولا حجة لنا فيها من الأحاديث

ومن جهة المتن فانا نوافق أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه على شكه فيما لم يعرف فى عهد الشيخين أبى بكر وعمر حتى يتثبت من صحته ، فقد نجمت فى زمنه بدع التشيع و الخوارج

قال ابن سيرين : كانوا قبل الفتنة لا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : هاتوا سندكم ، والمراد بالفتنة البغى على عثمان رضى الله عنه لظهور التشيع والخروج حينئذ.

(٥) قال (ص ٣٠) : « وفى جامع بيان العلم وفضله لحافظ المغرب ابن عبد البر عن الشعبى عن قرظة بن كعب (فذكر قصة خروجهم إلى العراق ووداع عمر لهم وقوله لهم : إنكم لتأتون بلدة لأهلها دوى كدوى النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم) . وفى رواية أخرى : إنكم تأتون أهل قرية لها دوى بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث لتشغلوهم ، جوّدوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله »

و الجواب أن القصة كسوابقها من الميتات التى لم يذكها سند صحيح ولا عمل مقبول ، ولو صحت لما خالفها ناقلها حافظ المغرب ابن عبد البر ، وحافظ المغرب ابن عبد البر استحق هذا اللقب ــ الذى اعترف به محققنا ــ بحفظه لما استحق به أن يسمى حافظ المغرب ، فكيف ساغ له أن يحفظ ما نهى عنه عمر ، بل كيف ساغ له أن يروى نهى عمر ثم يخالفه ؟

لعل أبا رية لا يعرف أن سبب ضلال الخوارج والرافضة والجهمية هو اعراضهم عن سنة رسول الله ﷺ بدعواهم الاكتفاء بالقرآن وحده

لما خرجت الخوارج على على بن أبى طالب رضى الله وأرسل إليهم ابن عمه الحبر عبد الله بن عباس قال له على رضى الله عنه : لا تناظرهم بالقرآن ــ يعنى لأنهم يؤولونه على غير وجهه ــ ما لم يبين بسنة رسول الله ﷺ ، ولكن ناظرهم بسنة أبى بكر وعمر . يعنى التى يعترفون بها . فناظرهم فرجع منهم الى الحق من هداه الله تعالى إليه.

(٦) قال (ص ٣٠ ـ ٣١) : « ولا غرابة أن يفعل عمر ذلك لأنه كان لا يعتمد إلا على القرآن والسنة العملية » ثم ذكر حديث ابن عباس عند البخاري « هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده . فقال عمر : إن النبي غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، فحسبنا كتاب الله »

وجوابه أن السنة العملية التي يقبلها الأستاذ تصير قولية عندما يرويها راويها ، فلا فرق بينها وبين ما يشكك به من أقوال رسول الله ﷺ

والعجب من هذا الذي عاب على الفقهاء عملهم ببعض الحديث وترك بعضه أن يترك من حديث ابن عباس قوله : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابة الكتاب

(٧) قال (ص ٣١) : « وروى ابن سعد في الطبقات عن السائب بن يزيد أنه صحب سعد بن أبي وقاص من المدينة إلى مكة ، قال : فما سمعته يحدثنا عن النبي حديثا حتى رجع ، وسئل عن شيء فاستعجم وقال : إني أخاف أن أحدثكم واحدا فتزيدوا عليه المائة . قال : وسعد هذا من كبار الصحابة ومن العشرة المبشرين بالجنة »

والجواب : أين السند ، ومن صححه ، ومن احتج به ؟ وليس كتاب الطبقات لابن سعد سوى كتاب تاريخ في طبقات الرواة ، وليس بديوان من دواوين السنة التي نعمل بما صح فيها بدون بحث وتمحيص

ومع التسليم بفرض صحة هذا الأثر فان من يحمل علما إنما يحمله ليفيد به الناس ، وقد حدّث غيره ممن هم أكبر منه صحبة ومن سادات المبشرين بالجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسواهم كثير ، فحدثوا بما رأوا وما سمعوا ، ولم يخافوا ماخافه سعد لو صح هذا عنه ، رضي الله عنهم أجمعين

(٨) قال (ص ٣١) : « وعن عمرو بن ميمون قال : اختلفتُ إلى ابن مسعود سنة ، فما سمعته يحدث عن رسول الله ، ولا يقول قال رسول الله ، إلا أنه حدث ذات

يوم بحديث فجرى على لسانه قال رسول الله فعلاه الكرب حتى رأيت العرق ينحدر على جبينه ثم قال : إن شاء الله ، إما فوق ذاك أو قريب فى ذاك أو دون ذاك »

والجواب : صحح نقلك وإلا فارمه » . وعلى فرض الصحة فأى بأس أن لا يسمع عمرو بن ميمون من ابن مسعود ويسمع غيره ؟ وأحاديث ابن مسعود فى الصحاح والسنن والمسانيد شهيرة أثبتها من هم مثل عمرو بن ميمون أو أجل ، والمثبت مقدم على النافى ، ومن سمع حجة على من لم يسمع

(٩) ونقل (فى ص ٣١) قصة علقمة بن قيس وارتعاده عندما حدّث حديثا رواه ابن سعد . والجواب تقدم عن أمثال هذه القصص مراراً وتكرارا فلا حاجة للإملال به

وعلقمة يرتعد لتحديثه ، فله ورعه ورقة قلبه ، وغيره قام بما أوجب الله ورسوله من تبليغ دين الله حتى لا يضيع كما ضاع دين أهل الكتاب الذين نسوا حظا مما ذكروا به

(١٠) ومثله (فى ٣١) عدم تحديث والد ميمون الكردى مخافة أن يزيد أو ينقص ، ومخافة أبى قتادة أن يزل لسانه بشىء لم يقله رسول الله

وجوابه سبق مثله مراراً ، ومن هو والد ميمون الكردى ؟ وأحاديث أبى قتادة تفيض بها الصحاح والسنن والمسانيد ، فإذا لم يسمع عبد الرحمن بن كعب منها شيئاً فقد سمعها الجم الغفير من خيار الرواة وثقاتهم

(١١) ذكر (فى ص ٣١ ـ ٣٢) عن كتاب دفع شبهة التشبيه لابن الجوزى قصة سماع الزبير لحديث رجل سمعه يحدث عن رسول الله ، وتغليط الزبير لهذا الرجل أن الحديث كان عن أهل الكتاب فغلط الرجل وجعله عن رسول الله ﷺ وأن هذا وأشباهه مما منعا الزبير من التحديث عن رسول الله

والجواب : ما سقطت السماء على الأرض اذا غلط غالط فى حديث حكاه النبى ﷺ عن بنى اسرائيل فحدث به الغالط عن النبى ﷺ ، فهل معنى هذا أن كل الرواة

غالطون ، وليس فيهم من حدث حقا ، ومن صدق ولم يغلط ؟ وهل من لوازم ذلك أن كل دواوين السنة وصحاحها وسننها تكون عند الأستاذ محل شك وتشكيك ؟

فى كتب العلل كالعلل لابن المدينى شيخ البخارى ، والعلل لابن أبى حاتم عن أبيه وأبى زرعة ، والعلل للدارقطنى وأمثالها يقولون عن حديث إن رفعه خطأ والصواب موقوف ، أو إن نسبته للنبى ﷺ غلط وهو أشبه بالإسرائيليات ، ومع هذا فهناك الصحاح المشهورة التى لا يتطرق اليها احتمال الوهم أو الغلط . فأئمة الحديث صححوا الصحيح ، ونبهوا على الخطأ والضعيف والمعلول ، ومن له ممارسة بكتب القوم يعرف ذلك ولا يشكك فى الصحيح لوجود غلط غالط ، أو وهم واهم ، لا سيما وأن الصحيح والغلط والوهم قد دخل كل منه فى المكان اللائق به من قبل أن يخلق الله أبا رية ، ومن قبل أن يشغل أبو رية حياته فيما لا طائل تحته ولا قيمة له

٢ و (فى ص ٣٢) قصة صحبة السائب بن يزيد لعبد الرحمن بن عوف وطلحة ابن عبد الله (صوابه عبيد) وسعد بن أبى وقاص والمقدا بن الأسود ، فلم يسمع الواحد منهم يحدث عن رسول الله ، رواها البخارى والدارقطنى

وجوابه كسوابقه : لم يسمع السائب ، وسمع من هو خير منه . وأحاديث هؤلاء وأمثالهم مملوءة بها كتب الاسلام ودواوين السنة ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ

(١٣) وقصة دجين (فى ص ٣٢) عن أسلم مولى عمر أنه لم يحدث عن عمر لخوفه أن يزيد أو ينقص ، لأن رسول الله قال « من كذب على فهو فى النار » رواه أحمد وأبو يعلى . اه

وجوابه : من هو دجين هذا ؟ وأحاديث أسلم عن عمر وغيره تملأ الموطأ والصحاح والسنن ، فاذا جاء دجين عن أسلم بما يخالف الإجماع والمعروف كان أسلم ما يقال فيه إنه غلط عليه إن لم يكن كذب

(١٤) وقصة عمران بن حصين (ص ٣٢) فى امتناعه عن الحديث خوفا أن يغلط كما

غلط غيره من الصحابة أو يخطىء كما يخطئون ، لا أنهم كانوا يتعمدون . اهـ

لا زمام ولا خطام ، سائبة لا تقوم بها حجة . وأحاديث عمران بن حصين الثابتة تملأ دواوين السنة ، وحاشا لعمران بن حصين أن يسيء الظن بإخوانه من الصحابة ، وقد تكفل الله بحفظ دينه بوجود من يبين غلط الغالطين وأوهام الواهمين

(١٥) وحديث ابن ماجه (ص ٣٢) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن زيد بن أرقم قوله : كبرنا ونسينا ، والحديث عن رسول الله شديد

والجواب : إن زيد بن أرقم إذا أبى أن يحدث عن رسول الله لكبره ونسيانه فذلك من تقواه واحتياطه كاحتياط أمثاله ، وقد حدث هو نفسه في شبابه وإبان حفظه كما حدث عنه غيره ما حفظوه ، فجزاهم الله عن السنة المحمدية أفضل الجزاء

(١٦) وقول ابن قتيبة (ص ٣٢) : كان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله ﷺ كأبي بكر والزبير وأبي عبيدة والعباس بن عبد المطلب يقلون الرواية عنه ، بل كان بعضهم لا يكاد يروي شيئا كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة . اهـ

وجوابه : إن ابن قتيبة يعلم كما يعلم غيره من أهل العلم أن هؤلاء المقلين من رواية الحديث النبوي بجانبهم الكثير الأكثر من المكثرين من الرواية ، وفيهم الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، ومنهم العبادلة عبد الله بن عمرو وعبد الله ابن عباس وأنس وأبو هريرة وسواهم كثير وكثير جدا رضي الله عن هؤلاء وهؤلاء

وإقلال هؤلاء ليس بحجة على إكثار غيرهم ، ﴿ والله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ﴾

وإذا لم يوجد في البخاري ومسلم حديث واحد لأبي عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الأمة لأنه اشتغل بقيادة الجيوش الإسلامية في فتح الشام ومات قديما في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قبل سنة عشرين من الهجرة فأي عيب على الصحيحين ، وأي

عيب على خلوٍّ الصحيحين من حديث أبي عبيدة ، وفيهما من حديث الأكابر أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وأنس وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وأبى هريرة رضوان الله عليهم وجزاهم الله عن شريعة الاسلام خيراً

إن المشككين فى سنة رسول الله ﷺ كأبى رية مثلهم كمثل الغريق الذى يتعلق بما لا ينجيه ، وكالذى يريد اطفاء الشمس بنفخة من شدقيه . و :

كناطح صخرة يوما ليوهنها   فلم يَضِرْها وأوهى قرنَه الوعِلُ

تشديد الصحابة فى قبول الأخبار

قال (ص ٣٣) : « كان الخلفاء الراشدون وكبار الصحابة وأهل الفتيا منهم — كما علمت — يتقون كثرة الأحاديث عن النبي ، بل كانوا يرغبون عن روايته ، إذ كانوا يعلمون أن النبي قد نهى عن كتابة حديثه ، وأنهم إذا حدثوا عنه قد لا يستطيعون أن يؤدوا كل ما سمعوه عن النبي ﷺ عَلَى وجهه الصحيح ، لأن الذاكرة لا يمكن أن تضبط كل ما تسمع » الخ

وجوابه أن ذلك كذب على الراشدين وكبار الصحابة وأهل الفتيا منهم ، ودعوى لم يدعمها دليل ، فهى ساقطة على رأس مدعيها . ودعوى رغبتهم عن رواية حديثه ﷺ مثلها فى السقوط والتهوُّر الذى يكذبه الواقع ، فأحاديث الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة وأهل الفتيا منهم تعبق بأريجها كتب السنة والحديث ، لا ينكرها إلا مباهت . وكذلك دعواه علمهم بنهى النبي ﷺ عن كتابة حديثه ، وما كان النهى إلا مؤقتا لعلة زال حكمها بزوالها كما تقدم

واتهامهم أنهم إذا حدثوا عنه قد لا يستطيعون أداء ماسمعوه منه على وجهه الصحيح سوء ظن بخيار خلق الله الذين اختارهم الله لتحمل دينه عن نبيه ﷺ . فوالله لولا حفظهم المنقطع النظير لما وصل الينا دين الله فى كتابه وسنة نبيه ﷺ على هذا الوجه المعجز

الخارق الذى لا نظير له ولا مثيل ، والدعوى عليهم بعدم ائتمان من سمع منهم أو حدث أن يزيد أو ينقص أو يبدل أو يحرف أو يغلط دعوى خبيثة نبتت فى رءوس الرافضة الذين اضطغنوا العداوة والبغضاء لجماهير الصحابة وصفوتهم واتهموهم بتبديل الدين والقرآن محاباة لأبى بكر وعمر وعثمان

ورواية المعنى التى يشكك هذا التشكيك بسببها فى سنة رسول الله ﷺ التى حفظها الله لحفظ القرآن وبيانه إن كانت جاءت نادراً لبعضهم فقد تكفل الله بحفظ دينه ، وهيأ من حفظ لفظ رسول الله ﷺ على وجهه كما قاله ، ولم نسمع من هذا المشكك إلا تشكيكا مبهما لا قيمة له ، وإذا لم يحفظ الله بيان نبيه لكتابه فما فائدة حفظ كتابه إذا لم يحفظ بيانه ؟

وسوء الظن بأصحاب رسول الله ﷺ أنهم أفسدوا سنته وحديثه بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير وبرواية المعنى دسيسة خبيثة من أعداء الاسلام ، رافضة وجهمية وخوارج ، ومثلها طعن أعداء الاسلام فى القرآن بسبب نزوله على سبعة أحرف وتنوع قراءاته المتواترة ، ودعوى الروافض على الصحابة تواطؤهم مع أبى بكر وعمر وعثمان على حذف نصوص الخلافة وحصرها بزعمهم فى على

فاذا اجتمعت هذه الشكوك فى قلب إنسان مع شكوك أبى رية فى أمانة الصحابة فى حفظ حديث رسول الله ﷺ وتغييره بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير ورواية المعنى فماذا يبقى بعد ذلك من الإسلام اللهم إلا الأهواء والبدع ودين الصابئة والمجوس وفلسفة اليونان والفرس والهند

ودعواه (ص ٣٣) أن أبا بكر كان لا يقبل من أحد حديثا إلا بشهادة من غيره على أنه سمعه من الرسول ﷺ دعوى كاذبة لم يُقم عليها دليلا ، فان احتج بقصة الجدة فهى حادثة جزئية لا تدل على هذا الحصر الذى ادعاه فى عمل أبى بكر أنه كان لا يقبل من أحد حديثاً إلا بشهادة غيره معه

وقوله : قال الذهبى فى ترجمته ـ يعنى أبا بكر ـ إنه أول من احتاط فى قبول الأخبار

هى حسنة كريمة لأبى بكر رضوان الله تعالى عليه ، والاحتياط فى قبول الأخبار غير رفضها والتشكك فيها كما فعل محقق القرن الرابع عشر

قال (ص ٣٣ ـ ٣٤) : « روى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت أبا بكر تلتمس أن تورث ، فقال ما أجد لك فى كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله ذكر لك شيئا . ثم سأل الناس ، فقام المغيرة فقال : كان رسول الله يعطيها السدس . فقال : هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك ، فانفذه لها أبو بكر » . اهـ

والقصة فيها قبول أبى ر لحديث عن رسول الله ﷺ ليس فى القرآن ، بل فيه حكم زائد على ما فى القرآن . وتأكيده بشهادة محمد بن مسلمة مع المغيرة بن شعبة احتياط مقبول فى حكم زائد على ما فى القرآن ، ولعل ذلك منه لأنه حكم مالى بتوريث من ليس له نصيب من الميراث فى كتاب الله ، فأشبه ما أوجب من شهادة رجلين أو رجل وامرأتين ممن ترضى من الشهداء فى المعاملات المالية

وما ذكر (ص ٣٤) أن عمر كان أشد احتياطا وتثبتا ـ يعنى من أبى بكر ـ ونقله عن ابن قتيبه أن عمر كان شديداً على من أكثر الرواية أو أتى بخبر فى الحكم لا شاهد له عليه ، ونقله عن الذهبى فى الطبقات أنه ربما كان يتوقف فى خبر الواحد إذا ارتاب ، وذكر قصة أبى موسى فى استئذانه على عمر ثلاثا ورجوعه لما لم يؤذن له ، واحتجاج أبى موسى بالحديث فى ذلك وطلب عمر منه من يشهد معه وسؤال أبى موسى من الصحابة من يشهد معه وقول أبىّ بن كعب : والله لا يقوم معك الا أصغر القوم ، وقول أبى سعيد فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبى ﷺ قال ذلك

والعجب العجيب أن يستدل هذا الشكيك بهذا على أن الشك والتشكيك فى الصحيح من سنة رسول الله وأحاديثه ، وكيف لم يفهم هذا الشكيك قول الذهبى « ربما كان يتوقف فى خبر الواحد إذا ارتاب » ، فهل هذا الأستاذ أعجمى اللسان أو النزعة حتى لم يفهم لفظة « ربما » التى يعبر بها عن القليل النادر ولفظة « اذا ارتاب »

(ثانيا) فى قصة أبى موسى لم يكذّبه ، وإنما أراد أن يتأكد براو آخر دفعا للوهم والنسيان ، وقبل شهادة أصغر القوم أبى سعيد الخدرى . وقول أبىّ بن كعب سيد القراء « لا يقوم معك إلا أصغرنا » دليل على صدق الصحابة وقبول أخبارهم صغاراً كانوا أو كباراً ، ولم يتردد فى ذلك عمر

وأغفل المشكك من القصة قول عمر « ألهانى الصفق فى الأسواق » يعنى اشتغاله بالتجارة عن رواية أمثال هذا الحديث الذى حفظه أصغر الصحابة ، أغفل المشكك هذا الاعتذار من عمر ، لأنه شجا فى حلقه

قال (ص ٣٤) : فانظر كيف تشدّد عمر فى أمر ليس فيه حلال ولا حرام ، وقدِّر ماذا يكون الأمر لو كان الحديث فى غير ذلك من أصول الدين أو فروعه . اﻫ

ونقول له : انظر كيف قبل عمر الحديث من أصغر القوم — أبى سعيد الخدرى — واعتذر عما فاته من أمثال هذا الحديث بقوله « ألهانى الصفق فى الأسواق » يعنى الاشتغال بالتجارة ، فان هذا إقرار لمبدأ رواية الحديث وقبوله والعمل به ، وهو عكس ما أضاع أبو رية حياته فى زعمه وادعائه لتشكيك أمة محمد ﷺ فى هذا التراث العظيم من سنة نبيها وتشريعه وهدايته وتوجيهاته

وقوله فى هذا الحديث « ليس فيه حلال ولا حرام » غلط فظيع ، فأحكام الإذن والاستئذان من أمور الحلال والحرام ، وقد عنى بها القرآن فضلا عن الحديث ، كما فى سورة النور ﴿ لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها — وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ﴾ وأفاد حديث أبى موسى أن عدم رد السلام ثلاثا بمنزلة ارجعوا ، فهو بيان لأنواع عدم الإذن

وفى الموطأ أن ابن عمر رأى سعد بن أبى وقاص يمسح على خفيه فى الوضوء ، فتوقف ابن عمر فى ذلك ، فقال له سعد : إذا رجعت إلى المدينة فسل أباك ، فسأل أباه فقال له أبوه : إذا حدثك سعد بحديث فلا تسأل عنه غيره . فى هذا قبول عمر لحديث

سعد ، وإقرار لمبدأ رواية الحديث وقبوله والعمل به ، وأمره لابنه أن يكتفى بحديث الثقة العدل ـ كسعد وأمثاله ـ وهو الذى جرى عليه أئمة الحديث وأعلام المسلمين ، وهو عكس ما يزعمه أبو رية ويريد مخادعة المسلمين به

وفى صحيح البخاري أن عمر مر بحسان بن ثابت وهو ينشد شعرا فى المسجد فلحظ اليه عمر بعينه ، فقال حسان : كنت فيه مع من هو خير منك ـ يعنى رسول الله ﷺ ـ ثم ناشد حسان أبا هريرة : هل سمعت رسول الله ﷺ يقول هاجهم ـ يعنى المشركين ـ وروح القدس معك ، اللهم أيده بروح القدس ؟ فسكت عمر

وأمثال هذا كثير وكثير فى السنة المحمدية الطاهرة ، وفى قبول عمر لرواية الصادقين والعمل بذلك . وقد كتب ولى الله الدهلوى رسالة سماها (مذهب عمر) فيها الكثير الطيب من عمل عمر بالحديث النبوى ، واحترام رواته ، وقبول أخبار الثقات منهم

ثم يقال لهذا الشكيك : كيف ساغ لك الاحتجاج بحديث أبى سعيد الخدرى برواية البخارى وهو من الكتب التى تشكك أنت فى صحتها وتحمل معاولك لهدمها ؟!

وقوله (ص ٣٤ ـ ٣٥) : « وقد استند إلى هذه القصة من يقولون إن عمر كان لا يقبل خبر الواحد ، واستدل بها من قال : إن خبر العدل بمفرده لا يقبل حتى ينضم اليه غيره كما فى الشهادة الخ »

والجواب : مَن هم هؤلاء الذين قالوا إن عمر كان لايقبل خبر الواحد ؟ أهم هيّ بن بيّ أم أهل الشكوك مثلك ؟ وقد سقنا لك شواهد عن عمر فى قبوله خبر الثقة كيفما كان . ولا دليل فى القصة لمن قال إن خبر العدل بمفرده لا يقبل حتى ينضم اليه غيره ، فالقصة حادثة جزئية لا دليل فيها على العموم ، وجاء عن عمر أمثلة كثيرة لقبول خبر العدل ، وسيرته قاض عدل بذلك

وقد قدمنا فى أول الكتاب دلالة الكتاب المجيد والسنّة المتواترة وعمل الناس فى كل زمان ومكان بقبول خبر الثقة ، واطراح وساوس الخوف من خطئه ونسيانه ، لأن ذلك

أمر نادر ، ولا تقوم به أمور المجتمع كله ، ولا يعول على هذا الوسواس إلا ممسوس العقل سقيم الوجدان

وضربنا لهذا الرجل مثلا بخادمه اذا أخبره باستئذان مستأذن على بابه أيردُّ قبوله أم يأمره بالاذن للمستأذن ؟ ولو فتحنا باب الشك فى خبر الثقة بوسواس جواز الخطأ والنسيان عليه لفسدت مصالح الناس وتعطلت أعمالهم ، فضلا عن مخالفة ذلك للكتاب والسنة ودين الاسلام الذى هو دين الفطرة والمعقول

الكذب على رسول الله ﷺ

اجتهد أبو رية (ص ٣٦ ـ ٣٧) فى البحث فى حديث « من كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وخرج من بحثه إلى أن كلمة « متعمدا » ليست من كلام النبى ﷺ وأنها إما مدرجة فى الحديث من بعض الرواة ، أو موضوعة على النبى ﷺ أى مكذوبة عليه ، قال : ليسوغ بها الذين يضعون الحديث على رسول الله حسبة من غير عمد كما كان يفعل هؤلاء الصالحون من المؤمنين ويقولون « نحن نكذب له لاَ عليه » ، أو يتكىء عليها الرواة فيما يروونه عن غيرهم على سبيل الخطأ أو الوهم أو بسوء الفهم لكيلا يكون عليهم حرج فى ذلك ، لأن المخطىء غير مأثوم ، من أجل ذلك وضع هؤلاء الرواة قاعدتهم المشهورة « انما الكذب على من تعمده » اهـ

والجواب : سواء صحت كلمة متعمداً عن النبى ﷺ كما رواها انس خادم النبى ﷺ وأبو هريرة حافظ هذه الأمة لحديث نبيها أو لم تصح ، وكانت مدرجة أو موضوعة كما زعم محقق القرن الرابع عشر ، فان الإجماع الذى نقله الحافظ ابن حجر فى فتح البارى بشرح البخارى أن المخطىء غير مأثوم ، ونقل أبو رية عن ابن حجر هذا الاجماع فى كتابه (ص ٣٩) ودليل هذا الاجماع ما أثنى الله على رسوله والمؤمنين وما علمهم إياه ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ وفى حديث مسلم « قال الله قد فعلت » ، فالخطأ والنسيان قد رفع الله عنا المؤاخذة بهما بنص القرآن وصحيح الحديث ، وما أظنه يخالف فى ذلك أحد حتى الخوارج ، سوى محقق القرن الرابع عشر أبى رية الذى ضيق رحمة الله على خلقه ، وأبى إلا

مؤاخذة المخطىء والناسى ، على خلاف الكتاب والسنة والاجماع

ولو آخذنا هذ الرجل بما ذهب إليه من مؤاخذة الناسى والمخطىء غير المتعمد لكان لنا أن نقول : هو فى قعر جهنم ، وفى الدرك الأسفل منها ، لكذبه على الله سبحانه فى تحريف آية من كتاب الله تعالى (ص ١٦ س ١٧) هى قول الله تعالى ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض ﴾ فذكرها غلطا هكذا « قد خلت سنن من قبلكم الخ » فقدم وأخر وحرف لفظ القرآن غلطا منه ، فأيهما أعظم جرما : تغيير لفظ كتاب الله ، أو الخطأ فى حديث رسول الله ﷺ ؟

وكذلك كذبه على الله (فى ص ٣٦ س ٩) بأنه — يعنى الله سبحانه على ما تفيده عبارته — « رسول دين عام وصاحب رسول شريعة للناس كافة »

فاذا اعتذر هو أو من يعتذر عنه بأن هذه والتى قبلها غلط مطبعى ، قلنا وأين كنت عن تصحيحها قبل الطبع وأنت المباشر له بنفسك المرة بعد المرة فى المطبعة وفى البيت يا من لا يقبل عذر الناسى والمخطىء اللذين عذرهما الله تعالى فى كتابه وسنة نبيه وبالإجماع الذى اعترفت به نقلا عن الحافظ ابن حجر خاتمة الحفاظ وأمير المؤمنين فى الحديث بشهادتك

أم أنه يدعى لنفسه العصمة عن الخطأ والنسيان ، وهذه الدعوى لا تسمع من أحد ولا فى مستشفى المجاذيب ؟ !

الكذب على النبى قبل وفاته

والكذب عليه بعد وفاته صلوات الله عليه

وقد وقع الكذب على الله ورسوله ﷺ فى حياته من المنافقين ، قال الله تعالى ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ﴾ ، وقال سبحانه ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ﴾

والكذب عليه بعد وفاته كثير وواقع من الكاذبين عليه من الوضاعين وجهلة العبّاد وغيرهم ، ولكن ذلك لا يدل على ما يرمى اليه أبو رية من الشك فيما رواه الثقات العدول الأمناء على دينه وحديثه من أمهات المؤمنين وكرام الصحابة وخيار التابعين وتابعيهم إلى قيام الساعة

ووجود كذب وكاذبين فى الناس لا يرفع الصدق عن عموم الناس ، فلو تشكك متشكك فى خبر عدل صادق ثقة من أجل وجود كاذب ، لكان أحمق مباهتا خارجا عن فطر الناس وعقولهم

وقد اعتمد أبو رية (ص ٤٣) على مقدمة صحيح مسلم فيما نقل من كذب بعض الناس على رسول الله ﷺ ، فاذا كان مسلم ومثله البخارى وغيرهما من أئمة الحديث حجة عند أبى رية وعمدة فى النقل — وهذا هو المطلوب — سقطت شكوكه وتشكيكاته على السنة ، وإن لم يكونوا حجة فكيف ساغ له الاستدلال بما فى مقدمة صحيح مسلم ليهدم به الثابت من أحاديث النبى ﷺ عند ثقات الأمة من أصحاب النبى ﷺ وخيار التابعين وأئمة الحديث النبوى حفظا ونقدا وتمحيصا ؟ !

رواية الصحابة بعضهم عن بعض وراويتهم عن التابعين

ذكر (فى ص ٤٧) عن ابن القيم سماع ابن عباس لعشرين حديثا من النبى ﷺ ، وعن ابن معين والقطان وأبى داود أنها تسعة أحاديث ، وعن الآمدى فى أحكامه حصرها فى أربعة

ثم ذكر أن أحمد روى لابن عباس ١٦٩٦ حديثا ، يعنى أنها عدا ما سمعه ، وقد سمعها من غيره من الصحابة عن النبى ﷺ ، يعنى فتكون موضع شك عند أبى رية

ونقول لأبى رية الذى أقحم نفسه على هذه الأمور من غير أبوابها : إن الذين روى عنهم ابن عباس حديث النبى ﷺ ووثق بهم — وهم أهل أن يوثق بهم — مثل أبى بكر

وعمر وعثمان وعلى ، وأمهات المؤمنين كعائشة وخالته ميمونة بنت الحارث وأم سلمة وحفصة ، وغيرهم من أكابر الصحابة مثل قوله : حدثنى رجال مرضيون ، وأرضاهم عندى عمر بن الخطاب ، أن النبي ﷺ كان ينهى عن الصلاة ـ يعنى النافلة ـ بعد العصر ، فمن لم يسمع ما وسع حبر الأمة المدعو له بالحكمة والفقه فى الدين فلا وسّع الله عليه

وقد نقل أبو رية عن الدكتور أحمد أمين فى فجر الاسلام عدّه لابن عباس فى الطبقة الأولى فى العلم ، وفى صحيح البخارى أن عمر كان يعد ابن عباس فى حاشيته ويدخله مع أكابر الصحابة كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وعلى وغيره ، فاذا وثق ابن عباس بأكابر الصحابة والخلفاء الراشدين فروى عنهم أحاديث رسول الله ﷺ ووثق بهم وأرسلها عنهم ، ولو سمى لسمى أكابر الثقات ، فأى بأس وعيب على الإمام أحمد أن يروى عنه فى مسنده ١٩٩٦ حديثا لم يسمع إلا بعضها مشافهة من النبي ﷺ وسمعها من أكابر الصحابة وأمهات المؤمنين . انطح رأسك يا أبا رية فى جبال الدنيا ، فستعيا وينكسر رأسك ، وسنة رسول الله ﷺ لا ضير عليها من ظلمات شكوكك ومضحكات خزعبلاتك

وقوله (ص ٤٨) : « وأما التابعون فقد كان من عاداتهم إرسال الأخبار » واستدل بما روى الأعمش قال : قلت لابراهيم النَّخَعى إذا حدثتنى فأسنِدْ ، فقال : اذا قلت لك حدثنى فلان عن عبد الله فهو الذى حدثنى ، وإذا قلت لك حدثنى عبد الله فقد حدثنى جماعة عنه

فحكمه على التابعين أنه كان من عادتهم إرسال الأخبار ، وقوله فى حاشية الصفحة ٤٨ : وكان التابعون يتبعون فى ذلك سبيل الصحابة فيما يروون من الأحاديث التى لم يسمعوها من النبي ﷺ وإنما تلقوها من اخوانهم ، فانهم كانوا لا يذكرون أسماء من تلقوا عنهم ، كل هذا جهل وظلم للصحابة والتابعين وافتراء على الأحاديث المسندة المشهورة والمستفيضة فى دواوين السنة كالبخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى . وذكرُه إبراهيم النخعى كدليل على اتهام التابعين بما اتهمهم به من حكمه الجائر الظالم ، وقد ذكر

الأئمة : عن ابراهيم النخعى أنه كثير الارسال ، فمن كان هكذا كيف يكون عمله وصحة لسائر التابعين سعيد بن المسيب ، وابن سيرين ، والشعبى ، والزهرى ، وغير هؤلاء الأئمة

وقول أبى رية (ص ٤٩) : وقد روى التابعون عن تابعى التابعين . ومثل برواية الزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى عن مالك وهو تلميذهما ، فأىُّ عيب على الزهرى ويحيى ابن سعيد الأنصارى إذا رأيا عند مالك حديثا عن أحد شيوخه ـ نافع مولى ابن عمر أو سالم بن عبد الله بن عمر ـ فروياه عنه حفظا للعلم وثقة بتلميذهما إمام أهل التثبت والصدق والعدالة مالك بن أنس جامع علم أهل المدينة ومدوّنه فى موطئه

وقوله (ص ٤٨ ـ ٤٩) : على أن الصحابة فى روايتهم عن إخوانهم أو عن التابعين لم يكونوا ـ كما أبنا ـ يذكرون أن أحاديثهم قد جاءت من سبيل الرواية عن غيرهم ، بل يروون ما يروون فى المناسبات التى تستدعى ذكر الحديث مهما طال الزمن من غير عزو إلى من سمعوا منهم ثقة بهم إلى أن وقعت الفتنة ، ومن ثم قالوا : سموا لنا رجالكم . ثم نقل (ص ٤٩) عن ابن سيرين : لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم . قال : والفتنة قد ذر قرنها بعد انقضاء بضع سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه . ه

والعجب من محققنا يسوق الكلام على عواهنه فيهدم آخره أوله ولا يفطن لذلك ، أو هى شهوة الطعن على حديث رسول الله ﷺ ولو بالهذيان والكلام المتناقض

فتراه فى أول كلامه يتهم الصحابة بروايتهم عن إخوانهم من الصحابة والتابعين بدون ذكر من رووا عنهم ـ أى من الصحابة والتابعين من غير عزو إلى من رووا عنهم ـ ثقة بهم ، ثم نقل عن ابن سيرين أنهم ـ يعنى الصحابة ـ لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم ، والفتنة ذرّ قرنها بعد انقضاء بضع سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه

إذن كانت ثقتهم بمن يحدثونهم فى زمن أبى بكر وعمر قبل الفتنة ، وكان ذلك أزهر

عصور الاسلام ، حتى فسّر بعضهم « الصراط المستقيم » الذى نسأل الله الهداية إليه فى فاتحة الكتاب سبع عشرة مرة على الأقل فى كل يوم ، فسروه بأنه سنة أبى بكر وعمر ، فكان العصر عصر صدق وأمانة وعدالة ، ومن أخطأ منهم ردوه عن خطئه بشهادة الله لهم فى قوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ والآية وإن كانت فى الأمة الاسلامية جميعها فالصحابة خصوصا أهل عصر أبى بكر وعمر فى الذروة العليا منها

ومتى كان التابعون يحدّثون الصحابة أيام أبى بكر وعمر ؟ ومن هو ذلك التابعى الذى حدث الصحابة قبل الفتنة أى قبل زمان عثمان أو قبل سنة ٢٤ هـ وأكبرهم كسعيد ابن المسيب ولد فى آخر خلافة عمر ، فكيف كان هو أو من هم أصغر منه أئمة حديث الصحابة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وأمهات المؤمنين

يظهر أن أبا رية لا يعرف ما يجرى به قلمه من التهافت والتناقض للهوى والعمى ، وشهوة الشك فى أحاديث رسول الله ﷺ ، فكتب مايضحك العقلاء أو يبكيهم عليه

قال (فى نهاية ص ٥٠ فى آخر الحاشية) عن حديث فى فضل عائشة : رواه أبو نُعيم من جهة أحمد بن خيل !!

قلت : والذى له اشتغال بعلم الحديث وبكتب رجاله يستغرب هذا الاسم ، أحمد بن خيل ، فهو محرف إما من محقق القرن الرابع عشر أو من جامعى حروف الكتاب ، ومهما يكن من أمر فان المشكك فى سنن رسول الله وحديثه قد ضيق رحمة الله عن المخطىء ، فيكون هو أول من تضيق عنه رحمة الله بما كسبت يداه ، وبتعصبه وهواه

وقال فى (ص ٥١) : « رواه الشيخان عن عامر بن مسروق » وهذا من جهله بأوليات أسماء الرجال وجهله بأشهر الأسانيد وأوضحها ، وصواب السند : عامر ، وهو ابن شراحيل الشعبى الإمام العلَم ، عن مسروق ، وهو ابن الأجدع الهَمْدانى من مشاهير التابعين

نقد الصحابة بعضهم لبعض (ص ٤٩ ـ ٥٤)

أكثر الشكيك المشكك فى أحاديث النبى ﷺ من ذكر إنكار أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لرد بعض أحاديث الصحابة لظنها أنها مخالفة للقرآن ، وقد أجاب العلماء عن ذلك فبينوا صحة الأحاديث وخالفوا أم المؤمنين فى ظنها معارضة القرآن لهذه الأحاديث التى ردتها

(١) من ذلك حديث عمر وابنه وغيرهما فى الصحيح من نداء النبى ﷺ لقتلى بدر وقوله لهم « يافلان وفلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقد وجدت ما وعدنى ربى حقا » فقال له عمر : يارسول الله كيف تنادى قوما قد جيفوا ـ أى صاروا جيفا ـ فقال ﷺ : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يجيبون » ردته عائشة لظنها أنه يخالف قوله تعالى ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ ، ﴿ وما أنت بمسمع من فى القبور ﴾

وأجاب العلماء بأنه لا معارضة بين الحديث وما ذكرت من القرآن فالقرآن يسلى النبى ﷺ لحزنه على عدم سماع الكفار لدعوته ، ويبين له أنهم موتى القلوب صم الآذان عُمى الأبصار ﴿ صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾ فلا تمارض بين ذلك وبين حديث قتلى بدر أهل القليب ، وقد قال قتادة : أحياهم الله حتى سمعوا توبيخ النبى ﷺ . ومثل ذلك حديث الميت « حتى إذا تولوا عنه وإنه ليسمع قرع نعالهم » وغيره كثير

(٢) ومثله ردُّها لحديث عمر وابنه « إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه » لظنها معارضته لقول الله تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ وأجاب العلماء بعدم المعارضة ، إما لأنه ربما يكون أوصى بالبكاء عليه فيعذب بوزره هو ، أو يكون قد قصر فى حياته فى عدم نهى أهله عن البكاء عَلَى الأموات فيعذب بعدم عمله لقوله تعالى ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾ ويكون بكاء أهله عليه الذى قصر فى نهيهم عن مثله فى حياته سببا لمؤاخذته فى تقصيره فى تعليم أهله . وأجاب شيخ الاسلام ابن تيمية بأن العذاب هو الألم لما وقع فيه أهله من مخالفة الشرع ، وليس عقوبته على ذنب غيره

الذى نفته آية ﴿ لا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ ، وأيا ما كان الأمر فليس بين ماردّت أم المؤمنين وبين الآية تعارض كما ظنت

لقد سمعت حديث رسول الله ﷺ « من نوقش الحساب هلك » فظنته معارضا لقول الله تعالى ﴿ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ فبين لها النبى ﷺ أن ذلك العرض ، وأما من نوقش الحساب فقد هلك . وقالت للنبى ﷺ : يرجع أزواجك بحج وعمرة وأرجع بحج فقط ، لأنها حاضت قبل أن تتم عمرتها ، فقال لها النبى ﷺ « يكفيك طوافك وسعيك عن حجك وعمرتك » فلم تقتنع ، فأرسل معها أخاها عبد الرحمن فأعمرها من التنعيم تطيبا لخاطرها

وقال الله لها ولأزواج نبيه ﴿ وقرن فى بيوتكن ﴾ وقال النبى ﷺ لهن فى حجة الوداع « هذه ثم لزوم الحصر » — يعنى لزوم البيت بعده ﷺ ، ولكنها تأولت الحديث تأويلا خطأ وخرجت إلى الكوفة لأجل قتلة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه . ولما عقر جملها فى وقعة الجمل التى سميت باسم جملها ذكرها على بخطئها فبكت حتى بلت خمارها وندمت وتابت إلى الله تعالى ، ولها من الحسنات وصحبة نبيه ﷺ ما يغمر ذلك كله

وهكذا رضى الله عن أم المؤمنين عائشة وسائر الأمهات الطاهرات وعموم أصحاب النبى ﷺ ومن تبعهم باحسان إلى يوم القيامة ، نعترف بفضلهم ونترضى ونترحم عليهم ولا نعتقد العصمة فى أحد — أيا كان — بعد رسول الله ﷺ ، ولهم حسنات تمحو وتفيض على ما صدر منهم من خطأ متأول ، وكثير من مفتريات الشيعة عليهم زور وبهتان

ومسألة رؤية النبى ﷺ لربه ليلة المعراج يثبتها الحبر ابن عباس وتنفيها أم المؤمنين عائشة ، وفى حديث أبى ذر عند مسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال ﷺ « رأيت نورا » وفى لفظ « نورٌ أنَّى أراه » وجمع العلماء بين ما ذهب اليه ابن عباس فى إثبات رؤيته ﷺ لله ليلة المعراج وما ذهبت اليه عائشة رضى الله عنها من نفى ذلك بأن مراد ابن عباس رؤيته ﷺ بقلبه ، ولا ينافى ما نفته عائشة من رؤيته ﷺ لله ببصره ، ويتأيد بلفظ

حديث أبى ذر « رأيت نوراً » يعنى رأى من حجب أنوار الله تعالى التى جاءت فى حديث أبى موسى مرفوعا « إن لله سبعين حجابا من نار أو نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه » ، فلا فائدة من التهويل بانكار عائشة لما ذهب اليه غيرها من إثبات الرؤية ليلة المعراج

وما قال المشكك فى آخر حاشية ص ٥١ أثراً أو قائلا « وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية ، وإنما هى من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعى » شنشنة نعرفها من أخزم فى سدى كتابه ولحمته من الشك فى الأحاديث النبوية والحكم عليها حكما جائراً ظالماً أنها لا تفيد اليقين ، إنما تفيد بزعمه الظن ، والله حسيبه على ما افتراه عليها من هذا الباطل ، فاذا لم تفد أحاديثه ﷺ اليقين فمن أين يستفاد اليقين ؟ أمن هوس المتكلمين وترّهات الجهمية وضلالات الروافض ؟ فاللهم عفوا وغفراً ، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب

وخاتمة السوء التى ختم بها باب نقد الصحابة بعضهم بعضاً إذ نقل عن الدكتور أحمد أمين (ص ٥٢ ـ ٥٣) ما نقله أحمد أمين عن الزيدى الرافضى الطاعن على أصحاب رسول الله الجاحد لما شهد لهم به الكتاب والسنة الصحيحة ، وهذه الرسالة المنسوبة لبعض الزيدية لعلها المسماة الكافية فى النهى عن تولى معاوية للذى يسمى ابن عقيل الحضرمى ـ وما هو بزيدى ولكنه رافضى قطير ـ إذ يقول : إنا رأينا الصحابة أنفسهم ينقد بعضهم بعضاً بل ويلعن بعضهم بعضاً ، ولو كانت الصحابة عند نفسها بالمنزلة التى لا يصح فيها نقد ولا لعن لعلمت ذلك من حال نفسها لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا ، وهذا طلحة والزبير وعائشه ومن كان معهم فى جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن على . وهذا معاوية وعمرو ابن العاص لم يقصرا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف . وكذلك روى عن عمر أنه طعن فى رواية أبى هريرة وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه وخون عمرو بن العاص ومعاوية ونسبهما إلى سرقة مال الفىء واقتطاعه ، وقل أن يكون فى الصحابة من سلم من لسانه أو يده ، إلى كثير من أمثال ذلك مما رواه التاريخ . وكان التابعون يسلكون

بالصحابة هذا المسلك ويقولون فى العصاة منهم هذا ، وإنما اتخذهم العامة أربابا بعد ذلك ، والصحابة قوم من الناس لهم ماللناس وعليهم ما عليهم ، من أساء منهم ذممناه ومن أحسن حمدناه ، وليس لهم على غيرهم كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير ، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات ، فمعاصينا أخف لأننا أعذر » اه

أقول : — لقد قذرت قلمى وآذيت بصرى بقراءة ونقل هذه القاذورات لترى القيح الذى خرج من قلب هذا الرافضى — ابن عقيل أو غيره — فى بعض أصحاب رسول الله وشرب أبى رية فى كتابه من هذا القيح والصديد ، لأن قلبه مؤوف بهذا البغض والقيح والصديد لأصحاب رسول الله ﷺ ، فكيف من بعدهم من خيار الأمة وحملة العلم النبوى من التابعين وتابعيهم بإحسان

أين غاب عن أبى رية قول الله تعالى ﴿ محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ فهل هذا النص القرآنى باطل ، أم منسوخ ، أم جاء فى غير محله اللائق به ؟ وقول الله سبحانه ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ فأين هذا من الذين اضطغنوا الغل لهؤلاء الكرام الأخيار ،

وشحنوا قلوبهم به ؟ وقوله عز وجل ﴿ والذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ وقوله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ وقوله ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ﴾ وقوله ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا قبل ذلك لفى ضلال مبين ﴾ ودعاء الخليل ابراهيم عليه السلام ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ والحديث الصحيح : « لا تسبوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه » والحديث « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » فذكر قرنين أو ثلاثة

وإذا كان هذا الرافضى الخبيث الذى سماه أحمد أمين زيديا ـ سواء كان ابن عقيل الحضرمى أو غيره ـ قد ورث عن زراعى حنظلة الرفض من زنادقة الفرس واليهود الذين أدمى قلوبهم ظهور الاسلام ولا سيما فى زمن أزهر عهوده وأبهى عصوره بعد عصر النبوة أعنى به عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى انتهى غيظهم منه باغتياله فى محراب رسول الله ﷺ وهو يصلى بالمسلمين صلاة الفجر ـ أقول إذا كان غيظ هذا الرافضى الذى ورثه عن زنادقة الفرس واليهود فقال فى الصحابة وفى عمر وعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص وأبى هريرة ماقال ، فالعجب من الدكتور أحمد أمين الذى زعم نفسه مؤرخ الإسلام فيما سماه فجر الاسلام ، وضحى الاسلام ، ولا عجب فى ارتشاف أبى رية من هذا القيح والصديد وقيئه فى كتابه الذى سماه أضواء على السنة المحمدية ، وأعاجيبه كثيرة هذه إحداها ، ومنها تكراره دعوى نهى النبى ﷺ عن كتابة حديثه معتمداً على أمثل ماجاء فى ذلك أعنى حديث أبى سعيد الخدرى عند مسلم وهو قد هدم الاعتماد عليه بما نقل عن أم المؤمنين عائشة (ص ٥٢) قالت عن أنس بن مالك وأبى سعيد الخدرى : ما علمُ أنس بن مالك وأبى

سعيد الخدرى بحديث رسول الله ، وإنما كانا غلامين صغيرين » . فاذا كان قول أم المؤمنين فى أنس وأبى سعيد الخدرى إنهما لا علم لهما بحديث رسول الله ﷺ لصغرهما حجة ، إذا كان قولها هذا حجة عند أبى رية ، فلا حق له أن يستدل بحديث ما عن أبى سعيد الخدرى ، ومن ذلك حديثه فى النهى عن كتابة الحديث فقد أسقطه بكلام عائشة هذا ، وإن لم يكن كلامها حجة عنده فى أنس وأبى سعيد سقط احتجاجه بسائر كلامها فى ردّ ما ردّت عن بعض الصحابة خصوصاً حديث عمر وابنه فى توبيخ النبى لقتلى بدر أهل القليب وفى تعذيب الميت ببكاء أهله عليه وغير ذلك مما شوش به أبو رية فى فصله هذا ، وهكذا يطفىء أبو رية أضواءه بنفسه ، وتبقى دواوين الحديث والسنة وأئمة الحديث النبوى نجوم هداية وبيان لكلام الله تعالى ولدين الاسلام ، رغم أنف مبغضيها من الروافض والخوارج وأبى رية

وكلام الرافضى - ابن عقيل الحضرمى - الذى نقله أحمد أمين فى ضحاه المظلم واعتمده أبو رية فى أضوائه المطفأه (ص ٥٢ و ٥٣) ما هو إلا تحقير للصحابة ، وجحد لفضائلهم ، وفيه أكاذيب مفضوحه وبهت سخيف كقوله (ص ٥٢) فى الصحابة : ويلعن بعضهم بعضا وهو كذب ورب الكعبة ما كان أصحاب رسول الله بلعانين ولا سبابين بعضهم بعضاً ، إلا ما تنسبه الشيعة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب فى خصومه فى السياسه وكثير منه مبالغ فيه وكوفىء على عمله ليكفر الله عنه ، فقابله خصومه بمثل ما بدا منه أو أشد

وقول الرافضى (ص ٥٢) وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وبجانبهم لم يروا أن يمسكوا عن على ، وهذا معاوية وعمرو بن العاص لم يقصروا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف

وجوابه : إن عليا رضى الله عنه هو الذى بدأ بالقتال مجتهداً متأولا ، ففعلوا معه ما فعل معهم ، حتى ظن غلاتهم أن له فى ذلك ضلعـــا - وحاشاه - فلذلك قابلوه بمثل ما قابلهم به

وجاء عن بعض خيار الأئمة ـ الثورى وابن عيينـة وعمر بن عبد العزيز والحسن البصرى ـ فيما جرى بين الصحابة من الخصام والقتال ، تلك الحكمة الذهبية : هذه دماء طهر الله منها سيوفنا فنطهر منها ألسنتنا

ومن قرأ منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ومختصره لخير تلاميذه مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبى ، يخرج منهما بالرضاء والترضى على أصحاب رسول الله ﷺ جميعا ، ولعن مبغضيهم من الروافض والخوارج ومن سلك سبيلهم ، كهذا الحضرمى ومن رضى قوله

وقول الرافضى (ص ٥٢) : وكالذى روى عن عمر أنه طعن فى رواية أبى هريرة وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه وخون عمرو بن العاص ومعاوية ونسبهما إلى سرقة مال الفىء واقتطاعه ، وقل أن يكون من الصحابة من سلم من لسانه أو يده ، إلى كثير من أمثال ذلك مما رواه التاريخ

جوابه أن هذه ضغائن وغل وأحقاد وأكاذيب من زنادقة الفرس واليهود على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى لم ير الاسلامُ بعد عصر النبى ﷺ وخليفته أبى بكر أعز من عصره وأزهر وأنور ، هؤلاء الزنادقة الذين أزال عمر مجوسيتهم من إيران وطرد اليهود من جزيرة العرب وأعز الله الاسلام باسلامه وخلافته ، أكل الغيظ قلوبهم من عمر ، وتآمروا على اغتياله وهو قائم يصلى الفجر فى محراب رسول الله ﷺ بخيار المسلمين ، ثم لم يكفهم ذلك حتى زرعوا تلك الشجرة الخبيثة شجرة الرفض وتفريق جماعة المسلمين ، أو من عمى قلبه بترهاتهم ، وجاء هذا الحضرمى الرافضى يسلك سبيل أعداء الاسلام فى بهت عمر وتحقيره وتنقيصه ، وجاء أعمى القلب هذا أبو رية يعتمد كلام هذا المؤوف وقيحه وصديده ، ويعلق عليه بقوله فى الحاشية : راجع ترجمة أبى هريرة ، وراجع فصل عدالة الصحابة !

وسنراجع ذلك إن شاء الله تعالى حتى نرى غيظك على سلف الأمة وصحابتها وحملة

أمانات دينها الذين هم خير أمة أخرجت للناس ، و نرى كفرك بما أنزل الله فى القرآن فى فضائل أصحاب نبيه ، ونشهد على نفاقك ببغضك لأصحاب رسول الله ﷺ الأشداء على الكفار الرحماء بينهم الركع السجود الذين رفع الله منارهم وأعلى قدرهم فى التوراة والانجيل و القرآن ، وشهد لهم الواقع والتاريخ بما لم يشهده لأحد غيرهم

وقول الرافضى (ص ٥٣) « وأمثال ذلك مما رواه التاريخ » فيقال لهذا الرافضي الخبيث : أى تاريخ هذا الذى اعتمدت عليه فى ثلب الصحابة وتفسيقهم وذمهم ؟ أهو تاريخ لوط بن مخنف الشيعى المحترق والكذاب المفترى ؟ أم تاريخ ابن الكلبى صاحب مثالب الصحابة ؟ أم غيرهما من كذابى نحلة الروافض والمفترين عَلَى خيار سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان إلى يوم القيامة ؟ !

وقول هذا الرافضى (ص ٥٣) « وإنما اتخذهم العامة أربابا » بهتان عظيم على خيار الأمة الذين سماهم عامة ، وبهتهم بأنهم اتخذوا الصحابة أربابا ، ولقد صدق القائل : رمتنى بدائها وانسلت

لقد تكلم هذا الرافضى الحضرمى ابن عقيل مع أحد وجهاء الحجاز الشيخ محمد أفندى نصيف عين أعيان جدة ووجيهها بشيء من رفض هذا الحضرمى ، فقال له الشيخ نصيف : ياسيد — وخسارة فيه كلمة سيد — إن الناس لهم عقول ودين ، فلا تطمع فيهم أن يعبدوا أهل البيت والعلويين الذى تنتمى اليهم ، أو ما هذا معناه . وذلك حينما قال له هذا الرافضى : أفسدكم — أو أمرضكم — مطالعة كتب ابن تيمية الناصبى

ويقال لهذا الرافضى الجاهل (القائل فى ص ٥٣ فى الصحابة : ومن أساء منهم ذممناه) ومن أنت أيها النكرة حتى تعرف الإساءة للصحابة وتذمهم على ذلك ؟ انتظر غائبك فى سرداب سامراء وكُلْ من علف الدواب المعدة لركوبه عند خروجه بزعم الحمير من جماعتك ، وقد مضى على غيابه بزعمهم نحو ألف سنة وهو مختبىء فى سردابه ، أفما آن لهذا الموهوم المعدوم أن يخرج لينصر جماعته ؟ وليت شعرى كيف حال سردابه فى ألف

سنة من بوله وغائطه ؟ ولكن الحير لا يعجزهم أن يخترعوا له خوارق من ابتلاع أرض السرداب لقاذوراته، أو أن يمسخ روحاً لا تبول ولا تتغوط، وما ذلك على عقول الحير بغريب ولا عجيب. أليست هذه العقائد السخيفة هي التي حولت أبناءكم في العراق إلى شيوعية، وفي إيران إلى حزب توده ؟! وهل كانت تكون هذه الانحرافات الشيوعية لولا هذه الخرافات الشيعية ؟!

وصدق من قال في الروافض: لو كانوا طيراً لكانوا رخماً أو بوما، ولو كانوا دواب لكانوا حميراً أو بغالا. أقول: ولو كانوا زرعا لكانو حنظلا. على أن الحنظل قد ذكر فيه الطب فوائد علاج لبعض الأمراض، فلو كانوا شجراً لكانوا قتاداً وعوسجا وغير ذلك من شائك الأشجار. على أن في جذوع هذه الأشجار ما يصلح للسقوف والأبواب ويصلح حطبا للطبخ والخبز والتدفئة عند البادية، بخلاف الرافضة الذين هم شر على الاسلام في كل زمان ومكان، وما روى التاريخ نكبة على الاسلام وأهله إلا كان الرافضة موقدي نارها وجنود فتنتها، ولم يعيشوا إلا في ظل عدو للاسلام وحمايته

كيف روى الحديث بعد نهى النبي ﷺ عن كتابته ص ٥٤ – ٦٠

لهج هذا الشاك المشكك بكلمة نهي النبي ﷺ عن كتابة حديثه، وقد غفل أو تغافل عن إبطال دليله في النهي وهو حديث أبي سعيد الخدري عند مسلم وأحمد اذ نقل (ص ٥٢) عن عائشة قولها: ما علم أنس وأبي سعيد الخدري بحديث رسول الله ﷺ ؟ وإنما كانا غلامين صغيرين. وهكذا يتهافت كلام الباطل والمبطل وتنطفىء الأضواء على أبي رية ويبقى حديث رسول الله ﷺ قائماً صحيحاً هو أصل دين الاسلام بعد كتاب الله تعالى لأنه بيانه وتطبيقه كما قال تعالى ﴿ وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ وقوله لأمهات المؤمنين ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾

قوله (ص ٥٤): يحسب الذين لا خبرة لهم بالعلم ولا علم عندهم بالخبرة أن أحاديث الرسول التي يقرءونها في الكتب أو يسمعونها ممن يتحدثون بها قد جاءت صحيحة

المبنى ومحكمة التأليف ، وأن ألفاظها قـد وصلت إلى الرواة كما نطق النبى ﷺ بها بلا تحريف ولا تبديل

ونقول لهذا الشاك المتشكك المشكك فى أصل دين الاسلام الثانى ـ حديث النبى ﷺ ـ كما نقول لغلاة الرافضة المشككين فى القرآن القائلين بأنه قد ضاع منه نصوص خلافة على بزعمهم ، نقول لهم جميعاً : إن البشرية جميعا لم تشهد دينا حفظت أصوله من القرآن والحديث كما شهدت لدين الأسلام.

ولو كنت تؤمن بقول الله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ لما رميت خيار هذه الأمة وسلفها بتحريف الأصل الثانى لدينها وتبديله

والذين آمنوا بأحاديث النبى ﷺ وصحتها مبنى ومعنى وأن النبى ﷺ قالها كما رواها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد بلا تحريف ولا تبديل وهم الأئمة أهل الخبرة بالعلم، والعلم بالخبرة ، كمالك والشافعى وأحمد وقبلهم الثورى وابن عيينة والحمادان ابن زيد وابن سلمة ، وبعدهم خيار تلاميذ الأئمة وأئمة التلاميذ البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وسواهم

واضرب رأسك فى صخور الجبال حتى يسيل دم رأسك ، فلن تضر الله ودينه وحديث نبيه ﷺ ولن تضيرها شيئا.

كناطح صخرة يوما ليوهنها ... فلم يضرها وأعيا قرنه الوعل

وسر فى سبل أهل الضلالة أعداء الاسلام والقرآن والسنن ﴿ كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى : ائتنا ، قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴾

نزلوا بمكة فى منازل هاشم ... ونزلتَ بالبيداء أبعد منزل

والرواية « بالبطحاء » وأنا اخترت لفظ « البيداء » لأنه المناسب لحال المرتاب الشاكّ المشكك فى حديث رسول الله ﷺ ، وليس البيت قرآنا ولا حديثا حتى يحافظ على لفظه كالمحافظة على القرآن والحديث.

قال فرخ الروافض أبو رية (ص ٥٤) : وكذلك يحسبون أن الصحابة ومن جاء بعدهم ممن حملوا عنهم إلى زمن التدوين قد نقلوا هذه الأحاديث بنصها كما سمعوها ، وأدوها على وجهها كما لقنوها ، فلم ينلها تغيير ولا اعتراها تبديل . ومما وقر فى أذهان الناس أن هؤلاء الرواة قد كانوا جميعا صنفا خاصا من بنى آدم فى جودة الحفظ وكمال الضبط وسلامة الذاكرة ، وأن أذهانهم قد فطرت على صورة خاصة غير ما فطرت عليه أذهان البشرية جميعا ، فكل ما يسمعونه ينقش على ألواحها فلا تفلت منه كلمة ، ولا يشذ عنه حرف

وجوابه : نعم كان الصحابة ومن روى عنهم من خيار التابعين فمن بعدهم صنفا ممتازا من الناس ، شهد لهم التاريخ ومنصفو الأمم ، كما شهد به اختيار الله إياهم لصحبة نبيه وحفظ دينه وإبلاغه للخافقين ، وما تكفل الله به لحفظ دينه وكتابه وبيان رسوله للكتاب ، لتقوم حجة الله على خلقه بهذا الدين المحفوظ إلى يوم القيامة

ودسيسة تحقير الصحابة ومن روى عنهم دين الله دسيسة « رافضية » خبيثة استنها الذين زرعوا شجرة الرافضة الحنظلية من أعداء الاسلام الفرس واليهود ، وتولاها أعداؤه من المبشرين والمستشرقين فطعنوا بها فى أصلى الاسلام الكتاب المجيد وسنة نبيه الكريم ليثأروا مما حكم به الاسلام على أسلافهم من تحريف كتب الله المنزلة اليهم ونسيان حظ مما ذكروا به ﴿ ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواطنه نسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم ، فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾

وجاء أبو رية يردد بهتانهم بعلم منه أو بجهل من منشأ الدسيسة والغرض منها ، وفى كل زمان يوجد الحفاظ العباقرة الذين يحفظون ما يُعنَوا به وما لهم به حاجة أو شوق مما يعد عند غيرهم غريبا ، أو خارقا . ففى هذا الزمان يوجد بكثرة من يحسن التكلم بثلاث لغات أو أربع غير لغة أبيه وأمه ، وفى الأطباء اليوم من يحسن الانكليزية والفرنسية وربما الألمانية والايطالية ، وفى تراجمة المجامع الدولية لجمعية الأمم وما تفرع عنها كمجلس

الأمن من يترجم ثلاث ساعات خطبة خطيب يتكلم بلغته إلى اللسان الرسمى لتلك المنشأة ولا يقدر أبو رية على إنكار ذلك الا أن يكون مباهتا ، ثم يعمد إلى ما شهد به التاريخ من حفظ العرب والمسلمين وقوة ذاكرتهم ، فكيف بالصحابة منهم الذين امتزج الاسلام بأرواحهم ودمائهم وباعوا فى نصره وحفظه كل غال ونفيس حتى أرواحهم ، فيجىء فرخ الروافض فينكر عليهم حفظهم لأصلى دينهم الكتاب والسنة ويزعم أن الكتاب المجيد لولا الكتابة والتدوين لما حُفِظ ، وكيف تحفظه كتابة لا نقط فيها ولا شكل ولا حروف . كيف تحفظه لولا حفظ الصدور له . وقد ضربنا سابقا أمثلة من كتابة (فسو) كيف تحفظ قراءة فتثبتوا أو فتبينوا لولا حفظ الصدور لها وكتابة (ىمص) كيف يحفظ يَقُص أو يقضى لولا الحفظ

لقد قرأ من يعتمد على الكتابة بدون تلق وحفظ قول الله تعالى ﴿ جعل السقاية فى رحل أخيه ﴾ فقرأها جعل السفينة فى رحل أخيه . وقرأ آخر ﴿ ويعوق ونسرا ﴾ فقرأها (وبشرا) وقرأ آخر حديث صلاة فى إثر صلاة كتاب فى عليين » فقرأ عجزه : كنار فى غلس . وعيوب الاعتماد على الكتابة التى لا نقط فيها ولا شكل ولا حروف مَدّ بدون حفظ وسماع يأتى بالعجائب والمضحكات والمبكيات . وسمع الحجاج بن يوسف قارئا يقرأ قول الله تعالى ﴿ ورحمتى وسعت كل شىء ﴾ فقرأ وسقت كل شىء ، وآخر قرأ ﴿ إن الله برىء من المشركين ورسولهُ ﴾ فقرأ ورسولِه بالكسر عطفا على المشركين ، فأمر الحجاج بنقط المصحف وتشكيله وضبطه ، جزاه الله عن ذلك خيراً

فلولا حفظ الصحابة المنقطع النظير وحفظ من روى عنهم لما بقى دين الاسلام ـ كتابُه وحديثُ نبيه ـ غضاً طريا كما أنزل وكما قاله رسول الله ﷺ . وليس عند أبى رية غير الاستبعاد والتهويل والدعاوى التى لا دليل عليها فنرد عليه باجماع خيار الأمة من الصحابة والتابعين على أن هذه الأحاديث المدونة فى صحاح الكتب وسننها ومسانيدها هى أحاديثه ﷺ كما اعترف بذلك من نقله عن شيوخ الدين وكفى بهم حجة ،

ومَن الناس غيرهم ؟

فغضّ الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

علق (فى حاشية ص ٥٦) على حديث « نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها ثم أدّاها كما سمع » الخ بقوله : ومن العجيب أن هذا الحديث نفسه قد جاءت روايته بصيغ كثيرة تبلغ الخمس عشرة ، وكل رواية تختلف عن الأخرى فى اللفظ والمعنى ، ولولا خشية الإطالة لأوردتها كلها ، فيرجع اليها فى مظانها . اهـ

ونقول لهذا الكاذب : كذبت ، وقد قيل قديما : اكذب وأبعد شاهدك . ولو طولبت بعشر ألفاظ مختلفة فى اللفظ والمعنى لهذا الحديث لبُهت الكاذب . وقوله « لولا خشية الإطالة لأوردتها كلها » حجة العاجز المفترى ، وأى إطالة يخشاها وقد حشا كتابه بأباطيل الروافض والجهمية وأعداء الاسلام ، وقوله « فيرجع اليها فى مظانها » فأين هذه المظان أيها البهات ؟ أما كنت تشير إليها ، وكان ذلك خيرا مما اعتمدته من كلام الرافضة فى تجريح الصحابة وجحود فضلهم ، غير أن هذا شأن الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره

فى علوم الحديث قسم يسمى (المتابعات والشواهد) فاذا جاء الحديث من عدة طرق عن صحابى سموا هذه الطرق بالمتابعات ، وإذا جاء الحديث عن عدة من الصحابة سموا أحاديث الصحابة الذين اتفقوا على رواية الحديث بالشواهد لشهادة بعضها لبعض ، وقد عنى مسلم فى صحيحه بتخريج المتابعات والشواهد ، وأشار اليها الترمذى فى جامعه بقوله بعد حديث الباب : وفى الباب عن فلان وفلان وفلان من الصحابة

فإذا كان أبو رية يعنى بمجىء حديث « نضر الله امرءا » بصيغ كثيرة تبلغ الخمس عشرة تختلف كل رواية عن الأخرى وهو ما لم يثبته ولن يستطيع إثباته وأعرض عن ذكر المختلفات الخمس عشرة بزعمه بدعوى خشية الإطالة وأشار بالرجوع إلى مظانها التى لم يبينها ، إذا كان يريد بهذه الصيغ المختلفة طرق التابعات والشواهد لهذا الحديث وظنها

صيغا مختلفة تبلغ ١٥ صيغة ! إذا كان يظن ولم يعرف حكمة المتابعات والشواهد سقط الكلام معه لأن الكلام مع الجاهل الذى لا يعرف أنه جاهل ضياع وعبث ، اللهم إلا إذا أريد حفظ الناس من وساوسه وترهاته

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

قال (ص ٥٧) فى رد رواية المعنى : لأن الانسان وإن اجتهد فى تطبيق الترجمة لكن لا ينفك عن تفاوت وإن قل ، فاذا توالت التفاوتات كان التفاوت الأخير تفاوتا فاحشا لا يبقى بين الكلام الأخير وبين الأول نوع مناسبة . ه

وعلى تحقيق هذا المغرور يكون حديث « إنما الأعمال بالنيات » الخ مثلا قد توالت عليه كأمثاله أنواع التبديل والتحريف حتى لم يبق بينه وبين ما قاله ﷺ نوع مناسبة ! وإن تحقيقا بالأحاديث النبوية إلى هذا الحد من الشك والتشكيك هو كالتشكيك فى القرآن بسبب الأحرف السبعة والقراءات المتنوعة التى قال فيها النبى ﷺ « كلها كاف شاف » هذان النوعان من الشك والتشكيك يخرجان من ما خوز قاذورات واحد هو غيظ أعداء الاسلام وغلهم وضنهم على الاسلام أن تكون له كل هذه الثروة السليمة من تراث عصر النبوة ، ولا يسع المسلم إلا أن يحمد الله تعالى على السلامة من هذا المرض وتلك الآفة ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ ، ﴿ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾

ساق أبو رية فى جواز رواية الحديث بالمعنى (ص ٥٩) أدلة : منها ما روى البيهقى عن مكحول قال : دخلت أنا وأبو الأزهر على واثلة بن الأسقع فقلنا له : حدثنا بحديث سمعته من رسول الله ليس فيه وهم ولا تزيد ولا نقصان . فقال : هل قرأ أحد منكم من القرآن شيئا ؟ فقلنا نعم ، وما نحن له بحافظين جدا إنا نزيد الواو والألف وننقص [قال] : فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم لا تألونه حفظا وإنكم تزعمون أنكم تزيدون وتنقصون فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله ﷺ عسى أن لا يكون سمعنا لها منه إلا مرة

واحدة ، حسبكم اذا حدثناكم بالحديث على المعنى

و (ص ٥٦) بما رواه ابن منده فى معرفة الصحابة والطبرانى فى المعجم الكبير من حديث عبد الله بن سليمان لابن أكيمة الليثى قال : قلت يارسول الله إنى أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أؤديه كما سمعته منك يزيد حرفا أو ينقص حرفا ، فقال اذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس ، فذكر هذا للحسن فقال : لولا هذا ما حدثنا

ذكر أبو رية آخر حاشية (ص ٥٦) أن هذا الحديث يناقض ولا ريب حديث « رحم الله امرءا سمع مقالتى » الخ قال : ولا بد لكل فئة من أن تؤيد رأيها بحديث . اهـ

والجواب أن أبا رية يظهر أنه لا يعرف حقيقة التناقض ، فالنقيضان عندهم لا يجتمعان ولا يرتفعان فأى مناقضة بين حديث إباحة رواية الحديث بالمعنى اذا عجز عن سرد ألفاظه بشرط أن لا يحل حراما ولا يحرم حلالا ، وبين حديث دعاء النبى ﷺ بالرحمة أو النضرة لمن سمع مقالة النبى ﷺ فوعاها فأداها كما سمعها ، فالأول أفاد الجواز عند العجز ، والثانى أفاد الفضيلة لمن قدر ، والشريعة الاسلامية تقول بفضل المقربين ثم من يليهم من الأبرار وبثواب السابقين ومن يليهم من أهل اليمين وبتفضيل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين عن الجهاد للأعذار

ولكن أبا رية يزعم أنه يريد أن يكون جميع الناس ملائكة مقربين ليس فيهم أهل الأعذار ، وهذا ما لم يرده الله للبشر . ونسأله اذا أنصف : هل حديث عن رسول الله يروى بالمعنى خير أم اطراحه واتباع آراء الجهمية والروافض والخوارج ووساوس الأوهام ورذائل العادات ؟

سألنى رجل عن خاتم الذهب للرجال ، فذكرت له الحديث قوله ﷺ لرجل فى يده خاتم من ذهب « أيسرك أن تضع جمرة فى يدك » فخلع الرجل الخاتم ورماه فى الأرض وأبى أن يأخذه ولو لينتفع به فى وجه حل . فغاب عنى السائل مدة ثم رجع يجادل بحجة

شيطانية أن لابس الخاتم لعله كان معجبا مزهوا به ، ليتخلص من وعيد خاتم الذهب للرجال

ومع هذا فهذا المحاول حل لبس الخاتم خير من أبى رية لأنه تأول الحديث ولم يرفضه كرفض أبى رية لأمثاله من الأحاديث ، وأقام المتاريس فى وجه العمل بها بشكوكه وريبه وأكاذيبه على رواتها

والعجب ما زعمه أن حديث اباحة رواية الحديث بالمعنى الذى هو حديث ابن أكيمة الليثى زعم أنه يناقض حديث « رحم الله امرءا سمع مقالتى فأداها كما سمع » وقد زعم أن هذا الأخير قد جاء بخمس عشرة صيغة يخالف بعضها بعضاً فى اللفظ والمعنى ، فأى صيغه الخمس عشرة هى التى تناقض حديث ابن أكيمة ، أم كلها ؟ فإذا أسقطه أبو رية بزعم اختلاف صيغه الخمس عشرة وفى اللفظ والمعنى بقى حديث إباحة رواية الحديث بالمعنى بلا معارض ولا مناقض ، فأين من يعقل تهافت كلامه وهدم بعضه بعضاً ويستحى من الرد على السنة بمثل هذه المتهافتات التى يهدم بعضها بعضا ، حديث إباحة رواية الحديث بالمعنى يرده بحديث زعم أنه جاء بخمس عشر صيغة مختلفة اللفظ والمعنى فبأى صيغة من صيغه الخمس عشرة يرد حديث إباحة رواية الحديث بالمعنى ان كان يعقل ، أم هو الببغاء يهرف بما لا يعرف ؟

ونقل الأستاذ أبو رية فى كتابه (ص ٥٨) عن القاسمى فى كتابه (قواعد التحديث) . قال : رخص فى سوق الحديث بالمعنى جماعة منهم على وابن عباس وأنس بن مالك وأبو الدرداء وواثلة بن الأسقع وأبو هريرة ، ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم منهم إمام الأئمة حسن البصرى ثم الشعبى وعمرو بن دينار وابراهيم النخعى ومجاهد وعكرمة . ه

ونقل عن الشيخ طاهر الجزائرى (ص ٥٥) من كتابه (توجيه النظر) قال : وذهب الأكثر إلى جواز ذلك اذا كان الراوى عارفا بدقائق الألفاظ بصيرا بمقدار التفاوت بينها خبيراً بما يحيل معانيها الخ . ه

ونقل (آخر ص ٥٥) عن أبي اسحاق الشيرازي في كتابه (اللمع) قال : والاختيار في الرواية أن يروى الخبر بلفظه لقوله ﷺ « نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمع ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » الخ ، فعبر أبو اسحاق الشيرازي بالاختيار ولم يجعل الحديث الذي استدل به على الاختيار مناقضا لحديث ابن أكيمة في جواز الرواية بالمعنى كما زعم التناقض بينهما أبو رية ، فأيهما نصدق أبا رية الذي لم يأخذ هذه العلوم عن أحد من أهلها ، أو أبا اسحاق الشيرازي الفقيه الأصولي الحجة وهو من كبار أئمة الشافعية

ونقل أبو رية (أول ص ٥٩) عن ابن سيرين قال : كنت أسمع الحديث من عشرة : المعنى واحد والألفاظ مختلفة . وكذلك اختلفت ألفاظ الصحابة في رواية الحديث عن رسول الله ﷺ فمنهم من يرويه تاماً ، ومن يأتي به بالمعنى ، ومنهم من يورده مختصراً ، وبعضهم يغاير بين اللفظين ويراه واسعا إذا لم يخالف المعنى ، وكلهم لا يتعمد الكذب ، وجميعهم يقصد الصدق ومعنى ما سمع ، فلذلك وسعهم ، وكانوا يقولون : إنما الكذب على من تعمده . اه

أقول : ومن لم يسعه هدى الصحابة وخيار التابعين فلا وسّع الله له ، ومن ضيق ما وسع الله فهو شبيه بالخوارج الذين يكفّرون بالذنب ويمحون الحسنات بالسيئات خلاف ما قال الله ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ ، وحسبهم ما جاء في وعيدهم « يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ، وأنهم كلاب أهل النار » ومع ذلك فإنهم أقل شراً من أبي رية ، يتشدّدون ليطلبوا أكثر مما ترتضيه وتكتفي به الحنيفية السمحة ، وأبو رية يتشدد ليتوصل إلى القطع والبتر ، والاستغناء عن أثمن مواريث الاسلام بعد القرآن ، فالله حسبه

ونقل أبو رية (ص ٥٩) قال رجل للحسن : يا أبا سعيد ، إنما تحدث بالحديث أنت أحسن له سياقا وأجود تحبيرا وأفصح به لسانا منه إذا حُدثنا به ـ يعني عن غيرك . فقال : اذا أصبت المعنى فلا بأس بذلك

وعن النضر بن شُمَيل : كان سفيان يقول : إذا رأيتم الرجل يشدد فى ألفاظ الحديث فى المجلس فاعلم أنه يقول : اعرفونى . وجعل رجل يسأل يحيى بن سعيد القطان عن حرف فى الحديث على لفظه ، فقال له يحيى : ياهذا ليس فى الدنيا أجلُّ من كتاب الله تعالى ، وقد رخص للقراءة فيه بالكلمة على سبعة أحرف ، فلا تشدد . اه

ولله در هؤلاء الأئمة الذين عرفوا يسر الدين ورفع الحرج عنه ، فأخذوه سهلا سمحا ليله كنهاره لا يزيغ عنه إلا هالك ، ولم يتنطّعوا تنطع من خرج به منطقه عن سلوك سبيل المؤمنين ، فجروا فى شكوكهم وارتيابهم وراء أعداء الاسلام من الروافض والجهمية بله المستشرقين أمثال جولدزيهر وشبرنجر ودائرة المعارف الاسلامية وبئس أولئك رفيقا ﴿ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾ ، ﴿ ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيِّض له شيطانا فهو له قرين ، حتى إذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك بُعد المشرقين فبئس القرين ﴾ ، ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون ﴾

الحكمة فى تنوع العبادات

إذا قرأ الانسان كلام حكماء الاسلام وأئمة الدين ازداد بصيرة فى دينه بما يجده فى كلامهم من التحقيق والعلم والبيان . من ذلك كتب شيخ الاسلام ابن تيمية وتلاميذه المحققين كالشيخ ابن قيم الجوزية وسواه من المحققين

دونك من رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية رسالة (تنوع العبادات) التى أبان فيها حكمة تنوع كثير من العبادات ، وما فى هذا التنوع من الرحمة والتيسير على هذه الأمة المرحومة ، كتنوع القراءات على سبعة أحرف ، فقد جاء فى الخبر مرفوعا « اقرأنى جبريل على حرف ، فقلت : أسأل الله عفوه ، فى أمتى الشيخ الكبير والمرأة العجوز و ... و ... فزادنى حرفا ، فلم أزل أستزيده حتى أقرأنى على سبعة أحرف كلها كاف شاف ، فاقرءوا ما تيسر منه »

ثم يجىء اليهودى المستشرق عدو الاسلام جولدزيهر فيشكك فى الاسلام وفى

القرآن وفى صدق النبى ﷺ ونبوته ورسالته بسبب القراءات، حسدا للاسلام الذى سجل عليهم تحريف كتبهم ونسيانهم حظّا مما ذكروا به ﴿ ومن الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه، ونسوا حظا مما ذكروا به، ولا تزال تطلع على خائنة منهم، فاعف عنهم واصفح، إن الله يحب المحسنين ﴾

ومن تنوع العبادات أنواع الأذان: أذان بلال فى المدينة، وأذان أبى محذورة بمكة وغيرها. والأذان حكمته الإعلام بدخول الوقت، والدعوة الى صلاة الجماعة «حىّ على الصلاة، حىّ الفلاح» هذا جوهره ولبه، سواء ربّع التكبير فى أوله أو ثنى، وسواء رجّع فى الشهادتين فيه أو لم يرجع، فجوهره «حى على الصلاة، حى الفلاح»

ومن تنوُّع العبادة دعاء افتتاح الصلاة بعد تكبيرة الإحرام، فبأيها افتتح المصلى صلاته كفى، لأنها ثناء على الله قبل القراءة، فبأى صيغها الواردة أثنى على الله أجزاه وأحسن

ومن تنوع العبادة صيغ التشهد فى الصلاة التى علمها رسول الله ﷺ لأصحابه: ابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، وجابر، وعمر بن الخطاب، وابنه عبد الله بن عمر. وقد ساق ألفاظها أبو رية (ص ٦٠ — ٦٣) ليشكك فى تنويع صيغها لأنه لم يعقل حكمته، فجعله شكا فى حديث رسول الله ﷺ وفى عبادات الاسلام

وجوهر التشهد فى الصلاة هو تذكر شهادتى الاسلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، والديباجة قبل الشهادتين ثناء على الله وتمهيد بشهادة التوحيد والاسلام، ولم يختلف لفظ الشهادة فى أنواع صيغ التشهدات الثمانية التى تكلف أبو رية فى إيرادها ليقول (أول ص ٦٣): هذه تشهدات ثمانية وردت عن الصحابة وقد اختلفت ألفاظها. وكذب أبو رية فلفظ شهادة الاسلام والتوحيد فى جميعها واحد لا اختلاف فيه، وديباجتها المتعددة تمهيد لا يضر تنوعه: «التحيات لله والصلوات والطيبات»، «التحيات المباركات الصلوات الطيبات»، «التحيات الزاكيات الطيبات لله»، «بسم

الله ، التحيات المباركات لله » الخ

وقوله (ص ٦٣) : لو أنها كانت من الأحاديث القولية التى رويت بالمعنى لقلنا عسى ، ولـكنها من الأعمال المتواترة التى كان يؤديها كل صحابى مرات كثيرة كل يوم ، وهم يُعدُّون بعشرات الألوف

وجوابه أنه يظهر أنك لا تعرف التواتر ، فرواة التشهد ذكروا أنهم ثمانية ، والتشهد يقال فى الصلاة سراً لا جهراً ، وعشرات الألوف من الصحابة الله وحده هو الذى يعلم بما كان يختاره كل صحابى من هذه الأنواع

ومجبراه أن يشكك فى الأحاديث قوليها وعمليها بعبارته هذه ، ويشكك فى صدق صحابة رسول الله ﷺ وهم الأمناء على دين الله تعالى الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ونصره ، وحمل دينه وتبليغه للناس

وقوله (٦٣) : ومما يلفت النظر أن كل صاحب تشهد يقول : إن رسول الله كان يعلمه التشهد كما يعلمه القرآن

وجوابه : هل يكذب الصحابة فى ذلك ؟ أم يكذب من روى عنهم من أئمة التابعين فمن بعدهم ؟ كلا وهم أصدق منك ومن ساداتك الجهمية والروافض والخوارج بالإجماع وشهادة الواقع والتاريخ الحق ، فـكل من قال : علمنى رسول الله كذا وكذا فهو صادق ، واعتراضك يتوجه إلى ماجاء به رسول الله من اليسر والرحمة التى أبيتها

وقوله (ص ٦٣) : وإن تشهد عمر من فوق منبر رسول الله والصحابة جميعا يسمعون ، فلم ينـكر عليه أحد منهم ما قال كما ذكر مالك فى الموطأ

وجوابه : كيف ينكر الصحابة على شىء وسع الله فيه رحمة بهم ؟ كيف يضيقون رحمة الله التى وسعها عليهم ؟ وجوهر التشهد محفوظ متفق لا اختلاف فيـه : شهادة التوحيد والرسالة ، فليبدأ قبلها كل واحد بما علمه رسول الله ﷺ موسعا غير مضيق ، وليضق بما وسع الله من دينه أمثال أبى رية وليتشكك فى الدين ماشاء ، إن كان يقول كما

قال سلفه من علاة الروافض : إن الصحابة تواطئوا مع عمر وأبى بكر على كتمان ما فى القرآن من نصوص خلافة على جبنا منهم وتقية وخوفا من جبروت عمر ، إلى غير ذلك من ترهاتهم وزندقتهم ، فليسلك سبيلهم ، وليجانب سبيل المؤمنين ، وليوله الله ما تولى ويصله جهنم وساءت مصيرا . اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين

وقال (ص ٦٣) : ومما يلفت النظر كذلك أن هذه التشهدات على تباين ألفاظها وتعدد صيغها وكثرة رواتها قد خلت كلها من الصلاة على النبي ، فكأن الصحابة كانوا — كما قال ابراهيم النخعى — يكتفون بالتشهد والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله ه

وجوابه : أن دعواه تباين ألفاظ التشهد دعوى كاذبة ، فكلها متفقة على التشهد : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أو عبده ورسوله ، والسلام على النبي ورحمة الله وبركاته ، فليس فيها تباين إن كان يعرف أبو رية ما هو التباين ، وتعدد صيغها إنما هو فى ديباجتها ومقدمتها مما وسع الله فيه على هذه الأمة كما يسر عليها تعدد أحرف القراءات السبع التى نزل بها القرآن رحمة بالشيخ والمرأة العجوز الخ ، وكما توسعت رحمته بتنوع الأذان ودعاء افتتاح الصلاة فلا تباين إلا عند من ينظر إلى الاسلام بعين عمياء فلا يرى إلا الظلمة والسواد والتسكع فى غياهب الشك والحيرة والضلال

وأما خلو صيغ التشهد عن الصلاة على النبي ﷺ ، وإجهاد أبى رية نفسه فى ذكر مذاهب العلماء فيها وجوبا أو شرطا أو عدمها ، فتلك شكاة ظاهر عنك عارها

إلا إذا كان يريد أن ينظر إلى الاسلام وأهله واجتهاد أئمته نظر التشهير والبغضاء ، ويريد أن تكون هذه الملة فى جحر ضب لا حرية فيها للفهم والاجتهاد والاستنباط ، وهذا ما لم يرده الله لأمة الاسلام

وقوله (آخر ص ٦٣) : « إنه من قول أبى جعفر بن محمد بن على بن الحسين » هو من عدم تمرسه بأسماء الناس ، فأبو جعفر هو محمد الباقر لا ابن محمد ، وابن محمد هو جعفر

الصادق ، وإذا تكلم الانسان فيا لا يعرف أتى بالغرائب ، و « إذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة » ، لقد عاش الناس بخير فى عصر خير القرون قبل أن يطلع عليهم أبو رية بظلماته المتلاحقة

قال (ص ٦٦ ـ ٦٨) :

أمثلة من رواية الحديث بالمعنى

حديث الاسلام والإيمان

ذكر (ص ٦٦) حديث طلحة بن عبيد الله فى النجدى الذى سأل عن الاسلام رواه عن مسلم ، وذكر فى آخره : فقال رسول الله : أفلح إن صدق . وفى رواية أخرى : أفلح وأبيه إن صدق . وفى رواية ثالثة : دخل الجنة وأبيه إن صدق

وكأنه يعد هذا اختلافا فى الحديث : أفلح إن صدق ـ أفلح وأبيه إن صدق ـ دخل الجنة وأبيه إن صدق . فان كان هذا ـ عند أبى رية ـ اختلافا فليس فى الدنيا شىء متفق عليه عنده

حديث يجىء فى بيان أركان الاسلام التى شرعت حينئذ بطرقه التى يتابع بعضها بعضا ، فيجىء هذا المرتاب ويمسك بلفظ فى آخره أفلح أو دخل الجنة وبعضها زاد وأبيه وسائرها لم يذكرها ، فأى رواية للمعنى فى هذا أفلح أو دخل الجنة ، وأى ركن من أركان الاسلام سقط برواية دخل الجنة بدل أفلح أو أفلح بدل دخل الجنة ، وزيادة أبيه فى بعض طرقه ؟ !

وكأن هذا المرتاب لم يعرف المتابعات التى عنى بها مسلم فى صحيحه فيعدّها روايات ، وأقل دارس لمسلم ـ بفهم وبصيرة ـ يجد لمسلم عنايته بذكر شواهد الحديث ومتابعاته فى موضع واحد حتى تعرف شهرة الحديث من غرابته ، وليبك الجاهل على نفسه وليستح من جهله إن كان بقى عنده بقية من عقل أو حياء

وذكر (ص ٦٦ — ٦٧) حديث أبي هريرة في سؤال جبريل عن الاسلام والإيمان والاحسان ، وليت شعري أي اختلاف في هذا ، وأين رواية بالمعنى فيه ؟ إلا أن يكون حشوا للكتاب بما لا يفيده ، أو التشويش على من هم أمثاله من أهل الشك والريب في حديث رسول الله وحَمَلته من الصحابة والتابعين

وقال (ص ٦٧) وعن ابن أيوب — وليت شعري من هو ابن أيوب ؟ أهو محرّف عن أبي أيوب الأنصاري الصحابي ، أو هو أيوب السختياني التابعي شيخ مالك ، ومن تكلم فيما لا يعرف كان كالببغاء تهرف بما لا تعرف ، وتحرّف ولا تشعر بما تهرف . ثم ذكر حديث الرجل الذي سأل على عمل يدنيه من الجنة ، وفي آخره « إن تمسك بما أمر به دخل الجنة » . وقال أبو رية : وفي رواية ابن أبي شيبة « إن تمسك به »

وذكر (ص ٦٧) حديث أبي هريرة أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله دلني على عمل اذا عملته دخلت الجنة الخ

وكأن أبا رية — أعجوبة القرن الرابع عشر — يظن أن حديث من سماه ابن أيوب ، وحديث أبي هريرة في الأعرابي الذي سأل عما يدخله الجنة ، هو عين حديث جبريل السابق ، وقد طاش سهمه وقبح ظنه إن ظنها كلها حديثا واحدا وجاء بها فيما سماه أمثلة من رواية الحديث بالمعنى — حديث الاسلام والإيمان — وعذره جهله بصناعة الحديث وطريقة مسلم في سوق الأحاديث التي يشهد بعضها لبعض أيما شهادة — فحديث جبريل في سؤاله عن الاسلام والإيمان والاحسان ، هو غير حديث من سماه ابن أيوب في الرجل السائل عما يدخله الجنة ، وغير حديث أبي هريرة في ذلك أيضا ، وغير حديث طلحة ابن عبيد الله في النجدي ثائر الرأس ، ونقول لأبي رية ما قال الخليل بن أحمد لمن لم يستطع معرفة العروض :

إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

ثم نقل كلام النووي في شرحه لأحاديث الباب (ص ٦٧) وذكر عدم مجيء ذكر الحج

فى حديث طلحة ولا فى حديث جبريل من رواية أبى هريرة وعدم ذكر الصوم فى بعضها وعدم ذكر الزكاة فى بعضها وفى بعضها ذكر صلة الرحم وفى بعضها أداء الخمس ولم يأت فى بعضها ذكر الإيمان ، قال النووى : فتفاوتت هذه الأحاديث فى عدد خصال الإيمان زيادة و نقصا وإثباتا وحذفا . هـ

ولا بأس بذلك ما دامت أحاديث متعددة عن صحابة متعددين فى مناسبات متعددة ، فحديث جبريل برواية أبى هريرة وغيره كعمر وابنه ، غير حديث طلحة فى سؤال النجدى ثائر الرأس ، وغير حديث الرجل الذى سأل عما يدخله الجنة ، وغير حديث الأعرابى الذى قال دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة

فإذا تعددت الأسئلة والسائلون والمجالس التى وقعت فيها الأسئلة فأى عيب فى تنوع الأجوبة حسب حاجة السائلين والسامعين ؟ بخلاف ما فهمه ابن الصلاح (ص٦٧) من أن هذا ليس باختلاف صادر من رسول الله بل هو من اختلاف الرواة فى الحفظ والضبط ، ونسب لبعضهم التقصير فى الحفظ وبعضهم حفظ ما لم يحفظ غيره ، وهذا مبنى على فهمه بأنه حديث واحد قيل فى مجلس واحد قصر بعضهم فى حفظه وحفظه غيره

وهذا فهم يرده تعدد رواة الأحاديث وتنوع الأسئلة والسائلين ، وأى مكابر يقول إن حديث جبريل هو حديث النجدى ثائر الرأس الذى سمعوا دوى صوته ولم يفقهوا ما يقول وقال فى آخره : أنا وافد قومى بنى ثعلبة . أما حديث جبريل ففى آخره : هو جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم . وخلو حديث طلحة عن بيان الايمان أو شهادة التوحيد لأن النجدى السائل يسأل عن الاسلام المعترف به ، فبين له أركانه . وحديث جبريل بين فيه الإسلام والإيمان والإحسان لأنه جاء يبين أمر الدين . وحديث الرجل وحديث الأعرابى الذى سأل كل منهما عن عمل يدخله الجنة فبين لكل منهما ما يحتاجه فأى اختلاف فى هذا يتوسوس به من فى قلبه غيظ على أحاديث رسول الله ﷺ أو ريبة ؟ وعلى فرض أن هذه الأحاديث المتعددة بتعدد رواتها وأساليبها والتسليم جدلا بأنه

كلها حديث واحد حفظ بعض رواته ما لم يحفظه الآخر ، فأى عيب فى هذا ؟ فالله يحفظ دينه بحفظ من حفظ ما لم يحفظه غيره ، لذلك لم ير العلماء والأئمة فى هذا ما يوجب رد هذه الأحاديث والشك فيها كما فعله أبو رية ، واتبعوا سبيل المؤمنين فى الإيمان بها وأخذ دينهم منها خوفا من وعيد الله سبحانه لمن اتبع غير سبيل المؤمنين فى قوله تعالى ﴿ ومن يُشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبعْ غير سبيل المؤمنين نُوَلِّه ما تولَّى ونُصْلِه جهنم وساءت مصيرا ﴾ عياذا بالله من ذلك ، ونسأله أن يهدينا صراطه المستقيم ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾

أورد حديث الواهبة نفسها للنبى ﷺ (ص ٦٨) وتقدم رجل بقوله : يا رسول الله أنكحنيها ، ولم يكن معه من المهر غير بعض القرآن ، فقال له ﷺ : أنكحتكها بما معك من القرآن قال : وفى رواية قد زوجتكها بما معك من القرآن . قال : وفى رواية ثالثة : زوجتكها على ما معك . وفى رابعة : قد ملكتكها بما معك . وفى خامسة : قد أملكتكها بما معك من القرآن . وفى سادسة : أنكحتكها على أن تقرئها وتعلمها . وفى سابعة : أمكناكها . وفى ثامنة : خذها بما معك ، قال : فهذه اختلافات ثمانية فى لفظة واحدة

وجوابه : إذا كانت زوجتكها وأنكحتكها وملكتكها وأملكتكها وماعد من الألفاظ اختلافات فى لفظة واحدة فما يقول فى قراءة : والله يقص الحق ، مع قراءة والله يقضى الحق ، وفى قراءة فتبينوا من التبين ، مع قراءة فتثبتوا من التثبت . وقراءة : والذكر والأنثى ، مع قراءة : وما خلق الذكر والأنثى ؟ وقراءة والصلاة الوسطى وصلاة العصر مع القراءة بدونها وصلاة العصر . وقراءة وإن كان مكرهم لِتزول منه الجبال مع قراءة لَتزول ، الأولى بكسر اللام وفتح اللام آخره والثانية بفتح اللام أول الكلمة وضمها فى آخرها . وقراءة : وكم من نبى قاتل معه ربيون كثير ، مع قراءة قُتل معه ربيون . وقراءة فان الله لا يَهدى من يضل ببنائه يهدى للفاعل ، مع قراءة لا يُهدى من يضل ببنائها للمفعول . وقراءة فأزلهما الشيطان من الزلل ، مع قراءة فأزالهما من الإزالة . إلى كثير من

القراءات فى السبعة والعشرة بله الأربعة عشر، هل فى هذه القراءات أنها مختلفة فيثبت فى كتاب الله وقراءاته وأحرفه السبعة الاختلاف الذى نفاه الله عن كتابه بقوله ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ ثم يذهب فيصنع لها ظلمات أخرى للتشكيك فى كتاب الله تعالى فينسلخ بذلك من المسلمين ويجرى وراء اليهودى جولد زيهر للشكك فى القرآن وصدق الرسول ونبوته بسبب القراءات التى نزل عليها القرآن وحروفه السبعة وقراءاته المتواترة فى كتابيه « عقائد الاسلام » و « مذاهب المسلمين فى التفسير » الخ

لو حذفنا حديث الواهبة نفسها لاختلاف ألفاظه الثمانية كما زعم أبو رية لما نقص الاسلام شيئا سوى حكم الزواج على مهر تعليم شيء من كتاب الله تعالى، ولا تهدم بنيان كتب السنة الصحيحة والمتواترة والشهيرة

وأورد أبو رية فى (ص ٦٨) حديث الصلاة فى بنى قريظة ورواية البخارى بلفظ العصر وروايه مسلم له بلفظ الظهر وذكر (ص ٦٩) عن ابن حجر اتفاق نسخ البخارى، أى على أنها العصر، واتفاق نسخ مسلم على أنها الظهر، قال : مع اتفاق البخارى ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد وموافقة أبى يعلى وآخرين لمسلم وقال : وكذلك أخرجه ابن سعد . وأما أصحاب المغازى فقد اتفقوا على أنها العصر . قال أبو رية : ثم قال الحافظ ابن حجر بعد ذلك : إن البخارى كتبه من حفظه ولم يراع اللفظ كما عرف من مذهبه . وأيد ما قاله ابن حجر (فى حاشية الصفحة ٦٩) بما رواه الخطيب البغدادى عن البخارى قال : رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر . فقيل له : يا أبا عبد الله بكماله ؟ قال فسكت . ص ١١ ج ٢

وجوابه : أن ما نقله الخطيب عن البخارى لعله يريد بذلك قوة حافظة البخارى وسكوت البخارى عن سؤاله « بكماله ؟ » ولعله من باب فلا تزكوا أنفسكم، فلا عيب على البخارى فى ذلك الا عند من فى قلبه ضغن على أئمة الحديث

ذكر ابن حجر فى مقدمة فتح البارى أن البخارى لما دخل بغداد كانت شهرة حفظه قد سبقته اليها ، فجمع علماء بغداد عشرة فتيان وحفظوا كل فتى منهم عشرة أحاديث مقلوبة متن هذا على سند ذلك وهكذا وأمروهم أن يقرؤا الحديث على البخارى امتحانا لحفظه ، فسرد أولهم عشرته على البخارى فسكت ، فقالوا فى أنفسهم : جازت عليه ، أين ما اشتهر به من الحفظ ؟ ثم سرد الثانى ثم الثالث إلى العشرة . فقال البخارى للأول من الفتيان : حديثك الأول سقته هكذا ، وصوابه هكذا . والثانى كذا ، وصحته كذا . والثالث كذا ، وصحته كذا . حتى سرد للمائة الحديث على ترتيب ما قرئت عليه ونسبة ألفاظ حديث كل فتى بترتيب ما سرد اليه

قال الحافظ ابن حجر : ليست الغرابة فى أن يعرف البخارى صوابها من خطئها ، فهو الإمام الحافظ الذى لا ينكر عليه معرفة الصحيح من الضعيف ، ولكن الغرابة فى أن يسرد للمائة على ترتيب ما قرئت عليه مع ذكر أحاديث كل فتى على وفق ما قرأها الفتى وترتيبه

وروى معاصره حاشد بن اسماعيل قال : كان البخارى يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام ، فلمناه بعد ستة عشر يوما فقال : قد أكثرتم على ، فاعرضوا علىّ ما كتبتم . فأخرجناه ، فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلها عن ظهر قلب ، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه . أليست هذه موهبه من مواهب الله ، أليس هذا الرجل قد ادخره الله لعصر التدوين ، كما ادّخر أبا هريرة لأول عصر الرواية ؟ أم يحسدون شريعتنا على ما قيض الله لها من رجال ؟

فاذا جاء أبو رية فى القرن الرابع عشر ـ بعد إجماع الأمة على حفظ البخارى وأمانته فى رواية الحديث ـ يشكك فى حفظ البخارى وأمانته وصدقه ونصحه لدين الاسلام ، قلنا لأبى رية انطح برأسك جبلا حتى يدمى رأسك ، فلن تهز الجبل ، ولن تنقله ، ولن يشكّ الناس فيما أجمعوا عليه من أن كتاب البخارى أصح كتاب بعد كتاب

لله تعالى ، ولن يضيره أن تختلف لفظة منه مع لفظة من صحيح مسلم (العصر أو الظهر)
فالشيخ ابن تيمية رحمه الله وهو من هو أمانة وحفظا ودفاعا عن الإسلام بقلمه وسيفه
يقول : إن جمهور أحاديث الصحيحين متواترة المعنى ، وكفى بذلك حجة على فسق المرتب
والمشكك فيها والذى يريد من الناس أن يتبعوا غير سبيل المؤمنين من الروافض والجهمية
والخوارج وأعداء الاسلام

تقدم لنا ذكر ما جاء فى الكتاب والسنة والإجماع من ضرورة الأحاديث تبين
للقرآن وأنها الأصل الثانى من أصول الإسلام لقوله تعالى ﴿ ولقد من الله على المؤمنين إذ
بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياتنا ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ وقوله ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا
ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾ وقوله ﴿ هو الذى بعث
فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا
من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴾ ودعوة
الخليل ابراهيم لذريته المسلمة ﴿ وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ وقول الله تعالى لزوجات نبيه
أمهات المؤمنين ﴿ واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا
خبيرا ﴾ فما هى الحكمة المعطوفة على الكتاب ، وما هو التعليم الذى علمه النبى ﷺ للأميين
ولمن بعث فيهم ؟

وذكر الأحاديث فى ذلك والإجماع وهو سبيل المؤمنين وهو الصراط المستقيم الذى
أمرنا الله بسؤاله إياه أن يهدينا ه فى الفاتحة التى وجبت فى الصلاة ١٧ مرة كل يوم ﴿ اهدنا
الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾

والآن نقول لهذا المرتاب الشاك فى سنة رسول الله المشكك فيها : إن قال لك قائل
حدثنا عن تاريخ القرآن كيف نزل ، وكيف عمل به من نزل عليه وهو رسول الله ﷺ

وصحابته ؟ هل تخترع تاريخا لا واقع له ، أم تقدم السنة المحمدية تاريخا للقرآن والعمل به ، أم تقدم أكاذيب الشيعة والرافضة والجهمية تاريخا للقرآن والعمل به ، أم تقلد جولد زيهر فى مطاعنه على الاسلام وبنيه وأهله ؟

ثم إذا قيل لك : إن دساتير العالم والأمم وقوانينها الأساسية تضع لها القوة التنفيذية لوائح وتفسيرات للعمل بها وتطبيقها ، فأين لوائح العمل بالقرآن وتطبيقاته والعمل به ، وكيف عمل به ، وكيف تفهم قول الله تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ فأين هذا البيان للقرآن فى غير السنة المحمدية والأحاديث النبوية ؟ إن كان بقى عندك ذرة من حياء وإنصاف وعقل !

ظهر فى الهند قوم سموا أنفسهم القرآنيين الذين يرفضون الحديث والسنة وجاءوا بأوابد تضحك الثكالى وتبكى الناس رحمة لهم ، كتصوير الصلاة بقيام وسجود واحد وركوع بعده من قول الله ﴿ يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ﴾ ، ووجوب الصيام إلى العشاء لأنها أول الليل بزعمهم ، وقد قال الله تعالى ﴿ وأتموا الصيام إلى الليل ﴾ ولا نعرف كيف يحجون ، وليس فى القرآن المبيت بمزدلفة ولا رمى الجمرات بمنى ولا القران والإفراد والسعى والطواف وغيرها مما فصله الحديث وبينته السنة ، وقال ﷺ لأصحابه فى حجة الوداع « خذوا عنى مناسككم » وقال فى الصلاة « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وهل يستنجون أو يتركون أدبارهم ومذاكيرهم ملطخة بالغائط والبول ، فالاستنجاء من بيان الحديث والسنة ، بله الذبائح وحلال الأطعمة من حرامها وأحكام حل الأبضاع والفروج والنكاح وعشرة النساء وأحكام القضاء والشهادات والعتق وغيرها من تفاصيل أحكام الدين والشريعة ، ماذا يستعيضون عن السنة والحديث إلا بالهوس والجنون وضحك الناس عليهم !

إن كان أبو رية المرتاب فى سنة رسول الله ﷺ قد التحق بهذه الطائفة أو جعل نفسه داعيا لسخافاتهم وهرائهم فإنا نسأل الله الذى بيده قلوب عباده أن يهدينا وإياه سواء

السبيل ، سبيل المؤمنين المتبعين للكتاب والسنة وهدى سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة إنه سميع مجيب رؤوف رحيم

وذكر (ص ٦٩) عن شرح ألفيه العراقى أن البيهقى فى السنن والمعرفة والبغوى فى شرح السنة وغيرها يروون الحديث بألفاظهم وأسانيدهم ثم يعزونه إلى البخارى ومسلم مع اختلاف الألفاظ والمعانى ، فهم يريدون أصل الحديث لا عزو ألفاظه ، ومثّل لذلك بعزو النووى حديث « الأئمة من قريش » إلى الشيخين مع أن لفظ الصحيح « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان » قال : وبين اللفظين والمعنيين تفاوت عظيم كما ترى . اهـ

ولم يبين هذا التفاوت العظيم ، سواء كانت هذه دعواه أو دعوى من أثرها عنه

ونقول : إذا عرفت طريقة البيهقى والبغوى وهما من أئمة علماء الحديث فلا عيب فى ذلك ، فإذا قرأ قارىء بقراءة الجمهور قوله تعالى ﴿ فأزلّهما الشيطان فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ وقرأها قارىء آخر برواية حمزة ﴿ فأزالهما ﴾ الأولى من الزلل والدحض ، والثانية من الإزالة والنقل ، وكل من القراءتين قرآن منزل من عند الله تعالى ، فإذا شك مشكك أو متشكك فى هذه القراءات ، أو فى القرآن نفسه من أجل تنوعها ، قلنا له ما قاله الشاعر :

 وناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فانطح الصخرة برأسك أيها الوعل حتى يدمى رأسك وتعيا ، ولن تضير الصخرة ولن توهنها

كذلك يقال لهذا المرتاب : لا ضرر على السنة من تنوع اصطلاح أئمتها إذا عرفت هذه الأنواع ، والعراقى والنووى وغيرهما لم يتشككا فى الحديث والسنة من أجل هذه الواهيات التى تتعلق أنت بها للتشكيك فى الأصل الثانى من أصول الدين الاسلامى بسبب ما فى قلبك من المرض والغل على الحديث

وقوله (ص ٧٠) عن الحافظ ابن كثير فى كتابه « الباعث الحثيث » الذى تشرفتُ بتصحيحه عند طبعه وتحشيته : « ومنع الرواية بالمعنى طائفة آخرون من المحدّثين والفقهاء والأصوليين وشددوا فى ذلك آكد التشديد ، وكان ينبغى أن يكون هذا هو الواقع ، ولكن لم يتفق ذلك ، وذلك لأن الذى جرى عليه الأمر هو رواية الحديث بالمعنى ، وهو ما تجده فى جميع الكتب بلا استثناء » ه

فهلا تدبر المرتاب قول الحافظ ابن كثير « وكان ينبغى أن يكون هذا هو الواقع » بعد ذلك « لأن الذى جرى عليه الأمر هو رواية الحديث بالمعنى » الخ

فهلا تدبر قوله « وكان ينبغى » بدل كان يجب ، وقوله « الذى جرى عليه الأمر » أى من عهد الصحابة والتابعين وعمل خير القرون المشهود لهم بالخير والذين جعلهم الله خير أمة أخرجت للناس هو رواية الحديث — أى أحيانا — بالمعنى ، ولم يتشكك الحافظ وغيره من الأئمة فى الحديث لأجل ذلك ، ومن شذ عن هذا وشك فى الحديث والسنة من أجل رخصة الله قَدَرا فى روايته بالمعنى وترخيص رسول الله ﷺ فى ذلك ، من شك فى ذلك فقد اتبع غير سبيل المؤمنين ، ونتركه لوعيد الله ﴿ نولِّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ ، ﴿ ومن يَعشُ عن ذِكر الرحمن نقيِّض له شيطانا فهو له قرين . وإنهم ليصدُّونهم عن سبيل الله ويحسبون أنهم مهتدون . حتى إذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك بُعد المشرقين فبئس القرين . ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون ﴾ ، ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزُّهم أزًّا . فلا تعجل عليهم إنما نعدُّ لهم عدا ﴾ ، ﴿ قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدًّا ﴾ ، ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴾

قال (ص ٧٠ ــ ٧٥) :

ضرر رواية الحديث بالمعنى

طار المرتاب فرحا بما نقل الجزائرى عن البطليوسى من مقدمة كتاب (الانصاف فى التنبيه عَلَى أسباب أوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم) وتخيل أسبابا الكثير منها توليد خياله واختراع أوهامه كما سننبه على شىء من ذلك للاعتبار به فيما سواه

وغفلوا جميعا عما ذكر الله فى السبب الحقيقى للاختلاف الضار المذموم فى قول الله تعالى ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ وقوله ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بينهم ﴾

وقد أجاد شيخ الإسلام ابن تيمية فى أول كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) فبين أنواع الخلاف : الضار منه ، والمعذور أهله فيه . وأن الأول سببه الهوى والبغى واتباع الشهوات وما يجر من العداوة والبغضاء بين المختلفين . والثانى ما كان بسبب تفاوت الناس فى الفهم والعلم والاطلاع مع عدم الهوى والبغى والعدوان ، فارجع إلى هذا الكتاب النفيس تستفد منه علما وإيمانا وهدى إن شاء الله

ذكر البطليوسى ونقله عن الجزائرى أبو رية المرتاب فى سنة رسول الله ﷺ فى كتابه (ص ٧١) من أسباب (١) اشتراك الألفاظ واحتمالها للتأويلات الكثيرة ، (٢) الحقيقة والمجاز ، (٣) الإفراد والتركيب ، (٤) الخصوص والعموم . وفاتهم جميعا أن القرآن وحال المتكلم وحرصه على هداية الناس وبيانه البيان الوافى وبلاغه البلاغ المبين ، كل هذه أنوار وأضواء تدفع هذه الظلمات التى حاكت فى صدور المرتابين . قول الله تعالى ﴿ وأنزلنا الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ وقوله ﴿ إن عليك إلا البلاغ المبين ﴾ وقوله ﷺ

« تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك » فأى بيان وأى بلاغ مبين وأى بياض كالنهار يبقى مع هذه الشكوك فى الدين والظلمات التى يتلقفها أبو رية من اشتراك الألفاظ واحتمالها للتأويلات الكثيرة والحقيقة والمجاز والإفراد والتركيب والخصوص والعموم

على هذا الفهم المنكوس وسوء الظن فى بيان الرسول وبلاغه كان عدم بعثه خيراً على هذا من بعثه ، وكانت بعثته على زعمهم – أو لازم زعمهم – سببا فى ضلال الناس لاسببا فى هدايتهم ، فقبحا لآراء تؤدى بالناس إلى مثل هذه الظلمات من سوء الظن بالرسول وبيانه وبلاغه وحرصه على هداية الناس . فقول الله ﴿ فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ فأى هداية للناس يتبعونها مع هذه الشكوك وأسباب الاختلاف

ثم ذكر البطليوسى سادس الأسباب للاختلاف الرواية والنقل (ص ٧١) ثم وضحه بقوله : العلة الأولى فساد الاسناد ، قال : وهذه العلة هى أشهر العلل عند الناس ، حتى إن كثيراً منهم يتوهم أنه إذا صح الاسناد صح الحديث ، وليس كذلك فانه قد يتفق أن يكون رواة الحديث مشهورين بالعدالة معروفين بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليهم ولا مستراب بنقلهم ، ويعرض مع ذلك لأحاديثهم أعراض على وجوه شتى من غير قصد منهم إلى ذلك . والاسناد يعرض الفساد له من أوجه : منها الإرسال وعدم الاتصال ، ومنها أن يكون بعض رواته صاحب بدعة أو متهما بكذب وقلة ثقة أو مشهورا ببله وغفلة أو يكون متعصبا لبعض الصحابة منحرفا عن بعضهم ، فان كان مشهوراً بالتعصب ثم روى حديثا فى تفضيل من يتعصب له ولم يرد من غير طريقة ، لزم أن يستراب به . وذلك أن إفراط عصبية الانسان لمن يتعصب له وشدة محبته يحمله على افتعال الحديث ، وإن لم يفتعله بدّله وغير بعض حروفه . ومما يبعث على الاسترابة بنقل الناقل أن يعلم منه حرص على الدنيا وعلى الاتصال بالملوك ونيل المكانة والحظوة عندهم ، فان من كان بهذه الصفة لم يؤمن عليه التغيير والتبديل والافتعال للحديث والكذب حرصا على مكسب يحصل عليه اهـ

سقنا هذا الكلام بطوله لتتبين تهافته ونقض أوله لآخره وآخره لأوله من وجوه :

قوله صحة الإسناد لا يلزم منها صحة الحديث ، وتوضيحه لذلك بأنه قد يتفق أن يكون رواة الحديث مشهورين بالعدالة معروفين بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليهم ولا مستراب فى نقلهم ويعرض لأحاديثهم أعراض عَلَى وجوه شتى مثل لها بفساد الاسناد بأوجه : (١) الإرسال وعدم الاتصال (٢) كون بعض رواته صاحب بدعة أو متهما بكذب وقلة ثقة أو مشهوراً ببله وغفلة أو بتعصب لبعض الصحابة وانحراف عن بعض آخر منهم . فيقال للبطليوسى ومن سار فى طريقه : هل هؤلاء يعقلون ما يخرج من رءوسهم وتجرى به أقلامهم فيقولون بصحة الاسناد الذى من شرط صحته عدالة رواته واتصاله . ثم يقولون بعرض له الإرسال وعدم الإتصال مع صحته . ويقولون أن يكون رواة الحديث مشهورين بالعدالة معروفين بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليهم ، ثم يقولون بعد ذلك عنهم يكون بعضهم صاحب بدعة أو متهما فى كذب وقلة ثقة أو مشهوراً بغفلة أو تعصب لبعض الصحابة وانحراف عن بعضهم ، فكيف يكون المشهور بالعدالة المعروف بصحة الدين والأمانة غير المطعون عليه ، كيف يكون من هذا شأنه صاحب بدعة متهما بالكذب قليل الثقة به متعصبا لبعض الصحابة منحرفا عن بعضهم وأخيراً أبله مغفلا ، كيف يجتمع الضدّان يا أصحاب العقول : الشهرة بالعدالة معروفا بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليه ولا مستراب فى نقله ، ثم يكون هو بعينه صاحب بدعة متهما بالكذب وقلة الثقة والبله والغفلة والتعصب لبعض الصحابة ؟ إن استحالة اجتماع الأضداد مسلم به فى بداءة العقول والفطر ، اللهم إلا أن يقولوا : موصوف بالصفات الأولى من العدالة والأمانة والدين وعدم الريب فيهم عندكم أنتم يا أهل السنة وموصوف بضدها عندنا أهل التجهم والرفض والشك فى سنة رسول الله وأحاديثه ﷺ فحينئذ تفترق الطرق فليسلك من شاء سبيل المؤمنين وسلف هذه الأمة وخيارها من الصحابة والتابعين وليسلك من شاء غير سبيل المؤمنين أعداء الكتاب والسنة من الجهمية والرافضة والخوارج ،

وكيف يكون السند صحيحا فى المرسل ومن شرط الصحة عندهم الاتصال الذى ينافى الإرسال والانقطاع ، أين من يعقل ويفهم ؟

وإشارته (فى ص ٧٢) إلى كيد الفرس واليهود باظهار بعضهم للاسلام من غير رغبة فيه ثم أخذهم أنفسهم بالتعبد والتقشف ، فلما حمد الناس طريقتهم ولدوا الأحاديث والمقالات وفرقوا الناس فرقا . ه

هذا صحيح وقد حفظ الله الاسلام فى أصله الأول بالقرآن ، والثانى السنة والحديث ، من كيد هؤلاء الأعداء المنافقين وطفحت كتب الرجال والجرح والتعديل بفضحهم وبيان كذبهم وتمييز الثقات العدول المؤمنين من زيف هؤلاء الأعداء المنافقين ، ومن له أدنى اطلاع على كتب الجرح والتعديل — كميزان الاعتدال فى نقد الرجال للامام الذهبى وحواشيه المسماة لسان الميزان للحافظ ابن حجر وتهذيب الكمال للامام المزى وتهذيبه للحافظ ابن حجر بله تواريخ البخارى الثلاثة والضعفاء للعقيلى والضعفاء والمتروكين للنسائى والضعفاء والمجروحين لابن حبان والكامل لابن عدى وسواها والعلل لابن المدينى والعلل الكبير للامام الدارقطنى والعلل لابن أبى حاتم وغيرها — من اطلع على بعض هذه الكتب يعرف ما يسر الله لهذه الأمة من حفظ دينها وتمييز صحيحه من دخيله

وان كان صاحب الكلام يعرض بخيار الأمة من التابعين كالحسن البصرى وابن سيرين وسعيد بن جبير وسواهم من خيار التابعين ، وبالبخارى ومسلم والترمذى من أصحاب الدواوين الشهيرة فى السنة فلعنة الله عدد الحصا والرمال على من اتهم هؤلاء الأكابر أو ظن فيهم النفاق وعداوة الاسلام

وما ذكره (فى ص ٧٢) من تشدد عمر بن الخطاب فى الحديث وتوعده عليه فقد سبق بيان أن ذلك كان من قبيل التثبت فى الدين وزيادة الطمأنينة فيه ، ولذلك قبل رواية أصغر الصحابة فى حديث استئذان أبى موسى الأشعرى ، قبله من أبى سعيد

الخدرى ، واعتذر عن عدم بلوغه إياه بالصفق فى الأسواق والاشتغال بالتجارة لكسب الرزق ، وهو عذر مقبول لمن عمل بقول الله تعالى ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ وذكرنا اقتناعه بقول حسان : قد كنت أنشد فيه — فى المسجد — ورضيه من هو خير منك يعنى النبى ﷺ لما استشهد حسان بأبى هريرة ، ولم يشدد عمر عليهما ولم يتوعدهما ولا منعهما من التحديث بما لم يعرفه ، بل صدق أولئك جميعا واعتذر عما لم يعرف من الحديث ، شأن أهل الانصاف الباحثين عن الحق أينما كان

وقد أغنانا الله تعالى عما نقله أبو رية عن شبهه وزميله فى الشك فى سنة الرسول وبعض خبر الصحابة عن عمر بن الخطاب ، أعنى به نجم الدين الطوفى الحنبلى الرافضى الأشعرى الذى قال عن نفسه أو قيل فيه :

حنبلى أشعرى رافضى إنها إحدى الكبر

وراجع طعنه فى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ورد الحافظ ابن رجب عليه فى كتابه القيم جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، وراجع كذلك ترجمته فى الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر وغيرها من كتب التراجم

وقد مللت من نقل تناقضات البطليوسى وأريتك نموذجا من شكوك أبى رية فى الشريعة السمحة البيضاء التى ليلها كنهارها بشهادة رسول الله ﷺ وقول الله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون ﴾ ، وكذلك مللت الرد على سخافات شبيهه الطوفى الرافضى الأشعرى المتحنبل للحبوس المجبوسة على أهل الزوايا والربط الذى لم يخف بغضه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وحط عليه لمنعه من كتابة الحديث النبوى وهو مما يحمده عليه أبو رية ، فأيهما أقوم قيلا ؟ !

وأختم هذا الفصل بما بدأه به أبو رية (ص ٧٠) بقوله : لما كانت أحاديثه ﷺ قد جاء نقلها بالمعنى — كما بينا من قبل — وأنهم قد أباحوا لرواتها أن يزيدوا فيها ويختصروا منها وأن يقدموا ويؤخروا فى ألفاظها — بله ما سوغوه من قبول الملحون منها — لما كان

قد جرى على ذلك فقد نشأ من أثر ذلك كله — ولا جرم — وبخاصة بسبب نقل الحديث بالمعنى — ضرر عظيم . اهـ

ونقول لهذا المرتاب المشكك فى سنة رسول الله ﷺ وأحاديثه بهذه التشكيكات وأنهم قد أباحوا لرواتها بزعمك أن يزيدوا فيها ويختصروا منها وأن يقدموا ويؤخروا فى ألفاظها — بله ما سوغوه من قبول الملحون منها — نقول : أى تحريف للدين أبشع من هذا التحريف الذى زعمته فى أحاديث النبى ﷺ ، وأى فرق بين هذه الأمة التى قال الله فيها ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ . وبين من قال الله فيهم ﴿ ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا ﴾ فأى خير يبقى فى هذه الأمة اذا صح عنها تحريف أحاديث نبيها ﷺ بالزيادة والنقص والاختصار والتقديم والتأخير ؟ !

فهل نصدق الله ورسوله فى أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ؟ أو نصدق قول أبى رية أنها حرفت أحاديث نبيها بالزيادة والنقص والاختصار والتقديم والتأخير ؟ ﴿ قل أأنتم أعلم أم الله ، ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ، وما الله بغافل عما تعملون ﴾

إن الله الغيور على دينه لم يسكت للناس على ما هو أقل ضررا فى دينهم من تحريف لأحاديث نبيهم ﷺ بالزيادة والنقص والاختصار والتقديم والتأخير واللحن فيه ، فنبهم على ما هو دون ذلك بمراحل كقوله ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن ﴾ لمن جامع فى ليالى رمضان قبل أن يباح ، وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ وقال ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ وقال ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ وقال لنبيه ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ وقال له ﷺ ﴿ يا أيها النبى لم

تحرّم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم ﴾ وقال ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴾ الآيات وقال ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الخاسرين ﴾ وقال ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ أفينبه على مثل هذه الأمور من نبيه وأمته وينهاهم ثم يسكت لهم على تحريف أحاديث نبيه ﷺ بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير ورواية المعنى المتغير بتغير طبقات الرواة حتى يصير الأخير غير الأول ورواية الملحون ، ولا يعلم الله ما فى ذلك من الضرر بدينه ، ويعلمه فى القرن الرابع عشر أبو رية ويضع شكوكه فى أحاديث النبى ﷺ فيسميها أضواء على السنة مما يفيد أن عدم أحاديث الرسول كان خيراً من وجودها وأنها سببت أضرارا للناس فى دينهم علمها أبو رية ولم يعلمها الله ولا رسوله ولا خير القرون وسلف الأمة ومن سار على سبيلهم إلى يوم القيامة ﴿ قل أأنتم أعلم أم الله ﴾ ، « لا أحد أغير من الله » ، ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ ، ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فأى حفظ للذكر ولكتاب الله تعالى اذا تحرف بيانه من الحديث بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير واللحن

لقد قيل إن المرء مخبوء تحت لسانه ، وقيل من ألف فقد عرض عقله على الناس ، وأقول فقد عرض عقله ودينه على الناس ، وقد قال الله فى المنافقين لنبيه ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول ﴾ فعلق تعريف نبيه بهم بسيماهم بمشيئته وأكد معرفتهم بلحن القول من غير تعليق ، فإن لحن القول أدل على ما فى القلب عند أولى الألباب

مثلا ـ نقلُ أبى رية (ص ٥٢) عن الدكتور أحمد أمين عن رسالة الزيدى أو الرافضى قوله فى الصحابة إنهم كان يلعن بعضهم بعضا وإنهم لا فضل لهم على غيرهم إلا بمشاهدة النبى ، وإن ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم ، وإن العامة اتخذوهم أربابا كما نقلناه عنه فيما مضى ـ أدلُّ دليل على بغضه لخير هذه الأمة صحابة نبيه ﷺ الذين قال الله فيهم

فيهم ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾

وقول البطليوسى والطوفى ومن ارتضى قولهما دليل على شكهم فى بيان رسول الله ﷺ لدين الاسلام وبلاغه له البلاغ المبين ، ومن لازم قولهم أن عدم البعثة كان خيراً منها وأنها فرقت الناس فى دينهم الذى هو عصمة أمرهم ، بخلاف ما قال الله تعالى ﴿ وما اختلف فيه — فى الكتاب — إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ وقوله ﴿ إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا لستَ منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله ﴾ فبين الله تعالى أن اختلاف الناس فى كتاب الله ودينه سببه البغى والهوى ، وأن الله يهدى الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه

وتمثيل أبى رية (فى حاشية ٢ ص ٧٢) لمن كادوا للاسلام من الفرس واليهود باظهار التعبد والتقشف ليولدوا الأحاديث ، وتمثيله بكعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما ، فنبشر للمؤمنين من أهل القرآن والسنة أن كعبا ووهبا لم يرويا من أحاديث رسول الله ﷺ شيئا ، ولو رويا منها شيئا ماقبله علماء الحديث وعلماء الاسلام ، أما غيرهما فلم ندر من هو ، ولم يفصح به أبو رية ، فالله يعلم نيته وما جبن عن إظهاره من دخيلة نفسه ، هل يريد أمثال ابن سيرين والحسن البصرى وسعيد بن جبير ومن بعدهم من خيار الأمة ، فلعنة الله عدد الحصى والتراب على من أراد أمثال هؤلاء الأعلام بهذا اللمز والضغينة

وتعليقه (فى حاشية ١ ص ٧١) عن نقل الحديث من الصحف دون الشيوخ بقوله فيها « قد لا يصح أن يعد ذلك من علل الحديث ، فقد ذهب الفقهاء كافة الى أنه لا يتوقف العمل بالحديث على سماعه . وقال أبو إسحق الاسفرايني — الاجماع — على جواز النقل من

الكتب المتعمدة . وقال الطبرى — كأنه المحب الطبرى المكى ؟ — من وجد حديثا فى كتاب صحيح جاز له أن يرويه ويحتج به ، وكذلك قال العز بن عبد السلام »

وقول هؤلاء العلماء صحيح لا غبار عليه ، واشتراط السماع كان إلى أيام التدوين أما بعد تدوين السنة واشتهار هذه الدواوين واستفاضتها فى الأمة فاشتراط العمل بها على السماع سد لباب العمل بها وتضييع لنعمتها والانتفاع بها ، ومثل شهرة البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وغيرها تغنى عن الحاجة إلى سماعها وعن الحاجة إلى سند لها

نعم إن سماعها على الشيوخ العارفين بها لضبط ألفاظها وفهم معناها أمر حسن جداً ، أما أنه شرط فى العمل بها فلا

قال أبو رية (ص ٧٥ — ٧٦) :

ضرر الرواية بالمعنى من الناحية اللغوية والبلاغية

اللحن والخطأ فى الحديث

قال (ص ٧٦) : بعد أن أباحوا لأنفسهم رواية الحديث بالمعنى سوّغوا كذلك أن يأتى الحديث ملحونا ولا يرون بأسا فى إصلاح لحنه وخطئه . هـ

ونقول لهذا المرتاب الشكيك فى حديث رسول الله ﷺ : إن الذى أباح رواية الحديث بالمعنى هو رسول الله ﷺ وقد تقدم فى ذلك وجرى عليه خيار الصحابة والوحى ينزل باصلاح أخطائهم وسكت عليهم وجرى عليه جمهور التابعين وهم القرن الثانى من القرون الثلاثة الفاضلة ولهم الحظ الوافر من قوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ ، فهم ثانى طبقات هذه الأمة المشهود لها بالخير

ونقول لمن ينصف : هل حديث ينقل الينا بالمعنى خير أو عدمه واطراحه ، واتباع الهوى والشهوات والجهالات فى فهم القرآن والدين بأسلوب الجهمية والشيعة والخوارج ،

وقد سبق لنا ذكر شيء من سخف من رفضوا الحديث بدعوى الاكتفاء بالقرآن فى صلاة بقيام وسجدة واحدة ثم ركوع من قول الله تعالى لمريم ﴿ يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ﴾ ووضوء بمسح على القدم مكشوفة ولا يسبقه استنجاء فتبقى السورتان بلوثهما ، وزكاة بما يصور الوهم والانحلال ، وحج لا ندرى كيف تؤدى مناسكه ، وجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها وبالعكس ، وعدد من الزوجات لا حصر له ، ووطء فى الدبر ، وأكل الحيات والعقارب والسباع والذئاب ، وقطع اليد فى السرقة من الكتف فى فلس يسرق . وإمساك فى الصيام إلى ما بعد العشاء لأنه أول الليل و .. و .. و .. و .. من هذه السخافات والترهات ، أو انحلال من الدين ، وخروج على شرائعه

أما اللحن فى الحديث — إن وجد من لاحن — فقد هيأ الله له من يصلح لحنه وخطأه فأى ضرر فى ذلك والقرآن يخطىء قارىء فى قراءته فينتصب له من يصحح خطأه ولا ضرر على القرآن من ذلك

والخلاصة أن القرآن وبيان النبى ﷺ فى حديثه وسنته قد تكفل الله بحفظها حجة على خلقه إلى قرب قيام الساعة ولو كره المبطلون ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾

تساهلهم فيما يروى فى الفضائل — وضرر ذلك

قال تحت هذا العنوان فى (ص ٧٨) : قال ابن مهدى — يعنى عبد الرحمن تلميذ الامام مالك وشيخ الإمام أحمد رحمهم الله جميعا — : إذا روينا عن رسول الله ﷺ فى الحلال والحرام والأحكام شددنا فى الأسانيد وانتقدنا الرجال ، وإذا روينا فى الفضائل والثواب والعقاب تساهلنا وتسامحنا فى الرجال . أخرجه البيهقى فى المدخل

وأين لك رؤية المدخل ، فلعلك رأيت من نقل عن المدخل ، وهل المدخل صار حجة عندك وخلا من رواية المعنى والنقص والزيادة ؟

ونقول : جزاهم الله خير الجزاء على هذا النصح للأمة فى دينها ـ حلالها وحرامها ـ أما تساهلهم فى الفضائل والثواب والعقاب فمن باب حفظ العلم وعدم التفريط فى شىء مما يروى

ومن شاء تساهل تساهلهم ، ومن شاء تعنت وردّ ما تساهلوا فيه ، وإذا تبين قدر النقل ووضع كل شىء فى المرتبة اللائقة به فأى ضرر منه إلا عند من تعنت ؟ وقد قسم الحافظ ابن حجر فى مقدمة تقريب التهذيب له درجات الجرح والتعديل من أعلاها : ثقة ، ثقة ، ثقة حافظ ـ إلى أدناها : كذاب يضع الأحاديث . وفى أثنائها : صدوق يهم ، لا بأس به . والرجل الضعيف فى الرواية كالضعف فى البدن فهل نقتل ضعفاءنا أو نرحمهم ولا نطلب منهم فوق ما يحتملون ؟ إن قتل المرضى والضعفاء شريعة الوحوش فى الغابات ، أما الرحمة بهم فشريعة السماء والديانات ﴿ ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ﴾ ، ﴿ وفوق كل ذى علم عليم ﴾ ، ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ ، ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ وقد اشترطوا لرواية الضعيف شروطا : أن يدخل تحت أصل عام ، وأن لا يشتد ضعفه ، وأن لا يعتقد وقت التحديث به أن رسول الله قاله

والذى نعاه أبو شامة على أبى المعالى الجوينى وصاحبه أبى حامد الغزالى وغيرهما من شيوخ الفقه كثرة استدلالهم بالأحاديث الضعيفة على ما يذهبون اليه نصرة لقولهم وينقصون فى ألفاظ الحديث وتارة يزيدون فيها . يقول أبو رية (ص ٧٨) نقلا عن أبى شامة : وما أكثره فى كتب أبى المعالى (الجوينى) وصاحبه أبى حامد (الغزالى) . ونحن نوافق أبا شامة على ذلك ، ولا غبار على أهل الحديث وأئمته ولا ضير عليهم من ذلك

ومن نظر فى التلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير للحافظ ابن حجر يرى فيه من ذلك العجب العجاب من غرائب بعض الفقهاء وجهلهم بالأحاديث وغفلتهم فى عزو كثير من مناكيرهم إلى الصحيحين ، إلى كثير من هذه الجهالات

وأما نقله (ص ٧٧) إنكار ابن الانبارى لمنع أن فى خبر كاد وجعله حديث « كاد

النقر أن يكون كفراً » من تغيير الرواة فتنظر المسألة فى كتب النحو ، وينظر الحديث ومن خرجه ، وهذا على كل حال مما لا يمس جوهر الحديث ، وليت الملل الأخرى حافظت على نصوصها ببعض هذا القدر من الأمانة والصيانة

الوضع فى الحديث وأسبابه ص ٨٠ – ١٠٣

نقل أبو رية فى أسباب وضع الحديث وضرره فى الدين كلاما نفيسا عن أكابر العلماء كأبى بكر بن العربى المالكى ، وابن خلدون حكيم التاريخ ، وشيخ الاسلام ابن تيمية حكيم هذه الأمة فى المعقول والمنقول والدفاع عن الاسلام بقلمه وسيفه ، وابن الجوزى واضع كتاب الموضوعات ، وما وضع فى فضل معاوية والشام وفرية الأبدال والأوتاد والنجباء والقطب الغوث (ص ٩٤) وكلام الحافظ ابن حجر وتلميذه السخاوى والسيوطى وكلام خاتمة المحققين السيد رشيد رضا رحمه الله – وهو كلام نفيس جداً جداً نحمده على نقله ونوافق عليه كل الموافقة ، وليس دفاعنا عن صحيح الحديث دفاعا عن ضعيفه وسقيمه وشاذه ومنكره

وقوله (ص ٨٨) « كلمة صريحة حازمه لابن الجوزى » نقلها عن شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ٢١٩) ، وهى فى المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢٥٩

وقال أبو رية (ص ١٠٢ – ١٠٣) « الوضاع الصالحون » ونقل عن مقدمة صحيح مسلم وعن الحافظ ابن حجر والحاكم وغيرهم فى جريان الكذب على ألسنة بعضهم بغير قصد ، ومنهم من يضع الحديث حسبة للترغيب والترهيب ولأسباب واهية ، وذم العلماء لهم على ذلك ، وهو كلام حق لا غبار عليه ، وهو ترديد لأقوال أئمة الحديث الذين اختارهم الله لحفظ شريعته وسنة خاتم رسله ، ونقبله ونقول به . وقال مالك رحمه الله تعالى : أدركت كثيراً ممن لو ائتمن على بيت المال لكان أمينا ، ولكن لا يقبل منه الحديث عن رسوله الله ، يقال : ليس من أهله ، أو نحو هذا

وقال أبو رية (ص ١٠٤ – ص١٠٧) « الوضع بالإدراج » ونقل كلام الحافظ ابن حجر والقاسمى الناقل عن شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وتلميذه أبى الحسن على ابن عروة الحنبلى الدمشقى ، وكله كلام صحيح نفيس لا غبار عليه ، سوى ما أقحمه أبو رية فى أثناء كلامهم (ص ١٠٥) من قوله « ومنها أن تقوم الشواهد الصحيحة أو تجارب العلم الثابتة على بطلانه » وكأن هذا مقدمة تبرع بها من عنده لرد حديث أبى هريرة فى الذباب ، وسنتريث حتى يجىء الكلام عليه فى محله

قال (ص ١٠٨ – ص ١١٠) : « الاسرائيليات فى الحديث » وشكا منها ومن تسربها لآراء المسلمين فى التفسير وكتب التاريخ ونحوها ، ونوافق على الشكوى من ذلك وليتها أفردت وحدها لمن يريد

وقوله (ص ١١٠) اعتماداً عَلَى أقوال الدكتور أحمد أمين فى ضحى الاسلام إن عبد الله بن سلام من الصحابة وابن جريج (عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج) من التابعين فيمن غشُّوا الإسلام بما كانوا يروون عن التوراة والانجيل ، فيه ظلم بين لهذين الرجلين العظيمين ، أحدهما عبد الله بن سلام الصحابى الحبر وابن الحبر الذى خالف هواه وعصبية قومه وأسلم بين يدى الرسول ﷺ إسلاما صحيحا . ولقصة إسلامه طرافة وعبرة كما رواها أصحاب الصحاح والمسانيد ، وذلك أنه لما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة وسمع به عبد الله بن سلام وكان على نخلة يخرف منها ، فكاد يسقط فرحا ، فقالت له عمته : مالَكَ ؟ هل سمعت أن موسى بعث ؟ فقال لها : هو أخو موسى يا عمة (وفى التوراة : سأبعث لهم – أى لبنى إسماعيل – نبيا مثلك) ، فذهب إلى النبى ﷺ وسأله عن ثلاث مسائل قال إنه لا يعلمها إلا نبى مرسل : بم يشبه الولد أباه وبم يشبه أمه أو خاله ، وبم تذكر الأنثى فتأتى بذكر وبم تؤنث فتأتى بأنثى ، وما أول طعام أهل الجنة ؟ فأجابه ﷺ بما تراه فى الحديث الذى رواه الحافظ ابن كثير فى تفسير قوله تعالى ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه ﴾ فقال ﷺ جاءنى بهن (جواب الأسئلة) جبريل آنفا . قال جبريل ذاك عدو اليهود ، فنزلت الآية ﴿ قل من كان عدوا

لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ الآية

ثم تكلم عبد الله بن سلام بكلمتى الشهادتين : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ثم قال : يا رسول الله إن اليهود قوم بُهت (أى كذابون مفترون) وإنهم اذا علموا بإسلامى بهتونى . فاسألهم عنى قبل أن يعلموا بإسلامى . فجاء اليهود ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما تقولون فى عبد الله بن سلام ؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا ، وحبرنا وابن حبرنا . فقال : ما تقولون إن أسلم ؟ قالوا : حاشاه من ذلك . فخرج عبد الله بن سلام من وراء الباب الذى كان مختفيا وراءه وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فقالوا : شرنا وابن شرنا !

فهذا الحبر الخير ابن الحبر الخير كيف يعد فيمن غش الاسلام بإسرائيلياته يا أحمد أمين لو كنت تعرفه ؟ وأنت يا أبا رية كيف قلدت أحمد أمين فيما جهله وليس له به علم ؟ ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾

أما ابن جريج (عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج) فمن أئمة أتباع التابعين ، من محدثى أهل مكة وفقهائهم ، قبله علماء الاسلام محدثا صادقا ، ولا إسرائيليات عرفت عنه ، فلا عبرة بكما يا أحمد أمين ويا أبا رية فإن أولكما جاهل بمراتب الرواة ، والثانى صاحب هوى وجهالة ، يقبل كل غث وسمين فى تجريح رواة الحديث وحملة العلم النبوى وأئمة الاسلام

وحسبنا منكما ما سبق (ص ٤٧) من تجريح الصحابة وقبول كلام الرافضى الحضرى فى خيار خلق الله وصحابة نبيه ، وبهته إياهم أنهم يلعن بعضهم بعضا ، وما خص به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من الغمز عليه واستشهاده بأكاذيب رواة المثالب كابن الكلبى ولوط بن يحيى بن مخنف التالف الساقط الكذاب وأضرابهما . وشرب أبو رية من صديد عبد الحسين الرافضى فى بعض صحابة النبى ﷺ خير أمة أخرجت للناس الذين أشادت كتب السماء التوراة والانجيل والقرآن بفضلهم واختارهم الله لصحبة نبيه وحمل الدين عنه

وإبلاغها إلى مشارق الأرض ومغاربها

وقوله (ص ١١٠) : وأنى للصحابة أن يفطنوا لتمييز الصدق من الكذب من أقوالهم وهم من ناحية لا يعرفون العبرانية ... ومن ناحية أخرى كانوا أقل منهم دهاء وأضعف مكرا ، وبذلك راجت بينهم سوق هذه الأكاذيب وتلقى الصحابة ومن تبعهم كل ما يلقيه هؤلاء الدهاة بغير نقد ولا تمحيص معتبرين أنه صحيح لا ريب فيه . ﻫ

وهذا ظلم بين للصحابة الذين اختارهم الله لحمل دينه كتابا وسنة ، وقد عرفهم الله بحال هؤلاء الكتابيين بقوله تعالى ﴿ وإن منهم لفريقا يلوّون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ وأدبهم رسول الله ﷺ بهذا الأدب العالى من الانصاف والعدل بقوله ﷺ « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بما أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا واحد ونحن له مسلمون » فأى أدب وانصاف أعلى من هذا أو فوقه

أفبعد هذا يجيء أبو رية فيرميهم بالبلاهة والسذاجة وتصديق الكاذبين وقبول الغاشين ، وعندنا أن الصحابة كانوا يستمعون لحكايات كعب ووهب ونحوهما كما نقرأ الآن الروايات الخيالية والقصص المؤلفة مع علمنا أنها من وضع خيالات كاتبيها ، ولكن نقرؤها تفكها ودفعا لسآمة الجد وعبرة بخيال كاتبيها . فهكذا كان الصحابة يستمعون إلى إسرائيليات أهل الكتاب ليحمدوا الله تعالى عَلَى ما أنعم به عليهم من الكتاب والسنة ـ وبضدها تتبين الأشياء ، والضد يظهر حسنه الضد . وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا ولد فى الاسلام من لم يعرف الجاهلية . فمعرفة الجاهلية وتاريخ الأمم غثها وسمينها فيه بصيرة وعبرة لذوى الألباب . ﴿ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب . ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه ﴾

لقد ظلم أبو رية نفسه بوصف ابن عباس وأبى هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص أنهم تلاميذ كعب الأحبار ، فليس كل من سمع من أحد تلميذاً له ، فقد سمع عمر بن الخطاب من كعب فهل كان عمر تلميذاً لكعب ، وسمع النبى ﷺ من عبد الله بن سلام وغيره من اليهود الذين ينزلون إلى المدينة ، وسمع رسول الله ﷺ من تميم الدارى فهل يصح أن نقول إن رسول الله ﷺ صار تلميذاً لهؤلاء ؟ ياللعجب العجاب وأنت تستمع إلى مفتريات جولد زيهر وشبرنجر ودائرة المعارف الاسلامية فأنت تلميذ لهم جميعا ، فبئس التلميذ وبئس الأساتذة

وأما البشارات التى ذكرها كعب بأوصاف النبى ﷺ واتهمه أبو رية أنه حرفها واتهم عبد الله بن عمرو بن العاص أنه حمل صفة النبى ﷺ عن كعب وأن كعبا معلمه فيها ، فسواء علينا صح ظن أبى رية أو خاب فقد قال الله تعالى ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والأنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ وقال الله تعالى عن عيسى بن مريم ﴿ ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ﴾ ومما فى الانجيل : سأذهب ويأتيكم الفارقليط يعلمكم كل شىء ويوبخ العالم عَلَى خطيئته . وهذه اللفظة « فارقليط » هى الكلمة اليونانية القديمة بريكليوس وقد عربها جاحدو نبوة محمد بمعنى المخلص أو المعزى . وسأل الدكتور أحمد أمين المستشرق الايطالى نللينو عن معنى بريكليوس فى اللغة اليونانية القديمة قال : يقول الآباء القسس إن معناها المخلص أو المعزى . فقال الدكتور أحمد أمين : أنا أسأل مستشرقا حائزا للدكتوراه فى اليونانية القديمة لا أسأل قسيسا . فقال : معناها أحمد أو حامد أو نحوهما . وقال الله تعالى ﴿ وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴾ وقال ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾ ، ﴿ ويخرّون للاذقان يبكون ويقولون إن كان وعد ربنا لمفعولا ﴾

وذكر أبو رية (ص ١١١ ـ ١٢٤) تاريخ كعب ووهب بن منبه وما قيل فيهما وقتل عمر واتهام كعب بمؤامرة قتله وشيئا من أساطير كعب ووهب فى إرم ونحوها ـ ولا كلام لنا فى هذا كله سوى أن مؤامرة قتل عمر وهل كان لكعب يد فيها أو لا فنكل ذلك إلى حكومة علام الغيوب يوم القيامة ال‍ ، يقضى فيها قضاء لا معقب له . وقد أكرم الله أمير المؤمنين عمر بالشهادة فى بلد نبيه‍ دعا بذلك قبل حجته الأخيرة وفى فراغه من الحج كما رواه مالك ، وكما صدق الله نبو‍ نبيه حينما اهتز أحد وكان عليه ﷺ مع أبى بكر وعمر وعثمان فقال ﷺ « اثبت أُحُد ، ‍ عليك إلا نبى وصديق وشهيدان » ولو كان الموطأ قريبا منى لنقلت منه دعاء أمير المؤ‍ ‍ين عمر بن الخطاب بعد فراغه من الحج واضطجاعه على بردته ببطحاء مكة ودعائه بما دعا به . ولكنى أكتب هذا كله فى مستشفى الطائف بعيدا عن الكتب والمراجع

حديث الاستسقاء

دعوى تسرب الاسرائيليات إليه

عزا أبو رية (ص ١١٨) إلى التاريخ أن كعبا لم يدع الفرصة تفلت من غير أن يتخذ منها وسيلة ليرمى الاسلام بطعنة من طعناته ، فقال لعمر : إن بنى إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا ـ جدب عام الرمادة ـ استسقوا ببعض الأنبياء . فقال عمر : هذا عم رسول الله وصنو أبيه وسيد بنى هاشم العباس ، فمشى إليه ثم استسقوا الخ

وجعل توسل عمر بالعباس هوة من الشرك سقط فيها عمر ، وكذب عدو السنة أبو رية

والجواب (١) ما قيل : اكذب وأبعد شاهدك . فأى التواريخ جاء فيها ما ذكره عن كعب ؟

(٢) هذه تهمة فى أمير المؤمنين عمر أن يقبل فى دين الله خديعة كعب ، وتهمة فى الصحابة الذين سكتوا على ذلك والعهد بهم أن لا يسكتوا على مادون ذلك ، وكم لهم من

مراجعات لأبي بكر وعمر وعثمان ، فما بالهم سكتوا الآن

(٣) قول عمر : كنا إذا أجدبنا نستسقى بنبيك ، والآن نستسقى بعم نبيك دليل أنه فعل ذلك باجتهاده وبما سبق لا بغش كعب ، وهل كان كعب قد أسلم حينئذ وبلغ من الثقة به أن يشير على عمر فيقبل مشورته ويسكت الصحابة على ذلك ؟ يبحث عن ذلك فى التاريخ ، وسواء ثبت أن كعبا أسلم حينئذ أو لم يثبت لا يمكن أن نصدق أبا رية بأن عمر انخدع بغش كعب هو والصحابة المتوافرون حينئذ ، إلا اذا ألغينا عقولنا وصدقنا أبا رية فى بهته للصحابة ورميهم بالبلاهة والسذاجة ورمى بعضهم بالكذب

قوله (ص ١١٨) ومما لامراء فيه أن هذا اليهودى — يريد كعبا — قد أراد بقوله هذا أن يخدع عمر عن أول أساس للتوحيد الخالص ليزلقه إلى هوة التوسل الذى هو الشرك بعينه ، حتى إذا هوى فيها عمر وأثرت عنه بالعمل كان لها أثر بالغ لدى المسلمين جميعا فى العقيدة الاسلامية على مدى العصور . أقول : وحاشا لعمر أن يهوى فى هوة الشرك

ثم قال : لكن عمر وهو فى أفق من البصيرة بالدين والفقه فيه قد فطن لها ولم يقع فى الفخ الذى نصبه له هذا الخدعة ، فلم يستسق بأحد حتى بالنبى ﷺ ، ولم يزد على الاستغفار

بأى هذين الخبرين من هذا الألعبان نأخذ وأيهما نصدق ؟ قوله حتى إذا هوى فيها عمر وأثرت عنه بالعمل — يعنى التوسل — وقوله بعده بسطرين : ولكن عمر .... قد فطن لها ولم يقع فى الفخ الذي نصبه له هذا الخُدعة ، فلم يستسق بأحد حتى بالنبى ﷺ ولم يزد على الاستغفار . فهل هوى عمر فى هذه الهوة من الشرك والتوسل كما قال أبو رية (ص ١٤) أو لم يقع فى الفخ الذى نصبه له هذه الخدعة كما قال بعد ثلاثة أسطر (ص ١٧) والخبران إثبات ونفى فى صفحة واحدة بينهما ثلاثة أسطر أو سطران ، فهل يدرى هذا الرجل ما يجرى به قلمه وما يسطره سوادا فى بياض يهدم آخره أوله وينقض أوله آخره ؟

وأما دعواه أن عمر لم يزد على الاستغفار ولم يتوسل بأحد فيكذب تاريخه المبهم

المجهول حديثُ الصحيحين عن أنس فى الاستسقاء ، وما نقل عن ابن أبى الدنيا فى كتاب المطر وفى كتاب مجابى الدعوة ، وعن المغنى وعن الجاحظ فى معارضة حديث الصحيحين ، كمن يحجب ضوء الشمس بكفه أو يكسر صخرا صلداً بقضيب من قش أو زجاج أو يصارع فيلا ببعوضة أو يسابق فرسا جوادا بأعرج كسيح أو يرمى حصنا حصينا ببغض الطير والدجاج

وقوله (ص ١١٨) « إلى هوة التوسل الذى هو الشرك » إن دل على شىء فانما يدل على جهل طويل عريض عميق ، بالدين وبالتوسل ، صحيحــــه وفاسده ومشروعه من باطله

فالتوسل اتخاذ وسيلة إلى ما تريد ، والوسائل الدينية منها ما هو واجب شرعا كوسيلة الايمان والعمل الصالح إلى مرضاة الله ونيل السعادة فى الدنيا والآخرة وحب الرسول واتباعه ونشر دينه وشرعه وسنته

ومنها ما هو مباح أو مستحب كطلب الدعاء من المؤمنين الصالحين الأحياء الحاضرين معك

ومنها ما هو شرك أو سبب إلى الشرك كدعاء الأموات أو الغائبين والاستغاثة بهم وطلب شفاعتهم . كما أن من الوسائل القدرية الكونية ما هو وسيلة حقا إلى ما تريده من حاجاتك الدنيوية كالأدوية التى دلت تجارب الناس على نفعها فى علاج الأمراض ، وكالسعى فى الأرض والمشى فى مناكبها لجلب الرزق ، وكالأسباب المرتبطة بمسبباتها قدرا فى كثير من العلوم الطبيعية والكيماوية والصنائع والمخترعات التى قامت عليها حضارات الناس وتقدمهم فى علوم المعيشة والكسب والحرب وأمثالهــــا مما تقدمت به البشرية أشواطا بعيدة

ولعل أبا رية يريد من التوسل الشركى دعاء الأموات والاستغاثة بهم وبالغائبين ممن يعتقد فيهم سلطة غيبية وبركة معنوية ، ونحن معه فى هذا أنه شرك أو ذريعة إلى الشرك . وأما إن كان يُلحق بهذا النوع الشركى دعاء الأحياء الحاضرين بعضهم لبعض وطلب الدعاء

من الصالحين الأحياء الحاضرين فقد غلط غلطا فاحشا لرده ما جاء به الدين صريحا لا غبار عليه

فقد توسل الصحابة رضى الله عنهم بالنبى ﷺ فى حياته واستسقوا به واستسقى لهم وسقاهم الله بدعائه ، وفى ذلك يقول أبو طالب فى لاميته :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

وفى الحديث : اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف ، فمرت عليهم — على قريش — سنة أحصت عليهم كل شىء حتى أكلوا العلهز — الجلد أو الشعر المفتول بدم — وكان أحدهم ينظر إلى السماء فلا يرى إلا الدخان من شدة الجوع ، ونزل فى ذلك ﴿ فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب أليم ، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون . أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول كريم . فتولوا عنه وقالوا معلم مجنون ﴾ وجاء أبو سفيان إلى النبى ﷺ — وهو مشرك — وقال : يا محمد إنك بعثت بصلة الرحم ، وإن قومك أصابهم ما أصابهم . فدعا رسول الله ﷺ الله لهم ، فكشف الله ما بهم

وفى الحديث الآخر الذى رواه ابن عباس أن امرأة كانت تصرع فجاءت إلى النبى ﷺ وسألته أن يدعو لها ، فقال لها ﷺ : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله لك » قالت رضى الله عنها : بل أصبر ، فادع الله أن لا أنكشف ، فدعا لها ، فكانت رضى الله عنها إذا أصابتها النوبة جلست وشدت عليها ثيابها حتى تفيق

وحديث الأعمى الذى علمه النبى أن يقول : اللهم أتوجه بك إلى ربى ، فشفعه فىَّ وشفى من عماه . والحديث فى الترمذى وربما لا يؤمن به أبو رية وبعده من الاسرائيليات أو مما مسخته رواية المعنى بزعمه ، وحديث عمر لما أراد أن يعتمر وقول النبى ﷺ له « لا تنسنا من دعائك يا عمر »

وقول أم سليم للنبى ﷺ : خويدمك أنس فادع الله له ، فدعا له بطول العمر وكثرة

المال والولد والغفران ، قال أنس : فقد تحققت الأوليان طول العمر وكثرة المال والولد فان نخيل الناس كان يحمل فى السنة مرة واحدة ، وكان نخيلى يحمل فى السنة مرتين . وأخبرتنى بنتى فلانة أنه مات لى من ولدى وولد ولدى كذا وكذا ، وأنا أنتظر الثالثة — يعنى الغفران

ودعاء النبى ﷺ لابن عباس — إن كان بطلب من ابن عباس أو نافلة من النبى ﷺ له — : اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب . وطلب الأعرابى الذى دخل من باب المسجد والنبى ﷺ يخطب فقال : يارسول الله هلكت الكراع وانقطعت السبل ، فادع الله لأمتك فرفع ﷺ يديه إلى السماء ودعا ، فنشأت سحابة شامية من وراء سلع كالترس فاستدارت وأمطروا سبتا كاملا أى أسبوعا ، حتى إن الرجل القوى منهم كان يفكر كيف يصل إلى داره وكل من قدم المدينة حديث عهد بالحيا ، ثم جاء هذا الرجل فى الجمعة التالية ورسول الله يخطب — فقال : يا رسول الله انقطعت السبل و . . و . . أى من كثرة المطر ، فادع الله أن يكشفها عنا ، فدعا رسول الله ﷺ وقال « اللهم حوالينا ولا علينا » وكان كلما يشير بيده إلى السحاب يتمزق حتى أضحت المدينة كالجوبة الخ

والأحاديث فى ذلك كثيرة لا يحصيها نائم على سرير مرضه مثلى

ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض بطلب أو بغير طلب من التعاون على البر والتقوى ، وقد قال الله تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ وقال الله لنبيه ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين ﴾ وقال ﴿ فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ﴾

فاللهم لا تسلط أبا رية على ما صح من أحاديث رسول الله ، ولا تحببه فيجعلها إسرائيليات أو مسخا من رواية المعنى ، أو من وضع أعداء الاسلام الذين لم يفطن لعداوتهم له سواه من سلف الأمة وخير القرون ، وخذ بنواصينا إلى الحق والخير يامن بيدك قلوب عبادك آمين ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ وقلوب العباد بين إصبعين من أصابعك

ولو قرأ أبو رية رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية مثل (التوسل والوسيلة) و (الاستغاثة) و (زيارة القبور) له و (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) لتلميذه الإمام ابن القيم وما تفرع منها من كتب شيوخ الدعوة السلفية فى نجد ككتاب (التوحيد) للشيخ المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وشرحه لأحد أحفاده الشيخ عبد الرحمن بن حسن وغيرهما لاستفاد كثيراً عن أنواع التوسل مشروعه وممنوعه ، ولما تورط فى نسبة التوسل الشركى لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وحتى حديث المعراج المتفق على صحته لم يسلم من وساوس أبى رية ، فقد زعم (ص ١٢٣) أنه مما بثه كعب ووهب من الاسرائيليات بقوله : ولم يستطع أحد من الرسل جميعا غير موسى أن يفقه استحالة أداء الصلوات الخمسين على البشر ، فهو وحده الذى فطن لذلك وحمل محمدا ﷺ على أن يراجع ربه عشر مرات فى حديثه ، وخمس مرات فى حديث ثان ، وبضع مرات فى حديث ثالث . . . . وكأن الله سبحانه وتعالى لما فرض الصلوات على المسلمين كان لا يعلم مبلغ قوة احتمال عباده على أدائها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وكذلك لا يعلم محمد الذى اصطفاه للرسالة العامة إلى الناس كافة والله أعلم حيث يجعل رسالته إن كان من أرسل اليهم يستطيعون احتمال هذه العبادة حتى بصَّره موسى . هكذا ترى الاسرائيليات تنفذ إلى ديننا وتسرى فى معتقداتنا وتعمل عملها ولا تجد أحدا إلا قليلا — يعنى كأبى رية — أن يردها ، بل ترى وا أسفا من يصدّقها ويعتقدها من حشوية آخر الزمان الذين يتجرون بالدين لا يهمهم أن ينسب الجهل لخاتم النبيين . ه . ما أتعبت نفسى بنقله ، ليرى الناس فلسفة فيلسوف القرن الرابع عشر فى رد الأحاديث الصحيحة بدعوى أنها اسرائيليات تسربت الينا

وجوابه : (أولا) رحم الله حديث المعراج وأعاذه من وساوس أبى رية ، ولو ردت الأحاديث الصحاح بأمثال هذه الوساوس لما بقى له حديث واحد ، وهو ما يرمى اليه أبورية ومن قلدهم من أعداء السنة . وطريقة العلماء الراسخين فى مشكلات الأحاديث ومتشابه

الآيات أن يجتهدوا فى فهمها ، وإلا وكلوا علمها إلى الله تعالى قائلين ﴿ آمنا به كل من عند ربنا ﴾ . وهذا الحديث لا إشكال فيه ولله الحمد ، وما أبعده عن صحارى الاسرائيلية ومهالكها ومفاوزها ووهادها

(٢) قوله لا يعلم الله طاقة عباده واستطاعتهم بما يحملون من الصلاة وكذلك محمد خاتم رسله ، جهل منه بسنة الله تعالى فى شرعه وقدره فالله العليم الخبير اذا أراد شيئا هيأ له من الأسباب ما يبرزه عندها . مثلا عندما أراد شرع التيمم رحمة بعباده سبب ضياع عقد عائشة فى منزل ليس فيه ماء حتى شكى الصحابة ذلك إلى أبيها أبى بكر الصديق حتى ذهب يطعن فى خاصرتها ويقول : حبست الناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فما يمنعها من التحرك الا رأس رسول الله ﷺ على فخذها ، حتى نزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير : ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر ، وقال لها أبوها : إنك لمباركة يابنية

فهذا الله العليم الخبير بمصالح عباده شرع التيمم بسبب قصة عائشة . ومثلها كفارة الظهار بسبب ظهار زوج خولة بنت حكيم . وإباحة الجماع والرفث فى ليلة الصيام بسبب من وقع على أهله بعد العشاء أيام الحظر — وهكذا شفاعة من يشفع بعد إذن الله ورضاه عمن يشفع له انفاذا لما يريده الله من رحمة من يريد رحمته من المشفوع فيهم

ومثله قدراً عمارة الأرض بسبب خطيئة أبى البشر آدم وهبة الأولاد بعد الزواج والعشرة الزوجية . وهكذا تجد شرع الله وقدره يرتبطان بالأسباب والمسببات ليعلمنا الله تعالى ارتباط الأسباب بالمسببات وعدم انفكاكهما إلا لإعجاز أو خارق

والحديث يدل بمنطوقه ومعقوله عند من يعقل ببعده عن الشوائب الاسرائيلية ، ولولا ذلك لما جعل الله موسى الذى يحلف أتباعه بالذى فضل موسى على العالمين لما جعله فى السماء السادسة وجعل ابراهيم فوقه فى السابعة وعرج بمحمد إلى مستوى يسمع فيها صريف الأقلام فوق موسى بمراحل لا يعلمها إلا الله تعالى ، ولما جاء فيه أن موسى بعد ما فارقه رسول الله بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال : هذا — يعنى محمدا — غلام يأتى من بعدى يدخل من

امته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي . فأظهر الحديث موسى بمظهر الحاسد الباكي الآسف ، وإن أولنا العلماء بالغبطة والحسد المحمود . ولما أظهر الحديث بني إسرائيل بمظهر العجز عن أداء ركعتين أول النهار وآخره وهم بزعمهم شعب الله المختار ، فأين الاسرائيلية فيه يا من له عقل ودين وإنصاف ، وهو يشهد عليهم وعلى نبيهم هذه الشهادات ويفضل للمسلمين ونبيهم عليهم وعلى نبيهم ؟

إن كانت الرائحة الاسرائيلية فيه التي شمها هذا المزكوم هي مشورة موسى على محمد بالمراجعة في تخفيف الصلاة فليمح من كتاب الله تعالى وصحيح حديث نبيه ما جاء في فضائل موسى وبني إسرائيل ، فالقرآن مملوء بها ، وفضائل موسى في القرآن لا يتحملها هذا المختصر . ومن فضائل بني إسرائيل قوله تعالى ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ وقوله ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ﴾ وقوله ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تك في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ وقوله ﴿ وأنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيونَ الذين أسلموا للذين هادوا والأحبار والربانيون بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾

والآيات كثيرة في محاسن أنبيائهم والمؤمنين ، ومساوىء الضالين منهم والكافرين ، وحسنات أولئك وسيئات الآخرين ، فليس ما فيه شيء من حسناتهم من آية أو حديث يكون إسرائيليا كسبيا وهبيا . . . . يا أهل الانصاف . . . . والله يقول ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ ، ﴿ إن الله يأمر بالعدل والاحسان . . وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾

وفي الحديث « لا تفضلوني على موسى ، فاني أبعث من قبري فأجده باطشا عند

قوائم العرش فلا أدرى بعث قبلى أم جوزى بصعقة الطور » . فليعده أبو رية حديثا اسرائيليا مما تسرب من الاسرائيليات إلى ديننا الخ

وإنكار أبى رية لحديث تخفيف الصلوات الخمس من خمسين إلى خمس باشارة موسى على النبى ﷺ أن يراجع الله فى ذلك لأن الله يعلم ما قاله موسى وليس فى حاجة أن يعرف سبحانه ما تحتمله قوى عباده وما لا تحتمله الخ ما هذا معناه

وقد أجبته آنفا بأن الله يشرع أحكامه لأسباب تقتضى تشريعها ، وضربت له مثل الظهار ، ونسخ وجوب الصوم ليلا ، وغير ذلك بسبب ما أدى لتشريعها

وأزيد الآن أن الله سبحانه يعلم أن هرون أفصح من موسى ، ويصلح أن يكون رسولا ووزيراً وعضداً لأخيه موسى ، ولكنه أجرى شفاعة موسى عَلَى لسانه بقوله ﴿ وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى ، إنى أخاف أن يكذبون ﴾ وبقوله ﴿ واجعل لى وزيراً من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى ﴾

فهل كان الله تعالى وتقدس لا يعلم أن هرون أفصح من موسى وأنه يصلح أن يكون وزيرا وردءا له حتى أخبره موسى بذلك ، فلم لم يرسل هارون مع موسى قبل شفاعة موسى له بذلك ؟

اللهم إنا نبرأ إليك من رد نصوص الكتاب والسنة بمثل هذه الوساوس والهذيانات والسخافات فى رد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بالشبهات الداحضة والأفهام القاصرة والاعتراض على الله فى خلقه وشرعه وقدره.

حديث طعن الشيطان لكل بنى آدم إلا عيسى وأمه

لقد أساء أبو رية إلى نفسه وإلى العلم وظلم نفسه بطعنه (ص ١٤٤ ـ ١٤٨) فى حديث أبى هريرة فى الصحيح « كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبه حين يولد ، غير

عيسى بن مريم ، ذهب يطعن فطعن فى الحجاب » وفى رواية : سمعت رسول الله يقول « ما من ابن آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخا من مس الشيطان ، غير مريم وابنها » . وفى رواية ثالثة : « كل بنى آدم قد طعن الشيطان فيه حين يولد غير عيسى بن مريم وأمه ، جعل الله دون الطعنة حجابا فأصاب الحجاب ولم يصبها » وفى رواية عند مسلم « إلا نخسه الشيطان » و « إلا يستهل من نخسة الشيطان »

وبدأ كلامه على الحديث (ص ١٤٤) : ومن المسيحيات فى الحديث ما رواه البخارى عن أبى هريرة ، فذكره ، وتهكم بأبى هريرة (س ١٥) بقوله : وفقه هذا الحديث الذى سمعه الصحابى الجليل من الرسول أن الشيطان يطعن كل ابن آدم أو ينخسه إلا عيسى بن مريم وأمه ، وبذلك لم يسلم من طعن الشيطان أحد غيرهما من بنى آدم أجمعين ، حتى الرسل : نوح وابراهيم وموسى وغيرهم ، وخاتمهم محمد صلوات الله عليه وعلى جميع النبيين . فانظر واعجب . هـ

نظرنا فلم نعجب ، فقد قالوا : المزية لا تقتضى الأفضلية ، فاذا خص عيسى بالولادة من غير أب وبإحياء الموتى وتصوير هيئة الطير من الطين والنفخ فيها فتصير طيراً باذن الله ، ولم يجر ذلك لابراهيم ولا نوح ولا موسى ، لا يقتضى ذلك تكذيب هذه المزايا لعيسى واذا انشق البحر لموسى وانقلبت عصاه ثعبانا ويده بيضاء من غير سوء ، وانفجار الحجر عن اثنى عشر عينا وغير ذلك من آيات موسى ولم يجر ذلك لنوح وابراهيم وعيسى ومحمد فهل نكذب ذلك ؟

هل ترد الأحاديث الصحيحة والأخبار القرآنية بمثل هذا الخيال الفاسد ، والاستبعاد البارد ؟ ويكذّب الصحابى الحافظ الصادق أبو هريرة لهوس أبى رية الذى قلد فيه جولد زيهر ؟

اذا جاء فى التاريخ ذكر عدّاء يسابق الخيل بعدْوه مثل سلمة بن الأكوع ، أو امرأة حادة البصر ترى من بُعد ثلاثة أيام كزرقاء اليمامة ، أو محدَّث ملهم كعمر ، إلى أمثاله

كثيرة مما يختص الله به بعض عباده ، فيجىء مهووس كأبى رية يقول : لماذا اختص هؤلاء بذلك دون سواهم ، فنقرأ له قول الله تعالى ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ وقوله ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ﴾ وقوله ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة من أمرهم سبحان الله وتعالى عما يشركون ﴾ ولما قال الملائكة لله سبحانه حين قال لهم ﴿ انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾ ، والله لم يجعل أبا رية ولا من هو خير من أبى رية مستشارا له يعدل فى خلق الله تعالى بهواه وعقله الفاسد ورأيه الكاسد

وطعن صاحب الكشاف كما نقل أبو رية آخر (ص ١٤٥) فى حديث طعن الشيطان وتوقفه فى صحته ليس لهذا الطعن والتوقف فيه قيمة ، فليس صاحب الكشاف من علماء الحديث ، وحسبه أن يبين بلاغة القرآن فى كشافه ، ويدس تحت كل حرف منه بدعة الاعتزال ، ومجانبة السنة وطريق السلف

ونقله عن الشيخ محمد عبده (آخر ص ١٤٧) فى حديث مريم وعيسى وحديث إسلام شيطان النبى ﷺ وحديث إزالة حظ الشيطان من قلبه ﷺ أنها أخبار آحاد ظنية من رواية الآحاد لا يؤخذ فيها بزعمه فى عالم الغيب ، والايمان بالغيب من قسم العقائد ، شنشنة نعرفها من أخزم ، ولوثة لاثتها فيه مادية القرن الثامن عشر والتاسع عشر التى تثقف بها ، ولو عاش الشيخ محمد عبده إلى القرن العشرين لرأى مادية القرن التاسع عشر وما قبله وقد صارت هشيما تذروه الرياح ، ولانفتح له باب الروحانية وتصديق الرسل والديانات على مصراعيه على يد أكابر العلماء وأساطين العلم التجريبى أمثال جينز الفلكى الطبيعى فى كتابه (العالم المستور) وغيره من أكابر العلماء الطبيعيين ككتاب الانسان لايقوم وحده الذى سمى العلم يدعو إلى الإيمان لرئيس أكاديمية نيويورك

لقد حدثنى المرحوم الشيخ عبد القادر التلمسانى التاجر الشهير بمصر وجدة قال :

رفعت للشيخ محمد عبده على يد شريكنا السيوفى باشا سؤالا وانتظرت جوابه أسبوعين أو أكثر ، ثم قلت للسيوفى باشا : أعرض على سماحة المفتى جواب سؤالى ، ورفعته اليه ، فطلب منى مصدر الجواب ومستقاه ، فقدمت له كراريس من كتاب (موافقة العقل والنقل) لشيخ الاسلام ابن تيمية و (التسعينية) له وكانا لم يطبعا حينئذ ، فبات الشيخ محمد عبده رحمه الله وهو يقرأ هذين الكتابين كراريس بعد كراريس ، وقال : هذا كلام لم نر مثله ، أو نحو هذا

وذكر لنا شيخنا المرحوم السيد رشيد رضا عن شيخه الشيخ محمد عبده أنه لم يهتد للسنة والعمل بها إلا فى آخر حياته . وحسبنا من الشيخ محمد عبده مدافعا عن الاسلام حكيما فيلسوفا غيورا على الدين جملة لا تفصيلا

أما تقليده فى رد صحيح الأحاديث فليس مما نقبله منه بعد معرفتنا لما يحسن من دين الاسلام كرده على مسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا ، وكرده البديع على فرح أنطون فى مجلة الجامعة فى الرسالة المسماة الاسلام والنصرانية

وشك أبى رية فى حديث نزول عيسى بن مريم (حاشية ص ١٤٥) لأنه جاء خبر عودته فى الانجيل هو من الفهم المقلوب ، فإذا جاء حديث أو قرآن بما جاء منه فى التوراة أو الانجيل أيكون ذلك شكاً فيه أو تقوية له ؟ والرسل يصدق بعضهم بعضا ، فعيسى يقول ﴿ ومصدقا لما بين يدى من التوراة ﴾ وقوله ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ﴾ وفى الحديث « نحن معاشر الأنبياء أولاد عَلات ، ديننا واحد والشرائع شتى » ولو رددنا من الدين ما لا يعجب أبا رية وأمثاله من الجهلاء المعجبين بآرائهم الفجة لأصبح الدين مهلهلا ممزقا رقعا لا تستر عقيدة ولا تدفىء من باطل ، ولأصبح دينا ملفقا يقبل منه أهل الأهواء ما يوافق هواهم ويردون منه ما لا يهوون ، وكفى بدين ممزق مخرق أمثال هذا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون

ومن العجائب والعجائب جمة أن يعيب أبو رية فى كتابه على الصحابة فى سماعهم

من مُسلمى أهل الكتاب ككعب ووهب وعبد الله بن سلام وتميم الدارى وأمثالهم ، وقد أسلموا وقبل الصحابة ظواهرهم ، ويسمى أبو رية أبا هريرة وابن عباس وعبد الله بن عمرو ابن العاص تلامذة لكعب لسماعهم بعض كلامه فى غير الدين ، ثم يجىء أبو رية (فى ص ١٤٨) فيأمرنا بالرجوع إلى كتب أعداء الاسلام من المستشرقين مثل جولد زيهر اليهودى المستشرق ومن على شاكلته فون كريمر وأمثالها وشبرنجر وأصحاب دائرة المعارف الاسلامية ، وقد رجعنا إلى كتاب العقائد الاسلامية وكتاب مذاهب المسلمين فى التفسير لليهودى المستشرق جولد زيهر فاذا هو فى كتابه الأول العقائد الاسلامية يكذب نبى الاسلام صراحة ويصفه بالصرع والهستيريا وسرقة إصحاح صموئيل أو أشعيا أو غيره — من أسفار العهد القديم ويقولها قرآنا فى سورة البلد وغيرها . ويذهب فى كتابه الثانى مذاهب المسلمين فى التفسير فيجعل القراءات المنزلة من السماء فى الأحرف السبعة من اختراع القراء حسبما سمح لهم فهمهم فى الخط العربى البدائى غير المنقط ، أفهؤلاء موضع الثقة عند أبى رية فيحيلنا عليهم لنعرف الاسرائيليات والمسيحيات فى الاسلام . وقد جعل أحدهم جولد زيهر القرآن اسرائيليا سرقه محمد من إصحاح فلان من العهد القديم ، يحيلنا على هؤلاء الأعداء لله ولرسوله وللاسلام والمسلمين فى الدين ويعيب على بعض الصحابة سماعهم من مسلمة أهل الكتاب فى غير الدين ، لاتهامه لهؤلاء المسلمين من أهل الكتاب بالغش والخديعة للاسلام والنفاق فيه ، ويأمرنا بالرجوع إلى هؤلاء الأعداء غير المتقنين فنقبل كلامهم فيما شرقوا به من دين الاسلام .

ولكن لا بأس فقد عرفنا من أين استقى أبو رية شكوكه فى الاسلام وفى أصله الثانى حديث رسول الله ، واذا كان لنا أن نشبه أبا رية فى تقليده لأعداء الاسلام شبهناه بالقرد الذى ذبح نفسه عندما قلد من أجرى السكين بظهرها على رقبته فأخذ القرد السكين وأجراها بحدها على رقبته ، أو نشبهه بذلك الابن الذى أراد أبوه الطبيب أن يمرّنه معه على الطب فذهب به معه إلى أحد المرضى وجس الطبيب الأب نبض المريض وقال : لعلك أكلت لحم حمام ؟ قال المريض نعم ، فسأل الابن أباه كيف عرفت أن المريض أكل لحم حمام

قال : بانتفاخ النبض فى عروقه ووجود ريش الحمام فى قمامة منزله . فذهب الابن يوما إلى مريض آخر وجس نبضه وقال : لعلك أكلت لحم حمار ، فضحك منه الناس ! ولما رجع إلى أبيه وأخبره الخبر قال له أبوه : كيف عرفت أنه أكل لحم حمار ؟ قال لأنى رأيت نبضه سريعا منتفخا ورأيت برذعة حمار معلقة فى الدهليز فعرفت أنهم ذبحوا الحمار وأطعموا المريض منه ، فضحك منه أبوه وعلم أن الكحل فى العينين ليس كالكحل .

وهكذا أراد أبو رية أن يتشبه بالنقاد الباحثين فرجع كالغراب الذى فقد مشيته ولم يحسن مشية القطا . وهذا كانه دليل واضح على صحة الاسلام وصحة أصوله من الكتاب والسنة ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ﴾

وذكر (ص ١٤٨) كثرة الأحاديث وتوجع من ذلك ، ونقول له ماقال الأول :

وعيرها الواشون أنى أحبها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارُها

اذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

أبو هريرة (ص ١٥١ — ١٩٧)

يحسن بنا فى هذا المقام أن نقول ما علمنا الله سبحانه أن نقوله ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا فى الايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ ، ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾

وفى الأثر من حديث جابر « اذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليُظهره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد »

وقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : أمروا أن يستغفروا لهم ، فسبوهم !

وقيل : لما أراد الله دوام الحسنات لهؤلاء الأكابر قيض لهم من يسبهم ليبقى أجرهم متصلا بعد موتهم

وقال الأول :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

قدم أبو رية فى ترجمة أبى هريرة (ص ١٥١) مقدمة مفادها : لو كانت أحاديث رسول الله كلها من الدين العام — كالقرآن — لا يقوم إلا عليها ولا يؤاخذ إلا منها . . . لكان أكثر الصحابة رواية لها أعلاهم درجة فى الدين الخ ، وقال : ولكنا نجد الأمر على ما بدا فى كتب الحديث المعروفة — قد جرى على خلاف ذلك . وضرب مثلا بالخلفاء الراشدين وبالعشرة المبشرين بالجنة الذين قالوا إنه ﷺ قد مات وهو عنهم راض ، فانهم مقلون فى الحديث حتى أن بعضهم لم يرو عن الرسول حديثا واحدا اه

وعلى هذا فليس للحديث قيمة فى الدين على رأيه ولا حاجة اليه ، وليتعبد المتعبد بالقرآن بما شاء له هواه وما تخيله خياله : صلاة بقيام وسجود واحد قبل ركوع ، ووضوء بلا استنجاء ، بل تبقى المخارج ملوثة بالغائط والبول ، والا فاين فى القرآن الاستنجاء وأين أنواع الحلال والحرام من الأطعمة والألبسة والفروج وأحكام القضاء والشهادات والعتق والكتابة والتدبير الخ

ونقول لأبى رية : إن القرآن لم يحفظه من الصحابة إلا قلة قليلة ليس منها الخلفاء الراشدون ولا العشرة المبشرة بالجنة ، وحافظوه قليل يعدون على الأصابع ، والصحابة يزيدون على مائة ألف ، فهل هذا مما يقلل من قيمة القرآن وأنه لا حاجة فى الدين اليه كما زعمت فى الحديث ؟

فأى ضرر على الحديث إذا اشتغل خالد بن الوليد بالفتوح الاسلامية ومنازلة الأقران فشغله ذلك عن القعود فى حلقة من حلقات الحديث فى المسجد النبوى أو غيره

من المساجد ، مع احترامه للحديث وقبوله ممن يحدث به من الصادقين ، وحبه للحديث النبوى وأسفه على ما فاته منه

وكذلك أبو بكر رضى الله عنه الذى خرج يوم مبايعته بالخلافة ليكتسب لعياله ، حتى رده الصحابة وفرضوا له فى بيت المال ، وقضى خلافته فى حرب المرتدين وردهم إلى حظيرة الاسلام .

ومثله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى قال : لو ضاعت سخلة بالعراق لعددت نفسى مسئولا عنها . وقد اعتذر عن حديث الاستئذان الذى رواه وعمل به أبو موسى أنه شغله عن ذلك الصفق فى الأسواق ، يعنى الاشتغال بطلب الرزق بالتجارة

هل يتصور أبو رية أن رئيس جمهورية فرنسا أو إيطاليا أو الولايات المتحدة أو مستشار ألمانيا الغربية إذا لم يحط أحدهم علما بما يعلمه أحد طلبة كلية الطب أو أحد طلبة كلية العلوم أو أحد طلبة كلية الهندسة بله أساتذة هذه الكليات ، إذا تصور ذلك فهل يقول إن علوم الطب والطبيعيات والكيمياويات والهندسة لا لزوم لها فى الهيئة الاجتماعية ولا جدوى لها فى الحياة المدنية لأنها لا يعلمها هؤلاء الرؤساء ؟ يقول الله تعالى فى سورة الرعد ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال ﴾

وفى حديث أبى موسى رضى الله عنه مرفوعا « مثل ما بعثنى الله به من الحق والهدى كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها أطايب أمسكت الماء فأنبتت العشب والكلأ ، وكان منها قيعان أمسكت الماء فشرب الناس ورووا ، وكان منها أجادب لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فهذا مثل ما بعثنى الله به ومثل من لم يرفع بذلك رأسا »

ونأسف لأبى رية أن كان من القسم الثالث الذى لم يرفع رأسا بما بعث الله به نبيه من الحق والهدى ، بل انحدر الى دركة من صد عن سبيل الله واتبع أعداء الاسلام .

جولد زيهر وفون كريمر وأمثالها ، وكل ميسر لما خلق له . ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ ، ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ﴾ ، ﴿ قال اخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ ، ﴿ قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴾

اسم أبي هريرة ونشأته ص ١٥٢ — ١٥٣

لم يعرف اسم أبي هريرة ولا نشأته فكان ذلك جرحا فيه عند أبي رية ، لأنه يريد أن يخرج له بطاقة شخصية باسم أبيه كأنه مجرم متهم من أبي رية باشتغاله بحديث رسول الله ﷺ الذي يزكم منه أنف أبي رية ، وفي المثل : لم يجدوا للورد عيبا فقالوا له : يا أحمر الخدين

واشتهر أبو بكر بكنيته ، وكثير من الناس لا يعرف هل اسمه عثمان أو غيره ، وأنا من هذا الكثير ، فهل يضر هذا أبا بكر الصديق وقد طلعت كنيته مع الشمس وسارت معها شرقا وغربا

يهمز أبو رية أبا هريرة بأنه عاش فقيرا ، وخدم في لقمة عيشه ، ونزل الصفّة منزل فقراء المهاجرين ، وأنه لازم رسول الله ﷺ أو صحبه عَلَى ملء بطنه . فيالعيوب أبي هريرة عند أبي رية ! لماذا لم يخلق غنيا ؟ ولماذا يخدم بلقمة عيشه ؟ ولماذا يأكل طعام رسوله ﷺ بدعوته اليه ؟ اللهم إن كانت هذه عيوبَ رواة حديث رسول الله ﷺ كما ذكر ذلك أبو رية فليس في الدنيا شيء عنده إلا معيب إلا طبقة الارستقراطيين والمترفين وأعداء الرسل والاصلاح في كل زمان الذين قال الله فيهم ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ ، ﴿ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم ﴾

قال أبو رية (ص ١٥٥) : وسجل التاريخ أنه كان أكولا نهما يَطْعم كل يوم في بيت

النبي ﷺ أو فى بيت أحد أصحابه ، حتى كان بعضهم يفر منه

ونسأل الكذاب للفترى أى تاريخ هذا ؟ أتاريخ عبد الحسين الرافضى ؟ أو تاريخ جولد زيهر اليهودى عدو الله ورسوله والناس جميعا ؟ أم تاريخ ابن الكلبي فى مثالب الصحابة ، أو تاريخ لوط بن مخنف الكذاب . وهب أنه تاريخ صحيح ، فهل فى كتب الجرح والتعديل أن الأكل والنهم تردُّ به رواية صاحبه ؟ قرأت مقدمة تقريب التهذيب فى مراتب الجرح والتعديل التى أعلاها : ثقة حافظ ، ثقة إمام ، ثقة ثقة وآخرها : كذاب ، وضاع ، يضع الحديث الخ ، وليس فى واحدة منها النّهم وكثرة الأكل ! ولو أن شاهدا عدلا شهد أمام قاض وجرحه للشهود عليه بأنه أكول نهم لضحك القاضى والحاضرون من حماقة الجارح ، وقالوا له ليس نهمه وكثرة أكله يجرحه فى عدالته

ومثل ذلك استقراؤه الرجل الآيةَ لينقلب به ويطعمه ، قال أبو رية : ومن أجل ذلك كان جعفر هذا فى رأى أبى هريرة أفضل الصحابة جميعا ، فقدمه على أبى بكر وعمر وعلى وعثمان وغيرهم من كبار الصحابة رضى الله عنهم جميعا

يا للظلم وللفرية ، من أجل قول أبى هريرة فى جعفر « انه كان خير الناس للمساكين » يكون هذا تفضيلا له على أبى بكر وعمر وعلى وعثمان . هكذا يذهب الهوى والحقد بأهله حتى تقيح قلوبهم على أهل الخير . وقول أبى هريرة فى جعفر بن أبى طالب ذى الجناحين وحبيب للمساكين : ما احتذى النعال ولا ركب للطايا ولا وطىء التراب بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبى طالب ، اعتراف بالمعروف واقرار بالجميل ، ومثله قول رسول الله ﷺ « خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده »

وحسبنا فى فضل أبى هريرة أن يلمزه الثعالبى الشيعى فى كتابة ثمار القلوب كما نقله راوية مثالب الصحابة أبو رية فى كتابه (ص ١٥٦) ، والرافضى عبد الحسين (آخر ص ١٥٧) ، ولأبى هريرة أن يتمثل بقول الأول :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

أو بقول الآخر :

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى   فلا زال غضبانا علىّ لئامها

والعجب من أبى رية الذى يشكك فى كتب الحديث ودواوين الاسلام بمثل هذه النقول عن الثعالبى وعبد الحسين الرافضى ويصدق أمثال هذه الموقوذات للنتنة الجائفة

وهب أن أبا هريرة كان يحب المضيرة كما ذكره هذا الكذاب المفترى ويأكلها مع معاوية ويصلى مع على ، فأى جرح فى هذا أيها المبغض لخيار خلق الله تعالى أن يحب حلوى معاوية ويصلى مع على ويهرب عن قتال المسلمين فيطهر سيفه من دمائهم كما فعل عبد الله بن عمر وأمثاله

ولقد عاب المشركون على رسول الله أكله الطعام ﴿ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ﴾ وأجاب الله عنه بقوله ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين . ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين ﴾

ألا فليعلم أبو رية أنا نحب الحلوى وكل طعام طيب ، ونحب من يطعمنا ذلك ونثنى عليه ، سواء كان معاوية أو غيره ، ونقول لمبغض أبى هريرة ومعاوية رضى الله عنهما وغيرهما من خيار صحابة النبى ﷺ ما قاله الأول :

وناطح صخرة يوما ليوهنها   فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وأما تعليقه على حديث « زر غبا تزدد حبا » فى آخر (ص ١٥٨) فحسابه على الله فيما تقول على أبى هريرة . وأنعم بأبى هريرة أن يكون موضع عناية رسول الله وتأديبه ، ويا ليت لنا مثل هذا التأديب ولو بالضرب ونكون قد رأينا رسول الله ﷺ مؤدبا لنا أو رأينا من رآه من خيار أصحابه

وذكر مزاحه وهذره (ص ١٦١) وعد منها حمله لحزمة حطب وهو يومئذ خليفة

لمروان على إمارة المدينة ، ويقول : أوسع الطريق للأمير يا ابن مالك

ما أعذب هذا المزاح ، وإن دميت منه عينا أبى رية . نائب الأمير يحمل حزمة الحطب ولا ينسى أنه أمير . اللهم أكثر من أمثال هؤلاء الأمراء المزاحين ، وإن اغتاظ منهم عبيد الارستقراطية من أمثال أبى رية وأشباهه من الرافضة كعبد الحسين وأمثاله.

وقال أبو رية (ص ١٦١) : ولقد كانوا يتهكمون بروايته ويتندرون عليها . وذكر قول القرشى لأبى هريرة هل سمعت رسول الله يقول فى حلتى هذه شيئا ؟ فذكر له قوله ﷺ أن رجلا ممن كان قبلكم بينما هو يتبختر فى حلة إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة . وبدا لأبى رية أن الرجل لم يكن مستفهما وإنما كان متهكما اذ لم يقل له انك تحفظ أحاديث ، وإنما قال تكثر الحديث عن رسول الله ﷺ . قال أبو رية : وسياق الحكاية يدل على أنه كان يهزأ به ويسخر منه !

ونقول لأبى رية : إن هذا منك ظن وافتراء على السائل ، حملك عليه بغض أصحاب رسول الله ﷺ الذى ورثته عن أعدائهم من الرافضة وأمثال جولد زيهر اليهودى عدو الاسلام ، والحساب يوم القيامة بين يدى الله تعالى ، فهل تأدبت يا أبا رية بقول الله تعالى ﴿ ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم ان السمعَ والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ﴾ ولكن الهوى واتباع غير سبيل المؤمنين يأتى بالعجب العجاب.

سجلُ سيئات أبى هريرة عند أبى رية أنه كان أكولا نهما يحب مضيرة معاوية ويصلى وراء على ويهرب فى الجبل عند قتال أهل الصفين ، يعنى أنه كان محتاطا لدينه فلم تغره حلاوة مضيرة معاوية بالصلاة وراءه بل يحتاط لدينه ويصلى وراء على ، واحتاط لدينه فلم يلوث سيفه بدماء المسلمين المتقاتلين من أصحاب على أو معاوية ، فأكرِمْ بذلك الاحتياط للدين . وكان مزّاحاً يحمل حزمة الحطب وهو نائب أمير المدينة ويقول : أوسعوا الطريق للأمير . فلله دره من متواضع لم تطغه نيابة الإمارة ولم تبطره النعمة ، ولا نسى التواضع لله تعالى ولم يتكبر على إخوانه المؤمنين.

أما حب الأكل فكلنا نحب الأكل ، وأنبياء الله صلوات الله عليهم لم يجعلهم الله جسدا لا يأكلون الطعام . وليت شعرى هل سلم أبو رية من تهمة الجوع ؟ والأكل اللهم إنا نحب الطعام الطيب وليقل فينا أبو رية ما شاء

وليت شعرى ما يقول أبو رية فى خروج النبى ﷺ من داره من الجوع ، وخروج أبى بكر وعمر لمثل ذلك ، وذهابهم إلى بستان أبى التيهان وقطعه الرطب والبسر ووضعه أمامهم قال لتتخيروا من رطبه وبسره وذهب يستعذب لهم الماء ، ونهاه رسول الله ﷺ أن لا يذبح حاملا ولا ذات در ، وشوى لهم فأكلوا وشربوا وقال لهم رسول الله : هذا هو النعيم الذى تسألون عنه ، إشارة إلى قوله تعالى ﴿ ولتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ وأقسم على ذلك

كثرة أحاديث أبى هريرة ص ١٦٢

قبل أن نخوض فى الموضوع نعرض لما ذكر أبو رية (فى ص ٣٠) عن وعيد عمر لكعب إذا لم يترك الحديث ليلحقنه بأرض القردة ، وذكر هنا (ص ١٦٣) أن هذا الوعيد قاله عمر رضي الله عنه لأبى هريرة ، فأى الخبرين نصدق ما فى (ص ٣٠) أو ما فى (ص ١٦٣) ؟ وهل الوعيد بالنفى إلى أرض القردة لكعب أو لأبى هريرة ؟

وقديما قيل « إذا كنت كذوبا فكن ذكورا » ولكن أبا رية كذوب وغير ذكور (وقد روى أن هذا فى أبى هريرة وعزاه إلى البداية والنهاية وليس بصحيح) ولا تنس ما نسب لعمر (ص ١١٨) من السقوط فى هوة شرك التوسل بالعباس ونفيه عنه بعد ثلاثة أسطر (ص ١٧) أن عمر لم يقع فى الفخ الذى نصبه له هذا اليهودى

فقل لى بربك هل لأبى رية ذاكرة تعى النفى والاثبات لشىء واحد فى صفحة واحدة وبين النفى والاثبات ثلاثة أسطر ، نفى وإثبات لشىء واحد فى شخص واحد فى آن واحد ، أم هو عمى البصيرة جزاء من يقع فى خيار الخلق وسلف الأمة وسلك غير سبيل المؤمنين أن يضل الله سعيه فلا يدرى ما يثبت مما نفاه ولا ما ينفى مما أثبته ، ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾

ونقل (ص ١٦٢) عن ابن حزم أن مسند بقى بن مخلد قد احتوى من حديث أبى هريرة على ٥٣٧٤ حديثا روى البخارى منها ٤٦٦ حديثا . فأنعم وأكرم بالامام أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد حافظ الأندلس وإمامها وفخرها ، وبالبخارى فخر المشرقين حفظا وجلالة قدر ، وبأبى محمد بن حزم إمام أهل الظاهر بالأندلس وصاحب المصنفات الممتعة النافعة ، فمن الناس غيرهم ؟ أبو رية حثالة القرن الرابع عشر الذى جاء يتشبه بأعداء الاسلام من أشباه جولد زيهر ؟

قال أبو رية (ص ١٦٣) : أفزعت كثرة رواية أبى هريرة عمر بن الخطاب فضربه بالدرة وقال له : أكثرتَ يا أبا هريرة من الرواية وأحرِ بك أن تكون كاذبا على رسول الله ﷺ ، ثم هدده وأوعده إن لم يترك الحديث عن رسول الله ﷺ فانه ينفيه إلى بلاده . ه

والجواب : أين السند لهذه الفرية ؟ قال ابن المبـــارك : لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء

ثانيا ـ سلمنا أن لهذا الكلام أصلا ولو فى سراب بقيعة ، وإن كان لقصة عمر مع أبى هريرة ظل من الخيال والوهم فلعمر رضى الله عنه سياسته وأسلوبه فى الاصلاح ، واجتهاداته التى يترحم عليه من أجلها ولا يقلد فيها جميعا بلا استثناء ، فقد نهى عن المتعة والقِران فى الحج ليكثر زوار بيت الله الحرام ، وقد جاء الكتاب والسنة الصحيحة بمشروعيتها ، وأبى للجنب أن يتيمم ولو لم يجد الماء شهرا ، وأبى أن تكتب الصحيفة التى طلب رسول الله ﷺ كتابتها فى مرض موته وقال : إن رسول الله ﷺ هجر من شدة المرض ، وقال ابن عباس : إن المصيبة كل المصيبة فيما منع رسول الله ﷺ من كتابة ما كان يريد أن يكتب ، ولا نقول بقول ابن عباس إن فى ذلك مصيبة ولا شبه مصيبة ، إنما كانت تأكيداً لما سبق منه ﷺ مراراً لأمثالها ، ومنها وقف سواد العراق وحرمان فاتحيه من أسهمهم منه حفظا لمن يأتى بعد ذلك من ضعفاء المسلمين ، ومنها

إنكاره على حسان إنشاده الشعر فى المسجد النبوى وسكت لما استشهد حسان بأبى هريرة أنه كان ينشده فى المسجد وفيه من هو خير من عمر – يعنى رسول الله ﷺ – ومنها حديث أبى موسى فى الاستئذان واستغربه عمر حتى أيد أبا موسى فيه أبو سعيد الخدرى واعتذار عمر بأنه ألهاه الصفق فى الأسواق يعنى كسب المعيشة ، ومنها تضارب اجتهاداته فى ميراث الجد مع الإخوة

فلعمر اجتهاده ، وظنه فى أبى هريرة وفزعه من كثرة رواياته ، وللمسلمين جميعا أن يصدقوا أبا هريرة ويخالفوا عمر كما خالفوه فى كثير من اجتهاداته اتباعا لما ثبت فى السنة الصحيحة ، وحسبنا منه مصلحا كبيراً وسياسيا عظيما وعزا للاسلام باسلامه وخلافته ونصحا لله ولرسوله وللخليفة أبى بكر وإن شرق بريقه مبغضوه من الرافضة . ورضى الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . ونقول لأبى رية : هل تقبل حديث غير أبى هريرة فتهون المصيبة ، أم تردّ الجميع فتعظم مصيبة المسلمين بك وبترّهاتك ؟

نقل الأستاذ أبو رية (ص ١٦٣) عن ابن عساكر عن السائب بن يزيد تهديد عمر لأبى هريرة – إن لم يترك الحديث عن رسول الله ﷺ – أن يلحقه بأرض دوس أو بأرض القردة . والعجب من أبى رية يريد جرح أبى هريرة بما ينقل من تاريخ ابن عساكر ، فهل يعرف أن تاريخ ابن عساكر وتاريخ الخطيب وأمثالها عش الموضوعات ، فهل تهدم حصونا مشيدة برميها ببيض العصافير والدجاج ، أو هو الجهل والهوى مجتمعين فى نقاد الأحاديث فى القرن الرابع عشر أبى رية ومتهم الصادقين من رواة الحديث وحملة العلم النبوى رضى الله عنهم وأرضاهم ونفعنا بعلومهم ورواياتهم

وقول السيد رشيد رضا رحمه الله (كما نقله أبو رية ص ١٦٣) لو طال عُمْر عمر حتى مات أبو هريرة لما وصلت الينا تلك الكثرة الكثيرة ، فنقول لهما معا : اختيار الله لدينه الذى أكمله لنا وارتضاه لنا بإطالة عمر أبى هريرة بعد موت عمر حتى روى لنا هذه الأحاديث الكثيرة خيرٌ لدين الله وأبين لشريعته وسننه

ونحمد الله تعالى مع السيد رشيد رحمه الله على أن مشكلات أحاديث أبي هريرة رضى الله عنه — إن كان فيها مشكل — لا يتوقف على شيء منها اثبات أصل من أصول الدين ، ووجود مشكلات عند بعض الناس فى أحاديث أبى هريرة لا يضيرها ، فقد استشكل بعض الناس شيئا من القرآن وتشابه عليهم ، ولن يضيره شيء من ذلك ، فقد قال الله تعالى ﴿ هو الذى أنزل الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾

ودعواه على أبى هريرة (ص ١٦٤) تسويغ كثرة أحاديثه بأنه ما دام لا يحل حراما ولا يحرم حلالا فانه لا بأس من أن يروى متأيدا بأحاديث رفعها النبى ﷺ من رواية الطبرانى فى الكبير مرفوعا « اذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس » وحديث « من حدث حديثا هو لله عز وجل رضا فأنا قلته وإن لم أكن قلته » نقله عن ابن عساكر فى تاريخه — وفى الأحكام لابن حزم مرفوعا « اذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به ، حدثت به أو لم أحدث » و « إذا بلغكم عنى حديث يحسن بى أن أقوله فأنا قلته ، وإذا بلغكم عنى حديث لا يحسن أن أقوله فليس منى ولم أقله » أبأمثال هذه المنخنقات والموقوذات الميتات الجائفة النتنة تجرح أبا هريرة وتشكك فى دواوين السنة أيها الضال الجاهل المفترى ، فالله حسيبك ولا حول ولا قوة إلا بالله

رميه لأبى هريرة بالتدليس ص ١٦٤ — ١٦٥

وتدليس أبى هريرة عندهم أن كثيراً من أحاديثه سمعه من كبار الصحابة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم فيقول : قال رسول الله ﷺ ثقة بمن حدثه من أكابر الصحابة قبل الفتنة وظهور الكذب ، كما قال ابن سيرين : كانوا لا يسألون عن الاسناد قبل الفتنة ، فلما وقعت الفتنة قالوا : هاتوا اذكروا لنا سندكم أو من حدثكم . فأى عيب على أبى هريرة اذا وثق بمثل أبى بكر وعمر وأمثالهما فى الحديث عن رسول الله ﷺ فحدث عنها عما حدثناه من غير ذكر لهما

هذا أبو رية يعيب على أبى هريرة ثقته بمن وثق به من الصحابة فحدث عنهم ، وأبو رية يذكر عن تاريخ ابن عساكر وعن الطبرانى فى الكبير وهو لم يرهما بعينه وإنما ينقل عمن نقل عنهما ، ثم يأتى بعد ذلك يعيب على أبى هريرة ثقته بكبار الصحابة ويذمه بذلك ، فهل قرأ أبو رية آية ﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴾ الآية

نقل (ص ١٦٥) عن مسلم بن الحجاج عن بشر بن سعيد قوله : لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ويحدثنا عن كعب الأحبار ثم يقوم ، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب وحديث كعب عن رسول الله . وفى رواية : يجعل ما قاله كعب عن رسول الله وما قاله رسول الله عن كعب ، فاتقوا الله وتحفظوا فى الحديث . اهـ

وأى ذنب على أبى هريرة فى أن يحدِّث بالصواب فيخلط سامعه فيما حدث به ، هل يحمل وزر غيره عليه والله يقول ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ ، أم ذنبه أنه حدث عن كعب مع ذكره أنه عن كعب ، أم هو الاتهام بالزور والبتهان وتطويل الكتاب بهذه الترهات والاتهامات الباطلة ؟

ساق أبو رية هذه القصة عن مسلم جرحا فى أبى هريره ، ولو كانت جرحا يا أهل الانصاف لما روى مسلم عن أبى هريرة هو وغيره حديثا واحداً ، أما ومرويّات الأئمة مالك والثورى وابن عيينة وأحمد والبخارى ومسلم طافحة بأحاديث أبى هريرة ثقة به وإيمانا بصدق حديثه فليضرب أبو رية رأسه فى صخور الجبال

اول راوية اتهم فى الاسلام ص ١٦٦

نقل أبو رية عن ابن قتيبة فى كتابه مختلف الحديث أن أبا هريرة لما أتى من الرواية عنه ﷺ ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة الصحابة والسابقين الأولين اتهموه وأنكروا عليه وقالوا : كيف سمعت هذا وحدك ، ومن سمعه معك ؟ وكانت عائشة أشدهم عليه لتطاول

الأيام بها وبه. وممن اتهم أبا هريرة بالكذب عمر وعثمان وعلى، وبذلك كان كما قال النابغة مصطفى صادق الرافعى: أول راوية اتهم فى الاسلام ه (ص ١٦٦). أنا لا أثق بنقل أبى رية عن ابن قتيبة[1] فانه موتور من أبى هريرة بما ورث عن أشباهه من الرافضة بغض رواة الحديث النبوى، والمتهم كأبى رية إذا ثبت عليه الكذب - كما سيأتى فى تحريفه النقل عن ابن كثير - لايقبل نقله، ولو صح أن ابن قتيبة قال إن الصحابة السابقين الأولين اتهموه، وأن عمر اتهم أبا هريرة بالكذب، لو صح أن ابن قتيبة قال ذلك لكذبنا ابن قتيبة ومن قلده كأبى رية والرافعى، فتكذيب هؤلاء أصوب وأهون من تكذيب صحابى جليل كأبى هريرة حفظ الله به على الاسلام ما حفظه من أحاديث نبيه

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه   فالكل أعداء له وخصوم

ونريد بحاسديه أبا رية وأمثاله، لا جلة الصحابة فقد برأهم الله من الحسد

أما دخوله بين أبى هريرة وبين عائشة (آخر ص ١٦٦، وأول ص ١٦٧ ثم ص ١٦٨) وقول أبى رية عن أبى هريرة: وردّه عليها لما أنكرت عليه ردا لا أدب فيه فى زعم أبى رية ولا وقار بأنه شغلها عنه ﷺ المرآة والمكحلة، وفى رواية ما كانت تشغلنى عنه المكحلة والخضاب ولكن أرى ذلك شغلك. ثم عاد أبو رية فزعم أن أبا

---

(١) اطلع أحد الافاضل على هذه الفقرة فكتب ما يأتى:

عبارة ابن قتيبة (١ : ٢٧) فى سياق مقالات النظّام:

« وذكر (النظام) أبا هريرة فقال: أكذبه عمر وعثمان وعلى وعائشة ... »

ثم قال ابن قتيبة ص ٤٨:

« واما طعنه على أبى هريرة بتكذيب عمر وعثمان وعلى وعائشة له فان ابا هريرة صحب رسول الله ﷺ فلما أتى من الرواية عنه ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة أصحابه ... اتهموه وانكروا عليه .... فلما أخبرهم أبو هريرة بأنه كان ألزمهم لرسول الله ﷺ أمسكوا عنه »

فزاعم التكذيب هو النظام

هريرة عاد فشهد بأنها أعلم منه ، وأن المرآة والمكحلة لم يشغلاها ، ذلك أنه لما روى حديث « من أصبح جنبا فلا صوم له » أنكرت عليه عائشة هذا الحديث فقالت : إن رسول الله كان يدركه الفجر وهو جنب من غير احتلام فيغتسل ويصوم ، وبعث اليه بأن لا يحدث بهذا الحديث عن رسول الله ، فلم يسعه إزاء ذلك إلا الإذعان والاستخذاء وقال : إنها أعلم منى ، وأنا لم أسمعه من النبي وإنما سمعته من الفضل بن العباس ، فاستشهد ميتا ، وأوهم الناس أنه سمع الحديث من رسول الله ﷺ ، كما قال ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث . هـ

ويقال لأبي رية : أنت هو قليل الأدب والوقار والاحترام لأصحاب رسول الله ﷺ كما تقدم عنك ص ٦٢ ، فقليل الأدب والوقار هو أبو رية ، وضغنه على الصحابة ومنهم أبو هريرة وحقده عليهم يفيض من قلبه ويسيل على قلمه ، فقد ورث ذلك عن أعداء الاسلام جولد زيهر والرافضة والزيدى بل الرافضى ، ويتناقض ولا يحس بتناقضه . وقد سبق لنا بيان شيء من ضغنه على أصحاب رسول الله ﷺ فى ص ٦٢ ، ولو صدر هذا عن دعاة الديانات الأخرى ومبشريها لكان كثيراً ، فكيف بصدوره عن منسوب إلى الاسلام . وقد نقل فى حاشيته ص ١٦٧ أن القصة عن اختلاف الحديث للشافعى — ولعل أبا رية لم يره — أن أبا هريرة يقول : من أصبح جنبا أفطر ذلك اليوم ، فقد قال ذلك أبو هريرة ولم يعزه للنبى ﷺ ، واعتذر أنه سمع ذلك من الفضل بن عباس لحسن الظن به وقال بقوله

ثم يأتى بعد ذلك أبو رية مبغض الصحابة ومنهم أبو هريرة فيزعم زورا وبهتانا على أبي هريرة أنه عزا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، وأنه استشهد ميتا هو الفضل بن عباس

فانظر كيف يحمل بغض الصحابة أبا رية من على افترائه عليهم . والقصة كما نقلها أبو رية من اختلاف الحديث للشافعى وهى كذلك فى موطأ الامام مالك أن أبا هريرة وثق برأى للفضل بن عباس فأفتى به ثم تبين له من أعلم الناس بحال رسول الله فى مثله

هذه المسألة من أحكام الجنابة والصوم والغسل بعد الفجر ، فرجع اليه واعترف به ، وليس فى ذلك إلا الاذعان للحق من أهله ، وليس فيه استخذاء أيها الوقح السفيه . فالمسألة كثيرة الوقوع ، يفتى الصحابى برأى عن اجتهاد ثم تبلغه السنة فينقاد لها ويرجع عن رأيه واجتهاده ولا ذل هناك ولا استخذاء إلا عند السفهاء أعداء رسول الله ﷺ وأصحابه ، إن أبا هريرة لم يوهم الناس أنه سمع ذلك من رسول الله ﷺ كما زعمته عليه فى هذه الدعوى ، وأنت متهم فى النقل ، فقد جربنا غشك فيه عندما نقلت عن ابن كثير فيما حدث به أبو هريرة فى سد يأجوج ومأجوج ، واتهمت أبا هريرة بأن ابن كثير اتهم أبا هريرة أنه حدث به عن رسول الله ، وإنما سمعه من كعب ، ورجعنا إلى ابن كثير وإذا هو ينسب الوهم فيه إلى من سمع أبا هريرة لا إلى ابى هريرة كما سيأتى ذلك مفصلا فى موضعه

وكذلك نقلك (ص ١٦٨) عن على رضى الله عنه أنه كان سىء الرأى فى أبى هريرة وقال عنه إنه أكذب الناس ، أو قال : أكذب الأحياء عَلَى رسول الله ﷺ لأبو هريرة ، كذب مفضوح أخذته عن عبد الحسين وأمثاله من الرافضة مبغضى أصحاب رسول الله ﷺ وقلنا سابقا فى المتن « أكذب وأبعد شاهدك » وكيف ساغ لعلى أن يسكت على أكذب الناس على رسول الله ؟ أما كان له حبس أو تعزير أو قتل أو صلب أكذب الناس على رسول الله ﷺ ؟

وقد أثبت الجرح والتعديل والتاريخ الصحيح أن غلاة الشيعة الذين يتشيعون لعلى هم الذين أفسدوا علم علىّ بمفترياتهم عليه ، وعلماء الحديث لا يقبلون عن على إلا ما رواه ثقات أصحاب ابن مسعود الأسود وطبقته

وقول أبى هريرة « حدثنى خليلى » يعنى النبى ﷺ لا تكون شجى إلا فى حلق الرافضة وغلاه الشيعة ممن يبغضون أبا هريرة والصحابة وبالتالى يبغضون نبى الاسلام ومن يحبه

وحديث غسل اليدين اذا استيقظ النائم فانه لا يدرى أين باتت يده لا يضره توقف عائشة فيه إن صح عنها هذا التوقف من غير طريق الكذابين الذين يقلدهم أبو رية

ولا عذر لعائشة في مهراسها فيمكنها أن تغترف منه باناء صغير أو إداوة ولا يخالف نهى رسول الله ﷺ

والدعوى على الزبير (آخر ص ١٦٨) أنه لما سمع أحاديث أبي هريرة قال صدق وكذب ، من نوع أمثالها من المفتريات ، وتراجع لذلك البداية والنهاية (ص ١٠٩ ج ٨) فأبو رية غير مأمون في النقل ولا برىء من تحريف الكلم عن مواضعه كساداته من اليهود أمثال جولد زيهر ، وسيأتيك مثال لذلك في موضعه حينما نقل به مايظنه شاهدا في جرح ابي هريرة ، وعمى عما هو عليه أن الغالط ممن سمع من أبي هريرة

ونقله عن مختلف الحديث عن أبي حسان الاعرج عن عائشة قولها عن أبي هريرة إنه كذب في حديث إنما الطيرة في المراة والدابة والدار (اول ص ١٦٩) يراجع مختلف الحديث في ذلك ، فان صح النقل عنه فيكون مثل حديث من الأحاديث التي توقفت فيها عائشة ، مثل حديث عذاب الميت بالبكاء عليه وحديث أهل قليب بدر « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يجيبون » وحديث قطع الصلاة بالمرأة والكلب والحمار وأمثالها ، نصدقها رضى الله عنها فيما روت ونخالفها فيما ردت من أحاديث الثقات رضى الله عنها ونقول ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ وسيجتمعون يوم القيامة على الصراط على قنطرة الصفا ويصفى ما بينهم من خصومة ويدخلون الجنة إخوانا على سرر متقابلين

ونقول للمرتاب في سنة رسول الله ﷺ : إذا محونا أحاديث أبي هريرة من دواوين الاسلام فهل تقبل أنت أحاديث غيره كأمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة والخلفاء الراشدين وأكابر الصحابة ـ إن قبلت أحاديث هؤلاء هان الخطب في شكك في أحاديث أبي هريرة ولم ينقص من الدين شيء كثير ، وإن كان الكل عندك سواء فأبعدك الله عن دين الإسلام وعن سبيل المؤمنين ، وألحقك بأعدائه جولد زيهر واضرابه

وحديث « من غسل ميتا فليغتسل ، ومن حمله فليتوضأ » إن كان انكره ابن مسعود

وقال فيه قولا شديداً كما زعم أبو رية (ص ١٦٩) فقد قبله العلماء وترضوا على ابن مسعود الذى عاش يرى تطبيق الكفين بين الركبتين عند الركوع ويقف إماما صفا واحدا بين مأمومين وصحت السنة بخلاف عمله فى التطبيق ووقوفه صفا مع مأمومين ، وأخذ العلماء بحديث الغسل من غسل الميت والوضوء من حمله وجوبا أو استحبابا ولم يعتبروا إنكار ابن مسعود له إن صح هذا الانكار عذرا فى مخالفة الحديث ، كذلك حديث الاضطجاع بين ركعتى الفجر وصلاة الفجر أخذ به العلماء ، منهم من أوجبه كابن حزم وأبطل صلاة من لم يعمل به ، ومنهم من استحبه لحديث عائشة : ان كنت مستيقظة حدثنى وإن كنت نائمة اضطجع حتى يؤذن المؤذن ، ولا ضير على أبى هريرة فى روايته لحديث رواه فأدّاه كما سمعه وإن استغربه بعض ، على أن لفظ الأمر بالاضجاع استنكره ابن القيم من رواية عبد الواحد بن زياد البصرى فبرئ منهم أبو هريرة ، وأما أبو حنيفة فلو لم يستشهد به أبو رية فى المنكرين على أحاديث أبى هريرة لكان خيراً لأبى رية ولأبى حنيفة نفسه ورحم الله من رأى عيبا فستره ، ولكنا سنضطر لذكر شىء عن أبى حنيفة ما دام قد زج به أبو رية فيمن أنكر على أحاديث أبى هريرة (آخر ص ١٦٩ وأول ص ١٧٠) فلا بد لنا من كلمة عابرة فى ذلك ليظهر الحق من الباطل :

(أولا) قَبِل حديث أبى هريرة من الأئمة مالكٌ والثورى وابن عيينة والحادان ابن زيد وابن سلمة وأحمد بن حنبل والشافعى والبخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى فمن بعدهم من علماء الحديث ، فمن الناس بعدهم ؟ ومن أبو حنيفة بجانب هؤلاء الأئمة بمجموعهم وهو لم يدرك شأوهم فى هذا ، وحسبنا فى أبى حنيفة قول صاحبه ابن المبارك : كان يتيما فى الحديث . وقول مالك فيه : رأىُ أبى حنيفة الداء العضال . وقول الثورى أو غيره فيمن استشهد بأبى حنيفة : أحلتنى على غير ملىء

وتاريخ الخطيب البغدادى استوفى كلام الناس فى أبى حنيفة قدحا ومدحا ، ورجح قول جارحيه ، وأشار الحافظ ابن عبد البر فى كتابه الانتقاء إلى شىء من ذلك

ومن لطيف ما يروى عن أبى حنيفة فى رد حديث « البيعان بالخيار مالم يتفرقا » قال : أرأيت ان كانا فى سفينة ، أرأيت ان كانا فى سجن ، أرأيت أرأيت من أمثال الترهات التى لا ترد بها الأحاديث . وقال ابن عمر لمن روى له حديثا فقال : أرأيت ان كان كذا ؟ اعتذارا لعدم العمل بالحديث ، فقال له ابن عمر : اجعل ارأيت باليمن . يعنى واعمل بالحديث قدر ما تستطيع

وروى لأبى حنيفة حديث « اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث » فقال أبو حنيفة : من أصحابى من يبول قلتين — ولا ندرى يريد جمع بول أحد أصحابه فى أسبوع أو فى شهر حتى يتجمع منه قلتان . ﴿ ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ ، واغفر لأئمـــة الاسلام ، وحملة العلم النبوى

ونعيد ما سبق لنا فنقول لأبى رية : هل ترفض أحاديث أبى هريرة خاصة أو سائر احاديث الصحابة عامة ؟ فان رفضت الجميع فسبيلك سبيل أعداء الاسلام من الرافضة والمستشرقين والمبشرين المرتزقين من التشويش عليه ، وإن رفضت احاديث أبى هريرة وحده هان الأمر وكانت خصومتك يوم القيامة معه ومع من شوشت عليهم فى أحاديث هذا الصحابى الجليل ، وإن غداً لناظره قريب

وقول إبراهيم النخعى عن اصحابه انهم كانوا يَدَعون من حديث ابى هريرة (ص ١٧٠) ، وقوله الآخر ما كانوا يأخذون بكل حديث ابى هريرة ، واصحاب إبراهيم هم أهل الرأى جماعة أبى حنيفة ، ونقله عن أبى حنيفة (ص ١٧٠) عدالة الصحابة ما عدا رجالا وعدَّ منهم أبا هريرة وأنس بن مالك ، إن صح هذا النقل عن أبى حنيفة كان جرحا فيه ولا ينفعه قول أبى رية إنه ولد فى المائة الأولى سنة ٨٠ ، ودعواه أنه أدرك الصحابة كل هذا لا ينفعه ، فالروافض ولدوا فى المائة الأولى ، وعبد الله بن سبأ اليهودى أدرك عليا والصحابة ، وكعب الأحبار ووهب بن منبه والذين شهرتَ بهم أدركوا الصحابة

فما نفهم ذلك عندك . إن ولادة أبى حنيفة فى المائة الأولى ودعوى من ادعى له إدراك بعض الصحابة لم تمنع جارحيه أن يقولوا فيه كاد ينقض عرى الاسلام عروة عروة ، ولا من قال فيه رأيه الداء العضال ، ولا أنه كان يتيما فى الحديث وأنه مفلس غير ملىء ولا أهل للحوالة عليه و...... و...... إلى آخر ما ذكره عنهم الخطيب البغدادى فى تاريخه ، وابن عبد البر فى كتابه الانتقاء ، فضلا عن تواريخ البخارى الثلاثة وكتب الضعفاء للنسائى وغيره

(لطيفة) : عن أبى حنيفة أنه جلس إلى حلاق يتحلل من نسك ، فقال للحلاق : تتبع الشعر الأبيض يعنى بالحلاقة . فقال له الحلاق : إن ذلك يكثره ، فقال : إذن تتبع الأسود لعله يكثر . فذكر ذلك لسفيان الثورى أو غيره فقال : لو كان يترك قياسه لتركه بين يدى الحلاق

ومثل ذلك ما نقله عن أبى شامة عن الأعمش أن ابراهيم كان صحيح الحديث ، وأنه كان يتوقف فى أحاديث أبى صالح عن أبى هريرة (آخر ص ١٧٠ وأول ص ١٧١) . وقول ابراهيم : انهم كانوا يتركون كثيراً من حديثه — يعنى أبا هريرة — فان حديثه الذى تركه أهل الرأى أخذ به الأئمة الكبار الثورى وابن عيينة ومالك والحمّادان وأحمد والشافعى والبخـــارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وخيار الأمة ، فمن الناس بعدهم ؟

وأما الإسكافى فى نقله عن شيوخه (ص ١٧١) أن أبا هريرة مدخول عندهم فحسب الاسكافى ما يحسنه ، ما له ولجرح الصحابة ؟ ﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين . واذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين . فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون . على الأرائك ينظرون . هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ ولا يزال الناس يقع شرارهم فى خيارهم فما يضر ذلك خيار الناس ؟

وما نقله (ص ١٧١) عن المثل السائر لابن الأثير أن رواية أبي هريرة شك فيها قوم لكثرتها فهذا من أمثال النقل عن الاسكافى وأمثاله ، وعبد الحسين وأضرابه وجولد زيهر اليهودى وأشباهه ، « والضد يظهر حسنه الضد » ولولا ظلمة الليل ما عرفنا فضل ضوء النهار ، ولولا نتن الروائح الخبيثة ما عرفنا طيب الروائح الطيبة ، ولولا الطيبات من الملابس والأطعمة والأنكحة ما عرفنا نعمة الله علينا فيما حرم من الخبائث فى المطعومات والملبوسات والمناكح

وقال (ص ١٧١) : أنكر الصحابة على أبى هريرة كثرة روايته ، وذلك لأن الاكثار لا يؤمن معه اختلاط الضبط الذى لا يعرض لمن قلت روايته . ه

وعيرها الواشون أنى أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وقد بين أبو هريرة سبب كثرة روايته بقوله : أما اخواننا من المهاجرين فقد ألهاهم الصفق فى الأسواق — يعنى التماس الرزق بالتجارة — وقد اعترف بذلك عمر بن الخطاب فى اعتذاره عن فواته حديث الاستئذان الذى ذكره له أبو موسى الأشعرى ، وأيده فى ذلك أصغر الصحابة حينئذ سنا أبو سعيد الخدرى . قال أبو هريرة : وأما إخواننا من الأنصار فقد شغلهم العمل فى نخيلهم ، وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطنى (رضي الله عنه) وقد عد أبو رية ذلك جرحا فى أبى هريرة ونهما وتطفلا ، وحاشاه رضى الله عنه من ذلك ، وإنَّ نهم أبى هريرة وحبه للأكل — إن صحت تهمة أبى رية عليه — لخيرٌ عندنا من قناعة الرافضة وزهدهم ان كان لهم قناعة وزهد ، ومن ألف من أمثال أبى رية البهات

ومسألة المصرّاة التى ذكرت فى مجلس الرشيد وتنازعهم فيها إلى علو الأصوات ، واحتجاج بعضهم فيها بحديث ابى هريرة ورد بعضهم الحديث وقوله : أبو هريرة متهم فيما يرويه ، ونحا نحوهم الرشيد ، ذلك كله مما يشرّف أبا هريرة ، فليس الرشيد من رجال الحديث ، ولا هو معدود من أئمة الفتوى ، والذى اتهم أبا هريرة لعله أبو نواس مضحك الرشيد ، وأبو يوسف ارفع من أن يتهم أبا هريرة وهو يستشهد بحديثه فى الخراج وغيره ،

والحكاية كلها رواية هىّ بن بىّ : منكر الحديث ، ومنهم أبى هريرة ، وراوى الحكاية

أفبمثل هذه الحكايات الباطلة يجرح أصحاب رسول الله ﷺ ويتشكك فى ر اياتهم ، وقد أنزل الله توثيقهم فى كتابه العزيز من فوق سبع سمواته ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ ، ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى عَلَى سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ وأصحاب رسول الله ﷺ يغتاظ منهم الكفار ، فقد رفع الله شأنهم فى التوراة والانجيل والقرآن . وصدق الله العظيم ، لقد اغتاظ الكفار حقا من الاسلام وحامليه من أصحاب رسول الله ﷺ كما سترى فيما نقله أبو رية عن عدوّ الاسلام جولد زيهر وأضرابه شبرنجر وأصحاب دائرة المعارف الاسلامية ، وغيرهم ممن يحترفون بسب الاسلام والتشويه بأهله من المبشرين والمستشرقين

قال ابو رية (ص ١٧١) وقال جولد زيهر : وتظهر نا طريقة روايته للأحاديث التى ضمنها أتفه الأشياء بأسلوب مؤثر على ما امتاز به من روح المزاح ، الأمر الذى كان سببا فى ظهور كثير من القصص (ابن قتيبة طبعة فستنفلد ص١٤٢) ويظهر أن علمه الواسع بالأحاديث التى كانت تحضره دائما قد أثار الشك فى نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة والذين لم يترددوا فى التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر (انظر أيضا البخارى فضائل الأصحاب رقم ٢١) وقد اضطر أحيانا أن يدفع عن نفسه تقول الناس ﻫ . كل هذه الظروف تجعلنا نقف من أحاديث أبى هريرة موقف الحذر والشك ، وقد وصفه شبرنجر بأنه المتطرف فى الاختلاق ورعا . ويجب أن نلاحظ أن كثيراً من الأحاديث التى تنسبها الروايات اليه انها قد نحلت عليه (كذا) فى عصر متأخر (ص ٤١٨ ج ١ من دائرة المعارف الاسلامية) . ﻫ

ونحمد الله الذى عافانا من تقليد جولد زيهر اليهودى المستشرق فى ديننا وصحابة

نبينا كما قلده أبو رية فى ذم أبى هريرة ، وليهن أبا هريرة أن أحاديثه أتفه الأشياء عند يهودى وصف نبى الاسلام بأنه مهستر مصروع سارق لإصحاح اشعيا وجاعله قرآنا فى سورة البلد فما بعدها . فاذا كان نصيب نبى الاسلام من بحث جولد زيهر هذا النصيب فهل تستغرب ان تكون روايات ابى هريرة عنده أتفه الأشياء بأسلوب مؤثر على ما امتزج به من روح المزاح

إن العاقل لا يعجب من عداوة جولد زيهر اليهودى للاسلام ، ونبى الاسلام ، ورواة احاديث نبى الإسلام : ولكن العجب كل العجب أن يقلده مؤلف مسلم كأبى رية فيصدق قوله فى ابى هريرة ، ولنا ان نسأل ابا رية هل رأى كتابى جولد زيهر « العقائد الاسلامية » و « مذاهب المسلمين فى التفسير » وما حشاهما من حقد وضغينة وقيح وصديد على الاسلام ونبيه وأهله ؟ هل رأى أبو رية الكتابين وآمن بما فيهما ، أو قاده أعمى مثله فترديا جميعا فى هاوية الملاك ، ويسلم لنا أبو هريرة ورواياته وأحاديثه من مفتريات أعداء الاسلام جولد زيهر ومن قلده من أهل الضغن والحفيظة على أحاديث رسول الله ﷺ وحامليها . ومن مزايا الحسد أنه يأكل قلب صاحبه ولا يضر المحسود بل قد ينفعه . وقديما قال شاعرنا :

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود

أما شبرنجر فليكن عدوا آخر للإسلام مثل جولد زيهر ، فان يضر ذلك الاسلام شيئا ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ . وشكوك أبى رية فى أحاديث أبى هريره تمسى صديداً وقيحا فى صدره ولا تضر الاسلام ولا المسلمين شيئا

وما شوشت به دائرة المعارف فى مادة الحديث (ص ٢٣٥ مجلد سابع) ونقله عنها أبو رية (ص ١٧٢) فى كتابه بقولها : والحكم على قيمة المحدث قد يختلف اختلافا بينا فربما كان ثقة عند قوم ولكن غيرهم كانوا يعدونه فى منتهى الضعف وربما اعتبروه كاذبا

فى روايته ، بل إن الثقة ببعض كبار الصحابة لم تكن من الأمور المسلمة عند الجميع فى أول الأمر ، ولهذا نجد أن الثقـــة بأبى هريرة كانت محل جدل عنيف بين كثير من الناس . ﻫ

لقد قرّت عين ابى رية بطعن دائرة المعارف الاسلامية بكبار الصحابة فضلا عن أبى هريرة ، وباظهارها تضارب المسلمين واختلاف المحدثين فى مسائل الجرح والتعديل . قرت عينك يا أبا رية بطعن أعـــداء الاسلام فى الاسلام ، وفى أهله ، وفى كبار أصحاب النبى ﷺ

أما زعمها أن قيمة المحدّث قد تختلف اختلافا بينا فربما كان ثقة عند قوم ويعدّه غيرهم فى منتهى الضعف ، فزعم مردود بالاستقراء التام من صنيع علماء الجرح والتعديل رضى الله عنهم وجزاهم عن الاسلام خير الجزاء

قال الحافظ ابن حجر فى شرح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر : قال الذهبى وهو من أهل الاستقراء التام فى هذا الشأن : ما رأيت اثنين من أهل الحديث اتفقا على توثيق ضعيف أو تضعيف ثقة . ﻫ . هذا كلام خبير بكلام أهل الصناعة ، صناعة الجرح والتعديل ، يشهد إمام حافظ محدّث كابن حجر أنه من أهل الاستقراء التام فى هذا الشأن ، أعنى به مؤرخ الاسلام شمس الدين الذهبى

وقد شرح لنا ذلك محدث كبير من علماء الحديث من أهل ديوبند الشيخ عبيد الله السندى رحمه الله قال : فى كل طبقة من علماء الجرح والتعديل إمام مشدد فى الجرح ، وإمام معتدل فيه . فاذا اجتمع الإمامان المشدد والمعتدل على توثيق راو فهو ثقة ، وإذا اجتمعا على تضعيفه فهو ضعيف ، واذا اختلف اجتهادهم فيه فهو متوسط الحال ممن يقبل إذا لم يعارضه من هو أقوى منه

ومثل لذلك بشعبة ومالك ، ثم بعلى بن المدينى وعبد الرحمن بن مهدى ، ثم بيحيى بن معين وأحمد بن حنبل ، ثم بالبخارى ومسلم ، ثم بالنسائى وأبى داود أو الترمذى وهكذا .

أولها مشدد و ثانيها معتدل على التوالى ، فاجتماعهما على التوثيق أو التضعيف حجة مقبولة واختلافهما محل اجتهاد

ثم يجىء أبو رية فيقلد أعداء الإسلام كأصحاب دائرة للمعارف فى زعمها أن الأمر عند المسلمين فوضى فى قبول من يقبلون ورفض من يرفضون ، وأن الثقة ببعض كبار الصحابة لم تكن من الأمور المسلمة عند الجميع – أى كالرافضة مثلا الذين يغيظهم ويدمى عيونهم ثقة المسلمين بكبار الصحابة وثقات التابعين وأئمة الهدى والصراط المستقيم

وليسلك أبو رية ما شاء له هواه من تقليد جولد زيهر وشبرنجر وأصحاب دائرة للمعارف وأمثالهم من الذين دأبهم الطعن فى الاسلام ونبيه وحملة دينه وحديثه

أبو هريرة ودعوى أخذه عن كعب الأحبار

قال أبو رية (ص ١٧٢) : ذكر علماء الحديث فى باب (رواية الصحابة عن التابعين ورواية الأكابر عن الأصاغر) أن أبا هريرة والعبادلة – (يعنى عبد الله بن عُمر وعبد الله ابن عَمرو وعبد الله بن عباس) ومعاوية وأنس وغيرهم قد رووا عن كعب الأحبار اليهودى الذى أظهر الاسلام خداعا وطوى قلبه على يهوديته . هـ

ويقال لأبى رية : (أولا) متى كان علماء الحديث ثقات عندك وكلامهم حجة يحتج به وهم الذين جرحتهم ودعوت إلى سلب الثقة بهم ؟

(ثانيا) هل روى هؤلاء الصحابة عن كعب الأحبار أحاديث نبوية ، أو سمعوا منه ما يحدّث به عن كتبهم فرووها كما سمعوها ؟

(ثالثا) أنهم رووا عن رجل أظهر الإسلام ، وأمر خداعه وانطوائه على يهوديته أمر باطنى موكول إلى الله تعالى لا إليك ، وأنت تروى وتحتج بيهودى غير مقنع فى عداوته للاسلام وهو جولد زيهر اليهودى وشبرنجر الذى لعله هو الآخر يهودى أيضا ومثل الأول أو شر منه وتأخذ عنهما تجريح الاسلام والمسلمين وصحابة رسول الله ﷺ ،

فأى الفريقين أحق باللوم وأولى بالذم والتناقض : الذين رووا عن رجل أظهر الاسلام وقد رووا عنه غير حديث رسول الله ، أو الذى اقتبس من أعداء الاسلام والمسلمين ونبى الإسلام غيظهم وحقدهم وافتراءهم ؟ فأى الفريقين أهدى سبيلا إن كنتم تعقلون : أكتابى أظهر إسلامه وباطنه إلى الله تعالى ، أو يهودى لم يخف حقـــده على الاسلام وعلى نبى الاسلام ؟

قال أبو رية : ويتبين من الاستقراء أن كعب الأحبار قد سلط قوة دهائه على سذاجة أبى هريرة لكى يستحوذ عليه وينيمه ويلقنه كل ما يريد أن يبثه فى الدين الاسلامى من خرافات وأوهام . وكان له فى ذلك أساليب غريبه وطرق عجيبة ، فقد روى الذهبى فى طبقات الحفاظ فى ترجمة أبى هريرة أن كعبا قال فيه : ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبى هريرة . ورواية البيهقى فى المدخل فى (كذا) طريق بكر بن عبد الله بن أبى رافع أن أبا هريرة لقى كعبا : فجعل يحدثه ويسأله ، فقال كعب : ما رأيت رجلا لم يقرأ التوراة أعلم بما فى التوراة من أبى هريرة (ص ١٧٢ ـ ١٧٣)

وجوابه : أن أبا هريرة ـ مع سذاجته بزعمك ـ لم ينخدع بكعب فلم يحدّث عنه شيئا من أحاديث رسول الله ﷺ ، والواقع والاستقراء شاهدان بذلك ، وإن كذبت على ابن كثير كما سيأتى فى موضعه

وعبارتك المحرّفة عن المدخل للبيهقى ـ فى قولك « فى طريق بكر » والعبارة الصحيحة عندهم « من طريق بكر » تدلّ على أنك لا تفرق بين مِنْ و فِى مما يدل على سقم عربيتك ، وأنك غريب عن العلم الذى أضعت وقتك فى تشويهه . وقولك بكر بن عبد الله بن أبى رافع جهل آخر باسماء الرواة ، وإنما صوابه بكر بن عبد الله عن أبى رافع ، فتصحفت عليك عن بابن لأنك دخيل على الصنعة ، صنعة الحديث وأسماء رواته ، فتجعل شيخ الراوى جدا له ، وللجهال من أمثال هذا التصحيف كثير وكثير لمن لم يتمرس بالعلم ويشارك أهله ويعرف قدر نفسه ويأخذ العلم عن أهله

وأما قولك عن أبي هريرة (ص ١٧٣) : وهو لا يستطيع أن يقرأ حتى لغته العربية إذ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، فوقاحة وبذاءة وسفاهة ، والعرب كلهم أو جلهم كانوا فى عصره أميين وسيد الخلق ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، أفكان هؤلاء لا يقرءون اللغة العربية ، والعربية كانوا يرتضعونها من ثدى أمهاتهم ، ويتداولونها محاورة وسماعا ، لا يحتاجون فيها الى معرفة حروف الهجاء والكتابة !

مثّل أبو رية (ص ١٧٣) لما أخذه أبو هريرة بزعمه عن كعب بما روى البزار عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : إن الشمس والقمر ثوران فى النار يوم القيامة . فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول وما ذنبهما ؟

قال أبو رية : وهذا الكلام نفسه قد قاله كعب بنصه ، فقد روى أبو يعلى الموصلى قال كعب : يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان فى جهنم يراهما من عبدهما (حياة الحيوان ص ٢٢٢) . ه

ويقال لفيلسوف القرن الرابع عشر الذى يتعجب لم لم يؤلف الناس مثل كتابه من ألف سنة ، يقال له : ما ذنب أبي هريرة اذا روى عن النبي ﷺ ما يدل عليه القرآن فى قوله عز وجل ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون . لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون ﴾ أليس الشمس والقمر مما عبد من دون الله ، فيلقيان فى جهنم مع من عبدهما إهانة لعابديهما

وفى حديث الحشر الطويل من رواية أبي سعيد : فينادى مناد لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها الخ

وموافقة كعب لما جاء فى هذا الحديث كما فى رواية أبي يعلى مما يقويه لا مما يضعفه ، فإما أن يكون جاء فى التوراة نظيره وكتب الأنبياء يصدق بعضها بعضا ، أو يكون أخذه كعب عن أبي هريرة أو غيره من الصحابة ولا ضير فى ذلك

والعجيب استدلال فيلسوفنا بحياة الحيوان ، وعزوه حديث أبي يعلى اليه ، ولو رفع برأسه قليلا لعرف أن أحاديث أبي يعلى والبزار ومسند أحمد ومعاجم الطبراني الثلاثة قد لخصها الحافظ نور الدين الهيثمي فى كتابه مجمع الزوائد ، ولكن أنى لأبى رية أن يرفع رأسه عن حياة الحيوان إلى كتب الحديث ، وحياة الحيوان وضع لأسماء الحيوانات وحلالها منَ حرامها وبعض خرافات فى فوائد فضلاتها وشعرها وروثها ، ولم يوضع ليؤخذ منه حديث أبي يعلى ونحوه

ودعواه (آخر ص ١٧٣ ح ٢) عَلَى أبي هريرة أنه لو كان يعرف العبرانية لقال : وكنت ممن يفسرون التوراة ، دعوى مفتراة على أبي هريرة كسائر هذه المفتريات عليه ممن لا ورع عنده ولا وازع يزعه عن الافتراء على صحابة رسول الله ﷺ . وأى عيب على أبي هريرة اذا عرف العبرانية وفسر التوراة وقال حينئذ عن نفسه صادقا بما يعرف أنه أهل له ؟ فأى عيب فى هذا يا من لا يعرف قلبه العيب

وحديث الديك الذى رجلاه فى الأرض وعنقه تحت العرش ، من رواية الحاكم . وزعمُ أبي رية أن رجاله رجال الصحيح ـ مع أن أبا رية ليس من أهل هذا العلم ، حسبه أن ينقل من حياة الحيوان وأشباهه ـ فهلا نقل لنا كلام الذهبي فى مستدركه على المستدرك إن كان ناصحا فيما يكتب وينقل

ونقول له : إن صح هذا الحديث فلا يضره موافقة كعب له كما تقدم آنفا . ونهاية الأرب للنويرى كتاب أدب لا كتاب حديث ، وهو يشتمل أنواعا من الأدب حتى مجونه الذي يسمى بالأدب المفضوح

وحديث النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة (١٧٤) لا يضر أبا هريرة أن يقول هذا القول نفسه كعب ، بل ذلك مما يقويه ، فإما أن يكون مثله فى التوراة ، وكتب الأنبياء يصدق بعضها بعضا ، أو يكون أخذه كعب عن أبي هريرة فحدث به كما يحدث أبو هريرة

وقول ابن كثير عن حديث أبى هريرة فى يأجوج ومأجوج : لعله مما أخذه أبو هريرة أو تلقاه عن كعب ، فانه كان كثيراً ما يجالسه ويحدّثه ، فحدث به أبو هريرة فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه ، لا يضر ذلك أبا هريرة ما دام لم يرفعه إلى النبى ﷺ ، ورفعه بعض الرواة عنه

وابن كثير يصدق أبا هريرة ويثق به ، وجعلُ المرفوع من توهم بعض الرواة عن أبى هريرة ، فلسنا ندّعى عصمة جميع الرواة عن أبى هريرة ، فإذا توهم أحدهم فى حديث لأبى هريرة فرفعه وهماً منه فما ذنب أبى هريرة ؟ ولكن ناقدنا الأمين صاحب أضواء على السنة ينقل من كلام ابن كثير ما يظن أنه يدين به أبا هريرة ويتهمه ، ولا ينقل تبرئة ابن كثير لأبى هريرة وأن الوهم فيه ممن روى عن أبى هريرة ، وهكذا تكون أمانة النقل يا أبارية : تنقل ما تظنه اتهاما لأبى هريرة ، ولا تنقل ما هو براءة له ، شأنك فى ذلك شأن أهل الأهواء والتلبيس . وعلى هذا يجب أن نعيد النظر فى نقولك كلها سواء كانت منقولة من مختلف الحديث لابن قتيبة أو من غيره كالبداية والنهاية لابن كثير حتى صحيح البخارى ومسلم . ومن تبين غشه مرة لا يأمن أن يكون ذلك منه مراراً ، وقد عرفنا فيه الآن صفة أهل الأهواء ينقلون ما يظنون أنه لهم ويتركون ما يظنون أنه عليهم ، أما أهل الحق ومن يريدون النصح للناس فينقلون ما لهم وما عليهم ، والناس بعد ذلك يحكمون على ما ينقلون وما يوجبه النقل الصحيح وما يثبته وما ينفيه

وأما حديث الصحيحين عن أبى هريرة مرفوعا « إن الله خلق آدم على صورته » (ص ١٧٤) وبجيئه فى الإصحاح الأول من التوراة (العهد القديم) ونصه هناك : وخلق الله الانسان على صورته ، على صورة الله خلقه اهـ (آخر ص ١٧٤) فإن ذلك مما يقوى الحديث ويصححه ، فإن التوراة تصدق القرآن والقرآن يصدق التوراة كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين استمع إلى اليهود فى مدراسهم : فكنت أعجب من تصديق القرآن للتوراة وتصديق التوراة للقرآن . وصدق أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فكلاهما

من مشكاة واحدة، كما قال النجاشى فى القرآن حينما قرأه عليه جعفر بن أبى طالب : هذا والذى جاء به موسى يخرج من مشكاة واحدة . وكما قال ورقة بن نوفل حينما سمع أول ما نزل من القرآن : هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى

وفى حديث الحشر الذى رواه أبو سعيد الخدرى « فيأتيهم الله فى صورة غير التى يعرفون » ثم قال : « فيأتيهم الله فى الصورة التى يعرفون » الخ

وإذا كان حديث الصورة مما يغيظ أبا رية فليغتظ بما فى معناه من آيات القرآن الكريم ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ ، ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ ، ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ ، ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾

وفى الحديث الذى رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه وابن مردويه فى تفسيره من حديث أبى عبد الرحمن المقرى عبد الله بن يزيد حدثنا حرملة بن عمران التجيبى المصرى عن أبى يونس مولى أبى هريرة عن أبى هريرة : لما خطبهم رسول الله ﷺ وقرأ ﴿ وكان الله سميعا بصيراً ﴾ فوضع إبهامه على أذنه والتى تليها على عينه ويقول : هكذا سمعت رسول الله يقرؤها ويضع اصبعيه ذكره ابن كثير فى تفسيره والقرآن والحديث مملوءان بصفات الله تعالى التى تفقأ عين الجهمية وتدحرهم ، فان عدَّنا أبو رية — لا يماننا بها — مشبهة عددناه جهميا خبيثا ، ولاعبرة عندنا بشكوك أبى رية فى أحاديث أبى هريرة أو فى أثر عن الدارقطنى أو غيره ، وحديث الصورة لانجحده

فهؤلاء أكابر أهل السنة والحديث لم يتشككوا فى حديث خلق آدم على صورة الرحمن بدعوى أنه جاء نظيره فى التوراة أو أنه تشبيه أو تجسيم أو نحو ذلك من ترهات الجهمية والمعتزلة والأشاعرة مخالفين بذلك إمامهم أبى الحسن الأشعرى ، ولله در الأستاذ عباس محمود العقاد فقد أشاد بهذا الحديث واستدل به فى مواضع كثيرة من كتابه حقائق الاسلام وأباطيل مخالفيه — مع كثير من الأحاديث التى استدل بها فى الكتاب — على خلاف ما فعل هذا المشكك فى أصل من أصوله ، حديث النبى ﷺ وسنته المبينة للقرآن .

وتعرُّضُ أبى رية لحديث خلق آدم (ص ١٧٤ ح ٢) وأن طول آدم كان ستين ذراعا فما زال الخلق ينقص حتى إن الحافظ ابن حجر انتقد هذا الحديث من إحدى نواحيه — وحاشا لابن حجر أن ينتقد حديثا فى الصحيح — فقال : ويشكل على هذا من الآن (كذا) الآثار للأمم السالفة كديار عاد وثمود فان مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة فى الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب الذى ذكره أبو هريرة

وجواب ابن حجر أنه لم يذكر لنا القرون التى سبقت عادا وثمود حتى نعرف النقص الذى اعترى ذرية آدم من عهده إلى عهد عاد وثمود ، وما دام اعترف إن قاماتهم كانت طويلة وإن لم تكن مفرطة فى الطول فيلزمه أن يعترف بأن من كان قبلهم كانوا أطول قامة منهم ، وهكذا ينتهى الأمر الى طول آدم ، فلا غرابة ولا إشكال ولا نقد يا أبا رية

وقد بحثت فى هذا الحديث مع أحد الأطباء فقال : إن موجة سقوط حجر فى الماء تكون قوية عند سقوط الحجر ثم تأخذ فى الضعف والتلاشى حتى تنمحى ، وهذا تمثيل صحيح يوضح قوة الخلق عند مبدئه ثم تضعف القوة تدريجا مع طول الزمن

وهذا أمر يعرفه الزراع الذين يجلبون بذورا قوية من وطنها الأصلى ثم لا تزال البذور تضعف وتتأقلم فى وطنها الجديد حتى تزول عنها القوة التى كانت لها أولا ، فبذرة الخلق قبل عصور التاريخ كانت قوية ، والظروف الجوية والمعيشية كانت ملائمة لتلك القوة ، ثم ضعفت على طول الزمن

ونقلُ الأستاذ أبى رية (فى حاشية ص ١٧٥) عن مالك إنكار هذا الحديث وحديث إدخال الله يده فى النار وحديث كشف الساق وزعمه أنه من رواية أبى هريرة لا قيمة لهذا النقل ، فقد كشفتَ لنا عن سوء تلك فيما تنقل وأنك صاحب هوى ينقل ما يوافق هواه وليس عما يخالف هواه وقد ذكرنا آنفا نموذجا فيما نقلت عن ابن كثير فى سدّ يأجوج ومأجوج ، والعهد بذلك قريب

وحديث كشف الساق عزاه ابن كثير فى تفسيره لسورة ن إلى الصحيحين من رواية أبي سعيد الخدرى ، فان كان رواه أبو هريرة أيضا (كما ذكرت فى حاشية ص ١٧٥) فقوة على قوة ونور على نور

وليت شعرى هل أبو سعيد الخدرى أحسن حظا عندك من أبى هريرة ، فليس مهذارا مزّاحا أكولا طواه كعب تحت جناحه لسذاجته ولا يعرف لغة قومه لأميته ، كما اتهمت أبا هريرة بذلك وبكل ما شئت من زور وبهتان ، مما رفع شأن أبى هريرة منزلة فوق منزلته مما افتريته عليه ؟

قال الشاك المرتاب (ص ١٧٥) : وروى مسلم — أى بسنده — عن أبى هريرة : أخذ رسول الله ﷺ بيدى فقال « خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل . وقد روى هذا الحديث أحمد والنسائى — أى بسندهما — إلى أبى هريرة

قال أبو رية : وقد قال البخارى وابن كثير وغيرهما : إن أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الأحبار ، لأنه يخالف نص القرآن فى أنه خلق السموات والأرض فى ستة أيام

قال أبو رية : ومن العجيب أن أبا هريرة قد صرح فى هذا الحديث بسماعه من النبى ﷺ وأنه قد أخذ بيده حين حدثه به . قال أبو رية : وإنى لأتحدى الذين يزعمون فى بلادنا أنهم على شىء من علم الحديث ، وجميع من هم على شاكلتهم فى غير بلادنا ، أن يحلوا لنا هذا المشكل ، وأن يخرجوا بعلمهم الواسع شيخهم — يعنى أبا هريرة — من الهوة التى سقط فيها

قال أبو رية (أول ص ١٧٦) : ان الحديث صحيح السند على قواعدهم — لاخلافه

فى ذلك ـ وقد رواه مسلم فى صحيحه ولم يصرح بسماعه من النبى فقط بل زعم أن رسول الله أخذ بيده وهو يحدثه به . وقد قضى أئمة الحديث بأن هذا الحديث مأخوذ عن كعب الأحبار ، وأنه مخالف للكتاب العزيز ، فَمِثْلُ هذه الرواية تعد ولا ريب كذبا صراحا وافتراء على رسول الله ﷺ ، فما حُكم من يأتى بهـا ، وهل يدخل تحت حكم حديث رسول الله « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » أم هناك مخرج لراوى هذا الحديث بذاته ؟ انى والله لفى حاجة إلى الانتفاع بعلمهم فى هذا الحديث وحده الذى يكشف ولا ريب عن روايات أبى هريرة التى يجب الاحتياط فى تصديقها . ا هـ

نقلتُ هذا الكلام الغث الوقح على طوله ليرى الناس وقاحة رجل ينتسب الى الاسلام ، ويريد أن ينتسب إلى العلم ، وبسفه هذه السفاهة على صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ ! وهاك جوابه :

(أولا) نقلك عن البخارى أنه قال إن أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الأحبار لم تذكر لنا مصدره : أمن صحيحه ، أم من تواريخه الثلاثة الكبير والأوسط والصغير ، أو من كتبه الأخرى : خلق أفعال العباد ، أو الأدب المفرد ، أو رفع اليدين فى الصلاة ، أو القراءة خلف الإمام ؟ أتحدّاك أن تعزو نقلك عن البخارى إلى كتاب من كتبه . ولا ينفعك ان تقول قال فلان او ذكر فلان على طريقة العوام وأنت تشكُّ فى رجال الحديث والصحابة وأعلام الأمة الاسلامية فضلا عن غيرهم

أما الجواب عن هذا الحديث ، وعن زعم من زعم أنه مخالف لنص القرآن ، منى أنا أحد طلبة العلم والمشتغلين بعلم الحديث مطالعة وتعلما وتدريسا ، محمد بن عبد الرزاق آل حمزة ، وهاك الجواب نسوقه لمن يعقل وينصف : —

الكلام على حديث ابى هريرة خلق الله التربة يوم السبت الخ

هذا الحديث علمٌ من أعلام النبوة ، ليس مخالفا لنص الكتاب العزيز ، ولا تلقاه أبو هريرة عن كعب الأحبار كما زعم من زعم ذلك ، بل تلقاه أبو هريرة عن رسول الله

ﷺ ، ورواه لنا فاستفدنا منه علما من علوم النبوة ، وإن زعم أبو رية أنه سقطة من سقطات شيخنا أبي هريرة وتحدّى الناس جميعا أن يحلوا له هذا المشكل وأن يخرجوا بعلمهم الواسع شيخهم من الهوة التى سقط فيها ، ونقول لهذا الشاك المشكك المتهور فى تشكيكه المعجب بخيالات مطالعاته غير الفنية الذى ظن أن أبا هريرة سقط سقطة لا يمكن لأحد إخراجه منها ، فنقول له وبالله التوفيق : أثبت المحققون عقلا ونقلا أن الله سبحانه لم يزل ولا يزال خلاّقا عليما فاعلا مختارا لم تتعطل صفات كماله أزلا ولا أبدا كما زعم المتكلمون أنه لبث بزعمهم آمادا لا أول لها معطلا عن الخلق والفعل والكلام ، ومعطل القدرة والارادة ، ثم بدأ يريد ويخلق ويفعل ويتكلم ، وعلى هذا فما ظهر من صفات كماله إلى ما سبق من التعطيل كلا شىء . والمسألة محققة فى كتب شيخ الاسلام ابن تيمية : كشرح حديث عمران بن حصين « جئت أسألك عن بدء هـــذا الأمر الخ » وما قرّره فى (كتاب العقل والنقل) و (منهاج السنة النبوية) وغيرها . وعلى هذا التحقيق العلمى عقلا ونقلا ـ خلافا لمزاعم المتكلمين فى تعطيل صفات الله ، تعالى الله عن تعطيلهم علوا كبيراً ـ يكون هذا العالم المشهود قد سبقه عالمَ قبله ، وهكذا ما لا نهاية له الى الوراء أزلا ، فلم يزل الله خلاقا فاعلا قادراً مريداً . وتلخص ذلك بأن العالمَ حادث الآحاد قديم النوع — ولذلك شنع من شنع على شيخ الاسلام ابن تيمية فى هذه المسأله بقوله :

يرى حوادث لا مبدا لأولها

وردّوا عليهم بقصائد مملوءة حججا عقلية ونقلية تراها مطبوعة فى أول منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية ، وهى ثلاث قصائد جزلة فخمة مملوءة بالعلم المفيد

إذا ثبت هذا كان هذا العالم الذى نعيش فيه قد وضع الله أساسه وتصميمه فى يوم سبت من آخر أسبوع من أسابيع العالمَ قبله ، ويكون حـــــديث أبى هريرة رضى الله عنه

قد أفادنا شيئا زائدا على ما فى الكتاب العزيز لا مخالفا له ، فلله در أبى هريرة فى ملازمته للمشرع الأعظم وحفظه عنه ما لم يحفظه غيره ، فلم يضيع شيئا من نفائس علم النبى ﷺ التى حدثه بها . ولله در مسلم وأحمد والنسائى اذ نقلوا لنا هذا العِلْم النفيس الذى لو أهملوه لضاعت علينا لؤلؤة من لآلىء علْم النبوة ، وجوهرة من جواهر الوحى الإلهى . فالحديث أفادنا أن تصميم هذا العالم وتهيئة لبناته قد كان فى آخر أيام عالم آخر قبله سماه السبت ، فأى مخالفة للكتاب العزيز فى هذا ياعدو السنة المحمدية ؟ ولنا أن نقول لك ما قال الخليل لمن لم يستطع معرفة العروض :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ولكن أبا رية أبى إلا أن يكشف لنا عن بغضه لصحابة رسول الله ﷺ الذى ورثه عن أعداء الاسلام والدين مثل جولدزيهر وشبرنجر وداثرة المعارف الاسلامية والروافض والجهمية . والحمد لله على السلامة مما ابتُلى به كثير من خلقه ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ وجنبنا من قلت فيهم ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾

وأخيرا نقول : إن الذين توقفوا فى صحة هذا الحديث جعلوه من نزول درجة التصحيح عند مسلم فى عدم اشتراط اللقى فى صحة الحديث عند مسلم دون البخارى ، فتوقفهم فيه من جهة السند لا من جهة أبى هريرة . واتهامُ أبى رية له بالكذب وإدخاله تحت حديث « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » تهور وسفاهة وكذب وجهل فظيع ووقاحة على صاحب من أصحاب رسول الله لم يعرف فضله

ونقول : لله در الإمام مسلم وقبله شيخه الإمام أحمد وبعده النسائى فى روايتهم لمثل هذا الحديث الذى استشكله بعض الناس ، وصال به أبو رية وجال فى تكذيب أبى هريرة . وأحفظ كلمة عن شيخنا السيد رشيد رضا رحمه الله : ان رجال الحديث لأمانتهم يروون ما يمكن أن يكون مشكلا عند بعض الناس ، فلله درهم فى حفظ ديننا ولو استغربه

بعض الناس

ونقول لفيلسوف القرن الرابع عشر أبى رية : لو كان الدين لا يأتى إلا بما يستسيغه عقلك أنت لما كان هناك حاجة اليه ، فلله الحمد ، فانه يأتى الدين بمحارات العقول لا بمحالاتها ، ولم يجىء دين الاسلام – دين الفطرة والعقل والتفكير والحمد لله – بما يخالف عقلا صريحا أو نقلا صحيحا

أما هذه « الأيام » التى جاءت فى هذا الحديث ، وفى آيات خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، فهل هى مقدار دوران المجرة بنجومها ومنها الشمس وتوابعها حول محور المجرة ويقدّر ذلك بملايين السنين ؟ كما فى الآية ﴿ وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدّون ﴾ والآية الأخرى ﴿ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فاصبر صبرا جميلا ﴾ ؟ الله أعلم بمراده ومراد رسوله ﷺ من تلك الأيام ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾

وعمدة الذين أعلّوا هذا الحديث أو ضعفوه أو ردّوه كابن تيمية وابن كثير والبيهقى هو قول البخارى فى تاريخه الكبير فى ترجمة أيوب بن خالد بن أبى أيوب (ص٤١٣ رقم ١٣١٧ جزء أول) قال البخارى : روى اسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد الأنصارى عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة عن النبى ﷺ « خلق الله التربة يوم السبت – وقال (بعضهم) : عن أبى هريرة عن كعب وهو أصح اهـ بحروفه

فأنت ترى أن البخارى ساق الحديث فى تاريخه بسند رجاله ثقات حفاظ مأمونون إلى النبى ﷺ . ثم ذكر عن (بعضهم) : عن أبى هريرة عن كعب وهو أصح

وسواء كان تعقيب « وهو أصح » من كلام البخارى ، أو هو تمام لنقل كلام (بعضهم) ، فالانصاف يقضى بقبول رواية الثقات الأثبات : إسماعيل بن أمية بسنده الذى ساقه البخارى إلى النبى ﷺ ، ويتوقف فى ترجيح رواية المبهم « بعضهم » . فمن الذى يردّ رواية الثقات للمعروفين برواية للمجاهيل المبهمين (بعضهم) الذى يحتمل أنه

وهب بن منبه أو أخوه همام أو غيرهما ممن يريد ان يرفع شأن كعب ويجعل له ذكرا فى الأحاديث ، وهذا المسلك هو الذى سلكه مسلم والنسائى ، وقبلهما الإمام أحمد رحمه الله ، فرووا الحديث رافضين تعليله برواية بعضهم عن أبى هريرة عن كعب

والتعقيب فى تاريخ البخارى — ناقلا عن بعضهم ، او اجتهادا من نفسه — « وهو أصح » يقتضى فى أدنى المراتب أن الطريق الآخر طريق اسماعيل بن أمية بسنده إلى أبى هريرة إلى النبى ﷺ هو الصحيح ، وهو الذى اختاره احمد ومسلم والنسائى : ولا شك ان مسلما والنسائى اطلعا على تاريخ البخارى فى تعليل هذا الحديث برواية مبهم هو (بعضهم) فخالفاه ورأيا مع الامام أحمد صحة الحديث المسند بالثقات الأثبات المعروفين إلى النبى ﷺ ، ولا يؤثر فى صحته رواية مبهم مجهول ذكره البخارى بلفظ (بعضهم)

ومن قلد البخارى فى تعليل الحديث فلغيره أن يوافق الامام أحمد ومسلم والنسائى فى عدم تعليل الحديث بما علله البخارى ، إذ لم يظهر لهم وجه هذ التعليل ، ولكل وجهة هو موليها . والعجب أن الذين قلدوا البخارى فى تعليل الحديث بقول هذا المبهم (بعضهم) انه عن كعب ، خفى عليهم جميعا أن كتاب كعب الذى يعتز به وهو التوراة يصرح فى أول أسفارها (سفر التكوين ، فى الإصحاح الثانى الفقرة ٢ — ٣) : « وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا » . ه

فاذا كان هذا نص التوراة التى يؤمن بها كعب فمن اين جاءه ان الله خلق التربة يوم السبت حتى حدث به أبا هريرة ؟ أتحدى الذين يتهمون أبا هريرة بأخذ هذا الحديث عن كعب أن يقولوا لنا من أين جاء به كعب ونص التوراة يخالفه ؟ هل كذبه مكذبا بذلك نص التوراة التى لم يترك الاعتزاز بها ونشر ما نشر بين المسلمين منها ؟

الحق الذى نراه متابعة للأئمة أحمد ومسلم والنسائى أن الحديث من كلام النبى ﷺ ، وقد بيناعدم مخالفته للقرآن ، فان قبل هذا البيان فبها ، وإلا فنقف ونقول — كما نقول فى كل

علم من علوم الغيب صح صدوره عن نبينا ﷺ : ـ الله أعلم بمراد نبيه منه ، ولا نكون ممن يردّون ما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله ، ولا نخالف إجماع المسلمين سلفا وخلفا فى تصديق أبى هريرة الذى روى عنه ـ كما قال الإمام ابن القيم فى هداية الحيارى من اليهود والنصارى ـ ثمانمائة (٨٠٠) ما بين صاحب وتابع . فهل كان هؤلاء الثمانمائة ومن بعدهم من التابعين وتابعى التابعين يجهلون كذب أبى هريرة حتى يجىء فروخ الجهمية وذيول الرافضة فيهدوا الينا علمهم فى تكذيب أبى هريرة ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ ، ﴿ انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون ﴾

وبرأ الله أبا هريرة من تهمة الكذب التى يستحقها من اتهمه بها من الروافض والجهمية والمعتزلة ومن لا خلاق لهم من الخلوف الذين يقولون ما لا يعقلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، ويسلكون غير سبيل المؤمنين

والذين تابعوا البخارى على تعليل الحديث يذهبون إلى أن الوهم فيه ممن دون أبى هريرة ، فهم جميعا مع إجماع المسلمين على تصديق أبى هريرة وبراءته من الكذب . ويعجبنى ما حدثنى به بعضهم عن الشيخ ولى الله الدهلوى حكيم الهند ومحدّثها وفقيهها فى عصره أن الاجماع على عدالة الصحابة هو عصمتهم من الكذب على رسول الله ﷺ ، وإن وجد لبعضهم هنات تكفّرها حسناتهم وجهادهم ونصرهم للاسلام وصحبتهم للنبى ﷺ . ولشيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة ومختصره المنتقى من منهاج الاعتدال كلام نفيس محصله أن ما جاء من القدح فى بعض الصحابة أكثره كذب وباطل عليهم ، وما صح منه فلهم من العمل الصالح ونصرة رسول الله ﷺ ما يغمر ما جاء عنهم من خطأ أو اجتهاد أو نحو ذلك مما لا يخلو منه بشر

فمن لم يخف الله تعالى ولا استحى من خيار خلق الله وخرق اجماع المسلمين واتبع غير سبيل المؤمنين وبهت صاحبا جليلا من خيار أصحاب النبى ﷺ كأبى هريرة ، كيف يلقى الله يوم تبلى السرائر يوم التغابن ؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

وفى إنكار أبى رية لحديث أبى هريرة خلق الله التربة يوم السبت قيل :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

وقيل :

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرًّا به الماء الزلالا

وقيل :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

وأنا لا أطمع فى أبى رية أن يرجع عن ضلاله فى أبى هريرة وأمثاله من رواة العلم النبوى فهو شبيه بمن قال الله فيهم ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل إنما الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ، ونذرهم فى طغيانهم يعمهون . ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾

وقد قال الثورى أو ابن عيينة : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عُبّادنا ففيه شبه من النصارى ، ونسألك اللهم أن تهدينا ﴿ الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ﴾

وتسأل عن حكم من أتى بها ـ تعنى الكذب على رسول الله ، وتعنى به أبا هريرة ـ ونحن بدورنا نسألك عن كذبك عَلَى الله تعالى فى آية ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض ﴾ (ص ١٦ س ١٧) فذكرتها هكذا ﴿ قد خلت سنن من قبلكم ﴾ محرفة بذكر من قبلكم بعد سنن على خلاف نظم الآية قراءة وكتابة ، فماذا تحكم على نفسك يا مبغض أصحاب رسول الله ومنهم أبو هريرة بالكذب . فان أحلته على المطبعة فأين كنت من تصحيحها ـ وفى الحكمة الأولى « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » وتقول العامة : إلى استحوا ماتوا

وأبو هريرة إمام جليل وحافظ عبقرى يبخل التاريخ بمثله إلا نادراً ، ولو كان عند أمة أخرى غيرنا لأقاموا له التماثيل من ذهب وبلاتين ، وإن كان ديننا لا يقر إقامة الأوثان لأحد ، ولفاخروا به غيرهم . ولـكن ما الحيلة فيمن أعمى التعصب والهوى بصيرته وأشرب قلبه حب أعداء الإسلام جولد زيهر وشبرنجر ودائرة المعارف الاسلامية وعبد الحسين الرافضى ، وأمثالهم من مبغضى الاسلام وأهله الأولين ، من الصحابة والتابعين وتابعيهم من حملة العلم النبوى ورواة الآثار الاسلامية من العلمـــاء بكتاب الله وسنة رسوله

وحديث أبى هريرة الذى رواه البخارى أن رسول الله قال « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحبُّ إلىّ مما افترضته عليه ، وما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها . وما ترددت فى شىء أنا فاعله تردّدى عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته » اهـ (ص ١٧٦)

قال البحاثة الفيلسوف أبو رية : ومن له حاسة فى شم الحديث يجد فى هذا الحديث رائحة اسرائيلية (آخر ص ١٧٦) ، ونقول لصاحب حاسة الشم التى تفوق حاسة شم الـكلب البوليسى هول : لم يشم أئمة الحديث ما شممت فيه من الرائحة الاسرائيلية ، فهذا البخارى راويه لو شم ما شممت ما أخرجه ، وهـذا شيخ الاسلام ابن تيمية يسوقه فى كتبه هو وتلميذه شمس الدين ابن القيم ويشرحانه ولم تزكم أنوفهما من رائحة إسرائيلية . ولا يضره تفرد البخارى باخراجه دون مسلم . ونسألك عن قولك « دوّن أصحاب النبى » فهل كان أصحاب النبى ﷺ لهم دواوين يخرجون فيها حديث فلان دون فلان ، وهل نسيت ما قررته أنهم لم يدوّنوا الحديث ، ولـكن فاتك أن تعمل بالمثل المشهور « إذا كنت كذوبا فـكن ذكورا » وأنت كذوب غير ذكور

وقولك (ص ١٧٦) وقد طعن الأئمة فى هذا الحديث ، فقال الذهبى وابن رجب

هذا حديث غريب . وليس هذا بطعن أيها العلامة ! فالغرابة تجامع الصحة ، والغريب ما رواه راو فقط ، وقد قيل فى حديث « انما الأعمال بالنيات » فى أول صحيح البخارى : انه غريب تفرد به يحيى بن سعيد الأنصارى واشتهر بعد يحيى فقد رواه عنه سبعمائة ، وقال الحافظ ابن حجر : تتبعت الأجزاء والمسانيد والصحاح فما حصلت للرواة له عن يحيى إلا مائتين

والحاصل أن الغرابة لا تنافى الصحة ، بل قد تجامعها وتسير معها

نعم قال الذهبى فى ترجمة خالد بن مخلد القطوانى راويه شيخ البخارى : لولا هيبة الجامع الصحيح لعددته من مناكير خالد . فهذا الذهبى يهاب الجامع الصحيح ولا يعدّ الحديث من مناكير خالد ، ولم يرتفع إلى درجة أبى هريرة ولاشم فيه رائحه إسرائيلية . وقول الخطابى : التردد على الله غير جائز والبداء عليه فى الأمور غير سائغ، قول صحيح ولا يرد به الحديث ، فليس فيه بداء ، ولفظة ترددت فُهمت على أنها تعارض الأسباب ، فاذا جاءت أسباب منية المؤمن وعارضها كراهته للموت وكراهة الله لاساءة المؤمن فأخرت عنه المنية إلى حين عبر فى الحديث عن هذا بلفظ ترددت تعبيرا بليغا يدل على رفع منزلة المؤمن عند الله تعالى

وقد رد كثير من المتكلمين ومن قلدهم من أهل التفسير وشراح الحديث كثيرا من الأحاديث التى جاء فيها ما ظنوه تشبيها أو منافيا للتنزيه الذى زعموه ، مثل أحاديث الضحك وخلق آدم على صورة الرحمن ونحوها ، بل أولوا صفة الرحمن بأنها الاحسان أو إرادة الاحسان ، حتى فتحوا باب القرمطة فى صفات الله تعالى للجهمية والباطنية ، وحتى قال قائل منهم : إن الله تعالى لا يوصف بالوجود حتى لا يشبه الموجودات ، فلا هو موجود ولا معدوم ، وأمثال هذا الهوس الذى جاءهم من الغلوّ فى التنزيه كما يزعمون مما قلدوا فيه الفلسفة اليونانية الاسطاطاليسية وغيرها

أما المحققون من أهل السنة الجامعون بين المعقول والمنقول كشيخ الاسلام ابن تيمية

وتلاميذه ابن القيم وابن عبد الهادى والذهبى وأمثالهم فيؤمنون بما جاء من صفات الله تعالى فى القرآن والحديث ، من غير تأويل وتحريف ، ومن غير تشبيه وتمثيل ، واقرأ العقيدة الواسطية والفتوى الحموية والرسالة التبوكية وغيرها من رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية إن لم يتيسر لك الاطلاع على بسائط مؤلفاته ومطولاتها أو مؤلفات تلميذه شمس الدين بن القيم كالصواعق المرسلة على الجهمية والمعتزلة

واستدلال أهل وحدة الوجود أو الشهود بهذا الحديث كما زعم أبو رية (ص ١٧٦) رده عليهم من بضعة عشر وجها شمس الدين بن القيم ، ولو كان فيه شبهة لمذهبهم لما سكت عليه شيخ الاسلام ابن تيمية ، ولما احتج به فى كتبه مثل كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وهو مطبوع عدة طبعات

ولا يضر هذا الحديث أن يرويه وهب بن منبه كما نقله أبو رية (ص ١٧٦) عن الحلية بقوله : إنى لأجد فى كتب الأنبياء أن الله يقول ما ترددت عن شىء قط ترددى عن قبض روح المؤمن ، فان ذلك مما يقوى الحديث لا مما يشكك فيه ، فالأنبياء يصدق بعضهم بعضا . يصدق متأخرهم ما جاء به متقدمهم ، وفى الحديث « نحن معاشر الأنبياء أبناء علات ، ديننا واحد » وقال الله تعالى ﴿ انا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾

وختم أبو رية طعنه فى أبى هريرة بذكر ما رواه أحمد عن أبى هريرة : إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ، إقرءوا إن شئتم ﴿ وظل ممدود ﴾ ص ١٧٧ . وإسراع كعب فى تصديق أبى هريرة بما قرأه من التوراة مما يزيدنا ثقة بأبى هريرة وتكذيبا لك يا أبا رية بما فضحت به نفسك بالتكذيب بما لم تحط به علما ولما يأتك تأويله ، جريا وراء هواك وتعصبك ، وارتشاحا لما يفيض من قلبك فى بغض أصحاب رسول الله ﷺ مما ارتضعته من أعداء الاسلام جولد زيهر وشبرنجر وأصحاب دائرة المعارف الاسلامية

ونسألك إن كان بقى عندك ذرة من إنصاف : هل تصديق أبى هريرة فى حديث

يصدقه فيه كعب أو وهب أهدى ، أم تصديق جولد زيهر فيما قاله فى كتابه العقائد الاسلامية وكتابه مذاهب المسلمين فى التفسير ؟ أجب إن كان عندك جواب عليه مسحة من إنصاف وحياء

ذاكرة أبى هريرة

قال أبو رية (ص ١٧٧) : كان أبو هريرة يذكر عن نفسه أنه كان كثير النسيان لا تكاد ذاكرته تمسك شيئا مما يسمعه ، ثم زعم أن النبى ﷺ دعا له فأصبح لا ينسى شيئا يصل إلى أذنه . وقد ذكر ذلك لكى يسوغ كثرة أحاديثه ، ويثبت فى أذهان السامعين صحة ما يرويه . اه

و نطالب أبا رية بصحة ما نقل عن أبى هريرة بقوله عن نفسه إنه لا تكاد ذاكرته تمسك شيئا مما سمعه. وذكرنا له سابقا ما قيل « اكذب وأبعد شاهدك » وهنا لم يبعد أبو رية شاهده ، وإنما ادعى دعوى بلا شاهد ، فأحرى بها أن يضرب بها وجهه

ثم قوله : وزعم أن النبى ﷺ دعا له فأصبح لا ينسى شيئا يصل إلى أذنه ، وقد ذكر ذلك لكى يسوغ كثرة أحاديثه و يثبت فى أذهان السامعين صحة ما يرويه

ونقول لأبى رية : إن ما سماه زعما من دعاء النبى ﷺ حتى أصبح لا ينسى شيئا مما يصل إلى أذنه قد صدّقه الناس فى ذلك من عهد الصحابة فمن بعدهم من التابعين وتابعيهم إلى عهد زمن التدوين ، فليس من المعقول أن نكذب هذا الجم الغفير من المسلمين والمحدّثين وأئمة الفقه والفتوى الذين قبلوا أبا هريرة محدثا حافظا بخل الزمان بمثله ، و نصدّق أبا رية فى القرن الرابع عشر فى حقده على أبى هريرة وتكذيبه له ، فالملايين التى اتفقت على صدق أبى هريرة وحفظه وقبول الآلاف من الأحاديث التى رواها أبو هريرة يعد تكذيبهم من البهتان ، والحماقة ، والجنف ، والباطل ، واتباع غير سبيل المؤمنين

ودليل صدق أبي هريرة وأثر دعوة النبي ﷺ له هذه الألوف من الأحاديث التى رواها وقبلها منه المسلمون فى كل عصر ومصر وفى كل زمان ومكان ، وليأكل الغل والحقد قلب أبى رية فلن يضر إلا نفسه ، وأنا وكل ذى عقل ودين وإنصاف حتى من غير المسلمين لا يمكن أن أوازن بين أبى رية وبين أقل راو من رواة الأحاديث كابن عساكر والخطيب البغدادى فضلا عمن فوقهم كالدارقطنى وابن حزم بله أصحاب الكتب الستة فمن فوقهم من شيوخهم أئمة الحديث والفقه والفتوى من تابع التابعين فالتابعين فالصحابة ، فاذا قبل هؤلاء أبا هريرة محدثا صادقا حافظا إماما من أئمة رواة الحديث وحاملا للآلاف من علم النبوة ، فمن هو أبو رية بعـــــد ذلك ، إن شك فى أبى هريرة ؟

نزلوا بمكة فى منازل هاشم   ونزلتَ بالبيداء أبعد منزل

إنى إن قارنتُ بين أبى رية وبين أضعف رجل من المحدّثين كنت كمن يقارن حصاة فى البحر باللآلىء

ذكر أبو رية (أول ص ١٧٨) ما رواه مسلم عن الأعرج قال : سمعت أبا هريرة يقول : إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ـ والله الموعد ـ كنت رجلا مسكينا ، أخدم رسول الله على ملء بطنى ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق فى الأسواق ـ يعنى التجارة ـ وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ـ يعنى النخيل ، والزراعة ـ فقال رسول الله : من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئا سمعه منى ، فبسطتُ ثوبى حتى قضى حديثه ، ثم ضممته إلىّ فما نسيت شيئا سمعته منه . قال مسلم : إن مالكا انتهى حديثه عند انقضاء قول أبى هريرة ، ولم يذكر فى حديثه الرواية عن النبى من بسط ثوبه الخ

قال أبو رية : ولا ريب فى أن رواية مالك هى الصحيحة ، لأن الكلام بعد ذلك منفكك الأوصال ، ولا صلة بينه وبين الذى قبله . اهـ

وأقول : ويل للعلم إذا تكلم فيه من لا يحسن الكلام فيه . حديث يختصره مالك ، ويأتى به على وجهه مطولا إمام كمالك فى الحفظ والأمانة ، بل ربما كان أجل منه ، يكون اختصار مالك هو الصحيح والمطول الذى جاء به إمام غير مالك لا يقل عن مالك حفظا وأمانة وصدقا غير صحيح فى نظر محقق القرن الرابع عشر أبى رية ، وأين غاب عنه قولهم : من حفظ حجة على من لم يحفظ ؟ إن أحاديث الموطأ نحو ستمائة حديث ، وأحاديث الصحيحين والسنن آلاف الأحاديث فهل نرمى هذه الآلاف التى لم يروها مالك ؟ أين العقول والإنصاف والدين ؟

ثم فلسفة أبى رية فى تضعيف رواية غير مالك أن الكلام بعد ذلك مفكك الأوصال ولا صلة بينه وبين الذى قبله ! تفكير غريب مقلوب ، والكلام آخذ بعضه بحجز بعض ، فأبو هريرة يذكر أن سبب تفوقه فى الأحاديث على من استغربوا كثرة حديثه أمران : أحدهما تفرغه للاشتغال بالعلم وانقطاعه له وعدم انشغاله عنه بتجارة أو زراعة ، والثانى بركة نبوية واختصاص سماوى خص الله به أبا هريرة ، ولكن من أين لنا أن يؤمن أبو رية بالبركات النبوية وبفضل الله الذى يؤتيه من يشاء ؟ فأين تفكك الأوصال إلا فى تفكير من لا يؤمن بفضل الله عَلَى عباده كأبى رية ؟ وإن الذين استغربوا كثرة رواية أبى هريرة قد آمنوا بما ذكره لهم أبو هريرة مما اختصه الله به من التفرغ لطلب العلم بلا لهو عنه من تجارة أو زراعة ، وما وهبه الله له على يدى نبيه من البركة المحمدية والآية الربانية ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿ أم يحسدون الناس عَلَى ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل داود الملك والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ ولقد ورث أبو رية عن اليهود حسدهم للمسلمين ، فلم يستسغ فكره أن يفضل الله أبا هريرة بالحفظ والصدق والأمانة

يا رحمة الله لأئمة الحديث والفقه والفتوى : مالك والثورى وابن عيينة وابن المبارك والحمادين ابن زيد وابن سلمة وأبى عبد الله الشافعى وأحمد بن حنبل وأئمة التدوين البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه فمن بعدهم ، رحمة الله عليهم لم أفنوا أعمارهم

فى الرحلة فى طلب الحديث ـ ومنه أحاديث أبى هريرة ـ وحفظها وتدوينها بغير أجر مادى سوى ما يرجونه من ثواب الله وجزائه

ولم يسعدهم الحظ أن يسمعوا تحقيق أبى رية فى القرن الرابع عشر فى تكذيب أبى هريرة والتشكك فى أحاديثه ، إذن لاستراحوا وأراحوا من هذا العمل المضنى الباهظ ، ولكن الله حافظ دينه لم يشأ لهم هذا الحظ المنكوس ، والتحقيق المنحوس المنجوس

اسمع يا أبا رية ، إن تكذيب هؤلاء الأئمــــة فى ثقتهم بأبى هريرة وحفظ حديثه الكثير وتدوينه والانتفاع به ، وتصديقك يا أبا رية فى تكذيب أبى هريرة جنون وحماقة وبهتان . ولسنا مستعدين للتنازل عن ديننا وعقولنا واتباع غير سبيل المؤمنين ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذا هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ آمين

قال أبو رية (ص ١٧٨) : على أن هذه الذاكرة القوية التى اختص بها أبو هريرة من دون الصحابة جميعاً ومن دون ماذرأ الله من الطباع الانسانية قد خانته فى مواضع كثيرة ، وإن ثوبه الذى بسطه قد تمزق فتناثر ما كان قد ضمه بين أطرافه ، وإليك أمثلة من ذلك

فذكر رواية الشيخين عنه حديث « لا عدوى » وعارضه بحديث أسامة « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها » وبحديث عبد الرحمن بن عوف فى رجوع عمر بن الخطاب من سرغ لما سمع بوقوع الوباء بالشام عندما سمع حديث « لا يوردنّ ممرض على مصحّ »

قال أبو رية (أول ص ١٧٩) : وقد اضطر أبو هريرة إزاء هذه الأخبار القوية إلى أن يرجع عما حدّث وأن يعترف بنسيانه ، ثم أنكر روايته الأولى ـ قال : وفى رواية يونس قال الحارث بن ذباب (ابن عم أبى هريرة) : قد كنت أسمعك يا أبا هريرة تحدثنا مع حديث « لا يوردن ممرض على مصح » حديث « لا عدوى »   معرفته لذلك . ووقع عند الاسماعيلى ـ قال فى الحاشية (وكذلك عند مسلم) ـ فقال الحارث ابن عم أبى هريرة :

إنك حدثتنا ، فأنكر أبو هريرة وغضب وقال : لم أحدثك ما تقول

ثم ذكر أبو رية (ص ١٧٩) قصة ذى اليدين فى سهو النبى ﷺ فى الصلاة ، قال أبو رية : هذه القصة فى رواية البخارى أنها صلاة الظهر أو العصر ، وفى رواية النسائى ما يشهد أن الشك كان من أبى هريرة وهذا لفظه : صلى النبى ﷺ إحدى صلاتى العشى ، ولكنى نسيت اه . وذكرها أبو رية بلفظ صلاة العشاء ، كأنه لا يفهم الفرق بين العشى والعشاء

أقول : هذا ما أجهد أبو رية نفسه وقلب الدواوين وفتش الكتب ليمثل لأغلاط أبى هريرة التى زعم أنها كثيرة فلم يقع الا على مثالين : (أحدهما) حديث « لا عدوى » والثانى « إحدى صلاتى العشى » الظهر أو العصر .

وقد سبق لأبى رية (ص ١٦٢) عن ابن حزم أن مسند بقى بن مخلد قد احتوى من حديث أبى هريرة على ٥٣٧٤ حديثا ، والله أعلم بما رواه غير بقى كمسند أحمد وغيره ، فراوية لما يزيد عن خمسة آلاف حديث فى أحد دواوين الحديث لو وجد له غلط أو نسيان فى حديثين اثنين الا يعد من عباقرة الدنيا حفظا ويعد مضرب الأمثال للذين لا نظير لهم فى الدنيا ؟ فنسبة غلطه أو نسيانه نسبة واحد إلى ثلاثة آلاف ، فأى حفظ فى الدنيا مثل هذا أو ما يقاربه ؟ حدثونى بعلم إن كنتم صادقين . . . .

على أن حديث العدوى يظهر أن رجوع أبى هريرة عن التحديث به لظنه أنه منسوخ بما رواه هو من حديث « لا يورد ممرض على مصح » فتورع عن روايته بظنه أنه منسوخ ، فيبقى معنا ـ مما عده أبو رية من نسيان أبى هريرة ـ حديث سهو النبى ﷺ فى إحدى صلاتى العشى الظهر أو العصر ، يبقى غلط أبى هريرة فى ستة آلاف حديث فى حديث واحد فتكون النسبة ١ : ٦٠٠٠ ـ فأى نسبة فى العالم تقارب هذا أو تدانيه ؟

إذن لم يتمزق ثوب أبى هريرة ولا رداؤه ، ولكن الذى تمزق من الغيظ والحقد هو :

قلب أبى رية ، فليمت بغيظه ويبقى أبو هريرة بدرا لا يضره النباح ، وفى الحديث « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » وفى كلام العامة « اللى اختشوا ماتوا »

وأما معارضة أبى رية لحديث أبى هريرة مرفوعا « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا ودما خير من أن يمتلىء شعرا » بقول عائشة : لم يحفظ - تعنى أبا هريرة - إنما قال « من أن يمتلىء شعرا هجيتُ به » (آخر ص ١٧٩) ، فلأبى هريرة أسوة بعمر بن الخطاب وابنه عبد الله بن عمر وأبى سعيد الخدرى وأنس وغيرهم ممن ردت أم المؤمنين حديثهم بما ظنته معارضا له ، وإذا قبلنا من أم المؤمنين روايتها فيما سمعت أو روت فلن نقبل منها ردها للأحاديث بظنها واجتهادها

ولنا أن نقول لها : متى كان الصحابة رضى الله عنهم تمتلىء أجوافهم بشعر هجى به النبى ﷺ حتى يحذرهم ﷺ من ذلك ويتوعدهم هذا الوعيد الشديد ؟

أما جنون أبى رية (فى حاشية ص ١٨٠) أن القرآن فيه شعر من الرمل والخفيف والوافر ونحوها ، فجوابه أن أبا رية يحتاج إلى علاج فى بيمارستان أو يشهد على نفسه أنه يكذّب القرآن لا أبا هريرة وحده . ولنا أن نتنزل إلى جنونه فنقول له : متى كان ﴿ وجفان كالجواب وقدور راسيات ﴾ قرآنا وهى مفردات من بعض آية لم تكمل آية بتمامها ؟ ومثله ﴿ من تزكى فإنما يتزكى لنفسه ﴾ ، ﴿ ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾

وإذا أصر أبو رية على أن فى القرآن شعرا فماذا يقول فى قول الله تعالى ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغى له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين . لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ﴾ وقوله فى الرد على المشركين ﴿ أم يقولون شاعر نتربّص به ريب المنون . قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين ﴾ وقوله ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾

أما سماع النبى ﷺ لشعر أمية بن أبى الصلت واستنشاده ممن يحفظه فذلك لما فيه من

الإيمان ، إذ قال فيه « آمن شعره ، وكفر قلبه » ، فلا غضاضة على المؤمن أن يسمع من الشعر ما فيه حكمة وإيمان ، لا ما فيه من كذب وبهتان ، وهيام فى وديان الضلال ، والقول الطويل العريض الذى يكذبه الفعل والواقع . فأين ذهبت يا أبا رية ؟ هل أصحاب الهوى والنبى ، أم أنت ممن قال الله فيهم ﴿ أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ ؟

وأبو رية الذى يكدّ ذهنه فى البحث عن نسيان أبى هريرة فلا يجد له إلا حديث سهو النبى ﷺ فى إحدى صلاتى العشى الظهر أو العصر ، حديث واحد من آلاف ستة يذكر فى نسيان أبى هريرة ، وينقله أبو رية بلفظ « إحدى صلاتى العشاء » فلا يفرق بين العشى والعشاء ، ونقول له ما قيل لمن قرأ : نخرّ عليهم السقف من تحتهم ، فقيل له : إن لم تعرف أن تقرأ فهندس ، فالسقف لا يخر من تحت . وأنت إذا لم تعرف أن الظهر أو العصر إحدى صلاتى العشىّ لا العشاء فاسكت واستر جهلك

ثم نقول له : ماذا يترتب على نسيان أبى هريرة للصلاة التى سها فيها رسول الله ﷺ أكانت الظهر أو العصر ؟ ماذا يترتب على هذا النسيان من الخطأ فى الأحكام ، والذين أخذوا حكم السهو فى الصلاة من هذا الحديث لم يضرهم أن تكون هذه الصلاة الظهر أو العصر ، فالحكم سواء ظهرا كانت أم عصرا

ويعجب أبو رية (أول ص ١٨٠ فا بعدها) ممن يثقون بأبى هريرة ثقة عمياء أنهم يمنعون السهو والنسيان عنه ، ولا يتحرجون من أن ينسبوهما إلى النبى ﷺ . ونحن نشاركه هذا العجب إن كان وجد فى الدنيا من يقول ذلك من امتناع السهو والنسيان على أبى هريرة ، ولكنا لا نقول بتخطئة أبى هريرة بالجهالة والهوى ، ولا نحكم بنسيانه إلا بشاهد ودليل . أما أن نكيل القول جزافا فى الشك فى أحاديث أبى هريرة بلا دليل ولا برهان ، فهذا هو الظلم والبهتان ، والقول على صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ بغير علم ، وقد أمرنا الله تعالى بالعدل ولو على الأعداء فقال ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾

أما أن نجرى وراء أعداء السنن الاسلامية من الرافضة والمستشرقين فنتهم الصادقين ونكذب الثقات بلا دليل ولا بينة فهذا هو الجور والظلم والبهتان الذى نهانا الله عنه ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد ارتكب بهتانا وإثما مبينا ﴾ ، ﴿ ومن يشاقق الله ورسوله ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله نارا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾

قال أبو رية (ص ١٨١) : وإذا كان أبو هريرة عَلَى ما وصف به نفسه ذكيا فطنا قوى الذاكرة واسع الحافظة ضابطا لكل ما يسمع لا تفلت منه كلمة ولا يشذ عنه لفظ ، فلم لم يحفظ القرآن على فراغه وطول عمره فى الاسلام وقد حفظه كثير من الرجال وكذلك بعض النساء ومنهن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الصحابية . ﻫ

وجوابه أن ما يفيده كلامه من أن أبا هريرة لم يحفظ القرآن دعوى لم يقم عليها دليلا فهى ساقطة ويرمى بها وجه أبى رية

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

وقد قال الله فى القاذفين ﴿ فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾

وقال أبو رية (ص ١٨١) : وكذلك لو كان أبو هريرة قد بلغ هذه الدرجة التى لم يبلغها إنسان قبله ولا يبلغها أحد بعده ، وهى عدم السهو والنسيان ، لاشتهر عنه ذلك ولأصبح وحده علما مفردا يرجع اليه المسلمون جميعا وخاصة فى عهد أبى بكر وعمر ، ولكان له فى الاسلام على مدّ عصوره مقام غير مقامه ، اذ يكون وحده دون غيره موضع ثقة الصحابة أجمعين ، فيأخذون بالثقة ما يجرى به لسانه ، ويقبلون مطمئنين ما يلقيه عليهم من رواياته ، ويستمر الأمر الى من بعدهم فتكون كل أحاديثه من دون الصحابة جميعا متواترة فى لفظها ومعناها لا ينال منها الشك ولا يعتريها الظن . ولكن الأمر قد جرى على غير ذلك ، فلم يكن له شأن يذكر فى زمن النبى ﷺ ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ، وقد حدثناك من قبل عن مبلغ ثقة عمر به فقد كان ينهاه عن رواية الحديث ، ولما لم يرجع ضربه

بالدرة وأنذره إذا هو روى أن ينفيه إلى بلاده ، ولو كان أبو هريرة على ما زعم لأباح له وحده الرواية وكان عنده وعند غيره أصدق من روى . ولم يقف الأمر عند ذلك بل إنهم قد اتهموه فى الرواية كما سترى ذلك فيما بعد واضحا إن شاء الله تعالى . ا هـ

سودت هذه الأسطر مما فاض به قلب أبى رية من قيح وصديد وضغن وحقد على صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ كان موضع ثقة عنده صلوات الله عليه وعند أصحابه الخلفاء الراشدين منهم وغيرهم ، تقوّل عليه هذا المفترى تقولات لم يقلها عن نفسه ، وألبسه من نسج خياله الكاذب ثوبا فضفاضا لا يرضاه أبو هريرة ولا عارفو قدره له ، وهو أنه بلغ درجة لم يبلغها إنسان قبله ولا يبلغها إنسان بعده وهى عدم السهو والنسيان ، أين ادّعى ذلك أبو هريرة لنفسه ؟

ثم ما هو التلازم بين عدم نسيانه وبين تواتر أحاديثه لفظا ومعنى ، وأن يكون وحده دون غيره موضع ثقة الصحابة أجمعين ، وفيهم من حفظ كما حفظ ، ومن روى مثل ما روى كأنس وعائشة وابن عمر وابن عمرو وغيرهم من أكابر الصحابة . وقول المهاترات : لم يكن له شأن يذكر فى زمن رسول الله ﷺ ولا فى زمن الخلفاء الراشدين كذب صراح ، فقد كان النبى ﷺ يحبه ويفتقده إذا غاب ، رآه ﷺ فى سوق من أسواق المدينة فانخنس أبو هريرة هنية ، ثم جاء إلى النبى ﷺ فقال له ﷺ : أين كنت يا أبا هريرة ؟ قال كنت جنبا فكرهت أن أجالسك ، فذهبت فاغتسلت الخ . فلو لم يكن له شأن عند النبى ﷺ لما سأله عن غيابه . ولما مر بالمسجد وحسان ينشد الشعر فيه لحظ عمر إلى حسان ، فقال حسان : كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك — يعنى النبى ﷺ — ثم التفت إلى أبى هريرة وقال له : سألتك بالله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول « أجب عنى وروح القدس معك ، اللهم أيده بروح القدس » ؟ فما أنكر عمر على حسان استشهاده بأبى هريرة ، وسلم لهما وانصرف . فأى شأن يكون أعظم من هذا ؟ استشهاد حسان بأبى هريرة وإقرار عمر له على ذلك وسكوته عليهما

وأما فريات ضرب عمر لأبي هريرة بالدرة وتهديده إذا لم يكف عن الرواية بنفيه إلى بلاده واتهام الصحابة له فمن خرق أبي رية واختلاقاته تبعا لسادانه الروافض فروخ المجوس واليهود ومن أوكار الافتراء كلوط بن يحيى أبي مخنف وابن الكلبي صاحب مثالب الصحابة وشيطان الطاق وابن عقيل الحضرمي وشيخه أبي بكر بن شهاب ـ هذه الفريات التي أرادوا بها تشويه سمعة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه كان حاكما مستبداً عدوا لرسول الله ﷺ ولأحاديثه ولرواتها ، وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب أرفع قدراً وأجل دينا من أن يعادي رسول الله ﷺ وأحاديثه وحملتها كأبي هريرة وابن عمر وأنس بن مالك وعائشة وأبي سعيد الخدري وأمثالهم ، ولكنه الهوى والجور وعداوة الاسلام وخلفائه وأئمة دينه وحملة علوم نبيه حملت الروافض ومن شرب من مراحيضهم أن يقولوا في الاسلام ما قال مالك في الخمر ، والموعد الله يوم القيامة كما قال أبو هريرة لمن استغربوا كثرة أحاديثه

وقال ابو رية (ص ١٨٣) بعنوان « حفظ الوعاءين » : أخرج البخاري عن أبي هريرة قال : حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم

قال أبو رية : وهذا الحديث معارض بحديث رواه الجماعة بألفاظ متقاربة عن علي رضي الله عنه ، فقد سئل : هل عندكم كتاب ؟ فقال : لا ، الا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة . ه

فأي معارضة بين الحديثين عند من له عقل وإنصاف ، حديث في الفتن يحفظه أبو هريرة ولا يقدر أن يذكره للناس لأن من قيل فيهم أحياء وبيدهم قوة ، وحديث ينفي فيه علي ما أشاعه جهلة الشيعة من أن عند آل البيت كتابا خصهم به النبي ﷺ ، فيه خلافة علي وتقديمه على أبي بكر وعمر

فأي معارضة بين الحديثين يا أبا رية إن كان بقي عندك ورع وعقل وإنصاف ؟

أما الجدل بالباطل والمشاغبة فميدانها فسيح يسعك ويسع أمثالك ممن جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، ولـكن الناس لهم عقول وورع وانصاف

وقال (ص ١٨٢) : وكذلك يعارضه ما رواه البخارى عن عبد العزيز بن رفيع قال : دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس ، فقال له شداد : أترك النبى ﷺ من شىء ؟ قال : ما ترك إلا ما بين الدفتين . هـ

وهذا الحديث فى رد ما أشاعته الشيعة عن علم مكتوم عند آل البيت فى خلافة على وتقديمه فى ذلك على سائر الصحابة ، فسأل شداد بن معقل ابن عباس عن مبلغ هذه الاشاعة من الصحة ، فأجابه ابن عباس بنفيها ، وإلا فابن عباس لا ينفى ما حفظه عن النبى ﷺ من الأحاديث مشافهة أو بواسطة كبار الصحابة ، ولا ينفى ما رواه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وأبو هريرة وعائشة وأنس وابن عُمر وعبد الله بن عمرو وغيرهم من الصحابة من أحاديث رسول الله ﷺ ، وإنما نفى ما أشاعته الشيعة عن علم مكنون اختص النبى ﷺ آل بيته به ، فقد حفظ عن أحمق من حمقى الشيعة أظنه جابر الجعفى قال : حفظت القرآن فى سبعة أيام ، والوحى فى أربعين يوما ، والوحى أصعب . فقد افتروا وحيا أصعب من القرآن هو مانفاه على وابن عباس

فأين هذان — ما نقل عن على وابن عباس — من معارضتها لحديث أبى هريرة فى الفتن الذى لم يستطع أن يبثه فى الناس وإلا لقطع حلقومه

قال ابن عمر : لو حدثكم أبو هريرة أنكم تهدمون بيت ربكم — يعنى الـكعبة المشرفة — وأنكم تقتلون ابن نبيكم — يعنى الحسين — لقلتم كذب أبو هريرة . وكان أبو هريرة يقول : اللهم إنى أعوذ بك من إمارة الصبيان ومن رأس الستين ، يعنى التى تولى فيهـا يزيد بن معاوية

وقال أبو رية (آخر ص ١٨٢) : ولو كان هناك شىء يؤثر به النبى أحد خواصه ويحجبه عن سائر أصحابه لـكان على أولى الناس جميعا بذلك ، ذلك بأنه ربيبه وابن عمه

وأول من أسلم وزوج ابنته ولم يفارقه فى سفر ولا حضر، وشهد معه المشاهد كلها — سوى تبوك — ... فقال له النبي : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى ، رواه البخارى والترمذى . اهـ

يقال لأبى رية : من قال لك إن الرسول اختص أبا هريرة بشىء حتى تضرب المثل بعلى وتذكر من فضائله ما لا ننكره ، ولكنه لا يفضل بذلك على أبى بكر وعمر وعثمان أيها الراضع لبان الرافضة

إن أبا هريرة يقول : حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين ، ولم يقل خصنى رسول الله ﷺ بهما ، ولا نفى أن يكون غيره حفظ ما حفظ هو ، فكيف تجنيت عليه بدعوى التخصيص وضربت الأمثال بعلى ثم بأبى بكر وعمر وأبى عبيدة بن الجراح وبالزبير وعائشة وخديجة وأم سلمة وابن مسعود صاحب السواد والسرار ، كيف سوّغ لك عقلك ودينك وإنصافك أن تحمّل حديث أبى هريرة ما لا يحتمله فى لغة ولا عرف ولا عقل ، إذ قال « حفظت من رسول الله وعاءين » فتقول لم خص أبا هريرة بما لم يخص به فلانا وفلانا وفلانا ، وأى خصوصية فى حديث حدث به النبى ﷺ من شاء الله من أصحابه وحفظه منهم من حفظه وذكره أبو هريرة ، فأى غرابة أو عجب فى هذا ؟ لقد شرح هذا الحديث شرّاح الصحيحين : ابن بطال المالكى ، والكرمانى والعينى الحنفيان ، وابن حجر والقسطلانى الشافعيان وغيرهم ، ومن شرّاح مسلم ابن الصلاح وعياض والنووى ، فما استغرب أحد منهم ما استغربتَ ، ولا أزم أحد منهم ما أزمت ، ولا استنكروا فيه ما استنكرت ، وهم القوم كل القوم يا أم خالد . وإن فهما لا يمرّ بعقول هؤلاء ويمر بعقل أبى رية لهو فهم منكوس وحظ منحوس

لقد تكلم شيخ الاسلام ابن تيمية على هذا الحديث فى رسالة الظاهر والباطن بكلام نفيس ردّ فيه على من قال بباطن للشرع يخالف ظاهره ، وبين هو والحافظ ابن حجر فى فتح البارى أن الحديث فى الفتن التى وقعت بعده كقتل عثمان وخروج الخوارج على على

وافتراق المسلمين بين على ومعاوية وقتل الحسين ورأس الستين إمارة الصبيان وهلاك هذه الأمة على يد أغيلمة من قريش إلى أمثال ذلك ، والحديث حديث أبى هريرة كحديث حذيفة : قام فينا رسول الله مقاما ما ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدّث به ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه

وقال أبو رية (ص ١٨٤) : ومن هو أبو هريرة حتى يؤثره النبى بشىء يخصه به ويكتمه ويخفيه عن أصفيائه وأحبائه وأقرب الناس اليه ؟ إنه لم يكن له أى فضل يدنو به إلى النبى ، ولا عد بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى من أى طبقة من طبقات الصحابة ، فلا هو من السابقين الأولين ، ولا من المهاجرين ، ولا من الأنصار ، ولا من المجاهدين بأموالهم أو بأنفسهم ، ولا من النقباء ، ولا من العرفاء ، ولا من الكملة فى الجاهلية وأول الاسلام ، ولا من شعراء النبى الذين نافحوا عنه ، ولا من المفتين ولا من القراء الذين حفظوا القرآن ، ولا جاء فى فضله حديث الرسول ، وكل ما عرف عنه أنه كان عريف أهل الصفة لا أكثر ولا أقل . ه

هذا ما قاله أبو رية من بغض أبى هريرة . وجوابه أن السفاهة تغنى حكايتها عن جوابها ، هذا والقحة مما يتنزه قلم الكرام عن جوابها . ولكن عملا بقول الله تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ نقول له : أيها المفترى على صدر الاسلام وأهله ، أين زعم أبو هريرة أو زعم له زاعم أن النبى ﷺ آثره بشىء خصه به وكتمه وأخفاه عن أصفيائه وأحبائه وأقرب الناس إليه ؟ أمن قوله حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين ؟ إن كنتَ أعجميا لا يعقل ألف باء العربية فاسأل من يعرفها يفدك أنه ليس فى الحديث ، ولا هو يدل بأى نوع من أنواع الدلالات : المطابقة والتضمن والالتزام ، أن الرسول آثره أو خصه بشىء كتمه وأخفاه عن أصفيائه وأحبائه وأقرب الناس اليه . فإلى أين تجد من العرب أو العجم من يفهم ما ألزمت به أبا هريرة مما لا يلزمه وألصقته به زورا وبهتانا نسكت عنك حتى تجد من يوافقك على هذا الفهم المنكوس والفكر المقلوب

وإنكارك لفضله لا يضره كما قال الشاعر :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

فهو من المهاجرين إلى النبي ﷺ ، ورضخ له النبي ﷺ في غنائم خيبر مع مهاجري الحبشة واليمن ، وهو من حفاظ الاسلام لا يضيره ألا يكون شاعراً . وبهتك إياه أنه لم يكن من المجاهدين بأنفسهم وأموالهم بهتان سببه بغضك لأصحاب النبي ﷺ الذي جاءك من أعداء الاسلام الروافض واليهود ، وكذلك بهتك إياه أنه لم يحفظ القرآن دعوى بلا دليل فهي ردٌّ عليك ، وكذلك دعوى أنه لم يجيء في فضله حديث تهجم من جاهل بالأحاديث ، مكذّب لأهلها ، مفتر على خيارهم

واعترافك أنه كان عريف أهل الصفة فنعمت المنقبة ، والفضل ما شهدت به الأعداء . وأهل الصفة هم من خيار المهاجرين حتى ينتقلوا عنها : نزلها أكابر الصحابة عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من أكابر المهاجرين فكانت دار ضيافة الاسلام في المدينة المنورة ينزلها القادم من دياره من المهاجرين الأولين حتى يجد ما يغنيه عنها من سكن ونفقة . فإذا كان أبو هريرة رضي الله عنه قد تشرف بكونه عريف أهل الصفة وأهل الصفة خيار المهاجرين فيالها من منقبة عظيمة سطرها قلمك بغير شعور ، مدفوعا إلى ذلك ببغض قلبك لأبي هريرة وأهل الصفة ، والحق قد يطفح رغم أنف المبغض

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

ومن أنت يا أبا رية حتى تعد في حساد أبي هريرة ؟ بل أنت من شرار مبغضيه الذين لا يضر أبا هريرة بغضهم له كما لا يضر القمر نباح الكلاب

وقال (في حاشية ص ١٨٣) : روى مسلم أن النبي ﷺ قال «خذوا القرآن عن أربعة من ابن أم عبد (فبدأ به) ومعاذ بن جبل وأبيّ بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة » اه قال : فترى أنه لم يصل إلى درجة أحد الموالي . اه . يعني أن أبا هريرة لم يذكر مع هؤلاء الأربعة وذكر فيهم سالم مولى أبي حذيفة ، فهو أفضل من أبي هريرة بزعمه

ونقول لفيلسوف القرن الرابع عشر : ولم يذكر فى هذا الحديث أبو بكر أيضا ولا عمر ولا عثمان ولا على ، فهل المولى سالم أفضل من هؤلاء الخلفاء الراشدين ؟ وما هو جوابك عن هذا فهو جوابنا عن عدم ذكر أبى هريرة ، ويكون عَلَى تفكيرك هذا سالم مولى أبى حذيفة أفضل من أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، فبئس التفكير السقيم الذى يؤدى إلى هذا الزعم الباطل

وقال أبو رية (آخر حاشية ص ١٨٤) : أثبت التاريخ أنه فر يوم مؤتة ، ولما عيروه بذلك لم يحر جوابا . اهـ

ونسأل أبا رية أى تاريخ هذا ؟ مثالب الصحابة لابن الكلبى ، أم رواية عن لوط بن مخنف التالف الهالك ، أم ماذا تعنى بالتاريخ ؟ ونعيد له ما ذكرناه مرارا من المثل : أكذب وأبعد شاهدك

ثم نقول له : اعترفت هناك أنه كان فى غزوة مؤتة ، فرّ أو لم يفر . ألا ينقض هذا زعمك فى أعلى هذه الصفحة عينها أنه لم يكن من المجاهدين بأنفسهم وأموالهم ؟ فليعجب المتعجب : يقول أبو رية فى وسط ص ١٨٤ عن أبى هريرة إنه لم يكن من المجاهدين بأموالهم أو بأنفسهم ، وفى آخر هذه الصفحة عينها يقول إنه فر يوم مؤتة أى كان مجاهدا فى غزوة مؤتة ، فهل يعقل أبو رية أنه يهدم ما يبنيه فى صفحة واحدة كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا . أو لعله لا يعقل ما يسوّد به القرطاس ، أو هو الهوى والبغى والظلم ، يكفى الواحد منها لعمى القلب ، فكيف بها إذا اجتمعت مع البغض لحملة العلم النبوى ، حينئذ خذ يا أخى المسلم من المضحكات المبكيات ما تشاء ، واحمد الله الذى عافاك من بغض صحابة رسول الله ﷺ خصوصا ، وبغض رواة الحديث عموما ، ﴿ من يهد الله فهو المهتدى ﴾

أبو هريرة وبنو أمية

بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بنو عم بنى هاشم وبنو عم النبى ﷺ، منهم ذو النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين وصهر النبى ﷺ على ابنتيه رقية وأم كلثوم ولو كان عند النبى ﷺ غيرهما بعد وفاتهما لزوّجه إياها، وهو الذى اختاره المهاجرون والأنصار عندما شاورهم عبد الرحمن بن عوف فاختاروه على علىّ رضى الله عنهما وعنهم أجمعين

ومنهم معاوية بن أبى سفيان كاتب الوحى بين يدى رسول الله ﷺ والذى ولاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الشام بعد موت أخيه يزيد بن أبى سفيان، وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة زوج النبى ﷺ ويقال له «خال المؤمنين» لأنه أخو أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان

وابنه يزيد — على رغم أنف مبغضيه — هو أمير الجيش الذى غزا القسطنطينية ورآهم النبى ﷺ فى منامه عند أم حرام ملوكا على الأسرة أو كالملوك على الأسرة حتى قالت له أم حرام: ادعُ الله أن يجعلنى منهم. وركبت البحر مع زوجها عبادة بن الصامت وصرعتها دابتها فى جزيرة قبرص فماتت هناك

ومنهم عمر بن عبد العزيز الذى ألحق بالخلفاء الراشدين فى عدله وعلمه وحلمه. ومنهم ومنهم .... ومنهم ....

وهم أصحاب الفتوح الاسلامية العظمى فى أعماق المشرق وفى آفاق أوروبا

فأى عيب على أبى هريرة أن يعرف بنو أمية فضله ويولوه إمارة المدينة بالنيابة بعد ما ولاه عمر إمارة البحرين، ولا يضره نباح مبغضية وفرياتهم عليه.

قال أبو رية (ص ١٨٥): علمت مما كشفناه لك من تاريخ أبى هريرة أنه لم يصاحب النبى ﷺ إلا على ملء بطنه .... وأنه قد اتخذ الصفة ملاذا له لفقره يأكل

فيها كما يأكل سائر أهلها ، أو يأكل عند النبي أو عند أصحابه . هـ

ونقول لمقدس الارستقراطية المحرمة المترفة : إن أبا هريرة هاجر إلى النبي ﷺ مختاراً ، وكان له عبد أعتقه لوجه الله ليدخل فى صفوف خيار عباد الله الذين لم يفسدهم الغنى والترف . وأهل الصفة الذين تلمزهم وتلمز أبا هريرة معهم هم خيار المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم ينصرون الله ورسوله ، فهم خير من مشى على وجه الأرض بعـــد النبيين والراشدين ، وعلى بن أبى طالب الذى كدت تعبده تقربا للروافض قد عاش فقيراً ومات فقيراً ورباه ﷺ وأكرمه بزواج ابنته الزهراء وساعده فى صداقها ، فأى عيب بعد هذا فى فقر أبى هريرة الذى اختـــاره لنفسه لينقطع لحفظ حديث رسول الله ﷺ ؟

وإن كان يعيب أبا هريرة عندك يا أبا رية أكله عند رسول الله وعند بعض أصحابه فلتعب على رسول الله ﷺ وعلى أبى بكر وعمر خروجهم من دورهم للجوع وذهابهم إلى دار أو بستان أبى الهيثم بن التيهان وتقديمه لهم عذقا برطبه وبسره وذبحه لهم عناقا أو شاة وأكلوا من الرطب والبسر واللحم المشوى وشربوا من الماء العذب الذى جاء به ابن التيهان من غير بستانه ، وقال ﷺ لهم حينئذ : هذا هو النعيم الذى قال الله فيه ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ . وكان الضيف يأتى إلى رسول الله ﷺ فيسأل أهل بيته عن طعام لضيفه فتخبره زوجاته : ما عندنا إلا الماء ، فيقول رسول الله : من يضيف هذا ؟ فيذهب بعضهم إلى داره وليس عنده إلا طعام أولاده ، فيقول الرجل لزوجه : نومى الأولاد وأطفىء المصباح ونوهم الضيف أنا نأكل معه ونؤثره بطعامنا وطعام أولادنا ، فهو ضيف رسول الله ﷺ ، ويصبح الضيف وقد طعم طعامهم وجاعوا هم وأولادهم ، ويقول النبى ﷺ ما معناه : عجب ربك من صنيعكم بضيفكم الليلة . وينزل الله فى ذلك وأمثاله ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾

ولقد عاب أبو رية على أبي هريرة ما مدح الله به خيار المؤمنين بقوله ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون ﴾ ، ﴿ للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ﴾ وفى الحديث « والله ما الفقرَ أخشى عليكم » وفى الحديث الآخر : « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم » الخ

فاذا كان عيب أبي هريرة عند أبى رية فقره وانقطاعه لطلب العلم فأنعم به وأكرم ، ولعنة الله على المترفين المجرمين الذين قال الله فيهم ﴿ وجعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ﴾ .

وحينئذ يسقط ما هذى به أبو رية فى شأن أبى هريرة (ص ١٨٥) بقوله : ومن كان هذا شأنه لا يكون ولا جرم إلا مهينا لا شأن له ولا خطر ، وقد ظل على هذه المهانة زمن النبى ﷺ وأبى بكر وعمر ، ثم أخذ يظهر فى زمن عثمان بعد انزوائه ، ويبدو للناس بعد جفائه . هـ

أقول : هذا الهذيان ، هذيان المحمومين ، الذى نسى صاحبه ما سيذكره أن عمر ولاه إمارة البحرين ، ونسى هذا المحموم أنه كان عريف أهل الصفة وهم خيار المهاجرين الذين أنزل الله مدحهم فى كتابه كما سقت لك بعض ذلك ، ونسى أنه تقدم له أنه كان مجاهدا غازيا فى غزوة مؤتة ، ونسى تفقد النبى ﷺ له إذا غاب ، وغاظه إلى أن رفع درجة حرارة الحمى من غيظه أن يكون حافظ الاسلام وراوية أحاديث النبى ﷺ ، فلنتركه فى حمى غيظه ولن نستطيع أن نجيب على هذيانات المحمومين

يا أستاذ أبا رية ، قبيح منك أن تبيع دينك للروافض بعرض من الدنيا قليل قليل ، فالدين خير من الدنيا وما فيها . وأقبح منه وأقبح وأقبح ، أن تتنازل عن دينك وعن اتباع سبيل المؤمنين بلا شىء ولو اشتروا كتابك بوزنه ذهبا

جاء فى حديث مسلم مرفوعا « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافراً ، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل »

وأما ما حكيت عن الطقطقى ابن طباطبا (آخر ص ١٨٥) عن كتابه الفخرى من أكلات معاوية الخمس ، فما أشبهها بروايات ألف ليلة وليلة أو بنوادر الحشاشين ، سواء صحت أو كانت من مفتريات ساداتك الروافض ، فالناس قد عرفوا فى معاوية الحلم والعقل والسخاء والعدل ، وقد حقق ما رشحته له أمه أن يكون سيد الدنيا كلها لا العرب وحدهم ، ولذلك عرف له الحسن بن على فضله فبايعه البيعة الشرعية وكف عن منازعته فى الملك أو الخلاف تحقيقا لخبر النبى ﷺ فى الحسن « إن ابنى هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وقد كان ذلك رغم أنوف محيي الفتن ومثيريها بين المسلمين ، فرضى الله عنه وأرضاه ، ولم تضر المسلمين أكلات معاوية ، ولكن نفعهم حلمه وعقله وعدله وجهاده واجتماع المسلمين عليه ، وهيبة أساطيله فى بحر الروم لغزو الروم

سمعت أحد شيوخنا الشيخ عبيد الله السندى رحمه الله يقول ما معناه : الخلافة الراشدة امتداد عصر النبوة ، وتكميل لما بدأه ﷺ من إرساء قواعد الاسلام . وفى عهد بنى أمية الملك والوزراء من العرب ، وفى عهد بنى العباس الملك عربى والوزراء من العجم ، وفى العهد التركى العثمانى الملك والوزراء عجم

فعهد ملوكه ووزراؤه عرب هو خير العهود بعد عصر النبوة والخلافة الراشدة ، لذلك نرى حنق فروخ زنادقة الفرس واليهود من الرافضة شديداً وشديداً جداً وخلقوا له وخرقوا المفتريات والأكاذيب فى تسوىء سمعته وتشويهها ، وهو العهد الذى تسلم زمام أمر الاسلام من الخلافة الراشدة ، ونشره فى الخافقين شرقا إلى حدود الهند والصين ، وغربا إلى البحر الاطلنطى وجنوب فرنسا ، وفيه ازدهرت الآداب والفنون العربية والعلوم الإسلامية ، فهو أزهى عصور الاسلام بعد عصر الراشدين

فيجيء ابن طباطبا الطقطقي فيشغل عقله بأكلات معاوية لأنه يدين الله بأن أقل خادم أو مولى لمعاوية خير من عشرات أمثاله وأمثال أمثاله ، ويجيء أبو رية في القرن الرابع عشر فيقع على قاذورات الروافض وحماقات الشيعة وينقلها في كتاب يسميه أضواء على السنة المحمدية ، ولو سماه ظلمات التشكيك في سنة رسول الله ﷺ كان أقرب إلى الصدق

وقال أبو رية (ص ١٨٥) ولما شبت نار الحرب بين على رضى الله عنه وبين معاوية — وإن شئت فقل : لما انبعث الصراع بين الأموية والهاشمية بعد أن توارى — فرقا من القوة — في زمن النبي ﷺ وخليفتيه أبي بكر وعمر ، وانقسم المسلمون فرقا ، اتجه أبو هريرة إلى الناحية التي يميل إليها طبعه وتتفق مع هوى نفسه — وهي ناحية معاوية — إذ كانت تملك من أسباب السلطان والترف والمال والنعيم ما لم تملك ناحية على التي ليس فيها إلا الفقر والجوع والزهد — وليس بغريب على من نشأ نشأة أبي هريرة وعاش عيشته أن يتنكب الطريق التي تؤدى إلى علي ، وأن يتخذ سبيله إلى معاوية ليشبع نهمه من ألوان موائده الشهية ، ويقضي وطره من رفده وصلاته وعطاياه السنية . ا هـ

أقول : هذا كلام جاهل بالتاريخ ، ذي هوى وعصبية جاهلية ، لم يتق الله فيما كتب ، ولا خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، ولا تأدب بما قيل : تكلم بعلم ، أو اسكت بحلم

فقوله انبعث الصراع بين الأموية والهاشمية بعد أن توارى فرقا من القوة في زمن النبي ﷺ وخليفتيه أبي بكر وعمر ، جهل بالتاريخ . فالمسلمون جميعا أمويهم وهاشميهم مهاجرون وأنصار كانوا يدا واحدة في جهاد الاسلام ونشر راياته زمن النبي ﷺ وخليفتيه أبي بكر وعمر ، ولم تكن هناك نعرة طائفية ولا عصبية جاهلية لا أموية ولا هاشمية ولا أوسية ولا خزرجية ، عملا بأدب الاسلام ﴿ اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ ، ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا ﴾ والحديث « كلكم لآدم وآدم من تراب »

لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى إلا بالتقوى » . وبحكمة النبى ﷺ وخليفتيه أبى بكر وعمر مضى توجيه للمسلمين جميعا إلى نصرة الاسلام ونشره وخدمته ، لم يكن للعصبية الجاهلية بينهم مكان

فلما نشأ الرفض والتشيع وانتشرت أفكار أهله وأفسدوا وشائج الدين بين الناس من دعوى تفضيل علىّ عَلَى أبى بكر وعمر ، ورفع الغلاة عقيرتهم بأنه أحق بالخلافة من أبى بكر وعمر ، اضطر علىّ أن يقول : من فضلنى على أبى بكر وعمر جلدته حد المفترى . وسأله ابنه محمد بن الحنفية : من أفضل الناس بعد رسول الله ؟ قال : أبو بكر . قال محمد : ثم مَن ؟ قال : عمر

انتشرت بين الناس شرور زنادقة الفرس واليهود باسم شيعة آل البيت ، ونشروا مفترياتهم وأكاذيبهم من اختصاص آل البيت بوحى خصهم به رسول الله ﷺ ، حتى نفاه علىّ وابن عباس . وقولهم علىّ أفضل البشر ومن أبى فقد كفر ، ومن كنت مولاه فعلى مولاه ، وغيرها من المفتريات التى فرقوا بها شمل الأمة وآلت إلى قتل ثالث الخلفاء الراشدين وإشعال نار الفتنة بين على ومعاوية مما لا حاجة لنا إلى الدخول فى تفاصيله والتكلم فيه بلسان شيعة على أو معاوية ، ولا خير فى التشيع عموما ، وشره ما كان فى شيعة علىَ من تفضيله على أبى بكر وعمر والغلو فيه إلى تفضيله على النبى ﷺ أو القول بألوهيته وأنه ارتفع فوق السحاب وأن الخلافة فى ذريته آخرهم ابن مزعوم للحسن العسكرى قالوا إنه اختفى فى السرداب من أكثر من ألف سنة وأنه حى إلى الآن ، إلى غير ذلك من الضلالات والسخافات والكفريات

وقول أبى رية عن أبى هريرة إنه اتجه إلى الناحية التى يميل اليها طبعه وتتفق مع هوى نفسه وهى ناحية معاوية اذ كانت تملك من أسباب السلطان والترف والمال ما لم تملك ناحية على التى ليس فيها إلا الفقر والجوع والزهد الخ فرية على هذا الصحابى الجليل حسابك عليها يوم القيامة بين يدى الجبار المنتقم الحكم العدل . ونقول الآن ﴿ سبحانك

هذا بهتان عظيم ﴾ ، ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون ﴾

وهل نسيت ما مر لك من همز أبى هريرة ولمزه بالفقر والجوع ، ثم جئت الآن تصفه بهما أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، فهل انقلب الجوع والفقر اللذان عبت بهما أبا هريرة مدحا وفضيلة فى على ، أو هو الهوى يذم هذا بما يمدح به ذلك ؟

ثم هل نسيت ما نقلت عن عبد الحسين الرافضى سابقا أن أبا هريرة كان يصلى وراء على ويهرب فى الجبل وقت القتال قتال أهل العراق وأهل الشام ، فأين اتجاهه إلى ناحية السلطان والترف ناحية معاوية ، أم هو الهوى يعميك عما قلت فتهدم ما بنيت وتنفى ما أثبت وتثبت ما نفيت بلا وعى ولا اعتبار لما قيل : اذا كنت كذوبا فكن ذكوراً ، ولقد قيل : كل إناء يرشح بما فيه ، فما ترشح من أخلاقك خطت من خرقه ثوبا أردت أن تلبسه أبا هريرة وأبو هريرة برىء من مفتريات الخارقين ، حسبه حب رسول الله ﷺ إياه وحب خيار المؤمنين له من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان إلى يوم القيامة ، فاذا سمعنا شهادة هؤلاء فمن أنت يا أبا رية ومن هم ساداتك فروخ زنادقة الفرس واليهود من الروافض وأشباههم ؟

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى   فلا زال غضبانا علىّ لئامها

وقال (أول ص ١٨٦) : وإذا كان قد بلغ من فاقة أبى هريرة وجوعه أن يخر مغشيا عليه حتى يضع الناس أرجلهم على عنقه ، فهل تراه يدع دولة بنى أمية ذات السلطان العريض والأطعمة الناعمة وينقلب إلى الزاهد الفقير الذى كان طعامه القديد ؟ إن هذا مما تأباه طباع الانسانية ولا يتفق والغرائز النفسية ! اللهم إلا من عصم ربك ، وقليل ما هم . ه

ونقول لأبى رية : إن أبا هريرة من القليل الذى عصم الله ، وإن جحدت فضله فقد عرفه له رسول الله ﷺ وخيار الناس

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم الماء من سقم

ورمد عينيك هو الهوى ، وبغض رواة الحديث ، لا سيا أهل الكثرة منهم ، وقد ذمت أبا هريرة بالجوع والفقر ومدحت عليا بها فأيهما نصدق ؟

أبو هريرة يهاجر من دياره دوس حبا فى الإسلام وحبا فى الله ورسوله ، وينقطع عن الدنيا تجارتها وزراعتها ليتفرغ لحفظ حديث رسول الله ﷺ ، فيجىء أبو رية فى القرن الرابع عشر يعيبه ويهمزه ويلمزه بالفقر الذى يمدح به معبود ساداته الرافضة على بن أبى طالب ، فما هذا التناقض يامن يعقل وينصف ويا أولى الألباب ؟

آمنا وصدقنا بفضائل هذا الصحابى اقتداء برسول الله ﷺ وخيار أمته ، وكفرنا بمفتريات أبى رية وحقده وبغضه وغيظه من حملة العلم النبوى

والعجب أن هذا المفترى ينقل من الحلية وطبقات ابن سعد ما يريد أن يهدم به دواوين الاسلام من المسانيد والصحاح والسنن ، فأى هاوية يتردّى فيها صاحب الهوى والبغى والجور ؟

ودعواه (ص ١٨٦) إغداق بنى أمية على أبى هريرة من أفضالهم ، وأنهم غمروه برفدهم وأعطياتهم ، فلم يلبث أن تحول حاله من ضيق إلى سعة ومن شظف العيش إلى دعة ، ومن فقر إلى ثراء ، وبعد أن كان يستر جسمه بنمرة باليـة صار يلبس الخز والكتان الممشق . هـ

يريد أبو رية أن يتحكم فى إرادة الله وحكمه وتدبيره حتى كأنه يريد مشاركة الله فى ملكه فلا يريد من الله أن يغنى فقيراً ولا أن يعافى مريضا ، وأن لا يفعل الله إلا ما يهواه أبو رية ، فيغيظه أن يغنى الله فقر أبى هريرة ، وغاب عنه قول الله ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ﴾ وقوله ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ وقوله ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات الأرض ﴾ ، ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم ﴾

وقال أبو رية (أول ص ١٨٧) : ولقد كانت أول لفتة من عين الأمويين إلى أبى هريرة لقاء مناصرته إياهم أن ولاه بسر بن أرطاة على المدينة بعد أن بعثه معاوية إلى أهل الحجاز يفعل فعلاته بهم وبأموالهم وذراريهم

وجوابك هل هذه الفرية عن الطقطقى أو البقيق أو من جردل الاسكافى ، فقد عهدناك تستدق من جرادل هؤلاء ، وهنا أعوزك النقل حتى عن الاسكافى أو الزبدى الذى استقيت منه سب الصحابة بواسطة أحمد أمين . إن هذه الأكاذيب التى لا خطام لها ولا زمام تسيبها فى جرح الصحابة أبى هريرة ومعاوية وبسر بن أرطأة ، فأين كان بقية الصحابة والأخيار ابن عمر ومحمد بن الحنفية وابن أخيه على بن الحسين وغيرهم من السكوت على أفاعيل بسر بن أرطأه بأهل الحجاز وأموالهم وذراريهم ، وهم القوم لم يسكتوا على ما هو دون ذلك

ولكنه الهوى والظلم والجور يسوق التهم جزافا إلى خيار خلق الله تعالى ، والموعد الله بين يديه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا

وإذا كان بسر قد ولى أبا هريرة إمارة المدينة وفيها خيار الناس من طبقة ابن عمر وابن عباس وغيرهم من خيار أصحاب رسول الله ﷺ فهى منقبة عظيمة لأبى هريرة تقف شجى فى حلق أبى رية وساداته الروافض من مبغضى أصحاب رسول الله فروخ زنادقة الفرس واليهود

قال (ص ١٨٧) : وكذلك كان مروان ينيبه عنه على ولاية المدينة ، ثم زادت أياديهم عليه فبنوا له قصرا بالعقيق ، وأقطعوه أرضا بالعقيق وبذى الحليفة ، ولم يكتفوا بذلك بل زوجوه بسرة بنت غزوان أخت الأمير عتبة بن غزوان ، وهى التى كان يخدمها أيام عريه وفقره بطعام بطنه . ه

وجوابه أنا لا نعرف قصرا بالعقيق غير قصر سعد بن أبى وقاص ، فبناء قصر لأبى هريرة من بنى أمية كذبة أول ابريل (نيسان) من أبى رية

وأما إقتطاعه أرضا بالعقيق من بنى أمية فالله قد أقطع عباده أرضه بحديث نبيه ﷺ « من أحيا أرضا مواتا فهى له » . ولو كان لإقطاع أبى هريرة من بنى أمية أصل لكان بأرض الشام ، أرض الجنات والبساتين ، لا أرض العقيق ذى الحليفة الصحراء القفراء الجدباء

وأما زواجه من بسرة بنت غزوان مخدومته أيام عربه وفقره وكان يخدمها بطعام بطنه ، فذلك كرامة من الله لبسرة اذ زوجها بصاحب رسول الله حافظ الاسلام ، كما أكرم خديجة أم المؤمنين بزواجها بنبيه ﷺ وقد كان عميلا لها فى مالها إلى الشام ، وتحدث أبي هريرة بذلك من باب ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾

وأما قول أبى رية (آخر ص ١٨٧ وحاشيتها) فى قول أبى هريرة عن زوجه : فكلفتها أن تركب قائمة وأن تورد حافية ـ إن صح ذلك عنه ـ فمن الدناءة واللؤم أن يوصف بأنه كلام تعرى عن كل مروءة وكرم واتسم بكل دناءة ولؤم ، وأن يقال : فنجده يباهى بامتهان زوجه والتشفى منها ، وهل يفعل مثل ذلك رجل كريم خرج من أصل عريق . ه

ونقول لأبى رية : ان بسرة بنت غزوان ، وقد زعمتَ أنها أخت الأمير عتبة بن غزوان ، تعرف كرامتها عند زوجها ودعابته لها ، ولو كانت لا تريد عشرة أبى هريرة فما الذى كان يكرهها على عشرة رجل تسمه أنت بالدناءة واللؤم ، وعدم الكرم ، وعدم عراقة الأصل

هل كانت بسرة أمة مملوكة له حتى تتحمل ما عددته أنت إهانة لها ، ولو كانت أمة رقيقة له ولم يعجبها خلقه وعدم كرم أصله لقالت : أين سوق السلطان الذى تباع فيه الاماء ؟ أما وهى حرة وأخت أمير ، فما الذى يكرهها على عشرة لئيم دنىء أيها الوقح الدساس النفاثة فى العقد . وهذا الكلام إن صح عن أبى هريرة كان سبيله سبيل مداعبة الرجل لأهله ، وما أسخف عقل من يدخل فى مداعبة الرجل لأهله ، وما أقل أدبه ،

وما أقل مروءته . لا سيما اذا كانت قحته على حافظ سنة رسول الله لأنه حفظها للمسلمين وللانسانية ، وهو صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ تعلم منه حسن عشرة الناس ولا سيما الأهل والأزواج . لقد سابق رسول الله ﷺ زوجه عائشة مرتين ، سبقها فى الأولى وسبقته فى الثانية لما بدن وكبرت سنه ، وقال لها : هذه بتلك ، فمن تدخل بهذا بتعليقاته السخيفة وعده منافيا للوقار والحشمة أو غير ذلك من سخافات أهل السخف ، لذلك احتقرنا هذا المتدخل ، وأعرضنا عن سفاهته التى هى أقبح من اللغو يمر به الكرام كراما

وقال أبو رية (آخر ص ١٨٧) : ولم يكن ما قدم أبو هريرة جهاداً بسيفه أو بماله ، وإنما كان جهاده أحاديث ينشرها بين المسلمين يخذل بها أنصار على ويطعن عليه ويجعل الناس يبرأون منه ويشيد بفضل معاوية . ه

وجوابه أن هذا من نوع ما قبله ، مفتريات رافضية لم تنقلها عن الطقطقى أو البقبقى أو الاسكاف أو عبد الحسين ، وسيئتها سوائب من نوع ما كان يسيبه المشركون لآلهتهم ، وأبو هريرة أتقى لله تعالى منك ومن آلاف من ساداتك فروخ الفرس والمجوس الذين جمعوا بين بغض الاسلام وأهله من صحابة النبى ﷺ فمن بعدهم من خيار الأمة ، إلى الافتراء والخرق والاختلاق عليهم ، وحسبك بمثالب الصحابة لابن الكلبى

ومثل هذه الفرى والأكاذيب مما نعرض عنه ونستريح منه ، والحساب بين يدى الله يوم القيامة

وقال أبو رية (ص ١٨٨) : وقد كان مما رواه أحاديث فى فضل عثمان ومعاوية وغيرهما ممن يمت بأواصر القربى إلى آل أبى العاص وسائر بنى أمية . قال : وروى البيهقى عنه أنه لما دخل دار عثمان وهو محصور استأذن فى الكلام ، ولما أذن له قال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنكم ستلقون بعدى فتنة واختلافا . فقال له قائل من الناس : فمن لنا يا رسول الله ؟ أو ما تأمرنا ؟ فقال : عليكم بالأمين وأصحابه ، وهو يشير إلى عثمان . وقد أورده أحمد بسند جيد . اه

ونقول لمبغض أصحاب رسول الله والمحترق من رواية فضائلهم : ليس هذا الحديث بكثير على فضل عثمان ذى النورين ثالث الخلفاء الراشدين باجماع المهاجرين والأنصار وزوج بنتى النبي ﷺ ولو كان عند النبي ﷺ بنت ثالثة لزوجه إياها ، وهو مجهز جيش العسرة بألفى جمل بأقتابها ورحالها ، حتى قال ﷺ : أما عثمان فقد أوجب بعد اليوم ، وليس على عثمان بأس بعد اليوم

وعثمان هو الذى قدمه المهاجرون والأنصار حتى المخدرات فى خدورهن عند مشاورة عبد الرحمن لهم فى الموزانة للامامة بينه وبين معبود الروافض الذين أفسدوا فضله بغلوّهم فيه إلى درجة الألوهية رابع الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب

أيها الفيلسوف فى القرن الرابع عشر ، تعيب على المحدّثين اشتغالهم بالسند وصحته من ضعفه ولا ينظرون إلى المتن وموافقته للعقل — وهنا عميتَ عما عبته عليهم ، فكل ذى لب وعقل يجزم بأن أبا هريرة لو تماق لأحد لتملق للثوار الذين يحاصرون عثمان ، ولتحول عن رجل محصور مغلوب على أمره ، فيتحدث بحديث قد يكون سببا فى اراقة دمه من الثوار المحاصرين للخليفة الذى لا يملك دفاعا عن نفسه

فهل كان أبو هريرة قد اطلع على الغيب فعلم منه أنه ستقوم لبنى أمية دولة فتقرب إلى محصورها بوضع هذا الحديث ؟ أنصفونا يا أولى الألباب

أبو هريرة الذى كان يتعوذ من رأس الستين ومن إمارة الصبيان يكذب لعثمان وهو محصور لا يملك الدفاع عن نفسه ولا يستطيع الخروج إلى المسجد وهو إمام المسلمين ليصلى فيه بالناس ، ويمنع من شرب ماء بئر روما التى اشتراها بماله للمسلمين ، فلا يقدر على الشرب منها ؟ أين عقول أولى الألباب وإنصاف المنصفين ليحكموا على خرق هذا للأفون فى تكذيب أبى هريرة فى روايته لحديث فى فضل عثمان وهو محصور وسيوف الثائرين مصلتة على رأسه ورءوس محبيه

وقال أبو رية (ص ١٨٨) ولما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال أصبت.

ووقت ، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أشد أمتى حبا لى يوم القيامة ، قوم يأتون من بعدى يؤمنون بى ولم يرونى ، يعملون بما فى الورق المعلق . حتى رأيت المصاحف . قال فأعجب ذلك عثمان وأمر لأبى هريرة بعشرة آلاف

قال أبو رية : وهذا الحديث من غرائبه ، وهو ينطق ولا ريب بأنه ابن ساعته (ص ٢١٦ ج ٧ البداية والنهاية)

ويقال لأبى رية : البداية والنهاية لابن كثير ليس بديوان من دواوين الحديث حتى تعزو اليه وتغفل عزو ابن كثير للحديث ، وقد جربنا عليك خيانة النقل فتنقل ما تظن أنه لك وتترك ما هو عليك

وعمل عثمان فى كتابة للصحف الامام هو الذى منع تفرق الناس فى كتاب الله لما قال له حذيفة بن اليمان أدرك أمة محمد قبل أن يختلفوا فى كتاب الله كما اختلف فيه من قبلهم حينما رأى الناس فى غزوة أذربيجان وكل واحد يصوب قراءته لأنها عن فلان ويخطىء قراءة غيره ، فقال حذيفة لعثمان أدرك أمة محمد الخ ، فكتب عثمان المصاحف الأربعة وأمر بإحراق ما سواها ، فحفظ كتاب الله ، وعصم الله به الأمة من الاختلاف فى كتابها ، وحمد الناس عمل عثمان وأثنوا عليه خيراً

واحذر يا أبا رية أن تكون من الشيعة الذين يقولون ان هناك وحيا غير القرآن فيه خلافة على وتقديمه على سائر الصحابة ، أو أن الصحابة خوفا من أبى بكر وعمر حذفوا من القرآن ما يشهد لضلالهم وكفرهم ، ونقموا على عثمان عمله فى جمع الناس على قراءة النبى ﷺ فى العرضة الأخيرة وترك ما كان رخص للناس من قراءات أخرى تسع الشيخ الكبير والمرأة العجوز والعبيد ونحوهم . أما ان كنت من أولئك الناقمين على عثمان عمله فى جمع الناس على مصحف سجل آخر عرضات جبريل على النبى ﷺ فاسلك بعد ذلك من سبل الضلال ما شئت فإن تضر إلا نفسك

وحديث أبى هريرة فى البداية والنهاية من طريق الواقدى عن [أبى بكر بن عبد الله

ابن محمد] ابن أبي سبرة . والواقدي مشهور بالكذب وابن أبي سبرة يضع الحديث . وان ابن كثير كان أمينا باثبات مصدر هذا الخبر ، وأنت لم تكن أمينا بتجريده عن مصدره أي سنده فلا يعلم قارئ كتابك أن هذا الحديث مروي عن كذاب ، وأن هذا الكذاب يرويه عن رجل كان يضع الحديث

قال أبو رية (ص ١٨٨) : ومن غرائبه كذلك – يعني أبا هريرة – ما رواه البيهقي (ص ١١٧ ج ٧ من البداية والنهاية) قال : أصبت بثلاث مصيبات في الاسلام لم أصب بمثلهن ، موت رسول ﷺ وكنت صويحبه ، وقتل عثمان ، والمزود . قالوا وما المزود يا أبا هريرة ؟ قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقال : يا أبا هريرة أمعك شيء ؟ قلت : تمر في مزود . قال : جيء به . فأخرجت تمرا فأتيت به ، فمسه ودعا فيه ، ثم قال : ادع عشرة ، فدعوت عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم كذلك حتى أكل الجيش كله . وبقي من تمر معي في المزود . فقال : يا أبا هريرة إذا أردت أن تأخذ منه شيئا فادخل يدك ولا تكفه . قال فأكلت منه حياة النبي ﷺ ، وأكلت منه حياة أبي بكر كلها ، وأكلت منه حياة عمر كلها ، وأكلت منه حياة عثمان ، فلما قتل عثمان انتهب ما في يدي وانتهب المزود . ألا أخبركم كم أكلت منه ؟ أكلت منه أكثر من مئتي وسق . قال أبو رية : وهذا الحديث رواه أحمد ، ولكن قال فيه إن رسول الله هو الذي أعطاه التمر وأنه هو الذي جعله في مكتل وعلقه في سقف البيت

قال الوقح أبو رية : وكأنه يريد – وهو يزعم انتهاب مزوده لما قتل عثمان – أن يتقاضى ثمنه من بني أمية ، وقد عوضوه عنه بالشيء الكثير . اهـ

وقد أعرضت عن نقل ما تهكم به على أبي هريرة فالله هو حسيبه على ذلك ، وجواب هذا السفيه الوقح أن يقال له : ما الذي استغربته من هذا الذي قبله ثلاثة من أئمة العلم والدين أولهم أحمد بن حنبل والثاني البيهقي والثالث ابن كثير ؟ هل تظن أن يكذب الناس هؤلاء الأئمة ويصدقوا سخفك وكفرانك بأحاديث النبي ﷺ ؟ هل استغربته

منه أن موت النبي ﷺ مصيبة ، أو أن قتل عثمان كذلك ؟ ولعل أعظم ذلك عندنا ما في الحديث عن البركة النبوية التي لها نظائر لا تحصى : فكثرة الماء القليل حتى يتوضأ منه المـآت ، والماء من مزادتي امرأة مشركة حتى شرب منه الجيش وملؤا قربهم وأوانيهم والمزادتان لم تنقصا ، وعناق جابر وصاع شعير أكل منهما جيش الخندق وكانوا بين الثمانمائة إلى التسعمائة ، إلى غير ذلك ممـــا هو شجى في حلوق من في قلوبهم مرض من رسالات الله . وإذا كان يغيظ أبا رية أمثال هذه الآيات والمعجزات التي أكرم الله بها نبيه ويكره رواتها ويسخر من المحدثين بها فليمت بغيظه ، فلن يضر الله شيئا ، ولا يضير رسوله وحملة حديثه أمثال ذلك

وأما تهكم أبي رية في قول أبي هريرة حتى أكل الجيش كله فهزأ أبو رية بأبي هريرة بقوله « وأي جيش يامولانا » وبقوله « ولعله كان معلقا بالصفة » وعند قول أبي هريرة : فلما قتل عثمان قال ـ « هنا السر » وقوله « كأنه يريد وهو يزعم انتهاب مزوده لمــا قتل عثمان أن يتقاضى ثمنه من بني أمية وقد عوضوه بالشيء الكثير »

فيقال لهذا المكذب بما لم يحط به علما ، ولا له على كذبه وتكذيبه دليل من جردل الاسكافي : إن أبا هريرة بإجماع خيار الأمة أتقى لله من أن يكذب على غير رسوله فضلا عن رسوله ﷺ طمعا في دنيا ، ولعل ذلك خلق الذين يتطاولون على خيار الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة العلم وحملة الآثار النبوية طمعا فيما يطمع به تجار الرأي والدعايات من فضلات الرافضة وأعداء الاسلام ، والكذاب يظن الناس كلهم كذبة والطامع فيما بأيدي الناس يظن الناس كلهم طماعين

ولسنا في حاجة إلى جواب ما ألصق بأبي هريرة في ص ١٨٩ وحواشيها نقلا عن الخطيب البغدادي وابن عساكر والعقد الفريد والشعر والشعراء لابن قتيبة ، فليست هذه من الكتب المعتمدة عندهم ، ومن يريد أن يلصق بأبي هريرة تهمة الكذب من بؤرة الموضوعات والمصادر غير المسندة إلى الثقات فقد ضل سواء السبيل

وسأراجع الجزء الثامن من البداية والنهاية لابن كثير ص ١٢٠ حتى أعرف قيمة أمانتك فى النقل ، فقد جرب عليك انك تنقل ما تظن فيه فائدة لك ، وتترك ما هو حجة عليك ، وإن الظن فى ابن كثير أنه لا يسكت على المنكر حتى يبين نكارته سواء فى تفسيره أو تاريخه

وقال أبو رية (أول ص ١٩٠) : (وضعه أحاديث على علىّ) قال أبو جعفر الاسكافى (ص ٣٥٨ ج ١ شرح نهج البلاغة) إن معاوية حمل قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة عَلَى على تقتضى الطعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم فى ذلك جعلا ، فاختلقوا له ما أرضاه ، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير . اه

وأقول : والله العظيم جبار السموات والأرض إن أبا هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة ابن شعبة ومعاوية من الصحابة وعروة بن الزبير من التابعين أتقى لله تعالى ألف مرة منك ياإسكافى ، ومنك يا ابن أبى الحديد شارح نهج البلاغة ، فكلا كما من حمير الرافضة مبغضى الاسلام وصحابة نبيه الكريم . وانت يا أبا رية فلن تضر الله شيئا ولن تضر أصحاب رسول الله ﷺ الذين أجمع أجيال التاريخ ونزلت آيات السماء بأنهم خير أمة أخرجت للناس

والعجب من أبى رية كيف رضى لنفسه أن يصب من قىء هذين الرافضيين ويشرب من قيح غيظهما من صحابة رسول الله ، ثم يصب ذلك القىء وذلك الصديد فى كتاب يسميه أضواء على السنة المحمدية أما كان الأجدر به أن يسميه غيظا وحنقا وبغضا للسنة المحمدية وأهلها ورواتها ؟

وقال أبو رية (ص ١٩٠) : وروى الأعمش لما قدم أبو هريرة العراق عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة ، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلعته مرارا وقال : ياأهل العراق أتزعمون أنى أكذب على الله ورسول الله وأحرق نفسى بالنار — إلى أن قال : وأشهد بالله أن عليا أحدث فيها — يعنى المدينة — فلما بلغ معاوية قوله

أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة . هـ . وعلق أبو رية على قول أبي هريرة : أتزعمون أني أكذب على الله ورسول الله ، علق بقوله : يدل هذا القول على أن كذب أبي هريرة على النبي قد اشتهر حتى عم الآفاق لأنه قال ذلك وهو بالعراق وأن الناس جميعا كانوا يتحدثون عن هذا الكذب في كل مكان . اهـ

وجوابه : ليس بالعجيب على بعض أهل العراق أن يكذبوا أبا هريرة فقد كفّروا أبا بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة إلا عليا وبعض شيعته وألهوا عليا ورفعوه إلى السحاب ، وافتروا على آل البيت أن عندهم وحيا غير القرآن حتى نفى ذلك علي وابن عباس وإجماع المسلمين ، فلا عجب على من هذه حالهم أن يكذبوا أبا هريرة ويلعنوا أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وغيرهم من خواص أصحاب رسول الله ﷺ

وأما ما زعمت أنه لما بلغ معاوية قول أبي هريرة وأشهد بالله أن عليا أحدث فيها — أي المدينة — أجاز أبا هريرة وأكرمه وولاه إمارة المدينة ، فليت شعري من أي جردل من جرادل الاسكافي ، أو من أي جعبة من جعب أكاذيب الرافضة أخذت ذلك ، فالله حسيبك أيها المفترى النوى

وقولك في أول الحكاية المفتراة : روى الأعمش : لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة الخ ، جهالة بالتاريخ وطبقات الرواة ، وويل للعلم إذا تكلم فيه من لا يحسنه . إن الأعمش أقصى ما عرف له أنه رأى أنس بن مالك وصلى خلف المقام ، يعني أنه كان صغيرا مميزا في آخر حياة أنس الذي عاش إلى ما بعد المائة ، فلعله لم يولد إلا قبل المائة بقليل ، فأين له معاصرة قصة وقعت عام الجماعة سنة احدى وأربعين فبينه وبين ذلك مفاوز تنقطع فيها أعناق الابل

هذه الاسطورة تشهد بجهالة واضعها من حمير الرافضة الذين لا يعرفون إلا سب الصحابة وبغضهم وتكفيرهم وتكذيبهم ، والافتراء عليهم وعلى التاريخ

وإذا كنت تنقل عن الاسكافي وابن أبي الحديد وأمثالهما من حمير الرافضة فمن أين

نقلت هـــذه الاسطورة ، أمن جردل الاسكافى وابن أبى الحديد ، واستحييت أن تذكرهما ؟

كذب أبى هريرة يشتهر فى زعمــك حتى يعم الآفاق ، ولا يبلغ خيار الأمــة من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم القيامة ، ولا يعرفه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على — الخلفاء الراشدون — ولا يعرفه أجلاء التابعين سعيد بن المسيب وابن سيرين والحسن البصرى وفقهاء المدينة السبعة ومن أخذ عنهم كالزهرى ومالك والثورى وابن عيينة والحمادين وابن المبارك وأئمة الفقه : الشافعى وأحمد ، وأئمة الحديث : البخارى ومسلم وأصحاب السنن ومن بعدهم ، فتجىء أنت وتشرب من جردل الاسكافى وابن أبى الحديد صنيعة ابن العلقمى لتزعم شهرة كذب أبى هريرة حتى تعم الآفاق ؟ وهل يخيل اليك سخفك أن الأمة الاسلامية تكذِّب كل هؤلاء الأئمة المعاصرين لأبى هريرة ومن بعدهم وتصدق بهتك وافتراءاتك على أبى هريرة وخيار الأمة من التابعين وتابعيهم بإحسان ؟لا . لا . يا أبا رية . لسنا مستعدين للتنازل عن عقولنا وديننا لنمشى وراءك ونتبع غير سبيل المؤمنين ونشاقق الله ورسوله . فتولّ أنت من شئت ، واسلك ما شئت من سبل الضلالة

وذكر أبو رية (ص ١٩١) حديث مسلم عن سعيد بن العاص فى طلب معاوية من سعد أن يسب أبا تراب — يعنى عليا — وذكر سعد ثلاث فضائل من فضائل على الخ

أما ما ذكر سعد — يعنى ابن أبى وقاص — من فضائل على لحق نؤمن به ونعترف له بغير هذه الثلاثة من فضائله رضى الله عنه ، ومنها أنه رابع الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين

وأما طلب معاوية من سعد سب على فكان فى نظر معاوية جزاء ما بدأ به على من سب لخصومه كما قال تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ وقوله ﴿ ولمن انتصر من بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس بغير الحق ﴾ وما جرى من الصحابة من أمثال هذه الهنات فنمسك عنه ولهم من

الحسنات ما يغمرها ، ونحمد لسعد كفه عن سباب على كما نحمد له اعتزاله للفتنة كما اعتزلها غيره من خيار الصحابة ابن عمر وأسامة بن زيد حب رسول الله وابن حبه وغيرهم . وكما نقل أبو رية عن عبد الحسين الرافضى أن أبا هريرة كان يهرب إلى الجبل وقت القتال أى قتال الفتنة ، فحمدا لهؤلاء الذين طهروا سيوفهم فلم يلوثوها بدماء المسلمين

ويغفر الله للذين دخلوا فى الفتنة بما لهم من الحسنات الماحية للسيئات

وقال أبو رية (ص ١٩٢) : سيرته — أى سيرة أبى هريرة — فى ولايته . قال : استعمل عمر أبا هريرة على البحرين سنة ٢١ هـ ثم بلغه عنه أشياء تخل بأمانة الوالى فعزله وولى مكانه عثمان بن أبى العاص الثقفى . واستدعاه وقال له : هل علمت من حين أنى استخلفتك على البحرين وأنت بلا نعلين ، ثم بلغنى أنك ابتعت أفراسا بألف دينار وستمائة دينار . فقال : كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت . قال : قد حسبت لك رزقك ومؤونتك ، وهذا فضل فأده . فقال له : ليس لك ذلك . فأجابه عمر : بلى والله وأوجع ظهرك . ثم قام إليه بالدرة فضربه حتى أدماه . ثم قال له : ائت بها . قال : أحتسبتها . فقال له عمر : ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعا . أجئت من أقصى حجر بالبحرين يجبى الناس لك ؟ لا لله ولا للمسلمين . ما رجعت بك أميمة (أم أبى هريرة) إلا لرعية الحمر . وفى رواية عن أبى هريرة نفسه أن عمر قال : يا عدو الله وعدو كتابه ، سرقت مال الله ، من أين اجتمعت لك عشرة آلاف . هـ

قال أبو رية (حاشية ص ١٩٣) : ما ولدتك أمك إلا لرعية الحمر ، وانظر هل تجد عمر يخاطب غير أبى هريرة بمثل هذه اللهجة القاسية التى تنم عن الاحتقار الشديد ، وأى احتقار أبلغ من أن يصفه بأنه لا يصلح إلا لرعية الحمر . هـ

أقول : هذه الفريات التى ساقها أبو رية فى تجريح أبى هريرة وتحقيره رماها سائبة بلا خطام ولا زمام تقربا لأصنامه من حمير الرافضة فهو الأولى بها ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون ﴾ ونقول نحن فى ذلك ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾

ولو وجدها أبو رية فى جردل من جرادل الاسكافى وأمثاله من مجازفى الرافضة ـ لما تأخر عن عزوها إليه ، فهو مختلقها وخارقها ومفتريها إلى أن يخرج من افترائها إلى مصدر يؤخذ بنقله من ثقات الرواة والمؤرخين ، حينئذ يكون لنا مجال للجواب عنها

ولعل مفتريها الذى لم يستطع أبو رية أن يفصح به من مبغضى عمر وسائر الصحابة فلفق هذه التهمة لتشويه سيرة عمر وتحقير أبى هريرة

وأبو هريرة له أسوة بأبى بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة الذين يكفرهم هؤلاء الفروخ من زنادقة الفرس واليهود زارعى شجرة الرفض وبغض الاسلام وأهله

وقد سجلنا عليك اعترافك بأن عمر ولاه إمارة البحرين ، وهو مما يهدم قولك سابقا إنه كان لا خطر له أيام أبى بكر وعمر ، فأى خطر أعظم من تولية عمر إمارة البحرين ، وهكذا تتناقض أولا وآخرا

وقال أبو رية (ص ١٩٣) : وفاته ـ يعنى أبا هريرة ـ وذكر أن موته كان سنة ٥٧ أو ٥٨ بقصره بالعقيق ، وحمل إلى المدينة ودفن بالبقيع ، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان وكان يومئذ على المدينة تكريما له . ولما كتب الوليد إلى عمه معاوية ينعى له أبا هريرة أرسل اليه معاوية : انظر من ترك وادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم وأحسن جوارهم وافعل اليهم معروفا . وهكذا يترادف رفدهم له حتى بعد وفاته . ﻫ

وقولك صلى عليه الوليد بن عتبة أمير المدينة تكريما له ، جهل منك بوظائف الإمارة التى منها إمامة الصلاة ، فليست صلاته على أبى هريرة تكريما له وإنما هو واجب الإمارة ، ولئن قام أمير المدينة بذلك فهو أهل للتكريم رغم أنفك وأنف مبغضى الصحابة وأعداء الاسلام . وأما رفدهم لورثته بعشرة آلاف ، فقد سيبتها كسوائب الأصنام بلا خطام ولا زمام ، وما أكثر سوائبك التى تتقرب بها إلى أصنامك الروافض ، ومثلها وسائر سوائبك لا قيمة لها كسوائب المشركين لآلهتهم ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب﴾

قال (ص ١٩٣ ـ ١٩٤) : وقد صرح ـ يعنى أبا هريرة ـ بالسماع فى حديث « خلق الله التربة يوم السبت » وقد جزموا بأن هذا الحديث أخذه من كعب الأحبار ـ وفى حاشية ص ١٩٦ قال أبو رية : يثبت السيد رشيد رحمه الله كما يثبت غيره أنه غير صادق فى ادعائه أنه سمع هذا الحديث من النبى ﷺ . ه

وجوابه أن الحافظ ابن كثير قال فى البداية والنهاية (١٧ ، ١٨ ج ١) : وقد تكلم فى هذا الحديث على بن المدينى والبخارى والبيهقى وغيرهم من الحفاظ ، قال البخارى فى التاريخ : وقال بعضهم عن كعب وهو أصح . قال ابن كثير : فكأن هذا الحديث مما تلقاه أبو هريرة عن كعب عن صحفه ، فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعا إلى النبى ﷺ وأكد رفعه بقوله أخذ رسول الله ﷺ بيدى . ه

فترى ابن كثير وهو المحدث الحافظ المفسر المؤرخ يقول « فوهم بعض الرواة » يعنى لا أبو هريرة ، فجعله مرفوعا إلى النبى ﷺ . فأيهما أصدق قيلا : ابن كثير فى قوله « فوهم بعض الرواة ، لا أبو هريرة » ؟ أم أنت ـ يا أبا رية ـ ومن قلدتهم فى تكذيب أبى هريرة ؟

ثم إن البخارى يقول فى تاريخه ـ على ما نقله ابن كثير ـ وقال بعضهم عن كعب وهو أصح . فترى البخارى يقول وقال بعضهم عن كعب وهو أصح فيشير إلى أن للحديث طريقين : أحدهما عن كعب وأنه أصح ـ يعنى والآخر عن النبى ﷺ وهو صحيح كما تفيده عبارة أصح التى يقابلها الصحيح ، فالبخارى لم يجزم كما زعمتم بأنه عن كعب وانما قال : وقال بعضهم عن كعب وهو أصح ، ومن لازمه أنه عن النبى صحيح وهو ما اختاره أحمد ومسلم والنسائى ، فاختاروا ما هو صحيح ولم يخرجوا ما هو عن كعب لأنهم لا يخرجون أحاديث كعب ما دام عن النبى ﷺ صحيحا عندهم فأخرجوا ما هو صحيح عندهم وتفيده عبارة البخارى فى تاريخه

وأما على بن المدينى الذى أجاب فى فتنة القول بخلق القرآن فأحمد بن حنبل أقوى

منه وأثبت ، ولذلك لم يخرج له مسلم ولا النسائى

والبيهقى لا يبلغ فى الحديث درجة مسلم والنسائى فضلا عن الامام أحمد

فحديث يختلف فيه العلماء هذا الاختلاف : يصححه البخارى - وإن جعل طريقه إلى كعب أصح - ويخرجه أحمد ومسلم والنسائى ليس من جزموا كما زعمتم بأنه أخذه أبو هريرة عن كعب

وقد ذكرت فيما مضى صحة الحديث ووجهه عقلا ونقلا ، وبينت عدم صحة قول من زعم أنه مخالف للكتاب العزيز ، بل هو مبين للكتاب العزيز وعلم من أعلام النبوة

ويُعجب أبا رية (آخر ص ١٩٦) قول علماء الكلام الذين وصفهم بأنهم أصحاب العقول الصريحة : انهم - أى رجال الحديث - ينسبون الشيخ إلى الكذب ، ولا يكتبون عنه ما يوافقه عليه المحدثون بقدح يحيى بن معين وعلى بن المدينى وأشباههما ، ويحتجون بحديث أبى هريرة فيما لا يوافقه عليه أحد من الصحابة ، وقد أكذبه عمر وعثمان وعائشة ص ١٠ و ١١ من كتاب تأويل مختلف الحديث . ه

وليراجع كتاب مختلف الحديث لابن قتيبة ، فقد جُرِّبت خيانة أبى رية فى النقل ، كما سبق له النقل عن تفسير ابن كثير وتاريخه البداية والنهاية

ثم نقول للذين وصفهم بأنهم أصحاب العقول الصريحة : هذه جهالة فاضحة بطريقة أهل الحديث ، بل بما فطر الله عليه البشر ، فمن ثبت كذبه بشهادة إمام من أئمة الجرح والتعديل كيحيى بن معين وعلى بن المدينى والامام أحمد والبخارى ومسلم والنسائى وأمثالهم لا يكتب عنه أى شىء أصلا وافق غيره أو خالفه مادام قد تردّى فى هوة الكذب ، وما وافق عليه غيره إن كان هذا الغير من الثقات ففيه غنية وكفاية عن الكذاب ، وإن كان هالكا مثله فلا خير فى الهالكين مهما تعددوا ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون ﴾

ودعواه أن أصحاب الحديث يكتبون عن أبى هريرة ما خالفه فيه غيره من الصحابة

كذب عليهم وزور ، فإن كتبوا عنه نحو ذلك فإنما لينظروا فى الجمع بينهما أو الترجيح أو بيان الناسخ من المنسوخ .

وقول هؤلاء الذين أبهمهم أبو رية لأنهم ميتات موقوذة ، قولهم : إن أبا هريرة أكذبه عمر وعلى وعثمان وعائشة ، فقولهم هذا من أكاذيب أول أبريل (نيسان) ، بل إن كذبات أول ابريل قد تكون أهون ضررا من هذه الكذبة فى حق صحابى جليل كأبى هريرة . ولماذا لم يفصح أبو رية عن أسماء هذه الميتات حتى نرى هل يباح أكلها للمضطر أو هى قيح وصديد

وقال أبو رية (أول ص ١٩٧) : وما بيناه من تاريخ أبى هريرة قد سقناه لك على حقيقته ، وأظهرنا شخصية أبى هريرة كما خلقها الله ، ولم نأت بشىء من عند أنفسنا ، بل أتينا بالروايات الصحيحة فيها ، ورجعنا إلى مصادر ثابتة لا يرقى الشك إليها ، ولا يدنو الريب منها . ه

أقول : هل دوّن التاريخ فى صفحاته أسمج من هذا البهتان ؟ وهل سجل صفاقة أقبح من هذه الصفاقة ؟ ولأذكر لك أمثلة مما زعم البهّات أنها روايات صحيحة ، ومصادر ثابتة لا يرقى اليها الشك ولا يدنو منها الريب :

(١) نقله (ص ١٥٦) عن ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للثعالبى من أدباء الشيعة أن أبا هريرة كان مزاحا أكولا ، وكان يعجبه المضيرة جدا ، فيأكل مع معاوية ، فاذا حضرت الصلاة صلى خلف على ويقول : مضيرة معاوية أدسم ، والصلاة خلف على أفضل ، وكان يقال له شيخ المضيرة

فهل هذا من الروايات الصحيحة والمصادر الثابتة التى لا يرقى الشك اليها ولا يدنو الريب منها ؟ وهل علىّ كان حينئذ مقيما فى دمشق فيقوم أبو هريرة عن مضيرة معاوية إلى صلاة على ، أم معاوية كان حينئذ بالكوفة ، ومتى كان ذلك ؟

يا أهل العقول أنصفونا من البهاتين

(٢) ونقل (فى حاشية ص ١٥٧) عن عبد الحسين شرف الدين الداعية الشيعى الذى وصفه أبو رية بأنه عالم محقق عن كتابه (أبو هريرة) الذى وصفه أبو رية بأنه قيم قال عبد الحسين : يظهر من هذه الحكاية وغيرها أنه حضر وقعة صفين وأنه كان يصانع الفئتين ـ قال : وحدث غير واحد أن أبا هريرة كان فى بعض الأيام يصلى فى جماعة على ويأكل فى جماعة معاوية فإذا حمى الوطيس لحق بالجبل فإذا سئل قال : على أعلم ، ومعاوية أدسم ، والجبل أسلم

أقول : فهل هذه رواية صحيحة ومصدر ثابت لايرقى اليه الشك ولا يدنو اليه الريب . ولو كان كل من معسكر على ومعسكر معاوية بمساحة منزل صغير فى حارة واحدة لتعذرت هذه التنقلات على أبى هريرة فى زمن الحرب . ترى هل بقى عند أبى رية وشيخه عبد الحسين شيء من عقل وحياء وإنصاف ؟

(٣) ونقل (ص ١٥٨) عن خاص الخاص للثعالبي قول أبي هريرة : ما شممت رائحة أطيب من رائحة الخبز ، وما رأيت فارسا أحسن من زبد على تمر . ه فهل هذه رواية صحيحة ومصدر لا شك فيه يا أبا رية ؟ « اللى استحوا ماتوا » . وفى الحديث « اذا لم تستح فاصنع ما شئت »

(٤) وقال أبو رية (أول ص ١٦١) أجمع مؤرخو أبى هريرة على أنه كان رجلا مزاحا يتودد إلى الناس ويسليهم بكثرة الحديث والإغراب فى القول ليشتد ميلهم إليه

اذكر لنا من أهل هذا الإجماع مؤرخا واحدا من ثقات المؤرخين : البخارى فى تواريخه الثلاثة الكبير والأوسط والصغير ، تاريخ يحيى بن معين ، الأسماء والكنى للدولابى وأمثالهم ـ وإلا فأنت كذاب بهات

(٥) قال (ص ١٦١) : ولقد كانوا يتهكمون بروايته ويتندّرون عليها ، لما تفنن فيها وأكثر منها

لم تذكر سندا لذلك إلا استنتاجك السخيف الذى لا يوافقك عليه عاقل من سؤال

القرشي أبا هريرة عما ورد في الحديث في مثل حلته ، فقلت : يبدو من سؤال هذا الرجل أنه لم يكن مستفهما وإنما كان متهكما . فبدا لهواك الأعمى ولقلبك الممتلىء صديداً من بغض أصحاب رسول الله ﷺ عموما وأبي هريرة خاصة أن هذا سؤال تهكم لا سؤال استفهام ، والظن أكذب الحديث إذا لم ينشأ من هوى وجهالة : فكيف اذا كان مثل ظنك هذا ظن هوى وبغى وعصبية رافضية ؟

(٦) ونقله (ص ١٦٣) عن ابن عساكر أن عمر قال لأبي هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس أو بأرض القردة . ومتى كان تاريخ ابن عساكر من مراجع الروايات الصحيحة والمصادر الثابتة التي لا يرقى اليها الشك ولا يدنو منها الريب أيها الجاهل ؟

أنت تشكك في دواوين الاسلام التي هي أصح نقول البشر كالبخاري ومسلم والسنن والمساند التي أجمع المسلمون على قبولها ، وتأتي هنا برواية عن ابن عساكر تصفها بالصحة والثبوت وعدم الشك والريب ، فهل رأى الناس تناقضاً أوقح من هذا وأسمج وأجهل وأظلم ؟

(٧ ، ٨) وروايته (ص ١٦٤) عن الطبراني في الكبير وعن ابن عساكر حديث « اذا لم تحلوا حراما » الخ وحديث « اذا حدثتم عني بحديث هو لله عز وجل رضا » الخ

فهل مجرد رواية الطبراني في الكبير وابن عساكر في تاريخه يجعلها روايات صحيحة ومصادر ثابتة لا شك ولا ريب فيها ، بينما دواوين الاسلام المحترمة وكتب الصحاح التي تحرّى أصحابها صحة النقل وسائر السنن والمساند هي موضع شك أبي رية ، فيا للعجب كل العجب ؟

(٩) ونقله (ص ١٦٦) عن مصطفى صادق الرافعي قوله : وممن اتهم أبا هريرة بالكذب عمر وعثمان وعلي ، وقوله أول راوية اتهم في الاسلام ـ يعني أبا هريرة

فمن هو صادق الرافعي هذا حتى يتهم أبا هريرة صاحب رسول الله ﷺ ؟ أهذه رواية

صحيحة ومصدر ثابت لا يرقى إليه الشك ولا يدنو اليه الريب ؟

(١٠) وقولك (ص ١٦٨) : وكان على رضى الله عنه سيء الرأى فيه ، وقال عنه ألا إنه أكذب الناس ، أو قال : أكذب الأحياء على رسول الله لأبو هريرة .

أين الرواية الصحيحة والمصدر الثابت عن على فى ذلك ؟ ولعلها من أكاذيب عَبَدة علىّ من حمير الرافضة

(١١) وقولك (ص ١٦٨) : ولما سمع الزبير أحاديثه قال : صدق وكذب (وعلقتَ عليها : ص ١٠٩ ج ٨ من البداية والنهاية) وصاحب البداية والنهاية من حفاظ القرن الثامن يعزو ما ينقله إلى من رواه ، فلم لم تذكر عزوه ولا أظنك إلا خائنا فيما تنقل كما ثبت ذلك عليك مرارا ، تنقل ما تظن أنه يفيدك ، وتترك ما هو عليك ، ولعلى أراجع البداية والنهاية فى ذلك

(١٢) ونقلت (فى ص ١٧١) عن ابن أبى الحديد (ج ١ ص ٣٦٠) قول أبى جعفر الاسكافى : وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضى الرواية ، ضربه عمر وقال أكثرت من الحديث وأحر بك أن تكون كاذبا على رسول الله ﷺ . وابن أبى الحديد صنيعة ابن العلقمى الخائن وبده اليمنى ، فهل روايته عن أبى جعفر الاسكافى عن شيوخه الروافض رواية صحيحة ومصدر ثابت لاشك ولا ريب فيه ؟

(١٣) وفى (ص ١٧١) : وقال جولد زيهر : وتظهرنا طريقة روايته للأحاديث التى ضمنها أتفه الأشياء بأسلوب مؤثر على ما امتاز به من روح المزاح . هـ

فهل جولد زيهر الطاعن بكتابه العقيدة والشريعة فى نبى الاسلام بأنه مصروع وسارق لاصحاح أشعيا وواضعه فى قرآنه فى سورة البلد ، والطاعن فى كتابه مذاهب المسلمين فى التفسير فى قراءة القراء أنها من فهمهم للخط العربى غير للنقط ولا المشكل فقرأ كل قارىء بما فهمه من هذا الخط ، أفكان جولد زيهر صحيح الرواية عندك لا يرقى الشك والريب إلى روايته ، وأبو هريرة كذاب على رسول الله ﷺ وعلى علماء المسلمين من الصحابة

والتابعين وتابعيهم الذين وثقوا بروايته وكلهم جهلة غشاشون للاسلام وأهله . إن كان أبو رية يصدق جولد زيهر فى كتابيه وما نفثه فيهما من حقد على الاسلام وأهله ويكذب صاحب رسول الله وحافظ سنته ، فانا لله وإنا إليه راجعون فى دينك يا أبا رية

(١٤) وقال فى (ص ١٧٢) : وقد وصفه شبرنجر بأنه المتطرف فى الاختلاق ورعا

ومن هو شبرنجر ؟ أليس من صنف جولد زيهر وأضرابه ؟ وهل مثله تنصبه حكماً على أبى هريرة ؟ وهل هو عندك صحيح الرواية ثابت المصدر لا يرقى اليه شك ولا ريب ؟

(١٥) ونقلك (فى ص ١٧٤) فى حديث يأجوج ومأجوج عن ابن كثير أنه لعله تلقاه عن كعب الأحبار ، وغشك فى النقل عنه إذ حذفت قوله « فوهم بعض الرواة عن أبى هريرة فرفعه » فهل يكون الغش والتحريف فى النقل غير هذا ؟ ابن كثير يجعل الوهم ممن روى عن أبى هريرة ، وأنت تجعل الوهم أو الكذب من أبى هريرة ، وقد بينت كلام ابن كثير بنصه وفصه فيما مضى وسجلت عليك خيانة النقل وعدم الأمانة فيه

(١٦) وحديث خلق الله التربة يوم السبت (ص ١٧٥ — ١٧٦) أجبتك عنه سابقا ، وبينتُ صحة الحديث وأنه عَلَم من أعلام النبوّة ، بما يحثو التراب فى فيك

(١٧) وقولك (ص ١٧٥) : وقال البخارى وابن كثير وغيرهما : إن أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الأحبار — ذكرتُ لك سابقا عبارة ابن كثير من البداية والنهاية (ص ١٧ ، ١٨ ج ١) « فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعا إلى النبى ﷺ » فجعل ابن كثير رفعه إلى النبى ﷺ من وهم بعض الرواة عن أبى هريرة ، وبذلك ثبتت عليك خيانة النقل وغشك فيه

(١٨) وقولك (أول ص ١٧٧) : من دهاء كعب واستغلاله لسذاجة أبى هريرة وغفلته أنه كان يلقنه ما يريد بثه فى الدين الاسلامى من خرافات وترهات ، حتى اذا رواها أبو هريرة عاد هو فصدق أبا هريرة الخ

من قال ذلك من أصحاب الروايات الصحيحة والمصادر الثابتة التى لا يرقى اليها الشك ولا يدنو منها الريب ؟ وزعمت أنك لم تأت فى الترجمة بشىء من عندك ، فمن عند مَن هذه الفرية يا من ينسى كذبه ؟

(١٩) وقولك (ص ١٧٧) : وفى فصل الاسرائيليات الذى مر بك من ذلك (ص ١٠٨ وما بعدها) وقد عددت منها حديث المعراج فى فرض الصلوات الخمس ، وجعلته مما سربت الاسرائيليات إلى ديننا . من قال هذا القول غيرك من ذوى الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التى لا شك ولا ريب فيها ؟ أينطبق هذا على دعواك أنك لم تأت فى ترجمة أبى هريرة بشىء من عندك ؟

(٢٠) وقولك (فى ص ١٧٨) : على أن هذه الذاكرة القوية التى اختص بها أبو هريرة من دون الصحابة جميعا ، بل من دون ما ذرأ الله من الطباع الانسانية ، قد خانته فى مواضع كثيرة ، وان ثوبه الذى بسطه قد تمزق ، فتناثر ما كان قــــد ضمه بين أطرافه . ﻫ

هل هو من عند نفسك أو من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة . والعجب أن تزعم ضعف ذاكرة أبى هريرة وتنسى نفسك فلا تذكر ما يكذّبك فى صفحات قليلة سابقة

(٢١) وقولك (ص ١٨١) : وإذا كان أبو هريرة على ما وصف به نفسه ذكيا فطنا قوى الذاكرة واسع الحافظة ضابطا لكل مايسمع لاتفلت منه كلمة ولا يندّ عنه لفظ ، فلم لم يحفظ القرآن على فراغه وطول عمره فى الاسلام الخ ، فدعوى عدم حفظ أبى هريرة للقرآن من عند نفسك ، أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التى لا شك فيها ولا ريب ، وقد رددتها عليك فيما مضى وأنها من أكاذيبك

(٢٢) وقولك (ص ١٨١) : وكذلك لو كان أبو هريرة قد بلغ هذه الدرجة التى لم يبلغها إنسان قبله ولا يبلغها إنسان بعده وهى عدم السهو والنسيان لاشتهر عنه ذلك

ولأصبح وحده علما مفردا الخ.

من عندك ، أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التى لا شك فيها ولا ريب ؟

(٢٣) وحديث الوعاءين (ص ١٨٢) اللذين حفظهما أبو هريرة ودعوى معارضته لحديث على عندما سئل : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا إلا كتاب الله الخ ، ودعوى معارضته لحديث ابن عباس عندما سئل : أترك النبى من شىء ؟ فقال : ما ترك إلا ما بين الدفتين ـ هذا من عندك ، أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة . وقد أجبتك آنفا عن دعوى المعارضة ، وأن هذه المعارضة من خيالك الفاسد وهواك المهلك

(٢٤) وما سقت (آخر ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤) من أوهام وخيالات فاسدة فى ردّ حديث الوعاءين ، من عندك ؟ أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة بلا شك ولا ريب ؟

وقد أجبتك آنفا عن هذه الأوهام والخيالات التى زعمتَ أنها ترد حديث الوعاءين

(٢٥) وقولك (ص ١٨٥) : ومن كان هذا شأنه لا يكون ولا جرم إلا مهينا لاشأن له ولا خطر ، وقد ظل على هذه المهانة زمن النبى ﷺ وأبى بكر وعمر . الخ

أمن عندك فتكذبك فى أنك لم تأت بشىء فى ترجمته من عند نفسك ؟ أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التى لا شك ولا ريب فيها ؟ فأين هى ، لعلها من كتاب سيدك العالم المحقق عبد الحسين بن شرف الدين النجفى فى كتابه القيم بزعمك (أبو هريرة) ، فأنعم وأكرم بهذه الرواية الصحيحة ، وبهذا المرجع الثابت الذى لا يرقى اليه الشك ولا يدنو منه الريب.

(٢٦) وقولك (ص ١٨٥) فى اتجاه أبى هريرة إلى ناحية معاوية ذات الترف والسلطان ، واجتنابه لناحية على ذات الجوع والفقر : لأن ذلك مما يميل اليه طبعه ويتفق مع هوى نفسه الخ من عندك أنت ؟ أو من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة أيها الكذاب الذى ينسى كذبه ؟

(٢٧) وقولك (ص ١٨٦) ولقد عرف بنو أمية صنيعة معهم وقدروا موالاته لهم فأغدقوا عليه من إفضالهم وغمروه برفدهم وأعطياتهم الخ

من عندك ؟ أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة ؟

(٢٨) وقولك (ص ١٨٧) : ثم زادت أياديهم عليه فبنوا له قصرا بالعقيق، وأقطعوه أرضا بالعقيق وبذى الحليفة، ولم يكتفوا بذلك بل زوجوه بسرة بنت غزوان أخت الأمير عتبة بن غزوان

أمن عندك ؟ أم من الروايات الصحيحة بناء بنى أمية له قصرا بالعقيق وإقطاعه أرضا بها وتزويجهم إياه بسرة بنت غزوان ؟ أين الرواية الصحيحة بأن ذلك من بنى أمية ـ لعلها من كتاب أستاذك عبد الحسين بن شرف الدين النجفى أو الكربلائى

(٢٩) وقولك (ص ١٨٨) : وهذا الحديث ـ يعنى حديث إن أشد أمتى حبا لى قوم يأتون من بعدى يؤمنون (بى) ولم يرونى يعملون بما جاء فى الورق المعلق ـ قولك فى هذا الحديث انه من غرائبه وهو ينطق ولا ريب بأنه ابن ساعته

من قال هذا القول قبلك من أئمة الحديث ؟ وأين نطق الحديث بأنه ابن ساعته ؟ تعنى أن أبا هريرة اختلقه تملقا لعثمان، كبرت كلمة خرجت من فيك القذر بتهمة صحابى جليل

(٣٠) وقولك (ص ١٨٨) : ومن غرائبه ما رواه البيهقى من حديثه عن المصائب الثلاث، وتهكمك به بقولك « أى جيش يا مولانا » وقولك عن مزوده « لعله كان معلقا فى الصفة »، وتعليقك على قوله « ولما قتل عثمان » بقولك : وهذا هو السر ـ وقولك : وكأنه يريد وهو يزعم انتهاب مزوده لما قتل عثمان أن يتقاضى ثمنه من بنى أمية، وقد عوضوه بالشىء الكثير . ه

أمن عندك هذه الفريات والتهكمات، وأن بنى أمية عوضوه عن مزوده بالشىء الكثير، أم عندك بها روايات صحيحة ومراجع ثابتة لا يرقى اليها الشك ولا

يدنو منها الريب ؟

(٣١) وقال أبو رية (ح ١ ص ١٨٧) : مما يدل عَلَى أن أبا هريرة قد ظل على فقره وعريه إلى أواخر عهد عمر أن عمر قال له حين استدعاه من البحرين لما أتى أشياء استوجبت عزله وكان قد ولاه عليها سنة ٢١ هـ : هل علمت من حين استعملتك على البحرين (سنة ٢١ هـ) وأنت بلا نعلين . هـ

أمن عندك هذا أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التى لاشك ولا ريب فيها ؟ أم هى من عند سيدك عبد الحسين بن شرف الدين الرافضى ؟

(٣٢) وقال (ح ٢ ص ١٨٧) انظر إلى هذا الكلام الذى تعرّى عن كل مروءة وكرم واتسم بكل دناءة ولؤم ، فتجده يباهى بامتهان زوجه والتشفى منها . وهل يفعل مثل ذلك رجل كريم خرج من أصل عريق ؟

هل لى أن أسألك كم يساوى عند العجم الروافض هذا الفحش الذى لا يخرج من فم سوقة فضلا عن أن يستحله مسلم يحترم صحبة رسول الله ﷺ لمن أكرمهم الله بها

(٣٣) وقال أبو رية (آخر ص ١٨٧) ولم يكن ما قدم أبو هريرة لمعاوية جهادا بسيفه أو ماله ، وإنما كان جهاده أحاديث ينشرها بين المسلمين يخذّل بها أنصار على ويطعن عليه ، ويجعل الناس يبرأون منه ويشيد بفضل معاوية هـ وهذه الفرية منك تستحق مكافأة مجمية رافضية تتناسب معها . وكنا نحب أن نرى لونا واحدا من هذه الأحاديث التى تخذّل أنصار علىّ ويطعن بها عليه وتُبرىء الناس منه وتشيد بفضل معاوية من رواية أبى هريرة . هات لنا نموذجا منها ولو من جعبة أستاذك عبد الحسين بن شرف الدين ، أو من مفتريات ابن أبى الحديد خدين ابن العلقمى ، أو عن الاسكافى عن شيوخه الروافض

(٣٤) وقوله (ص ١٨٩) : ومما وضعه فى معاوية ما أخرجه الخطيب عنه : ناول النبي ﷺ معاوية سهما فقال : خذ هذا السهم حتى تلقانى به فى الجنة . هـ

حديث ينقله الخطيب البغدادى فى تاريخه من الموضوعات التى زورها الوضاعون

عن أبي هريرة فى فضل معاوية يكون واضعه هو أبو هريرة لا رجال سند الخطيب إلى أبي هريرة . من قال هذا غيرك أيها الواضع لأضواء على السنة المحمدية ؟ فرجال الخطيب بسنده إلى أبي هريرة هم الثقات عندك ، وأبو هريرة هو واضع الحديث ! يراجع موضوعات ابن الجوزى حتى نعرف واضع الحديث ويسودّ وجه أبي رية فى اتهام أبي هريرة صاحب رسول الله وللتأدب بهديه

(٣٥) قال (ص ١٨٩) : وكذلك ما رواه ابن عساكر وابن عدى والخطيب عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله ائتمن على وحيه ثلاثة أنا وجبريل ومعاوية . وفى رواية أخرى : الأمناء ثلاثة جبريل وأنا ومعاوية . ه

لو أن أبا رية شم نسمة من رائحة الحديث لاستحيى من نفسه أن ينقل موضوعات وردت بأسانيدها عند ابن عساكر وابن عدى والخطيب ، فيتجاهل أبو رية تلك الأسانيد وما تدل عليه متخطيا الوضاعين من رواتها ليلصقها بأبي هريرة ، ولا غرو فسيده وأستاذه فى ذلك أجهل الناس بالحديث وطرق أهله عبد الحسين بن شرف الدين الرافضى وتراجع لذلك كتب الموضوعات

(٣٦) وقال (ص ١٨٩) : ونظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة وكانت مشهورة بالجمال الفائق فقال : سبحان الله ، ما أحسن ما غذاك أهلك . والله ما رأيت وجها أحسن منك إلا وجه معاوية عَلَى منبر رسول الله ﷺ (ص ١٠٩ ج ٦ من العقد الفريد) صار العقد الفريد من دواوين السنة التى يعتمد عليها أبو رية فى رمى أبي هريرة بالوضع والكذب ، فهو من الروايات الصحيحة وللمراجع الثابتة التى لا شك ولا ريب فيها ، بخلاف دواوين السنة الشهيرة من الصحاح والسنن وللمساند فهى موضع شك وريبة عند أبي رية ، فسبحان من مسخ من اليهود قردة وخنازير وجعل النهار ليلا فى عين الأعشى

(٣٧) وكتاب الشعر والشعراء صار عند أبي رية (ص ١٨٩) من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التى لا شك فيها ، وينقل منه عن العجاج الراجز : قال لى أبو

هريرة ممن أنت ؟ قلت : من أهل العراق . قال : يوشك أن يأتيك بقمان الشام فيأخذوا صدقتك ... وخل عنهم وعنها ، وإياك أن تسبهم الخ . وهذه أيضا من نوع أشباهها

(٣٨) وقال أبو رية (أول ص ١٩٠) بعنوان وضعه أحاديث على علىّ : قال أبو جعفر الاسكافى (ص ٣٥٨ ج ١ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد) : إن معاوية حمل قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة على علىّ تقتضى الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم فى ذلك جعلا فاختلقوا له ما أرضاه ، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير . ﻫ

رواية اسكافية هى عند أبى رية مرجع ثابت لا شك ولا ريب فيه . كيف لا وقد نقلها عن الاسكافى الرافضى ابنُ أبى الحديد المعتزلى الملحد[1] فهنيئا للروافض الذين لا شك

---

(١) الذى يقول مخاطبا على بن أبى طالب رضى الله عنه :

تقيلتَ أخلاق الربوبيـــة التى عذرتَ بها من شك أنك مربوب

وقال يقارن بين أبى بكر الصديق وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما :

كم بين من شُك فى خلافته وبين من قيـــل إنه الله

وقال يصف عليا بأوصاف الألوهية :

يجل عن الأعراض والأين والمتى ويكبر عن تشبيهه بالعناصر !

وبلغ به الغلو فى على أن يشتم الاسلام أقبح شتم وأسفهه بقوله :

الا إنما الاسلام لولا حسامه كعطفة عنز أو قلامة ظافر

وفى هذا البيت تكذيب من ابن أبى الحديد لقول النبى ﷺ « أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » . وابن أبى الحديد كان مع ابن العلقمى فى مؤامرة الخيانة لدولة الاسلام بالمخامرة مع وثنيي التتار والمغول سنة ٦٥٥ ، وهو كابن العلقمى والنصير الطوسى أحد المسؤلين عن وقوع الذبح العام الرهيب الذى ارتكبه هولاكو فى أمة محمد ﷺ يومئذ . ومن أعظم الغفلة والجهل بالاسلام استشهاد من يستشهد بنقول ابن أبى الحديد المعتزلى الملحد ، ودسائسه الشنيعة فى شرحه لنهج البلاغة المكذوب نصفه على الامام على كرم الله =

فيهم ولا ريب عند أبي رية ، وأسقاه على أهل الحديث المحدى من الصحابة المعاصرين لأبي هريرة إلى من بعدهم من التابعين وتابعيهم حتى أئمــة التدوين مالك والثورى وابن عيينة والحمادين وابن المبارك والشافعى وأحمد والبخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى ومن على شاكلتهم ، كيف خفى على هؤلاء كلهم وضع أبى هريرة وكذبه ، وظهر لسادات أبي رية عبد الحسين بن شرف الدين وابن أبى الحديد والاسكافى الذين فطنوا لما لم يفطن له المسلمون قديما وحديثا

(٣٩) وقال (ص ١٩٠) : وروى الأعمش فى قدوم أبى هريرة العراق وقوله إنه يشهد أن عليا أحدث فيها – يعنى المدينة – فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة

أهذه رواية صحيحة ، ومرجع ثابت لا شك ولاريب فيه ؟ اذا لم تستح فاصنع ما شئت

(٤٠) وقال (ح ٣ ص ١٩٠) : يدل هذا القول على أن كذب أبى هريرة على النبى ﷺ قد اشتهر حتى عم الآفاق ، لأنه قال ذلك وهو بالعراق وان الناس كانوا يتحدثون عن هذا الـكذب فى كل مكان هـ

من عندك هذا ؟ أم من الرواية الصحيحة والمرجع الثابت الذى لا شك ولا ريب فيه ؟ وليت شعرى كيف لم يعلم المسلمون من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان إلى يوم القيامة كذب أبى هريرة الشائع المشتهر الذى عم الآفاق ، وعلمه أبو رية فى القرن الرابع عشر ؟

قد سقت لك يا أبا رية أربعين شاهدا من كلامك تـكذبك فى قولك (أول ص

= وجه . وكان أجدر بأبى رية أن يتتبع الدخيل والمكذوب فى نهج البلاغة ، أما السنة المحمدية فقد قام علماؤها بالتنبيه على كل دخيل عليها . ومؤلفاتهم البريئة من الزيغ والغرض تملأ خزائن الأرض فى الشرق والغرب ، عرفها من عرفها وجهلها من جهلها

١٩٧) : وما بيناه من تاريخ أبى هريرة قد سقناه لك على حقيقته ، وأظهرنا شخصية أبى هريرة كما خلقها الله ، ولم نأت فيها بشىء من عندنا بل أتينا بالروايات الصحيحة فيها ، ورجعنا إلى مصادر ثابتة لا يرقى الشك إليها ولا يدنو الريب منها . فأربعون بينة من كلامك ذكرناها بأرقام صفحاتها تكذبك فيما قلته هنا ، ومن قام شاهد واحد على كذبه فهو كذاب ، فكيف من شهد عليه أربعون شاهدا من كلامه ، فأخلق به أن يكون فى سجين الكذابين وجحيم المفترين

وقال أبو رية (ص ١٩٧) : عَلَى أننا قد طوينا كثيراً مما أثبته التاريخ ، لأن شيوخ الدين عندنا لا يزالون يخشون سطوة الحق ولا يحتملون قوة البرهان . هـ

ليت شعرى ما هو الكثير الذى طواه أبو رية من مساوىء أبى هريرة بعد الذى وصمه به من أنه أكول نهم مزاح مهذار لئيم الأصل ليس له خلق كريم كذاب على رسول الله ﷺ ، اشتهر كذبه حتى عم الآفاق وبلغ العراق ، فماذا بقى بعد ذلك من الشرور الكثيرة فى جعبة أبى رية من مساوىء أبى هريرة وطواها خوفا من الذين لا يزالون يخشون سطوة الحق ولا يحتملون قوة البرهان ؟

وليت شعرى ما هو هذا التاريخ الصحيح الذى أثبت من مساوىء أبى هريرة ما طواه أبو رية عنا وعن الناس ، أهو الكتاب الذى زعمه قيما لسيده عبد الحسين بن شرف الدين الرافضى ، أو هو ما نقله ابن أبى الحديد المعتزلى الملحد عمن هو شر منه أبى جعفر الاسكافى عن شيوخه ؟

قال أبو رية (ص ١٩٧) : وأبو هريرة لم يكن له كما قلنا أى شأن فى زمن النبى ﷺ ولا فى عهد العمرين الراشدين ، ولم يستطع أن يفتح فاه بحديث واحد إلا بعد قتل عمر ، ولم يجرؤ على الفتوى إلا بعد الفتنة الأولى وهى قتل عثمان وعلو شأن بنى أمية ، وناهيك بالبخارى فإنه لم يذكره بين الصحابة الذين جاءت فى فضلهم أحاديث عن رسول الله ﷺ

وجوابه : كن كذوبا وكن ذكوراً ، فقد سبق لك (ص ١٩٢) أن عمر ولاه

إمارة البحرين ، وزعمت سابقا أنه فر فى غزوة مؤتة ، فاذا كان غازيا فى عهد أبى بكر مجاهداً فى سبيل الله فر أو ثبت . وأزيدك تكذيبا لك أن رسول الله ﷺ كان يفتقده : أين كنت يا أبا هريرة ؟ وأن حسانا شاعر النبى ﷺ استشهد به لما لحظ إليه عمر وهو ينشد الشعر فى المسجد فقال حسان : أنشدك بالله يا أبا هريرة ، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول : هاجهم وروح القدس معك ؟ وأما أن البخارى لم يذكره مع الصحابة الذين جاءت فى فضلهم أحاديث عن رسول الله ﷺ فالصحابة الذين قدّروا فى موسم حجة الوداع بمائة ألف لم يخرج البخارى لعشر معشارهم فضائل ، وأصحاب بيعة الرضوان الذين بلغوا أربع عشرة مائة وقال الله فيهم ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما فى قلوبهم وأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ﴾ لم يخرج البخارى أحاديث فى فضلهم

وحسبه فضلا أن يروى له مسند الأندلس بقى بن مخلد ٥٣٧٤ حديثا ، ويروى له البخارى منها ٤٤٦ حديثا فى صحيحه الذى هو أصح كتاب بعد كتاب الله باجماع المسلمين

فاذا كان هذا شأن أبى هريرة عند رسول الله وخليفتيه أبى بكر وعمر ، وشأنه عند خيار الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ، وعند جماعة أهل السنة والجماعة ، فما يضره نباح الرافضة عبد الحسين وأبى جعفر الاسكافى وشيوخهم ثم من سلك سبيلهم كأبى رية

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضبانا علىّ لئامها
وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

قيمة الصحابة عند أبى رية

قال أبو رية (أول ص ١٩٦) : « هذه ترجمة مختصرة لأبى هريرة التزمنا فيها الناحية التقريرية ، ولم نسلك الطريقة التحليلية أو الانتقادية التى لا تكمل التراجم الصحيحة إلا بهما ، ولا تتم دراسة الرجال والأحداث إلا باتباعها

« ذلك بأننا لم نصل بعد الى احتمال سطوتها وبخاصة إذا كان الأمر يتصل بأحد الصحابة الذين قالوا فيهم انهم كلهم عدول ، فلا يجوز لأحد أن ينتقد بالعلم والبرهان والحجة أحدا منهم لا فى روايته ولا فى شهادته ولا فى سيرته . ومما قالوه فى ذلك أيضا « إن بساطهم قد طوى » وكأن العدالة موقوفة عليهم وحدهم ، وكأنهم فى ذلك قد ارتفعوا عن درجة الانسانية فلا يعتريهم ما يعترى كل انسان من سهو أو خطأ أو وهم ، ولا نقول الكذب والبهتان !

« على أننا لو سلمنا لهم بأن كل صحابى معصوم فيما يقع فيه غيره من بنى الانسان ، وأنه لا ينسى ولا يخطئ ولا يهم ولا يعتريه سوء فهم أو غلط ، وأنه لم يكن فى الصحابة منافقون ، ولم يرتكب أحد منهم كبيرة ولا صغيرة ، ولا ارتد بعضهم بعد موت النبى ﷺ ولا غير ذلك مما حملته كتب التاريخ الصحيحة عنهم ـ فان أمر أبى هريرة ليبان أمر الصحابة جميعا ، فقد جرحه كبار الصحابة وشكوا فى روايته كما بينا ذلك من قبل » . هـ

أقول : فى هذا الكلام من الجهل والزور والبهتان ما نستعين بالله على بيان بعضه

أولا ـ قوله إنه سلك فى ترجمة أبى هريرة الطريقة التطبيقية ولم يسلك الطريقة التحليلية الانتقادية التى لا تكمل التراجم الصحيحة إلا بها ، ولا تتم دراسة الرجال والأحداث إلا باتباعها ، فهل يعقل أبو رية ما يقول ؟

(١) ما هو قوله (فى ح ٣ ص ١٩٠) : يدل هذا القول على أن كذب أبى هريرة على النبى ﷺ قد اشتهر حتى عم الآفاق ، لأنه قال ذلك وهو بالعراق وأن الناس جميعا كانوا يتحدثون عن هذا الكذب فى كل مكان

(٢) وقوله (ح ٢ ص ١٨٧) عن كلام لأبى هريرة : انظر إلى هذا الكلام الذى تعرّى عن كل مروءة وكرم ، واتسم بكل دناءة ولؤم ، فتجده يباهى بامتهان زوجة والتشفى منها ، وهل يفعل مثل هذا رجل خرج من أصل عريق ؟ !

(٣) وقوله (ح ١ ص ١٨٧) : مما يدل على أن أبا هريرة قد ظل على فقره وعريه

إلى أواخر عهد عمر ، أن عمر قال له عندما استدعاه من البحرين لما أتى أشياء استوجبت عزله ، وكان قد ولاه عليها سنة ٢١ هـ : هل علمت من حين استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين.

(٤) وقوله (ص ١٨٩) : « هذا السر » عند قول أبي هريرة في ثالث مصائبه : فلما قتل عثمان الخ

(٥) وقوله (ص ١٨٩) وكأنه يريد ـ وهو يزعم انتهاب مزوده لما قتل عثمان ـ أن يتقاضى ثمنه من بنى أمية وقد عوضوه عنه بالشىء الكثير . هـ

هذه أمثلة خمسة ، ولو شئت لبلغت بها فوق الأربعين ، تكذبه فى أنه التزم فى ترجمة أبى هريرة الناحية التقريرية ، ولم يسلك الطريقة التحليلية أو الانتقادية التى لا تكمل التراجم الصحيحة إلا بها الخ

فاما أنك لا تعقل الطريقة التحليلية الانتقادية وإنما قرأت عنها فى بعض الكتب فذكرت لفظها بغير فهم لمعناه تغريراً بقراء كتابك أنك ممن يعرفون هذه الطريقة ، وإما أنك كذوب غير ذكور فيقول ما يكذّبه فيه سابق كلامه

وقولك : وأما عن الصحابة الذين قالوا فيهم ـ تعنى أهل السنة ـ إنهم كلهم عدول فلا يجوز أن ينتقد بالعلم والبرهان والحجة أحد منهم لا فى روايته ولا فى شهادته ولا فى سيرته ، وأن بساطهم قد طوى كأن العدالة موقوفة عليهم وحدهم ، وكأنهم فى ذلك قد ارتفعوا عن درجة الانسانية ، فلا يعتريهم ما يعترى كل إنسان من سهو أو خطأ أو وهم أو نسيان

فى هذا الكلام من الجهل والهوى والبهتان ما سنبينه :

(١) عدالة الصحابة كلهم جاءت بها الكتب السماوية التوراة والانجيل والقرآن فى قوله تعالى ﴿ محمد رسول الله ، والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجّدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه

يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ وقوله ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا إنك رءوف رحيم ﴾ وقوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ وفى الحديث « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » . والحديث الآخر : « لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه »

فهؤلاء الذين شهد لهم القرآن والحديث بالصدق والايمان والتقوى ونصرة الله ورسوله والاسلام وأنهم خير القرون ، يجىء أبو رية فى القرن الرابع عشر ليجرحهم تبعا لساداته الروافض عبد الحسين بن شرف الدين وأبى جعفر الاسكافى والملحد ابن أبى الحديد والسبأى ابن الكلبى والشيعى المحترق لوط بن نوح أبى مخنف ، وتغيظه شهادة الكتب السماوية لهم وإجماع المسلمين على عدالتهم بعد تعديل الله ورسوله لهم وقبول روايتهم وشهادتهم . ان هذا لهو الضلال المبين

وأما الخلط بين العدالة وعدم السهو أو الخطأ أو النسيان فخلط عجيب يدل على ضعف فى العقل كدلالته على الضعف فى الدين ، وإن أهل السنة — مع إجماعهم على عدالة الصحابة ، ومنها الصدق وعدم الكذب — لا يحيلون على الصحابة ما يجوز على سائر الناس من السهو أو الوهم أو الخطأ ، حاشا الكذب

ها هو ذا ابن عباس يروى أن النبى ﷺ تزوج أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية وهو محرم ، وتقول ميمونة : ما تزوج بى إلا وهو حلال ، وأحالوا حديث ابن عباس على الوهم .

ويروى أيضا ابن عباس أن النبي ﷺ حينما دخل الكعبة فى فتح مكة كبر فى نواحى البيت ولم يصل ، ويروى أسامة بن زيد أنه صلى ركعتين بين السوارى فى مؤخر البيت سارية عن يمينه واثنتين عن يساره ، فأخذ الناس بحديث أسامة ووهموا ابن عباس

وهذا ابن عمر يروى أن النبي ﷺ اعتمر أربع عمر إحداها فى رجب ، وقالت عائشة : وهم ابن عمر ، لم يعتمر النبي ﷺ عمرة إلا وكان ابن عمر معه ، وما اعتمر قط فى رجب . وأخذ الناس برواية عائشة ووهموا ابن عمر

وهذا عمار بن ياسر ظن أن التيمم من الجنابة فى البدن كله فتمرغ فى التراب حتى صحح له النبي ﷺ فقال : يكفيك هكذا ، وضرب ضربة للوجه والكفين

وهذا الذى وضع عقالا أبيض وعقالا أسود تحت رأسه وقت السحور ذهابا منه الى تأويل قوله تعالى ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ حتى بين له أن المراد ضوء النهار فى ظلمة الليل

والذين فهموا من قوله سبحانه ﴿ فاعتزلوا النساء فى المحيض ﴾ أنه الاعتزال كلية عن المؤاكلة والمجالسة ونحوهما ، حتى بين لهم النبي ﷺ بقوله : اصنعوا كل شىء إلا الجماع

والذين فهموا العموم من نهى النبي ﷺ عن ادخار لحوم الأضاحى فوق ثلاثة أيام من أجل الدافة التى دفت من البادية حتى بين لهم النبي ﷺ أن ذلك كان من أجل الدافة ، وأباح لهم الادخار فوق ثلاثة أيام بعد ذلك

فالخلط بين ثبوت العدالة للصحابة كلهم الثابتة بالكتاب والسنة والاجماع وبين نفى السهو والخطأ والوهم ، خلط عجيب ، سببه الجهل والهوى ، وويل للجاهل إذا تكلم بهوى فيما لا يحسنه حتى يعميه جهله وهواه عن الحقيقة

وقوله (ص ١٩٦) : على أننا لو سلمنا لهم بأن كل صحابى معصوم فيما يقع فيه غيره من بنى الانسان ، وأنه لا ينسى ولا يخطىء ولا يهم ولا يعتريه سوء فهم أو غلط ، وأنه لم يكن فى الصحابة منافقون ، ولم يرتكب أحد منهم كبيرة ولا صغيرة ، ولا ارتد بعضهم بعد موت

النبي ﷺ ، ولا غير ذلك مما حملته كتب التاريخ الصحيحة عنهم ، فان أمر أبي هريرة لبيان أمر الصحابة جميعا ، فقد جرحه كبار الصحابة ، وشكوا في روايته ، كما أبنا ذلك من قبل . هـ

والجواب : من الذى قال لهذا المفترى الـكذاب إن الصحابة لا ينسون ولا يسهون ولا يغلطون ولا يهمون . ولـكنا لا نثبت لأحد منهم نسيانا أو سهوا أو خطأ أو وهما إلا بدليل مقبول عند أهل السنة والجماعة الذين هم نقاد الآثار وصيارفة المرويات ، لا أمثال أهل الضغن على سلف الأمة وخيار القرون الاسلامية الأولى كعبد الحسين بن شرف الدين وابن أبي الحديد وأبى جعفر الاسكافى وشيوخه

أما أن فيهم منافقين فالنفاق وإن كان في القلب لـكن أماراته تظهر في الأعمال ، كما قال تعالى ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ فعلق معرفتهم بسيماهم على المشيئة الإلهية ، وأكد معرفتهم تأكيدين : بسيما النفاق وبلحن القول وهو ما يدل بفحواه على ما في القلب . وفي الحديث « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان » ورابعة « وإذا عاهد غدر » وأنزل الله سورة بتمامها في أوصافهم تسمى سورة المنافقين ، وفي سورة براءة (التوبة) من أوصافهم : ومنهم ، ومنهم ، حتى سماها بعضهم « الفاضحة » لفضحها سرائر المنافقين ، وقال بعضهم : صرنا نقرأ فيها ومنهم ومنهم حتى ظننا أنها ستسميهم بأسمائهم

فمن هؤلاء صفتهم في القرآن والحديث كيف يخفى على جهابذة النقد حالهم فيأخذون عنهم الدين ؟ وهم أبعد الناس عن الدين وعن أهله وعن جريانه على ألسنتهم

ها هي ذى دواوين السنة من مسانيد وصحاح وسنن ، هات واحدا من صحابتها تتهمه بالنفاق : أبو بكر أو عمر أو عثمان أو على أو ابن عمر أو عائشة أو أبو هريرة أو عبد الله ابن عمر أو عبد الله بن عمرو أو أنس بن مالك أو أبو سعيد الخدرى ، إن كابرتَ فضحتك المكابرة ، وإن باهتَّ فضحك البهتان

وأما أن منهم من ارتد بعد موت النبي ﷺ فهم جفاة الأعراب من أهل البادية ممن لم يتولّ النبي ﷺ تهذيبهم كالصحابة ، وقد أغنى الله دينه عن تحمل هؤلاء البداة له ، ومع ذلك فكان أمرهم يتعلق بنظام الزكاة ، وسرعان ما رجعوا بعد ذلك إلى أحضان الاسلام مجاهدين صالحين

ولم يقل أحد من المسلمين بعصمة أحد من الصحابة عن ارتكاب الذنوب كبيرها أو صغيرها ، ولكن كل طبقة منهم أعلى فى إنسانيتها من كل طبقة فى مستواها من سائر الأمم ، وكان خيارهم إن زل أحد منهم زلة بادر إلى التوبة النصوح ، ومن عامّتهم من أقدم على الاعتراف الذى أودى بحياته بالحجارة إقامة لحدود الله

وبعد أن شك أبو رية فى الصحابة ـ أن فيهم منافقين وفيهم من ارتد بعد موت النبي ﷺ وأن فيهم وفيهم ـ قال (ص ١٩٦) فان أمر أبى هريرة ليباين أمر الصحابة جميعا فقد جرحه كبار الصحابة وشكّوا فى روايته كما أبنّا ذلك من قبل . هـ

وجوابه : (١) ما هى كتب التاريخ الصحيحه التى حملت عن الصحابة ما اتهمتهم به وما نبزتهم به ؟ أهى كتب الروافض كعبد الحسين بن شرف الدين وللملاحدة كابن أبى الحديد والمجازفين كأبى جعفر الاسكافى وشيوخه ؟ أو كتب الجماعة كالبخارى فى تواريخه الثلاثة وتاريخ يحيى بن معين والأسماء والكنى للدولابى وأمثالها من كتب الثقات أهل الصدق والأمانة والذين لهم لسان صدق فى الأمة ؟

(٢) ما الذى أخرج أبا هريرة من عموم قوله عز وجل ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركّعا سجّدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾ ؟ وما الذى استثناه من عموم قوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون به ﴾ وما الذى لشتثناه من حديث ﴿ لا تسبوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم ملء الأرض

ذهبا مابلغ مد أحدكم ولا نصيفه » ؟

هل استثناه ما افتريته من أن كبار الصحابة جرحوه وشكوا فى روايته ؟ من الذى قال ذلك قبلك من أهل الصدق والأمانة والثقة حاشا أبا جعفر الاسكافى وشيوخه من الرافضة أعداء الكتاب والسنة وخصوم حملة العلم النبوى

اذكر لنا إماما واحدا من أئمة الاسلام أهل الصدق والأمانة ذكر ما ذكرتَ من الافتراء على كبار الصحابة فى أبى هريرة ، وحوالتُك على ما أبنت سابقا حوالة على ميتات جائفات منخنقة وموقوذة وسوائب لا خطام ولا زمام لها من ابن أبى الحديد عن أبى جعفر الاسكافى عن شيوخه ، أو من مراجع ضعيفه لا يحتج بها فى مثل هذه الأمور

وقولك (ص ١٩٦) عن علماء الكلام بأنهم أصحاب العقول الصريحة ، وإعجابك بتعجبهم من رجال الحديث الذين ينسبون شيخا إلى الكذب بقدح يحيى بن معين وعلى ابن المدينى ، ولا يكتبون عنه ما يوافقه عليه المحدثون ، ويحتجون بحديث أبى هريرة فيما لا يوافقه عليه أحد من الصحابة ، وقد أكذبه عمر وعلى وعثمان وعائشة . هـ . ص ١٠ ، ص ١١ من كتاب تأويل مختلف الحديث

وجوابه أن علماء الكلام الذين هم عندك أصحاب العقول الصريحة هم ابن أبى الحديد المعتزلى الملحد عن أبى جعفر الاسكافى عن شيوخه الذين من طينته رفضا وعداوة للحديث وأهله ولأصحاب رسول الله ﷺ

ويراجع كتاب مختلف الحديث ص ١٠ ، ١١ ، فما أظن النقل عنه إلا محرفا أو مغشوشا

ثم أين غاب عن أئمة الاسلام من التابعين وتابعيهم ـ الحسن ، وابن سيرين ، والشعبى وشريح وفقهاء المدينة السبعة وراوية حديثهم محدث الحجاز والشام الزهرى ، وراوية حديث دار النبوّة والهجرة مالك بن أنس ، وراوية الكوفة الثورى ، وحافظ مكة ابن عيينة ، وحافظ الشام وإمامها الأوزاعى ، وحافظ مصر وإمامها الليث ، ثم من بعدهم ابن

المبارك والحادان والشافعى وأحمد وأصحاب دواوين الاسلام : البخارى ومسلم وأصحاب السنن ، أين غاب عن هؤلاء جميعا تكذيب عمر وعلى وعثمان لأبى هريرة إلى أن سقط على هذه القذارة علماؤك الذين هم أصحاب العقول الصريحة ، إلا أن يكونوا أمثال الاسكافى وشيوخه وراوية قذاراتهم ابن أبى الحديد ومرحاض أكاذيبهم عبد الحسين ابن شرف الدين آخر ما لفظت الرافضة من أعداء صحابة رسول الله ، أو أبو بكر بن شهاب الذى كان يلعن أبويه من أجل أنهما سمياه أبا بكر وجمع من أكاذيبه رسالته القذرة التى سماها (النصائح الكافية فى النهى عن تولى معاوية) وانتحلها وتبناها تلميذه فى الرفض ابن عقيل الحضرمى الرافضى الذى أثرى فى سنغافورة وجاوة بالانتساب لآل البيت الذين يحبهم المسلمون ولا يبخلون بمالهم على من ينتسب اليهم ولو عمل من وراء ظهور المسلمين على هدم رسالة الاسلام بالتنكر لأهلها الأولين ، وحاملى السنة المحمدية المتقدمين

وقولك (١٩٧) : وأبو هريرة لم يكن له ـ كما قلنا ـ أى شأن فى زمن النبى ﷺ ولا فى عهد العمرين الخ قد أجبناك عن هذا الزور والبهتان فيما تقدم ، فلا حاجة لاعادة ذلك

وما نقلته (ح ٢ ص ١٩٧) عن ابن سعد فى ترجمة ابن عباس أسماء من كان من يفتى من الصحابة بالمدينة ويحدّث عن رسول الله من لدن توفى عثمان إلى أن توفوا ـ يعنى ولم يذكر فيهم أبو هريرة

وجوابه أنهم لم يذكر فيهم على بن أبى طالب ولا ابنه الحسن ولا الحسين ، فهل تقبل محو اسمائهم من صفة الافتاء لأن الرواية التى ذكرها ابن سعد لم تذكرهم ؟

وفضل عائشة فى الرواية والفتوى لا ينكره إلا ساداتك حمير الرافضة ، وهذا لا ينفى فضل أبى هريرة سواء أفتى أو لم يفت ، فان المسلمين على توالى العصور يجلونه ويعظمونه فى كتب الشريعة الاسلامية ويعتبرونه حافظا من أوثق حفاظ الاسلام ، وراوية للحديث النبوى من أعاظم الرواة وأصدقهم

ولا يغرنك تصفيق من صفقوا لك من دعاة الانحلال الخلقى والدينى من أهل دار

الملال وغيرهم من أنصار العرى والتحلل وأبواق الاستعمار الأمريكي والتبشير اللاديني ، وإن تشجيعهم لك حجة عليك ، ودليل على وجهتك ، ولكل وجهة هو موليها

ايراده أمثلة مما رواه أبو هريرة

قال أبو رية (أول ص ١٩٨) : أخرج البخارى ومسلم عنه قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام ، فلما جاءه صكه ، فرجع إلى ربه فقال : أرسلتنى إلى عبد لايحب الموت . فرد الله عليه عينه وقال : ارجع فقل له يضع يده على متن ثور ، فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة . قال : يارب ، ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت . قال : فالآن . فسأل الله يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر . قال رسول الله ﷺ فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر

وفى رواية لمسلم : فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها

وفى تاريخ الطبرى عن أبى هريرة إن ملك الموت كان يأتى الناس عيانا ، حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه ، ومن بعد حادثة موسى يأتى الناس خفيا

قال أبو رية : وإن رائحة الاسرائيلية لتفوح من هذا الحديث . ه

وجوابه : أية رائحة اسرائيلية فى هذا الحديث يا صاحب الأنف البوليسى الشاذ ؟ أمن أجل ذكر موسى ؟ فموسى أكثر الأنبياء ذكرا فى القرآن ، فليكن كل ما جاء فيه ذكر موسى فى القرآن إسرائيليا ، فيخرج معظم القرآن بحكم شمك إسرائيليا . أم من كون موسى صك ملك الموت ففقأ عينه التى ردها الله عليه ؟ والذين رووا الحديث من عهد أبى هريرة إلى أئمة التدوين ، والذين شرحوا الصحيحين كالخطابى وعياض والنووى وابن حجر والقسطلانى وغيرهم ، لم يشموا فيه رائحة إسرائيلية ، ولم ينكروا على موسى أن يدفع عنه من ظنه صائلا ، والدفاع عن النفس مما لا ينكره عقل ولا فطرة ، وقد عرف من خلق موسى وخلقه الشدة والأخذ بالأقوى ، فقد دفع القبطى عن الإسرائيلى فوكزه

فقضى عليه . ولما رأى عبادة قومه العجل فى غيابه أخذ برأس أخيه ولحيته يجره اليه ، وأخوه يسترحمه بقوله ﴿ يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسى إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى ﴾ وألقى الألواح حتى انكسرت ، فلا يستغرب من عرف خلق موسى وشدته أن يصك وجه من جاءه معتديا . ولما عرف فى المرة الثانية أنه ملك الموت سلم الأمر لله ، وطلب قربه من الأرض المقدسة التى كانت محرّمة عليه وعلى قومه أربعين سنة ، ومات موسى أثناء هذه الأربعين . ومن زار بيت المقدس يعلم أن قبر موسى منه عَلَى أميال تقطع فى ست ساعات بالسيارة . فالحديث يؤيده القرآن والواقع أيها الأنف البوليسي فى شم الاسرائيليات . ولو تركنا طريق من رووا الحديث ومن شرحوه ومن قبلوه واتبعنا أنفك البوليسى لضللنا سواء السبيل . أنت صاحب هوى فى الاسلام وتريد أن تعرف بالشذوذ الذى تظنه عبقرية ليراك الناس ، وخصوصا مبغضو الاسلام وأهله ، فيجعلوا لك بينهم مقاما مرموقا ، وبئس ما اخترت لنفسك من حب النطق بالباطل ، ومن الناس — وأنت منهم — من يحب أن يعرف ولو بغير المعروف ، عياذا بالله

وقال (ح ١ ص ١٩٨) عن الثعالبي فى ثمار القلوب تحت عنوان (لطمة موسى) : وقال : ومن أساطير الأولين أن موسى سأل ربه الخ القصة . ومما قاله : إن ملك الموت أعور حتى قيل فيه :

يا ملك الموت لقيت منكرا   لطمة موسى تركتك أعورا

قال الثعالبي : وأنا برىء من عهدة هذه الحكاية . قال أبو رية : وله الحق فى هذه البراءة . ﻫ

وجوابه أن قول الثعالبي : « ومن أساطير الأولين » دليل على جهل فاضح بأشهر كتب الحديث البخارى ومسلم إذ يقول عن حديث فيهما إنه من أساطير الأولين ، ولو كان له أدنى معرفة بعلم الحديث وطرق الأخبار لما وقع فى هذه الجهالة . وقوله عن ملك

للموت إنه أعور فوق كونه من نوع نوادر الحشاشين فانه جهل بما جاء فى الخبر أن الله رد على ملك الموت عينه

ولو كان عند أبى رية وسلفه فى الجهل بالحديث الثعالبى ذرة من إنصاف لكان لهما فى التأويل مندوحة عن رد الحديث الصحيح

فلو قيل إن الحديث يمثل فضل بنى آدم عَلَى الملائكة ، تفسيرا لقوله تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدِّس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾

فقوة من قوى انهاء الحياة فى الانسان متمثلة فى ملك الموت تصطدم بقوة حب البقاء والدفاع عن النفس الانسانية تمثلها حيوية موسى فتفوز بقوة البقاء إلى حين

وتأويل حديث « ما ترددت فى شىء أنا فاعله تردّدى فى قبض روح عبدى المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولا بدّ له منه » يتحقق فى هذه القصة

فالحديث الصحيح يؤيد بعضه بعضا عند من أنار الله بصيرتهم ، والذين فى قلوبهم مرض يزيدهم مرضا على مرضهم ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾

ومسألة لطم موسى لملك الموت — التى شنع بها المنحرفون عن السنة ، وتندّر بها الملاحدة والخلعاء ، لا غرابة فيها إذا فهمت على أنها رمز للحيوية الانسانية القوية التى متع الله بها كليمه موسى ﷺ ، وأنها قادرة على دفع بعض أخطار الهلاك ، فيمكن أن موسى أصابه مرض مما يموت به غيره كالجلطة الدموية التى يسببها انسداد الشريان الذى يغذى القلب ، ثم تغلبت قوته الحيوية ونجا من الأزمة القلبية ، وربما تخيل له فى منامه أو فى يقظته صورة ملك الموت يريد قبض روحه ومثل له نجاته من تلك النوبة القلبية بصفعة لتلك

الصورة المفزعة المرعبة المتمثلة بصورة ملك الموت ، ثم لما ضعفت قوته الحيوية استسلم لأمر الله الذى لا مفر منه ، ورضى بقضاء الله وقدره . وعليه قد يرد من الأحاديث ما قد يكون له معنى حق ، ولكنه يعلو أحيانا على فهمنا . والله أعلم

وذكر أبو رية (ص ١٩٨) من حديث أبى هريرة ما أخرجه البخارى ومسلم مرفوعا « تحاجّت الجنة والنار — إلى قوله — فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فتقول : قط قط » الخ

وليت شعرى ما هو استغراب أبى رية لهذا ؟ ألأجل أن النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وهو ما يشهد له الكثير من آيات القرآن ﴿ وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون ﴾ ﴿ وإذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾ ﴿ وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون ﴾ ﴿ وبرزوا لله جميعا فقال الذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب من شىء . قالوا لو هدانا الله لهديناكم ، سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ وأمثالها فى سبأ وغافر

وإن كان استنكاره لهذا الحديث لقوله فيه « فيضع الجبار رجله فتقول : قط قط » الخ من أجل إثبات صفة الرجل أو القدم لله تعالى فليكفر بأمثال ذلك وأشباهه فى القرآن والحديث ، ففى القرآن ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ ، ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ ، ﴿ ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام ﴾ ، ﴿ إن الله كان سميعا عليما ﴾ ، ﴿ هو السميع البصير ﴾ ، ﴿ لما خلقت بيدىّ ﴾ ، ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ ، « قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ، السموات على إصبع والأرض على اصبع والجبال على إصبع » ، ﴿ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ﴾ والآيات والأحاديث فى هذا كثيرة لا تحصى ولا ذنب فيها لأبى هريرة ، ومذهب أهل الحق فيها إثبات بلا تشبيه ولا تمثيل ، والمنحرفون عن الصراط المستقيم إما مشبّهة ، وأما محرّفة ومؤوّلة

وقال (آخر ص ١٩٨) : وروى البخارى عنه « ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع » وزاد مسلم « وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام » ه

وليت شعرى ما وجه استغراب أبى رية لهذا الحديث ؟ أهى الشفقة على الكافر ، أم استبعاد مسافة ما بين منكبيه وغلظ جلده ؟ لم يفصح عن وجه إنكاره له إلا أن يكون من رواية أبى هريرة ، فيكفى هذا لاستنكار أبى رية له ، أو لأن عقله لا يسلم بما فيه ، وحينئذ نقول لأبى رية : لو كان الدين لا يأتى إلا بما يسوّغه عقلك لما كان ثم حاجة اليه ، واكتفى الناس بعقل أبى رية . والدين يأتى بمحارات العقول لا بمحالاتها ، وقد علم الله حاجة الناس إلى الدين مع العقل فتكرم عليهم بهما

وقال أبو رية (ص ١٩٩) : وروى البخارى وابن ماجه عنه عن النبى ﷺ « إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ثم يطرحه ، فإن فى أحد جناحيه داء ، وفى الآخر شفاء »

(أولا) حديث الذباب لم ينفرد بروايته أبو هريرة ، بل رواه أيضا أبو سعيد الخدرى عند أحمد والنسائى وغيرهما ، ورواه أنس بن مالك عند البزار ، فلم ينفرد به أبو هريرة ولا البخارى

(ثانيا) لايزال جمهور الناس إلا القليل منهم يأكل ما يقع عليه الذباب ، ويشربه ، وهم أصح أجسادا من الذين يتقزّزون مما وقع عليه الذباب ، والواقع شاهد عيان بذلك

وقد قيل إن الناس بأمريكا بدءوا يعوّدون أولادهم على الحياة الخشنة التى لاترفَه فيها ، حتى يخرجوا بمناعة أجساد الذين يقاومون الأوبئة بما فى أجسادهم من المناعة

وقد ذكرت بعض الصحف أن شركة انجليزية لبيع العقاقير بالهند ذكرت أن الذباب توجد فيه مناعة لمقاومة ما يعلق به من جراثيم ، وهل التطعيم ضد الجدرى أو التيفوئيد ونحوهما إلا إيجاداً لمناعة الجسد ضد هذه الأمراض بجراثيمها المخدرة ؟

قال (أول ص ٢٠٠) : وروى الطبرانى فى الأوسط عنه عن النبى ﷺ « أتانى

ملك برسالة من الله عز وجل ، ثم رفع رجله فوضعها فوق السماء ، والأخرى فى الأرض لم يرفعها » . ﻫ

ولا أدرى وجه نكارته عند أبى رية ، لعلها من عظمة خلق الملك الذى وضع رجله فوق السماء والأخرى فى الأرض لم يرفعها ، إن كان من أجل ذلك ينكر الحديث فليبك على عقله وقصره ، كيف لو طالع فى عالم الماديات أن فى الأبعاد الفلكية نجوما لا يأتينا ضوؤها إلا فى ملايين السنين ، وسرعة الضوء فى الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلو متر ، أو مائة وثمانون ألف ميل ، فكيف يتصور ملايين السنين مضروبة ثوانيها فى ٣٠٠,٠٠٠ ك م ؟ ووراء مجرّتنا التى منها مجموعتنا الشمسية مجرّات تعد بالملايين وتبعد عنا ملايين السنين الضوئية ، فليبك أبو رية على عقله وليستر جهله بعظمة ملكوت الله ، فذلك خير له وأجمل

وقال (ص ٢٠٠) : وروى الترمذى عنه قال رسول الله ﷺ « العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم » . ﻫ

كذلك لم يذكر لنا فيلسوفنا وجه استنكاره ، ألأجل أن فى العجوة شفاء من السم ؟ وليته علم أنه من عفن الخبز استخرج البنسلين الذى هو خير علاج للجروح ، ومن تراب المقابر استخرج السلفانامايد ومشتقاتها خير علاج للتعفنات أيضا

إن أساطين العلم كنيوتن وجنز وغيرهما يقولون : إن العلم بحر نحن لا نزال على ساحله ، أما الذين عميت بصائرهم فهم الذين ما ظهرت حقيقة علمية إلا ظنوها هى كل شىء فى عالم تزخر لججه بما لم يظهر للآن مما هو أضعاف أضعاف ما ظهر مما لا يقاس بنسبة ذرة إلى بحار العالم

قال (ص ٢٠٠) وروى الحاكم وابن ماجه من حديثه بسند صحيح (مرفوعا) : خمروا الآنية وأوكئوا الأسقية وأجيفوا الأبواب واكفتوا صبيانكم عند المساء فان للجن انتشارا وخطفة ، وأطفئوا المصابيح عند الرقاد فان الفويسقة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت ﻫ

وليت شعرى ما الذى استغربه فيلسوف العصر من هذه النصائح ، أقوله « إن للجن انتشارا وخطفة » إن كان ذلك وجه النكارة عند الفيلسوف فليحوّل وجهه إلى الجمعيات الروحية فى انكلترا وفرنسا وأمريكا يجد فى مقررات هذه الجمعيات ما يفقأ عيون الماديين الذين جمدوا كالحيوانات عَلَى المحسوسات ، وأنكروا بهامهم ما وراء المادة . فى هذه الجمعيات الروحية التى أثبتت بتجاربها الحسية ماوراء المادة من عالم الأرواح ، سواء كانت أرواح الموتى أو كانت من الجن العابثة ببنى آدم كما قال تعالى ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾ كانوا فى الجاهلية اذا نزلوا واديا قالوا : نعوذ بكبير هذا الوادى من سفهاء قومه ، فاستطالت عليهم الجن وزادوهم رهقا

إن كان أبو رية قد تعلق بأذيال الماديين فأنكر الجن وماجاء عنهم فى الكتاب والسنة فقد ضل وأضاع نصيبه من الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين وبئس للظالمين بدلا

وقال (ص ٢٠١) وروى مسلم عنه أن رسول الله قال : إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة . هـ . وهذه كسابقاتها لا أدرى ما وجه نكارتها فى عقل فيلسوفنا العبقرى

وقال أبو رية (ص ٢٠١) : وروايات أبى هريرة من هذا القبيل وأدهى منه تنهق الكتب بها ولا نستطيع ايرادها هنا لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات برأسها . هـ

إن النماذج التى أوردتها من منكرات أبى هريرة بزعمك رأينا فيها سخف تفكيرك والهوى المستولى على عقلك ، وقد قيل : الانسان مخبوء تحت لسانه ، ومن ألف فقد عرض عقله على الناس ، فرأينا عقلك المعروض من نوع عقل ابن الطبيب الذى بعثه أبوه إلى مريض يتمرن فى تشخيص مرضه ، فرأى برذعة معلقة فى فناء دار المريض ، وانتفاخا فى عروقه فقال لهم : ذبحتم حماركم وأطعمتموه لمريضكم . فضحكوا عليه ، وانصرف بخزى الفراسة الخاطئة المضحكة . وأبو رية لا يدخل عقله ولا ايمانه ولا تسليمه أن ملكا يضع رجله الأولى فى السماء والأخرى باقية فى الأرض ...

تحاجّ الجنة والنار ، أو انتشار الجن الخاطفة بعد المغرب إلى العشاء ، أو شجرة فى عالم الغيب يسير الراكب فى ظلها مئة سنة ، إلى غير ذلك من غرائب عالم الغيب والدار الآخرة وملكوت الله الأعظم ، وقد ذكر الله فى صفة المتقين ﴿ الذين يؤمنون بالغيب . . . وبالآخرة هم يوقنون ﴾

رواية كبار الصحابة

أبى بكر — عمر — عثمان — على — أبىّ بن كعب — زيد بن ثابت

قال أبو رية (ص ٢٠٢) : هذا هو تاريخ أبى هريرة الذى لم يصاحب النبى إلا حوالى ثلاث سنين ، ثم ترك هذه الألوف الكثيرة من الأحاديث التى ضاقت بها الكتب ، وقد أطلنا فيه لأن أمر أبى هريرة يباين أمر الصحابة جميعا . ﻫ

وجوابه أن هذه الثروة العلمية التى وسعتها كتب الحديث والدواوين الاسلامية من أحاديث أبى هريرة هى التى ضاقت بها صدور أعداء الاسلام من الروافض فروخ اليهود والمجوس وأمثال جولدزيهر الذى ضاق صدره بالاسلام ونبيه فى كتابيه الشريعة والعقيدة — ومذاهب المسلمين فى التفسير ، ومن سلك سبيلهم على جهل وهوى وبهتان كأبى رية

عقد أبو رية (ص ٢٠٢) مقارنة بين أبى بكر وأبى هريرة ، واستغرب قلة رواية أبى بكر وهو الحفظة النسابة الذى لم يفارق رسول الله ﷺ لا سفرا ولا حضراً ، واستنكر الألوف التى رواها أبو هريرة الذى لم يصاحب رسول الله إلا ثلاث سنين

ولنا أن نطلب من فيلسوفنا أن يعقد هذه المقارنة بين أبى بكر الذى صحب الرسول ﷺ قبل النبوة وبعدها أكثر من ثلاثين سنة وبين ابنته أم المؤمنين عائشة التى ما صحبت رسول الله ﷺ إلا تسع سنين ، ويذكر لنا السبب فى رواية عائشة ألوف الأحاديث التى لم يرو أبوها عشر معشارها

فان كانت كثرة حديث أبى هريرة مع قلة حديث أبى بكر موضع شك عند الفيلسوف

فى أحاديث أبى هريرة ، فليخرج من مثله فى كثرة أحاديث عائشة مع قلة حديث أبيها فما جوابه عن كثرة حديثها مع قلة حديث أبيها فهو جوابنا على كثرة حديث أبى هريرة مع قلة حديث أبى بكر

والجواب الصحيح أن كلا ميسر لما خلق له ، فأبو بكر الذى هيأه الله بملازمه صحبة نبيه للرآسة العظمى والخلافة الكبرى والقيام بأعباء المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ ، ما كان فى وقته و لا ظروفه أن يجلس محدثا فى حلقة من حلقات المسجد النبوى ، خصوصا وأن مدته بعد وفاة رسول الله ﷺ كانت جد قصيرة سنتين وخمسة شهور

أما عائشة وأبو هريرة وأمثالها كابن عمرو وابن عمر وأنس وأبى سعيد فقد هيأت لهم ظروفهم وفراغهم عن الاشتغال بامارة المسلمين وسياستهم التفرغ لحمل العلم النبوى وتبليغه للناس ، وكل ميسر لما خلق له

وكذلك ما عقده من المقارنة بين عمر وأبى هريرة (ص ٢٠٣) وبينه وبين عثمان وعلى (ص ٢٠٤) وبينه وبين أبىّ بن كعب (ص ٢٠٥) وبينه وبين زيد بن ثابت (ص ٢٠٦)

وقوله (ص ٢٠٣) فى قول شيخ الاسلام ابن تيمية فى مشاورة عمر للسابقين الأولين مثل عثمان وعلى وطلحة — إلى قوله — وغيرهم ممن له علم وفقه أو رأى أو نصيحة للاسلام وأهله

علق أبو رية عليها بقوله : وانظر إلى دقة فهم ابن تيمية وواسع اطلاعه فانه لم يذكر أبا هريرة فى الذين يستشيرهم عمر ، لأنه لم يكن له علم ولا فقه ولا رأى ولا نصيحة . ﻫ

فياعجبا لصاحب الجهل والعمى والهوى ، ألا يدخل أبو هريرة فى قول ابن تيمية « وغيرهم ممن له علم وفقه أو رأى أو نصيحة للاسلام » ؟ من الذى أخرجه من ذلك سوى هواك وبغيك وعصبيتك الباطلة لأعداء الاسلام من الرافضة وغيرهم . وإذا كان ابن تيمية عندك دقيق الفهم واسع الاطلاع فانه يقبل أحاديث أبى هريرة ويحتج بها ويعدّه من خيار

الصحابة ، أفلا يكون ابن تيمية حجة عندك فى ذلك أيضا ؟

وقال أبو رية (ح ١ ص ٢٠٤) : ذكر ذلك أبو داود بن على فى كتابه الفصل ١٣٨ . ج ٤ . ه

ولا نعرف كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل إلا للامام ابن حزم الظاهرى صاحب المحلى وكتاب الأحكام ، واسمه أبو محمد على بن أحمد بن سعيد الأندلسي الظاهرى صاحب السيف والقلم والوزارة والعلم

فيا رحمة الله للعلم من منتحليه أهل الجهالة والهوى والضلال

وقال (ح ٣ ص ٢٠٤) : وقال ابن حنبل : ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن على ، وقال هو والنسائى والنيسابورى وغيرهم : لم يرد فى حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء فيه . الخ

(أولا) نسأل فيلسوف العصر من هو النيسابورى الذى ذكره مع ابن حنبل والنسائى فى ذكر فضل على ، لعله رأى عبارة فى الكتب فلم يفهمها فنقلها بغير فهم

(ثانيا) فضل علىّ أمر مسلم ، ولكنه لا يرفعه فوق منزلته التى أنزل الله عليها ثالث الخلفاء الراشدين دون أبى بكر وعمر وعثمان وفوق غيرهم من الصحابة وليس هو كما زعمت شيعته أفضل الصحابة ، ولا ما زعموه : علىّ خير البشر ، ومن أبى فقد كفر . ولا مازعمه غلاتهم أنه الله وأنه فوق السحاب ، ولا غير ذلك من حماقاتهم . ولا ما زعمه قدوتك ومرجعك الملحد ابن أبى الحديد فى قوله عن علىّ :

يجل عن الأعراض والأين والمتى ويكبر عن تشبيهه بالعناصر

وإن كان ما سطرت من الغلو فيه — وهو برئ ممن غلا فيه — تريد به الحظوة عند الرافضة فربما تنالها ، والموعد الموقف بين يدى الله يوم الدين

قال أبو رية (ص ٢٠٧) : أحاديث مشكلة

أقول : قال الله تعالى ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾

آمنا بمحكم كتاب الله ومتشابهه ، وكذلك سنة نبيه ﷺ ، ما عقلناه منها وما لم نعقله من أمر الغيب

قال أبو رية (ص ٢٠٧) : إن الرواية قد حملت عن رسول الله فيما حملت أحاديث كثيرة مشكلة وغريبة ، وإنا نورد هنا بعض الأحاديث على طريق المثال لأن استيعابها يحتاج إلى أسفار متعددة

عن ابن عباس : ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور عرضه ما بين السماوات والأرض ينظر فيه كل يوم نظرة ، ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء . رواه عبد الرزاق وابن المنذر والطبرانى والحاكم . ه

وجوابه (أولا) : ان الحديث موقوف على ابن عباس من كلامه ، وليس مرفوعا إلى النبى ﷺ . فيظهر أن فيلسوفنا لا يعرف الموقوف من المرفوع ، على رأى المثل كله عند العرب صابون . (وثانيا) اذا جرينا على ما يراه بعضهم أن له حكم الرفع لأنه ليس مما يقال بالرأى ولا مجال للرأى فيه واستبعدناه عن الاسرائيليات فأى إشكال وغرابة فيه ؟ أمن أجل أن اللوح المحفوظ من درة بيضاء ودفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور عرضه ما بين السموات والأرض الخ ؟ إن كان من أجل ذلك فلينكر ما فى الجنة من أوانى الذهب والفضة وحليها ولباس الحرير والاستبرق والسندس وأنهار العسل المصفى واللبن الذى لم يتغير طعمه والماء غير الآسن وغير ذلك مما جاء فى وصفها فى القرآن مما

لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

فإذا آمن بما جاء فى القرآن من أوصاف الجنة ، فما يمنعه أن يؤمن بغيرها من عالم الغيب مما صح فى الحديث ، وكله من واد واحد ، ويسلم لخبر الوحى وإن لم يدرك العقل كنهه وبعُد عن المألوف تكييفه

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ ولا يكون ممن قال الله فيهم ﴿ بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾

قال (ص ٢٠٧) وروى الشيخان وبعض السنن والمسانيد والتفسير المأثور عن أبى ذر قال رسول الله لأبى ذر حين غربت الشمس : أتدرى أين تذهب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث شئت ، فتطلع من مغربها ، فذلك قوله تعالى ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ﴾ الآية

وجوابه : إن هذا الحديث إن عرفنا وجهه فبها ونعمت ، وإلا قلنا : آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب . ويخطر لى خاطر فى الحديث ـ فإن يكن حقا فمن الله وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ـ إن المراد سجود الملائكة الموكلين بالشمس ، وقد سمى الله الملائكة بالمدبرات أمراً ، وورد ذكر ملك السحاب وملك النبات وملك الجبال وملك الرياح وملك الرحم وملك الموت والحفظة الكرام الكاتبين لبنى آدم وأن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، فيكون ما جاء فى الحديث من سجود الشمس واستئذانها ونحو ذلك للملائكة الذين يدبرون أمر الله فى تسخيرها ، وحينئذ لا إشكال فى الحديث

وقد سمعت شيخنا الشيخ عبيد الله السندى رحمه الله يقول ما معناه : ان نظر الرسل والأنبياء إلى عالم المثال والغيب ، ونظر علماء الكون إلى ما يظهر لهم من عالم المحسوسات ، فإذا جاء عن الرسل ما لا يفهم على طريقة المحسوسات كان

تأويله على نظرهم لعالم المثال والغيب ، ولا نذهب مذاهب من زعم تعارض النبوات والعقول

لقد جاء فى فلسفة الوثنية البابلية والأشورية واليونانية أن للكواكب والشمس والقمر عقولا وأرواحا بها تسير وتتحرك وتدبر بزعمهم أمور المخلوقات

ولكنا معشر الحنفاء نرفض هذه الفلسفة ، ونرى أن تدبير خلق الله بأمر الله على يدى ملائكته المدبرات أمراً

و بعد فقد انتقلت شكوك أبى رية من أبى هريرة إلى روايات ابن عباس وأبى ذر ، ولا يدرى إلا الله الى أين تنتهى شكوكه ، عسى أن لا تصل إلى القرآن . عياذا بالله تعالى

وقال (ص ٢٠٧) وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو صاحب الزاملتين قال : ان فى البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان بن داود ، يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنا . ه

وجوابه : (أولا) أن هذا الأثر من مقدمة مسلم لا من صحيحه ، ولكن فيلسوفنا لا يعرف الفرق بين ما يرويه مسلم فى صحيحه وما يورده فى مقدمة صحيحه ، وهذا من أول ما يعرفه من شم رائحة من علم الحديث ، ولذلك نجد فى كتب الرجال رمزا لمسلم فى صحيحه م ورمزا له فى مقدمة صحيحه مق

(ثانيا) هذا الأثر من كلام عبد الله بن عمرو بن العاص صاحب الزاملتين ، فكيف ألصقته بالمشكل من الأحاديث ؟ ألأنك لا تعرف الفرق بين الموقوف والمرفوع ، أم هو الهوى والشك والريب جعلك تحمل على الأحاديث النبوية ما ليس منها ؟

وقال (ص ٢٠٧) : وروى البخارى فى (باب الدواء بالعجوة للسحر) عن عامر بن سعد عن أبيه قال : قال النبى ﷺ « من اصطبح كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل — وفى رواية سبع تمرات عجوة — وكذا لمسلم عن سعيد بن أبي

العاص . وعند النسائى من حديث جابر : العجوة من الجنة ، وهى شفاء من السم . ه

لو علم أبو رية أن البنسلين ذلك العقار المضاد للتقيح والصديد هو من عفن الخبز — وأن السلفا ومشتقاتها من تراب المقابر وفضلات التعفن للاموات ، وأن الخلين عقار الذبحة الصدرية من بزر الخلة وأن بزر الخلة الشيطانى المسمى بمصر جزر الفار يخرج منه عقار نافع

لو علم ذلك أبو رية لاستحيا من الله ومن خيار خلقه بل من عقلاء الناس أن يعد من مشكلات الأحاديث حديث العجوة وشفاءها من السحر والسم

حدثنى طبيب سورى يشتغل فى المملكة السعودية واشتغل بنجد قال : إن صحة النجديين جيدة جدا بسبب اصطباحهم فى البكور يوميا على التمر واللبن الماضر

قال (آخر ص ٢٠٧) : وأخرج الشيخان عن أبى هريرة (أى مرفوعا) : اذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لايسمع التأذين ، فإذا قضى التأذين أقبل حتى اذا ثوب بالصلاة أدبر حتى اذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه — قال : وقال العلماء لئلا يسمع فيضطر أن يشهد له بذلك يوم القيامة . ه

وليت شعرى ما إشكال هذا الحديث عند أبى رية ، ألأن الشيطان لا يحب أن يسمع كلمة التوحيد فى الأذان والإقامة ، أم لأن أبا رية لا يؤمن بعالم الغيب ، ويريده على هواه وإلفه ؟

وقال (ص ٢٠٨) : وروى مسلم عن أبى سفيان أنه قال للنبى : يا رسول الله أعطنى ثلاثا ، تزوج ابنتى أم حبيبة ، وابنى معاوية اجعله كاتبا ، وأمرنى أن أقاتل الكفار كما قاتلت المسلمين . . .

قال : وأم حبيبة تزوجها رسول الله وهو بالحبشة وأصدقها النجاشى ، وأبو سفيان أسلم عام الفتح ، وبين الهجرة والفتح عدة سنين . ه

وجوابه كما قال العلماء أن أبا سفيان أراد أن يجدد عقد زواج بنته بالنبى ﷺ إذ

أنها تزوجت بولاية أحد بنى عومتها ، فظن أبو سفيان أن عقد زواجها بولاية أبيها أوثق وأشرف ، أو أراد أختا لأم حبيبة فحذف بعض الرواة لفظه أخت فحصل الاشتباه ، فالحديث لا إشكال فيه

وقوله وأم حبيبة تزوجها رسول الله ﷺ وهو بالحبشة فان قوله « وهو بالحبشة » جهالة بالسيرة النبوية ، فالرسول ﷺ لم يكن يوما بالحبشة . وعهدنا بأبى رية لمن من يقع منه الكذب فى الحديث ولو عن غير عمد ، فهل هو هنا كاذب فى الحديث بأن النبى ﷺ تزوج بأم حبيبة « وهو بالحبشة » ، وهل هو على استعداد لأن يتبوأ مقعده من النار على هذا الكذب ولو غير التعمد ؟

وقال (ص ٢٠٨) : وفى مسند أحمد عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى ﷺ صدق أمية [أبي] الصلت الشاعر المشهور فى قوله :

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورّد
تأبى فما تطلع لنا فى رسلها إلا معذّبة وإلا تجلد

ولا أدرى ما إشكال هذا الحديث عند فيلسوفنا ، أحمرة الشمس ولون نورها صباحا ، أم تعذيبها وجلدها الذى هو مجاز عن تسخيرها ؟ ليته أفصح عما استشكله فى هذا الشعر حتى يضحك الناس على تفكيره

وسبق له أن يعيب عَلَى المحدّثين الإدراج فى الحديث ، فهل قوله « الشاعر المشهور » من إدراجه هو فى الحديث ، أم من كلام ابن عباس ﴿ ويل للمطففين ، الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون ﴾

وقال (ص ٢٠٨) : وروى مسلم عن أنس بن مالك أن رجلا سأل النبى ﷺ قال : متى تقوم الساعة ؟ فسكت رسول الله ﷺ هنيهة ، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة فقال : ان عمر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة . قال أنس : ذاك الغلام من أترابى يومئذ

قال أبو رية وقد مات أنس فى سنة ٩٣ ﻫ على المشهور ، وهو ترب الغلام الذى قال النبي ﷺ إنه لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة ، وبذلك يكون قيام الساعة قبل انقضاء القرن الأول الهجرى

قال أبو رية فما قول عبّاد الأسانيد ، لعل بعضهم ينبرى فيقول وما يدريك لعل هذا الغلام لم يدركه الهرم إلى الآن

وأقول لأبي رية : والله يا عابد مبغضى الأحاديث من الروافض زنادقة الفرس واليهود إن هذا البهتان لم يخطر على بال من سميتم عباد الأسانيد

وإنما الحديث من نوع حديث ابن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قبل أن يموت بليال قال : أرأيتكم ليلتكم هذه ، فان عَلَى رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد . فوهل الناس فى ذلك وظنوه قيام الساعة ، ولكنه أراد انخرام الجيل الذى عاش فيه . وقد فسروا قيام الساعة بثلاثة أنواع من المراد بها : (أولها) ، قيام ساعة الفرد بالموت ، ومن مات فقد قامت قيامته . (ثانيها) قيام ساعة الأمة بذهاب عزها واستقلالها باستيلاء أمة أخرى عليها ، وعليه فسروا حديث « اذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة » وأحاديث أخرى « إذا ضيعت الأمانة » ، « أن ترى الحفاة العراة العالة رءوس الناس » ، « أن تلد الأمة ربها أو بعلها » الخ . (الثالث) القيامة العظمى مثل ﴿ إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة . اذا رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا ﴾ ، ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾

فحديث قيام الساعة فى حديث الغلام تِرب أنس كحديث ابن عمر فى انخرام الجيل الذى عاش فيه رسول الله ﷺ ، ولم يخطر فى بال أحد من أهل الحديث ما افتريته عليهم يا عابد الروافض أن ترب أنس لم يهرم لليوم ، وإنما هو الزور والبهتان حكمك عليها الهوى وعمى البصيرة . والغلام الذى يعيش العصور ولم يمت بعد هو فى عقيدة أصحابك الذين يدعون له بأن يعجل الله فرجه ، لا فى عقيدة أهل السنة

وقال أبو رية (ص ٢٠٨) : نكتفى بما أوردناه ، وهناك أحاديث أكثر شناعة تركناها خوف الاطالة ، وللامام الطحاوى كتاب كبير فى أربعة مجلدات فى مشكل الحديث فيرجع إليه من أراده . ه

وجوابه : وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم[1] السقيم

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

قال الله تعالى ﴿ قل هو هدى وشفاء للذين آمنوا ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ . نعم يناديهم بغضهم لحملة العلم النبوى وحبهم لأعداء حملة الآثار ، فيصرفهم عن الحق والهدى والصراط المستقيم

ونقل أبو رية (ص ٢١٥) تحت عنوان (كلمة جامعة فى أحاديث أشراط الساعة ـ وأمثالها)

كلمة فى نحو صفحتين عن السيد رشيد رضا رحمه الله تعالى من تفسيره ص ٥٠٤ ـ ٥٠٧ ج ٩ فيما جاء من الأحاديث فى أشراط الساعة وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وغيرها شكك فيها بأحاديث أشراط الساعة بأن الرواة رووها بالمعنى ـ يعنى ويجوز الخطأ عليهم فيما فهموه من كلام النبى ﷺ ، وأن الصحابة كان فيهم منافقون وفى الرواة وضاعون تظاهروا بالصلاح فلم يعرف ما وضعوه إلا بعد توبة بعضهم وإقراره بما وضع الخ ما هو دفع فى صدر الأحاديث الصحيحة وعجزها وإضعاف الثقة بها والاحتجاج بما جاءت به

ونقول كلمة موجزة فى سبب هذا التشكيك من السيد رشيد رحمه الله تعالى ، تخرّج رحمه الله تعالى على أستاذه الامام الشيخ محمد عبده الذى تمهر فى فلسفة القرن الثامن عشر والتاسع عشر ورضعا جميعا لبان فلسفة جوستاف لوبون وكانت ونتشه وسبنسر وغيرهم من أساطين الفلسفة المادية التى تقول بجبرية الأسباب والمسببات وأن العالم يسير بنواميس لا يمكن أن تتخلف أو أن ينفك مسبب عن سببه عقلا

فلم تتسع الفلسفة المادية فى تفكيرها للايمان بالمعجزات والخوارق من انشقاق البحر لموسى والعصا له وآيات عيسى بن مريم ورفعه للسماء ونزوله وخروج الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها وانشقاق القمر وغيرها من الآيات

ولما لم تتسع فلسفتها ـ فلسفة القرن الثامن عشر ـ والتاسع عشر لهذه الخوارق والآيات والمعجزات أخذا فى تأويلها فى القرآن والشك فى أحاديثها

ولو عاش الامامان الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا رحمهما الله إلى منتصف القرن العشرين وعلما فلسفته التى نفت الجبرية وأنها ذهبت إلى غير رجعة ، وأن العالم مسير بحكمة فاعل مختار لا بجبرية حتمية كما أعلن ذلك مشرفة باشا فى مقال له « تطور العلم » والعالم الطبيعى الفلكى الانكليزى جنز فى كتابه « الكون الخفى » او المستور ورئيس الأكاديمية الأمريكية فى نيورك صاحب كتاب « الانسان لا يقوم وحده » الذى يردّ على هكسلى خليفة دارون فى كتابه « الانسان يقوم وحده » وقد عُرب كتاب الانسان لا يقوم وحده باسم « العلم يدعو إلى الايمان »

أقول لو عاش الامامان إلى هذا التجديد فى الفلسفة الغربية لكان لهما رأى آخر فى آيات الانبياء وخوارقهم ومعجزاتهم ، ولكان لهم إيمان وفرح بأحاديث أشراط الساعة والخوارق ولاستفادا منها علوما نفسية من الوحى الإلهى

ولو كان لأبى رية أن يعرف تطور العلم وانهدام مادية القرن الثامن عشر والتاسع عشر وحلول فلسفة القرن العشرين محلها لكان يستحى من نفسه أن يقلد نظرية خاطئة محاها الزمان وطمسها ، ويردّ بها صحيح الأحاديث ويشكك فيها ، ويصير كالغراب الذى أراد مشية القطا ففقد مشيته ولم يحسن مشية القطا ، وصار أعرج بين الطيور

أنا تلميذ السيد رشيد رضا رحمه الله ، واستفدت منه ما أشكر الله عليه ، وأشكر أستاذى على ذلك وأترحم عليه لأجله ، ولكن ذلك لا يمنعنى أن أخالفه إلى ما يظهر لى من الحق كما قال أحد الحكماء عن شيخه : إنه يحبه ، والحق أحب إليه من شيخه

لم ينس أبو رية عداوته للسنة وشكه وتشكيكه فيها ، فقال (فى حاشية ص ٢١٩) عند الـكلام على جمع القرآن وسببه : مما يلفت النظر البعيد ، ويسترعى العقل الرشيد أن عمر لما راعه تهافت الصحابة فى حرب اليمامة تهافت الفراش فى النار ، وفزع الى أبى بكر لكى يسارع إلى جمع القرآن وكتابته ، لم يقل عنهم إنهم حملة الحديث بل قال انهم حملة القرآن ، ولم يطلب جمع الحديث وكتابته عندما فزع الى أبى بكر ، بل جعل همه فى القرآن وحده وكتابته ، ولم يقف الأمر عند ذلك فحسب بل إننا لم نجدهم وهم يجمعون القرآن ويدونونه . . . . قد اقترح واحد منهم أن يجمعوا الحديث ويكتبونه ، بل انحصرت عنايتهم جميعا فى جمع القرآن فحسب ، وفى ذلك أقوى الأدلة وأصدق البراهين على أنهم لم يكونوا يعنون بأمر جمع الحديث ، ولا أن يكون لهم فيه كتاب محفوظ ، يبقى على وجه الدهر كالقرآن الـكريم . هـ

أقول : وفات فيلسوفنا عدوّ السنة أن حملة القرآن عدد محدود يمكن استيفاء ما عندهم ، ولذلك خيف من قتلهم ضياع ما معهم من القرآن . أما حملة السنة فيزيدون على الاحصاء والعد ، فقد حضر منهم فى حجة الوداع وحدها ما يزيد على مائة ألف فـكيف بمن لم يحضرها ، وإنما كان حاضرو حجة الوداع من المدينة وما حولها بخلاف سائر سكان الجزيرة العربية الذين دخلوا فى دين الله أفواجا وسبق لهم التشرف برؤية الرسول ﷺ وفادة عليه ، فـكيف يمكن جمع ما مع هؤلاء . يامن له عقل وفهم وانصاف

ثم إن جمهور هذه الأمة العربية فى عصر النبوة كانت أمية لا تحسب ولا تـكتب ، كما قال تعالى ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ﴾ وفى الحديث « نحن أمة أمية لا نـكتب ولا نحسب » وأمة أمية هذا شأنها يستحيل تدوين ما فى صدورها من علم وحكمة ، ويكفى فى حفظه ما امتازت به من قوة الحفظ والذاكرة ، بل إن هذا الحفظ وقوة الذاكرة هو أساس حفظ القرآن ، والـكتابة والتدوين زيادة خير ونافلة ، وإلا فما يفيد كتابة آية ﴿ ان جاءكم فسق بنبإ فتبينوا ﴾ أن لم يكن الحفظ والذاكرة أو آية ﴿ نعض

الحق وهو خير الفاصلين ﴾ فالذى حفظ للاسلام والانسانية هذا القرآن بقراءاته وحركاته وأنغامه هو الحفظ والذاكرة والعبقرية القادرة ، وهما اللذان حفظ بهما حديث رسول الله وسنته وأيام العرب ووقائعها وشعرها، حتى زالت الأمية عن الأمة فدونت حديثها وفقهها وأصول فقهها وتاريخ حياتها وأخبارها وسائر ما هو من لوازم الأمة المتحضرة أيها الفيلسوف الناقد على غير بصيرة

وقال (ص ٢٣٠) : فصنف عبد الله بن موسى العبسى الكوفى مسندا ه . وصوابه « عبيد الله » مصغرا لا عبد الله مكبرا ، ولكن من كان علمه من الصحف لا من التلقى كان تصحيفه أكثر من صوابه

وقال (ص ٢٣٢) وصنفوا من ذلك كتبا وكسروها ، من الكسر ضد الجبر ، ولعله يريد « قصروها » من القصر فخانه التعبير ، أو أوقعه فى ذلك الإغراب فى التعبير

وقال (ص ٢٣٣) : لما تركت أحاديث الرسول صلوات الله عليه بغير تدوين فى عهده ولم ينهض الصحابة لكتابتها كما كتبوا القرآن اتسعت أبواب الرواة عن رسول الله ﷺ لكل ذى هوى زائغ أو دخلة سيئة من غير خوف من ضمير ولا وازع من دين ، فرووا ما شاءوا أن يرووا . ه

ويقال لناقدنا صاحب الهوى : إن الله قد حفظ دينه فى كتابه وسنة رسول الله ﷺ بحفظ الثقات ورواية الصادقين ، وتميز الحق من الباطل فى الرواية سواء فى القرآن أو الحديث ، ولم يضر عدم تدوين الحديث شيئا فى معرفة صحيحه من سقيمه ، كما لم يمنع تدوين القرآن من وجود القراءات الشاذة كما هو معروف عند علماء القراءات من شذوذ ما فوق العشرة . ه

وقد جمع ابن خالويه النحوى رسالة متوسطة الحجم فى القراءات الشاذة أحفظ منها قراءة من قرأ ﴿ الحمدُ لُله رب العالمين ﴾ بضم اللام فى لله تبعا لضمة الدال . وقراءة من قرأ ﴿ الحمدِ لله ﴾ بكسر دال الحمد تبعا لكسر لام لله ، وأمثالها كثير ، فما منع تدوين

للقرآن أمثال هذه الشواذ ؟

إن شواذ القراءات كضعاف الأحاديث ، لم يمنعها التدوين كما لم يجلبها عدم التدوين ، وإنما هى سنة الله فى خلقه أن يوجد بجانب النور غسق ، وبجانب الأصحاء مرضى ، وبجانب الحق باطل

وقال (ص ٢٣٣) ولو أن المسلمين الأولين أو من دخلوا فى الاسلام من بعد كانوا طبقة واحدة فى الصدق ودرجة متساوية فى العدل وكمال السيرة ، أو لو أن الرواية قد وقفت على من أطلقوا عليهم الصحبة ، وربطت الكتابة ما روى فى عهد الخلفاء الراشدين لكان عسى أن يكون النقل مقصورا على ما قاله النبى ﷺ بغير زيادة ولا نقص ولجاءت الأحاديث كلها صحيحة لا شك فيها ، ومن ثم كانت الأمة تتلقاها بالرضا والتسليم كما تلقت من قبلها آيات القرآن الحكيم ، ويأخذها الخلف عن السلف بألفاظها ومعانيها ولا يخالف أحد من المسلمين فيها ، ثم تسير الأمة على نورها وتهتدى بهديها ، من غير تمذهب ولا تفرق كما هو الأصل فى الدين الذى يقول كتابه ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ـ ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء ﴾

قال : ولكن الناس هم الناس فى كل عصر ، والبشر لهم طباع لا تتغير ، وغرائز لا تتبدل ، وأهواء لا تتحول ، وما كان الصحابة رضى الله عنهم بدعا من الناس ولا هم بالمعصومين . هـ

وجواب هذه المغالطات التى يأخذ بعضها برقاب بعض ، وأملاها الهوى والجهل وبغض السنن والأحاديث ، أن هذا الجيل الذى تخيله طبقة واحدة فى الصدق ودرجة متساوية فى العدل وكمال السيرة لم يخلقه الله تعالى ولا شاءه الله لبنى الانسان ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ ، ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح

بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ﴾ الآيات

وزعمه أن الرواية لو وقفت على من أطلقوا عليهم الصحبة وربطت الكتابة ماروى في عهد الخلفاء الراشدين لكان يرجى أن يكون النقل مقصورا على ما قاله النبي ﷺ ولجاءت الأحاديث كلها صحيحة لا شك فيها . هذا كله مغالطة سببه الجهل والهوى . فالأحاديث الصحيحة هي ما كانت عن صحابة رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ بالسند الصحيح ، وما جاء عن غيره يسمى أثراً وموقوفا . وفائدته تفسير آية أو حديث أو بيان مذهب صاحب أو إمام ممن بعدهم ، ففيه من الفائدة ما لا يخفى إلا على جاهل

وسبق أن قلنا له إن التدوين للقرآن لم يمنع ورود القراءات الشاذة ، وذكرنا له ما قالوه فيما وراء العشرة وما جمعه ابن خالويه في كتابه القراءات الشاذة ، ونذكر له هنا أن خيار الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان تلقوا أحاديث الرسول ﷺ بالقبول والتسليم كما تلقوا آيات القرآن المجيد ، ولم يشك في أحاديث الرسول الصحيحة الا من في قلبه مرض واتبع غير سبيل المؤمنين من الروافض والجهمية والخوارج وسائر أهل الأهواء والبدع . وأما زعمه أن السنة لو كانت تدونت في عصره ﷺ أو عصر صحابته رضى الله عنهم لما كان ثم تمذهب ولا تفرق في الدين فجهل بأسباب التمذهب والتفرق في الدين ، ها هم أولاء الذين لا يدينون بالأحاديث ولا يرفعون بها رأسا من الخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة تفرقوا في دينهم أيما تفرق ، وفي كتب النحل والمذاهب الكلامية ككتاب الأشعري (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) وكتاب (الفصل) لأبي محمد ابن حزم (والملل والنحل) للشهرستاني وأمثالها من مذاهب الذين يزعمون أنهم لا يأخذون إلا بالقرآن ويرفضون الأحاديث والسنن من الخوارج والجهمية والروافض ما لا يحصيه إلا الله تعالى ، تجد الرجل من أهل الأهواء كالعلاف وأبي الهذيل والنظام وشيطان الطاق وأمثالهم يذهب إلى الرأي من هواه ويخالفه فيه تلاميذه وأتباعه الى أشنع مما ذهب اليه . لقد بين الله سبحانه سبب الخلاف الذي يمقته ولا يرتضيه بقوله ﴿ كان الناس أمة واحدة

فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ وقال ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ تبين أن الاختلاف فى الدين الذى يبغضه الله وينهى عنه سببه البغى بعد مجىء الكتاب والبينات ، وأما الاختلاف الذى سببه تفاوت الناس فى الفهم والعلم بدون عداوة ولا بغى فهذا من طبيعة البشر ومما عذرت فيه الشرائع وتجاوز الله عنه

ولله در شيخ الاسلام ابن تيمية فقد بين أنواع الاختلاف ـ مذمومه وما يعذر فيه ـ فى أول كتابه القيم (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)

وأما قول فيلسوفنا : إن الصحابة ما كانوا بدعا من الناس ولا هم بالمعصومين ، فقد أوضح الله تعالى الحق فى ذلك بقوله ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ الآية . وقوله ﴿ للمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ينصرون الله ورسوله أولئك هم المفلحون . والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ والحديث « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم » الخ ، والحديث الآخر « لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » . هذا هو الحق فى وصف أصحاب رسول الله ، ومن غاظه ذلك فليقف من قول الله ورسوله حيث شاء

وذكر (أول ص ٢٣٤) اختلاف الصحابة بعد موت النبى ﷺ حتى قبل دفنه ﷺ وارتداد بعضهم وحزم أبى بكر وعمر فى رد المرتدين إلى الاسلام الخ ، وتلك شكاة ظاهر

عنك عارها . واختلاف الصحابة وأسبابه له موضع آخر ، وهو ليس من أغراض السنة ولا الدفاع عنها ، ومن تكلم فى ذلك فليتكلم بعلم وإنصاف أو ليسكت بحلم ووقار

وقال (ص ٢٣٤) : من أجل ذلك كان كبار الصحابة كأبى بكر وعمر وعلى لا يصدقون من يؤدى لهم من الصحابة — حتى من كبارهم — حديثا إلا إذا جاء بشهيد يشهد معه أنه قد سمعه من النبى ﷺ أو يحلف أنه تلقاه عنه — قال : ولو كانوا كلهم مبرأين من الخطأ والكذب — كما قالوا عنهم — لقبلت رواية كل من يروى منهم فى عهد الخلفاء الكبار .... بغير شاهد أو يمين ، وبخاصة فإنهم كانوا هم الناس الذين تلقوا الدين مشافهة من نبيهم ولا يزال نور النبوة يشرق فى قلوبهم . »

وجوابه : إن تثبت بعض الخلفاء فى رواية بعضهم بتأكيد بشاهد أو يمين وقائع جزئية اقتضاها ظرف الحديث والمحدث ، وليست وقائع عامة ولا سنة مطردة . فهذا أبو بكر جاءته الجدّة تطلب ميراثها وهذا عمر يخبره عمار أن الجنب يكفيه ضربة للوجه واليدين إذا فقد الماء ، ويسكت عنه عمر . وهذا حديث أنصبة الزكاة يرويه عمرو بن حزم ويعمل به أبو بكر ومن بعده — والأمثلة كثيرة كلها تنسف دعوى أبى رية التى لم يبرهن عليها . وما باله تخطى عثمان عندما ذكر كبار الصحابة ؟ ألأنه يقبل الحديث جزافا من دونهم ، أم أنه عنده ليس من كبار الصحابة ولا من الخلفاء الراشدين ، أم إرضاء لساداته الروافض الذين يغصهم ذكره ؟

وينصح أبو رية فى ص ٢٣٤ لدارس تاريخ الاسلام بمعرفة حال العرب قبل الاسلام وما بين بنى أمية وبنى هاشم فى الجاهلية والاسلام ، وما كان بين النبى ﷺ وبين اليهود وما تكنه قلوب أهل الأديان والأمم الأخرى للاسلام من بغض وشنآن »

وياليته عمل بهذه النصيحة فعرف ما يكيده المستشرقون للاسلام أمثال جولد زيهر وشبلنجر فلم يعتمد طعنهم فى الحديث وأهله خصوصا حافظ سنة رسول الله ﷺ وأحاديثه أبا هريرة رضى الله عنه وعبد الله بن عمرو وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعائشة رضى الله عنهم

وذكر ما تزعمه الشيعة لبنى أمية من الموجدة لبنى هاشم ص ٢٣٤ س ٢١ وأنهم حاولوا إغراء بنى هاشم بالمطالبة بالخلافة لكى تقع الفتنة ، لولا حزم عمر الذى أحبط كيدهم فسكتوا وطووا على ما بين جوانحهم حتى يهتبلوا فرصة تسنح لهم ، إلى أن تهيأت فى خلافة عثمان رضى الله عنه . ﻫ

والذى يعرفه التاريخ أن ولاية أمر المسلمين دارت المشاورة حولها فى سقيفة بنى ساعدة بين المهاجرين والأنصار ، وكان الأنصار يظنون أن لهم فى الخلافة نصيبا حتى قال قائلهم : منا أمير ومنكم أمير ، وقال لهم أبو بكر : ان العرب لا تدين إلا لهذا الحى من قريش ، أنتم الوزراء ونحن الأمراء ، وقام عمر وبايع أبا بكر ، ورضى الأنصار وانتهى الخلاف ، ولم يكن لبنى أمية ولا لبنى هاشم ذكر فى هذا الخلاف سوى ما اختلقته الرافضة لتشوية سمعة الصحابة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وكان لعلى رضى الله عنه هوى فيها وظن أنه يقدّم على عثمان ، ولكن إجماع المهاجرين والأنصار كان على تقديم عثمان ، فاختلق الشيعة — فروخ الزنادقة والفرس واليهود — كلمات على لسان على دسها الرضىّ فى مجموعة سماها نهج البلاغة ، وشرحها بهذه المفتريات الملحد الخبيث ابن أبى الحديد زميل ابن العلقمى فى خيانة الاسلام ودولته ، وجاء باحث العصر أبو رية يرتشف من هذه الأكاذيب والمفتريات ويزعم أنه يحقق تاريخ الاسلام على نحو لم يعرفه العلماء قبله

إن بنى أمية بنو عبد شمس بن عبد مناف ، وعبد شمس أخو هاشم ، وليس بينهما فى الجاهلية والاسلام إلا الود وصلة الرحم . أليس العباس هو الذى أجار أبا سفيان عندما أسر فى فتح مكة وحماه من عمر عندما أراد ضرب عنقه ؟ أليس النبى صلوات الله عليه هو القائل يوم فتح مكة « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن » فجعل داره كالمسجد الحرام فى حماية من يدخلها ؟ أليس عثمان بن عفان أمويا وقد زوجه النبى ﷺ بنتيه الواحدة بعد الأخرى ولو كانت عنده ثالثة لزوجه إياها ، وهو الذى جهز جيش العسرة بألفى بعير بأقتابها ورواحلها ، واشترى بئر رومة من اليهودى الذى كان يبيع ماءها على المسلمين وجعل دلوه

فيها كسائر الدلاء ؟

فليس بين بنى أمية وبنى هاشم إذا أعرضنا عن فريات الروافض إلا الحب والوئام ، تجمعهم جامعة جدهم المشترك عبد مناف . أليس الحسن بن على هو الذى بايع معاوية بالخلافة ، وأصلح الله به بين المسلمين ؟

ونسكت عن خروج الحسين بتغرير شيعة العراق له وخذلانهم له بعد ذلك ، وما أصاب الاسلام والمسلمين من جرائها من فرقة ، وما أوضعه أعداء الاسلام بسببها من فرقة ومصائب

والعباسيون وهم هاشميون نسكلوا بمن خرج عليهم من بنى على وهم أبناء عم وإخوة ، ولكن الملك عقيم ، لا يرحم الوالد ولده إذا خرج عليه ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾

خرج أبو رية بعد طول ثرثرته فى اختلاف الأمويين والهاشميين ، وعدم تدوين الحديث فى عصر الصحابة ، وما كان من اختلاف بعض الناس فى القراءات حتى جمع عثمان المصحف الإمام وأمر بترك ما يخالفه ، خرج بعد ذلك (ص ٢٣٦) بنتيجة قال فيها : من أجل ذلك كان الوصول إلى معرفة الأحاديث الصحيحة شاقا والبحث عن معرفة حقيقة الرواة أشق ، وإذا علم ذلك كله بدا — ولا ريب — أن تأخير التدوين كان له ضرر بالغ ، إذ كان سببا فى اتساع آفاق الرواية ، واختلاط الصحيح بالموضوع ، وتعذر التمييز بينهما على مر الدهور . ه

وجوابه أن الصحيح لم يختلط بالموضوع إلا عند أمثاله ممن نظروا إلى الحديث وأهله نظر الشك والريب ، وأساءوا الظن بعلماء الاسلام وجهابذة النقل والنقد والتمييز وعرفاء الأمة برجال النقل وتمييز صحيح المنقول من سقيمه حتى تميزت لديهم أنواع حديث رسول الله ﷺ وعرفوا مقبوله من مردوده

وإن عدم التدوين الذى يندد به أبو رية ويزعم أنه كان سببا لاختلاط صحيح

الحديث بموضوعه ، فإن تفاديه فى القرآن بتعجيل تدوينه لم يمنع ورود القراءات الشاذة ، وقد ذكرت له سابقا كتاب القراءات الشاذة لابن خالويه وما فوق العشرة عند القراء ، وإن تدوين آية (وكان له ثمر) لم يحفظ ما عرف فيها من القراءتين بفتح الثاء والميم عَلَى الإفراد وبضمها على الجمع لولا حفظ الصحابة ، فحفظ الصحابة هو الذى حفظ القرآن بقراءاته كما حفظ الحديث برواياته ، وضربنا الأمثلة الكثيرة لذلك ، فتدوين آية ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ كيف يحفظ ما جاء فى الآية من رفع آدم أو نصبه ورفع كلمات أو نصبها لولا الحفظ . إن الذى أخذ قراءته من المدون بدون تلق قرأ ورحمتى وسعت كل شىء ﴾ بالسين « سىء » وقرأ ﴿ والله برىء من المشركين ورسولِه ﴾ بكسر اللام عطفا على المشركين ، حتى انتبه لذلك من رأى نقط المصحف وتشكيله

فالحفظ لا التدوين هو الذى حفظ القرآن كما حفظ الحديث ، ومثله يقال فى النحو واللغة وشواهدها ، والأصول والفقه وأدلتها ، والتاريخ وأخباره مما دُوِّن عندما تهيأت الأمة واستعدت لتدوينه ، قدَّر الله ذلك ﴿ ليهلك من هَلكَ عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة ﴾

وكرر أبو رية (ص ٢٣٧) ما سبق له ترديده مرارا أن الأحاديث لو كانت كتبت عندما نطق بها النبى ﷺ لتلقاها الناس كما تلقوا كتاب الله بغير بحث فى صحتها ولا تنقيب عن حقيقتها ، ولكن عدم تدوينها فى عهد صاحب الرسالة وأصحابه قد ألزم العلماء أن يبحثوا فى أمرها لكى يعرفوا الصحيح والموضوع منها . هـ

وسبق أن ذكرنا له أن تدوين القرآن وكتابته فى عهده ﷺ لم يمنع مجىء القراءات الشاذة فكتابة ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ لم تمنع من قراءتها بضم اللام فى لله تبعا لضم الدال فى الحمد ، ولا من قراءتها بكسر الدال تبعا لكسر اللام ، فلم يحفظ الروايات الصحيحة فى القرآن والحديث إلا حفظ هذه الأمة من الصحابة والتابعين لدينهم كتابا وسنة . فالتدوين لم يمنع شاذ القراءات وهى كضعيف الأحاديث ، ولله فى بعث رسوله فى الأميين حكم

عرفها العارفون وجهلها الجاهلون وتشوش بها الذين فى قلوبهم مرض ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ والله أعلم بمن هم أصلح لحمل دينه من أبى رية وأمثاله من أهل الشكوك والريب ، وقد استقام دين الله الذى حمله أولئك الأميون وعمل به أهل اليقين والتقوى ، وأعرضوا عن شكوك الذين فى قلوبهم مرض ممن لم يرضوا عن الله ورسوله وحملة دينه

ألا فليخبرنا هذا المرتاب فى حديث رسول الله ﷺ لعدم تدوينه فى العصر النبوى ماذا كان يفيد التدوين لولا الحفظ فى القراءات الصحيحة فى قوله ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ وقوله ﴿ والله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﴾ وقوله ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ إلى أمثال ذلك مما يحتمله الخط الذى لم ينقط والحروف التى لم تشكل حتى قرأ بعضهم ﴿ ورحمتى وسعت كل شىء ﴾ بالسين من السوء وقرأ آخر ﴿ وجعل السقاية فى رحل أخيه ﴾ قرأها : جعل السفينة — واحدة السفن — فى رجل أخيه

فلولا الحفظ الذى خص الله به خير أمة أخرجت للناس لما أفاد التدوين فى حفظ كتاب ولا سنة ، ولما كان فى بعث بنبيه ﷺ فى الأميين المتازين بالحفظ حكمة تنفى العبث

وقال (ص ٢٣٧) ناقلا عن الجزائرى : إذ ليس كل ما يرويه من كان موسوما بالعدالة والضبط يؤخذ به ، لما أنه قد يعرض له السهو والوهم والنسيان ه.

ويقال : إن الوهم والسهو والنسيان لا يصار إليها إلا بدليل ، والأصل فى أخبار العدول الضابطين الصحة والقبول ، وعلى هذا جرى عمل خير القرون

إن أهل قباء — وهم فى صلاتهم إلى بيت المقدس — أتاهم آت فقال : أشهد لصليت مع رسول الله ﷺ إلى الكعبة ، فاستداروا وهم فى الصلاة إلى الكعبة المشرفة ، فتركوا ما كانوا عليه بيقين لخبر الآتى ، ولم يعترهم شك الوهم والنسيان فى خبر هذا الآتى ، لأن الأصل فى كلام الثقات الصحة والقبول ، ولا يتشكك فيه إلا من جانب طريق العقل

والفطرة . وذكرنا سابقا لهذا المرتاب أنه اذا جاءه خادمه بأن على الباب من يستأذن فى الدخول فهل يتوقف فى خبره لجواز الوهم والنسيان أم يقول لخادمه ائذن للمستأذن . انه يوجد فى الناس سوفسطائية يشكون فى كل شيء حتى فى أنفسهم ، ولكن ذلك لا يضير ما عليه عمل الناس من قبول أخبار الصادقين والعمل بها ، وإن شك فيها المرتابون الذين انحرفت فطرهم عن الجادة وحادوا عن سواء السبيل

ومن مكرر القول أن نقول لأبى رية : إن تدوين القرآن لم يمنع من شواذ قراءاته ولم تحفظ به رواياته الصحيحة وأحرفه السبعة التى نزل بها لولا الحفظ الذى خص الله به أمة المسلمين .

وكذلك عدم تدوين الأحاديث والسنة لم يمنع معرفة صحيحها من سقيمها على ما فطر الله عباده من تمييز الحق من الباطل ﴿ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴾ ، ﴿ يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾ .

وقال (ص ٢٣٩) : اتفق علماء الحديث على أنه لا يؤخذ بالحديث إلا إذا كان رواته موصوفين بالعدالة والضبط . ثم قال : والعدالة وحدها غير كافية ، وقد اختلفوا فى صفتها اختلافا شديداً حتى قالوا : ان من الصعب الوقوف على رسم العدالة فضلا عن حدّها . ه

وهذه شكوك من امتلأ قلبه بصديد الشك والريب ، ولم يعرف ما فطر الله عباده عليه من تمييز الصدق من الكذب وما جرت عليه معاملاتهم فى كل زمان ومكان ، ان من اختلطت عليه معرفة ثقات الناس من كاذبيهم يسقط معه الخطاب ، وأولى له دار المجانين وبيمارستان المجاذيب

فالناس يعرفون بما آتاهم الله من العقل والتمييز خيار الناس من شرارهم ، وحسبُ أبى رية أن يشهد على نفسه بالخروج عن اتفاق علماء الحديث وأن ينضم إلى أعداء الكتاب والسنة من الروافض والجهمية والخوارج بل أعداء الاسلام من المبشرين والمستشرقين

إن من يتشكك فى خبر خادمه الذى يخبره بمستأذن على الباب أولى أن يعد فى سلك

الوسوسين المخبولين

وقال (ص ٢٣٩) : وليس كل مايرويه الحافظ المتقن صوابا لاحتمال أن يكون قد زل فى بعض المواضع ، وكذلك ليس كل ما يرويه غير الحافظ المتقن خطأ لإصابته فى كثير من المواضع ، والعاقل اللبيب هو الذى يسعى لمعرفة صواب كل فريق ليأخذ به . هـ .

قلت : وهذا فتح باب الفوضى واتباع الهوى بترك ما يرويه الحافظ المتقن لاحتمال أن يكون قد زل فى بعض المواضع وأخذ ما يرويه غير الحافظ المتقن لاصابته فى كثير من المواضع والحكم فى ذلك عند محادثنا هو عقل العاقل اللبيب

فنسأله : عقل من ترى ؟ عقل الجهمى أو الرافضى أو الخارجى . أو عقل جولدزيهر عدو الاسلام أو من ترى ؟ ولو كان الدين مأخوذا من عقول الناس فأى حاجة اليه ؟ وعقول الناس بينها من الاختلاف ما لا يحصيه إلا خالقها سبحانه

خذ مثلا هذا النور الذى تنكشف به الأشياء ، سل الباحثين فيه : هل اتفقوا على شىء فى حقيقته ؟ أهو أمواج أثيرية ، وما الأثير ؟ أو هو جزيئات تنفصل من مصدره ولها هذه السرعة المدهشة ، ولماذا لم يردها الزجاج ونحوه ؟

وقال (ج ١ ص ٢٣٨) : وصف هذا العلم — يعنى علم الحديث — عالم جليل فقال : انه علم اصطلاحى محض يوعى بكد الحافظة ، ويستنبط بقوة الذاكرة ، فلا يستلذه الفكر الغواص على حقائق المعقولات ، ولا الخيال الجوال فى أجواء الشعريات ، ولا الروح المرفرف فى رياض الأدب أو المحلق فى سماء الالهيات . هـ

لم يفصح لنا علامتنا عن اسم هذا العالم الجليل أهو عبد الحسين الرافضى أو أبو جعفر الاسكافى أو الملحد ابن أبى الحديد وأمثالهم من مبغضى آثار رسول الله ﷺ . ونحمد الله أن بقيت فى أبى رية بقية من حياء فكتم اسم عالمه الجليل مبغض الحديث ومفضل خيالات الشعراء والمتكلمين على علم النبوة ، فقد استفدنا من إبهام اسمه أن أبا رية لا تزال فيه مسحة من حياء يستحى مما قد يستحيا منه

وذكر (ح ٢ ص ٢٣٩) عن شيخ الاسلام ابن تيمية قوله : وأما الغلط فلم يسلم منه أكثر الناس ، بل فى الصحابة من قد يغلط أحيانا ، وفيمن بعدهم . ولهذا كان فيما صنف فى الصحيح أحاديث يعلم أنها غلط

لم يذكر أبو رية مصدر كلام الشيخ ابن تيمية حتى نرجع إليه ، فان أبا رية صاحب هوى غير أمين فى نقله وتلخيصه

والشيخ ابن تيمية وإن جوز الغلط على بعض الناس ولكنه لا يجيز رمى الناس بالغلط جزافا بدون دليل ، تعصبا وجريا وراء الهوى ، كما جوز أبو رية تغليط الثقات وتصديق غير الثقات اتباعا لما سماه عقل اللبيب ، ففتح للناس — وهو ما يريده لهم — باب التحلل من الأوامر والنواهى بزعمه اتباع عقل اللبيب من تغليط الثقات وتصديق الكذابين والمخلطين ، وعلى هذا فلا حاجة للدين عند أبى رية ما دام ما زعمه عقل اللبيب هو الحكم فيما يقبل أو يرفض من الدين

وشكك أبو رية فى إفادة المتواتر لليقين بقوله (ح ١ ص ٢٤٠) : فمن هذه الشبه أنه يجوز أن تخبر جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب بأمر حياة فلان ، وتخبر جماعة أخرى مثلهم بنقيض خبرهم . قال : وقد أنكر المسلمون أعظم الأمور المتواترة ، فالنصارى واليهود هما أمتان عظيمتان يخبرون بصلب المسيح والانجيل يصرح بذلك ، فاذا أنكروا هذا الخبر — وقد وصل إلى أعلى درجات المتواتر — فأى خبر بعده يمكن الاعتماد عليه والركون إليه ؟ هـ

والحمد لله إذ كشف لنا أبو رية عن سوءته ، وعن شكه فى القرآن ، فأمست شكوكه فى الحديث دون شكه فى القرآن ، وأبان لنا عن ارتوائه بشكوك أعداء القرآن والاسلام فضلا عن جهله بمعرفة التواتر ، وتاريخ الصلب ، وتاريخ الأناجيل

فنقول : (١) تجويزه أن يتواتر عند جماعة حياة فلان بينما يتواتر عن غيرهم موته جهل منه بالتواتر الذى عرفوه بأنه إخبار جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم

حتى ينتهي الى المشاهدة ، فالجماعة التى أخبرت بحياة فلان تواترا ، والأخرى التى أخبرت بموته كذلك لا يمكن تصور وجودهما إلا إذا كانت إحداهما لم تتوفر فيها شروط التواتر ، وتجويز تواترهما كليهما تجويز للجمع بين الضدين أو النقيضين ، كما هو بديهى لمن يعقل

(٢) مسألة زعم اليهود والنصارى صلب المسيح بن مريم وانكار المسلمين لذلك ، وزعمهم أن ذلك تواتر عند اليهود والنصارى وهما أمتان عظيمتان فيكون المسلمون قد أنكروا أعظم تواتر ، فى هذا من الجهل والهوى والزور والبهتان ما سنذكره

(فأولا) أنكر المسلمون صلب المسيح عيسى بن مريم تصديقا للقرآن كتاب ربهم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

وقد نزل القرآن بذلك وسمعه اليهود والنصارى فما نبسوا ببنت شفة فى تكذيبه ، أما النصارى فقد كان مع المسيح ليلة هجم عليه شرطة الرومان بعض حواريه نفروا عنه ولم يعرفوا من القضية شيئا سوى ما أشاعه أعداء المسيح من اليهود . والأناجيل الأربعة — إنجيل متى ولوقا ومرقس ويوحنا — لم تكتب إلا بعد ١٥٠ سنة ، وكاتبوها لا يعرف لهم تاريخ ولا ترجمة حياة سوى أنهم تلاميذ لبولس اليهودى الذى تنصر ليفسد دين المسيح أو تلاميذ تلاميذه ، والانجيل الصحيح إنجيل برنابا حوارى المسيح ينكر الصلب ويسجل على بولس أنه أفسد دين المسيح

وأما اليهود فقد وشوا بالمسيح عند بيلاطس عامل الرومان على اليهود بأن المسيح يقول إنه جاء ليعيد ملك داود ، فصدقهم بيلاطس ، وما أسرع أمثاله إلى تصديق إشاعات السياسة التى يظنون أنها ترمى لتقويض ملكهم وحكمهم ، فأرسل شرطته لاحضار هذا الذى يزعم أنه جاء ليعيد لاسرائيل ملك داود ، فأمرت السلطة الرومانية القائمة بأخذه وصلبه ودلهم عليه وعلى الدار التى هو فيها أحد تلاميذه يهوذا الأسخريوطى بمقابل ثلاثين درهما ، فلما دخلوا الغرفة التى قيل إنه فيها رفعه الله اليه وأمسكوا بالتلميذ الخائن الذى دلهم عليه فقال لهم : أنا يهوذا الأسخريوطى ، فقالوا له : فأين المسيح إذن ؟

وأخذوا هذا التلميذ وصلبوه ، وصار يصرخ : إيلى إيلى لماذا شبقتنى ومعناه بتفسيرهم : الهى الهى لماذا تركتنى

وفرحت اليهود بصلب من صلب من غير أن يعرفوا شخصه ، وإنما ذلك كان شفاء لما فى صدورهم من الحقد على من خرج عن ناموسهم حتى لا يفتضحوا ويفشل كيدهم

ومثل ذلك تآمر قريش على قتل النبى ﷺ فنجاه الله منهم بالهجرة ، ولكن قريشا كانت أعقل من اليهود القوم البهت ، فلم يقولوا إنهم قتلوا محمدا ﷺ حتى لا يفضحهم الواقع

فأين التواتر عند اليهود أيها البحاثة وهم لم يكن منهم الا وشاية نفر قليل إلى السلطة الحاكمة وشرطة هؤلاء الحكام لم يكونوا يعرفون المسيح وإنما اكتفوا بشخص ظنوه أنه المسيح بشهادة كذاب مرتش

وأين التواتر عند النصارى وقد تفرق تلاميذ المسيح عنه وقت هجوم جلاوزة الرومان وسمعوا بمسألة صلب مصلوب من شرطة الرومان ومن إشاعة اليهود البهت

والمسلمون كذبوا ذلك كله لا بتواتر أو غير تواتر ، بل بما حكى الله فى كتابه تكذيبا لليهود بقوله ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ...... بل رفعه الله إليه ﴾

فاليهود لحقدهم على المسيح روجوا إشاعة صلب المصلوب بزعم أنه المسيح عيسى بن مريم ، وشرطة الرومان نفذوا الحكم فى شخص ظنوه أنه هو المطلوب

فأين التواتر الذى كذبه المسلمون أيها المؤتم بجلد زيهر وسبرنجر وأمثالها من أهل الفرية والكذب والبهتان

لقد استفدنا من كلامك هذا شكك فيما أخبر به القرآن وتصديقك أعداء القرآن فى أن المسلمين يكذبون تواتر اليهود والنصارى فى زعمهم صلب المسيح عيسى ، وليس ثم تواتر

ولا شبه رواية تصلح للتاريخ ولو كانت خطأ ووهماً ، والمرء مخبوء تحت لسانه وقلمه

تقول فى حاشية ص ٢٤٠ عن الغزالى : ان العدد الكثير ربما يخبرون عن أمر تقتضى إيالةُ الملك وسياسته إظهاره ، والمخبرون من رؤساء جنود الملك ، فيتصور اجماعهم تحت ضغط الإيالة على الاتفاق على الكذب . ﻫ

ونقول لأبى رية تبعا للغزالى : إنه إذا تطرق هذا الاحتمال سقط شرط التواتر الذى يشترط استحالة تواطئهم على الكذب ، فاذا جاز هذا التواطؤ لم يكن تواترا ــ وهذا يمكن أن يمثل له بما ادعاه أبو رية فى دعوى تواتر صلب المسيح عند اليهود ، فقد كان رؤساء اليهود لهم شهوة فى أن يشيعوا صلب المسيح فأشاعوا عن المصلوب أنه المسيح ، وتابعهم الدهماء على ذلك مما ظن أبو رية أنه تواتر ، وبهت المسلمين بتكذيبهم لهذا التواتر ؟

وأما ما ذكره فى حاشية ١ ص ٢٤١ عن بعض الأصوليين أن المتواتر لابد فيه من القرائن ، وحينئذ يتساوى عند أبى رية المتواتر والآحاد ، فكلام هراء ، ولم يفصح باسم هذا الأصولى ، فلعله من ساداته الروافض أمثال عبد الحسين الكربلاوى وأبى جعفر الاسكافى وابن أبى الحديد ممن لا اعتبار بشواذهم وغرائبهم

وأما فكاهاته الأدبية فى ح ٤ ص ٢٤١ عن أخبار الآحاد فمن اللغو الذى يمر به المؤمنون كراما وينفضون ذيولهم من غباره ووحله

وذكر أبو رية (أول ص ٢٤٣) أن المتواتر يفيد العلم قطعا ، ونسى ما شكك فيه فى حاشية ص ٢٤٠ من أنه لا يفيد العلم وأورد شبها ، منها زعمه أن مسألة صلب المسيح تواترت عند اليهود والنصارى وكذبها المسلمون ، وأورد فى آخر حاشية هذه الصفحة قول الله تعالى عن النصارى وهى عن اليهود ﴿ ما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن ﴾

وهكذا فليكن التخليط فى العلم ، ورميه جزافا بغير علم ، والكذب بغير تذكر ولا احتياط

وقال (ص ٢٤٣) : حكم المتواتر والآحاد . ونقل عن الجمهور أن اخبار الآحاد

لا تفيد العلم ولو كانت مخرجة فى البخارى ومسلم . قال وإن تلقى الأمة لها بالقبول إنما يفيد العمل بما فيها بناء على أن الأمة مأمورة بالأخذ بكل خبر يغلب على الظن صدقه ، ولا يفيد أن ما فيها ثابت فى نفس الأمر قطعا . ومثل بالقاضى الذى يحكم بشهادة من كان عدلا فى الظاهر ، قال : وليس بمأمور أن تكون شهادته مطابقة للواقع

قال : وهذا ما قاله الجمهور ، وقال كثير من العلماء إن أخبار الآحاد لا تفيد العلم ولو تلقيت بالقبول . ونقل عن أحمد فى رواية الأثرم عن حكم الآحاد أنه يعمل به ولا يشهد أن النبى قاله . قال : وأطلق ابن عبد البر وجماعته أنه قول جمهور أهل العلم والنظر حتى قال بعضهم ولو مع قرينة ، أى لا يفيد العلم ولو مع قرينة ، ونقل عن الرازى فى تفسيره أن رواية الواحد إنما تفيد الظن . ونقل عنه فى معالم أصول الدين أن الدلائل النقلية ظنية وأن العقلية قطعية وأن الظن لا يعارض القطع

وحشّى أبو رية على ذلك قوله : ترى هل هذه القاعدة التى قرروها قد أمر الله بها ورسوله ؟ وترى هل هى تخرجنا من حكم اتباع الظن الذى جاء فى آيات كثيرة من مثل ﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ﴾ ، ﴿ إن الظن لا يغنى من الحق شيئا ﴾ ومثل قوله تعالى فى قول النصارى — بل هم اليهود — بصلب المسيح ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ هـ

وجوابه (١) : إن الإمام أحمد لا يمكن أن يقول عن حديث الآحاد من رواية الثقات : يعمل به ولا يشهد أن ﷺ قاله ، وهو الذى أفنى حياته فى رواية أحاديث الثقات وتدوينها ، فلا يمكن أن يقول عن شىء عاش ومات فى جمعه والعمل به وإرشاد الأمة إلى اتباعه إنه لا يشهد أن النبى ﷺ قاله ، فمن أين لك يا أبا رية هذه الرواية الغريبة التى يكذبها عمل الإمام أحمد والمحققون من أصحابه . والمعروف عن أحمد وغيره من علماء الحديث أن ذلك يقال فى الضعيف الذى لم يشتد ضعفه بل يقوم بنفسه ، وهو الذى يسميه الترمذى حسنا

(٢) : نقلك عن الجمهور أن حديث الآحاد لا يفيد إلا الظن ، أى جمهور تعنى

جمهور الصحابة والتابعين وتابعيهم ؟ أم جمهور الجهمية والمعتزلة والمتكلمين والروافض والخوارج ممن لا وزن لهم في العلم والدين ، ولا اعتبار لهم في الاسلام ، بل هم ممن اتبع غير سبيل المؤمنين ، وجرى وراء فلاسفة اليونان والفرس والبرهميين ، وجانب طريق الأنبياء والمرسلين . وحسبك بشكوك الرازى فى الأدلة النقلية التى نسفها الشيخ ابن تيمية فى مقدمة كتاب (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول) وأن اليقينيات لا تتعارض ، وإنما يتعارض اليقين مع الظن ، وأن ماجاءت به الرسل هو اليقين ، وأن خيالات المتكلمين هى الظنون وهى التى تطرح

ونقول للذين زعموا أن خبر الثقات الاثبات لا يفيد إلا الظن :

(١) أهل قباء الذين كانوا مستقبلين لبيت المقدس وصلى اليه المسلمون ثمانية عشر شهراً ، ثم أخبرهم آت أنه صلى مع النبى ﷺ إلى الكعبة ، فتحولوا عن يقين ما كانوا عليه وهم فى الصلاة إلى الكعبة المشرفة بخبر واحد من الناس ، أفتركوا اليقين للظن يامن عنده عقل وإنصاف ؟

(٢) رسل رسول الله ﷺ إلى ملوك الدنيا وأمراء الآفاق لم يكونوا إلا آحادا ، أفكان رسول الله ﷺ يدعو الناس لترك ماهم عليه من الدين الذى استيقنوا به ، بطرق ظنية من آحاد كان يرسلهم ؟

أفقال المقوقس لحاطب بن أبى بلتعة : إن خبرك ظن ، فاذهب إلى صاحبك يرسل الىّ عددا يصح به التواتر حتى أصدق أنهم رسل من عنده ؟

وكذلك النجاشى وهرقل وكسرى ، هل تشكك أحد منهم فى خبر رسول الله بأنه خبر آحاد لا يفيد إلا الظن ؟

لقد ذكرت لأبى رية سابقا أن عمل الناس فى كل زمان ومكان هو تصديق الصادق والتمييز بينه وبين الكاذب بما أعطاهم الله من الفطر والعقول ، وأن خادم أبى رية اذا كان قد عرف صدقه وأمانته لا بد أن يصدقه فيما يخبره عنه من أسعار السلع والمشتريات ويسل

بخبره وهو فرد واحد إذا كان قدعرف صدقه وأمانته

ومن غرائب أبى رية جهله بالقرآن كجهله بالسنة ، فقد جعل قول الله تعالى فى آخر حاشية ص ٢٤٣ ﴿ وما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ أنه من قول النصارى فى صلب المسيح ، مع أنه رد على اليهود القائلين بأنهم قتلوا عيسى بن مريم رسول الله ، فرد الله عليهم بقوله ﴿ وقولهم — يعنى اليهود — إنا قتلنا المسيح بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما ﴾

أكثر أبو رية (ص ٢٤٠ — ٢٤٣) من النقل عن الغزالى والشاطبى والنووى وابن حبان وغيرهم فى أن أحاديث الآحاد لا تفيد إلا الظن — يعنى الذى لا يغنى من الحق شيئا ، ومرة يعزو ذلك إلى الجمهور ، فان كان يعنى جمهور المتكلمين فلا قيمة لهم عند علماء الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان

والعجب أن ينقل عن النووى الذى أفنى حياته فى شرح الأحاديث وجمعها كشرحه لمسلم ، وجمعه لرياض الصالحين ، وغيرهما من نفائس كتبه ، أنه كان يضيع جهوده فى ظنون لا تغنى من الحق شيئا

وأغرب منه ابن حبان صاحب الصحيح المسمى بالأنواع والتقاسيم وروضة العقلاء ونزهة النبلاء وغيرهما من خيار كتبه ، وكذلك كتابه الثقات ، وكتابه الضعفاء ، وغيرهما من التراجم ، غريب أن يرى أن أحاديث الآحاد — وهى التى اشتغل بها طول حياته — أنها ظنون لا تغنى من الحق شيئا

ونتعجب كذلك من قرارات أبى رية المتناقضة إذ يقرر مرة أن التواتر يفيد اليقين ، ومرة يورد شبهات على افادته اليقين ، ويمثل بمخالفة المسلمين لتواتر اليهود والنصارى الذى زعمه فى قولهم عن صلب المسيح عيسى بن مريم !

ومرة يقرر ان المتواتر لا يفيد اليقين إلا بالقرائن ، فلا فرق حينئذ بينه وبين خبر الآحاد

وحينئذ نسجل عليه اعترافه - من حيث لا يشعر - أن خبر الآحاد مع القرائن يفيد اليقين، فيهدم ما بناه وأتعب نفسه في نقله أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين، ونعيد له ما كررناه سابقا من ترك أهل قباء ما كانوا عليه من يقين القبلة إلى بيت المقدس إلى ما أخبرهم به مخبر واحد من صلاته مع النبي ﷺ إلى الكعبة فاستداروا كما هم إلى الكعبة

أفتركوا اليقين الذي كانوا عليه لظن لا يغني من الحق شيئا؟ وكذلك رسل رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء والأقيال، أكان خبر الواحد من هؤلاء ظنا لا يغني من الحق شيئا؟ وكذلك بعث معاذ وأبي موسى إلى اليمن لدعوتهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، أفكان ظنا لا يغني من الحق شيئا؟ وكذلك عمال الزكاة، أفكان برسلهم رسول الله ﷺ عددا متواترا أم كانوا آحادا، والمؤذنون الذين يؤذنون بدخول الوقت أليسوا آحادا فهل لا يفيد أذانهم إلا الظن؟

الحق أن عمل الناس في كل زمان ومكان تصديق الثقات والعمل بخبرهم، فاذا كانت مع خبرهم قرائن أفاد اليقين

وحينئذ يسقط ما موّه به أبو رية على كلام ابن الصلاح ليخلص بذلك إلى ما يريد وما في نفسه وما يتقرب به إلى ساداته من الجهمية والروافض أن أخبار الصحيحين البخاري ومسلم لا تفيد إلا الظن، وعمى عن تلقي الأمة لها بالقبول، ناطحا برأسه صخرة إجماع الأمة، فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وحسبنا من أبي رية اعتماده (ص ٢٤٦) كلام المتكلمين - من جهمية ومعتزلة وروافض - في ردهم أحاديث الآحاد التي لا توافق أهواءهم وخيالاتهم التي سموها معقولات، وزعمهم أن أخبار الآحاد لا تفيد غير الظن، ولا يجوز البناء على الظن في المطالب الكلامية، وهذا مما خالفوا فيه سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين، وخالفوا إجماع خير القرون من الايمان والعمل بالكتاب والسنة الصحيحة والأحاديث النبوية. ولله در شيخ الاسلام ابن تيمية في جميع كتبه ومنها موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول

وأمثاله من كتبه النافعة ، وكتب تلميذه شمس الدين بن القيم ومن سار على منهاجهم كمؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي والحافظ شمس الدين بن عبد الهادى

وأما تمثيل أبى رية بحديث محاجة الجنة والنار (ص ٢٤٦) فليت شعرى ما وجه استنكاره ؟ أمن أجل إثبات محاجة للجنة والنار ؟ إن كان ذلك منكرا عند أبى رية فليقل لنا ماذا يقول فى قول الله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾ وقول الله تعالى ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء ﴾

فاذا كان أبو رية لا يؤمن بما أخبر الله عن السماء والأرض وعن شهادة الألسن والأيدى والأرجل والجلود فلا كلام لنا معه ، وان آمن بذلك فليؤمن كذلك بمحاجة الجنة والنار . أما إن كان انكاره لاثبات قدم أو رجل لله يضعه فى جهنم فينزوى بعضها لبعض وتقول قط قط ، فلينكر ما أثبت الله لنفسه من الوجه والعين والسمع والبصر واليدين والأصابع إلى غير ذلك ، فكله من واد واحد : إثبات بغير تشبيه ولا تكييف ، وتنزيه من غير تعطيل ولا تحريف ، كما هو القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأهل الكتاب والسنة فى كل زمان ومكان

قال أبو رية (ص ٢٤٧) فهذا الحديث ونظائره — وهى كثيرة — يبعد على المتكلم أن يقول بصحتها فضلا عن أن يجزم بذلك . . إلى قوله : وقد نشأت بذلك عداوة شديدة بين المتكلمين والمحدثين يعرفها من نظر فى كتب التاريخ ، حتى إن المتكلمين سموا جمهور المحدثين بالمشبهة ، والمحدثين سموهم بالمعطلة . (وقال فى الحاشية) :

وكذلك يسمى المتكلمون المحدثين بالحشوية ويصفونهم بأنهم أجهل الناس بما يحملون وأبخس الناس حظا فيما يطلبون ، وفى ذلك يقول شاعرهم :

زوامل للأسفار لا علم عندهم بجيـــد إلا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا بأحماله ـ أو راح ـ ما فى الغرائر

قد قنعوا من العلم برسمه ، ورضوا بأن يقولوا فلان عارف بالطرق ورواية الحديث ، وزهدوا فى أن يقال عالم بما كتب ، أو عامل بما علم . هـ

لقد أفرغ أبو رية صديده على المحدثين ، وللمحدثين أن يتمثلوا بما قيل :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

ولهم أن يقرءوا لأبى رية ومن قلدهم من أعداء السنن قول الله تعالى ﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون : وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين . وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون : وما أرسلوا عليهم حافظين . فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون . على الأرائك ينظرون . هل ثُوِّب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾

وحسب أبى رية أن يكون سادته فى عداوة المحدّثين أمثال الجعد بن درهم والجهم بن صفوان وشيطان الطاق والنظّام وواصل بن عطاء وآخرهم الرازى

وحسبه أن يجانب طريق الصحابة وأكابر التابعين : الحسن وابن سيرين والشعبى وفقهاء المدينة السبعة وتابعى التابعين الزهرى ومالك والثورى وابن عيينة والحمّادين وابن المبارك ومن بعدهم أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى ومن سار على نهجهم

نزلوا بمكة فى منازل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل

ولا أدرى هل تحريف ما استشهد به أبو رية من الشعر منه أو ممن قبله ، فالمحفوظ « زوامل الأشعار » لا « للاسفار » ، و « بجيدها » لا « بجيد » ولكن أبا رية يسجل لنا كل يوم ما يجعله فى عداد من قال الله فيهم ﴿ صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾ فلا أمانة فيما يحكى عن غيره ، ولا عقل فى تمييز ما ينقله

ونقل أبو رية (ص ٢٥٠) بواسطة الأم للشافعى عن أبى يوسف قوله : فعليك من

الحديث بما تعرفه العامة وإياك والشاذ منه ، فانه حدثنا ابن أبى كريمة عن جعفر عن رسول الله ﷺ أنه دعا اليهود فسألهم فحدثوه حتى كذبوا على عيسى ، فصعد المنبر فخطب الناس فقال : إن الحديث سيفشو على ، فما أتاكم عنى يوافق القرآن فهو منى ، وما أتاكم عنى يخالف القرآن فليس منى . وكان عمر فيما بلغنا لا يقبل الحديث عن رسول الله ﷺ إلا بشاهدين ، وكان على رضى الله عنه لا يقبل الحديث عن رسول الله . والرواية تزداد كثرة ويخرج منها مالا يعرف ولا يعرفه أهل الفقه ، ولا يوافق الكتاب ولا السنة ، فإياك وشاذ الحديث ، وعليك بما عليه الجماعة من الحديث وما يعرفه الفقهاء الخ

والجواب : (١) من هو ابن أبى كريمة ؟ مجهول أو ساقط

وجعفر إن كان هو ابن زين العابدين الملقب بالصادق فهو من صغار التابعين لم يدرك عهد النبى ﷺ ، فالحديث مرسل لا تقوم به حجة

ومن الغريب العجيب أن يريد أبو رية هدم الأحاديث الصحيحة التى تلقتها الأمة بالقبول وانعقد الإجماع على العمل بها بهذا الأثر المرسل الشاذ الذى لا يعرف راويه

(٢) حذر أبو يوسف فى هذا الكلام من الحديث الشاذ الذى لا يعرفه الجماعة

وهذا الحديث فى هذا الأثر حديث شاذ لا يعرفه الجماعة ولا يوافق الكتاب ولا يوافق السنة

(٣) يحكم هذا الحديث على نفسه بالبطلان ، فقد عرضناه على كتاب الله فأبطله كتاب الله تعالى الذى يقول فيه ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ويقول ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ ويقول لزوجات نبيه أمهات المؤمنين ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾

فماذا تكون الحكمة التى تتلى فى بيوت النبى ﷺ مع آيات الله سوى سنة النبى ﷺ وأحاديثه ؟ فكتاب الله تعالى قد أثبت حكمة علمها النبى ﷺ لأمته مع كتاب الله تعالى

وهى سنته وأحاديثه مما يشهد لهذا الحديث المفترى بالبطلان

وقول أبى رية (فى ح ٣ ص ٢٥٠) : السنة هى السنة العملية ، وما كانت تعرف عندهم إلا بذلك

يقال له : السنة العملية متى رواها الصحابة لمن بعدهم صارت قولية . مثلا روى عثمان ابن عفان وعبد الله بن عاصم بن عبد ربه حديث الوضوء وكيفية وضوئه ﷺ فصار حديثا قوليا بعد روايتهما له

وما نقله أبو رية (ص ٢٤٩) عن مرآة الأصول وشرحها مرقاة الوصول أن أبا هريرة وأنس بن مالك خادم النبى ﷺ لم يكونا فقيهين فقلة أدب مع صحابة النبى ﷺ الذين هم خير القرون ، والذين هم رأس خير أمة أخرجت للناس ، والذين لو أنفق من بعدهم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم من شعير أو نصيفه

ويقال لهؤلاء الذين ورثوا عداوة صحابة النبى ﷺ عن إخوانهم الروافض الذين رضعوا الرفض وبغض خير القرون من مؤسسى هذه النحلة زنادقة الفرس واليهود يقال لهم ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ فدين الاسلام الذى أظهره الله على الدين كله قام باحترام وحب أصحاب النبى ﷺ بعد احترام وحب النبى ﷺ لهؤلاء الصحابة الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ونصره وتعزيزه وتحمل دين الاسلام كتابا وسنة عنه ﷺ لإبلاغه لسائر الناس ، يقال لمبغضيهم : ماذا بقى لكم من دين الاسلام إذا انسلختم عن هؤلاء واجتنبتم ما حملوه من أمانات الله ؟ ويقال لهم أيضا : اذا كان صحابة رسول الله وحملة كتابه وسنة نبيه ليسوا فقهاء ولا حكماء ، فمن الفقهاء والحكماء غيرهم ؟

وأعاد أبو رية (فى ص ٢٥١) ذكر حديث : إنها ستكون بعدى رواة يروون عنى الحديث ، فاعرضوا حديثهم على القرآن ، فما وافق القرآن فحدثوا به ، وما لم يوافق القرآن فلا تحدثوا به . وذكر أن الدارقطنى رواه وأن رجال الأثر طعنوا فيه . وهذا هو الحديث الذى ذكره أبو يوسف عن ابن أبى كريمة عن جعفر ، وقدمنا الكلام عليه بما فيه كفاية

ثم ذكر أبو رية (آخر ص ٢٥١) حديث : ألا وأني أوتيت الكتاب ومثله معه .
قال : وهذا من أعجب العجب ، قال : لأنه إذا كان النبي ﷺ قد أوتي مثل القرآن ليكون عاما على القرآن لبيان دينه وشريعته فلم لم يعن صلوات الله عليه بتدوينه وكتابته كما عنى بتدوين القرآن ، ولم ينه عن كتابته « لا تكتبوا عن (صوابه عنى) غير القرآن » وهل يصح أن يدع الرسولُ نصف ما أوحاه الله اليه يعدو بين الأذهان بغير قيد ، يمسكه هذا وينساه ذاك ؟ وهل يكون الرسول ـ بعمله هذا ـ قد بلغ الرسالة على وجهها وأدى الأمانة كاملة إلى أهلها ؟ ه

وجوابه من وجوه :

(١) العجب من عجبه هذا ، فهل هؤلاء كهؤلاء الحمقى الذين يقولون لا دين إلا ما فى القرآن ، فهل يرى أبو رية الوضوء بدون استنجاء ، فأين أحكام الاستنجاء فى القرآن ؟ وهل يرى أبو رية نكاح المرأة على عمتها أو خالتها ، وليس الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها فى محرمات النكاح التى ختمت آيتها بقوله ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلك ﴾ ، فهل يخرق الاجماع ويجوز الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ؟

جاء القرآن فى الأسرى بالمنّ والفداء ، وجاءت السنة بالقتل والاسترقاق ، فهل ينكر ذلك أبو رية ويخرج عن إجماع المسلمين ؟

وجاء القرآن بقطع يد السارق ، وجاءت السنة بنصاب القطع وكيفيته ، فهل يرد أبو رية بيان السنة فيقطع اليد من الكتف ويقطعها فى سرقة فلس ؟

جاءت السنة برجم الزانى المحصن ورجمَ رسولُ الله والخلفاء بعده ، فهل ينكر أبو رية شريعة الرجم لأنها ثبتت بالسنة ولم تثبت فى القرآن ؟

جاء القرآن بإباحة الطيبات من الملابس والمطاعم ، وحرمت السنة الأكل فى صحاف الذهب والفضة والشرب فيها وخاتم الذهب للرجال والحرير للرجال ، فهل ينكر أبو رية ذلك ويخرج على اجماع المسلمين ؟

جاءت السنة بتحريم ذى الناب من السباع وذى المخلب من الطير ، فهل يبيح أبو رية الكلاب والذئاب والنمور والأسود والرخم والحدأة والغربان لأنها لم تحرم فى القرآن ؟

ماذا نعد لأبى رية مما جاءت به السنة زيادة على القرآن ؟ هل فى القرآن أنصبة الزكاة ، وأنواع ما يزكى ؟ هل فيه كيفية الصلاة وعدد ركعاتها سفرا وحضرا ؟ هل فيه كيفية الحج إلى بيت الله الحرام والمبيت فى مزدلفة ورمى الجمار والمبيت فى منى الخ ؟

أما تشكيكه بأن النبى ﷺ لم يأمر بتدوين السنة كما أمر بتدوين القرآن ، فيقال له : إن القرآن نفسه قد أمر بحفظ الكتاب والسنة وهى الحكمة ، والحفظ لا التدوين هو الذى حفظ القرآن والسنة معاً ولله الحمد على ذلك ، كما ذكرنا ذلك سابقا . ونهىُ النبى ﷺ عن كتابة ما عدا القرآن كان فى أول الأمر حتى لا يختلط غير القرآن به ، ثم أباح بعد ذلك كتابة الحديث لمن شاء ـ وبعثُ الرسول ﷺ فى الأمة الأمية التى كان حفظها كافيا عن التدوين الذى ما تهيأت له الأمة إلا بعد ذلك ، وكان فى حفظها للكتاب والحديث ما يكفى عن التدوين بخط كان حروفا بلا نقط ولا شكل ؛ فلولا الحفظ ماذا كان يفيد هذا التدوين ؟ وأما رمىُ الصحابة بأنهم ما كانوا أهلا لحفظ دينهم ، وعلى تعبير أبى رية عسلك هذا ما ينساه ذاك ، فجهلٌ فاضح بحال الصحابة واتهامٌ لهم بعدم المبالاة بدينهم ، وهم الذين حفظوا كل شىء يخصهم حتى أيام جاهليتهم ، فكيف بدينهم الذى خرجوا به من الظلمات إلى النور حتى قال الله فيهم ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ أفيكونون هكذا مع نسيانهم لدينهم وللحكمة التى علمها لهم رسول الله ﷺ مع كتاب الله تعالى ؟

لقد ذكرنا أمثلة كثيرة مما جاء فى السنة والحديث زيادة عما فى القرآن تبيانا له وتفصيلا ، وقد عمل بها المسلمون إجماعا أو عمل بها جمهورهم ، فلنا أن نسأل أبا رية : هل يقرُّ بها ويترك شكوكه فى حديث « أوتيت القرآن ومثله معه » فيوافق المسلمين ؟ أو

ينكرها فيخرج من عداد المسلمين ويكون للكلام معه وجه آخر ولون غير هذا اللون ؟ وإنا لما يختاره لنفسه من هذين الوجهين لمنتظرون

وهذه المسائل ذكرنا بعضها آنفا والعهد بها قريب فى كيفية الصلاة والزكاة والحج والحلال من الطعام والثياب والأوانى الخ

ولا ينفعه أن تكون هذه سننا عملية ، فالعملى متى روى صار قوليا

ونهمس فى أذن أبى رية : ليهنك فرح دار الهلال ومجلاته الخليعة بما كتبت ، فان كان الروافض قد كافئوك على شتم أبى هريرة نخذ من أهل الخلاعة والتحلل المدح والثناء ، فقد أعطيت الزنادقة وأعداء الاسلام ما يستندون عليه فى التحلل من الدين والآداب والأخلاق الفاضلة

قال أبو رية (ص ٢٥٢) : وأين كان هذا الحديث عندما قال أبو بكر للناس : بيننا وبينكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه ؟

قلت : كان هذا الحديث عند أبى بكر عندما جاءته الجدة تطلب ميراثها من ابن ابنها فقال لها أبو بكر : لا أجد لك فى كتاب الله شيئا ، وارجعى حتى أسأل الناس هل جعل لك رسول الله شيئا . فسأل ، فقام محمد بن مَسلمة وهو من صغار الصحابة فقال : أطعمها رسول الله ﷺ السدس ، فأنفذه لها أبو بكر ، فلم يقل لها أبو بكر : ليس لك شىء البتة ، لأن كتاب الله ليس لك ذكر فيه بالمرة

كان عند أبى بكر هذا الحديث حينما سأل رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى ﴿ من يعمل سوءا يجز به ﴾ فأجابه ﷺ : ألبس تمرض يا أبا بكر ، ألبس . . ألبس الخ

كان هذا الحديث عنده عندما قال لعائشة ابنته وهو مريض مرض موته : كنت نحلتك جداد عشرين وسقا ، ولو كنت قبضته كان لك ، ولكنه الآن ميراث وارث ، فعمل فى هذا بحديث « لا وصية لوارث » وحرم ابنته مما كان نحلها إياه — براجع الموطأ فى ذلك

كان هذا الحديث عنده عندما قال لفاطمة وعلى وعباس لما طلبوا منه ميراثهم من رسول الله ﷺ فقال لهم : قال رسول الله ﷺ « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة »

فهل أبو رية مع الروافض فى عداوة أبى بكر لأجل هذا الحديث ، أو مع أهل السنة والجماعة فى الرضا عن أبى بكر لعمله بحديث رسول الله ﷺ وتنفيذه ؟

لقد أحالنا أبو رية فى قول أبى بكر « بيننا وبينكم كتاب الله » إلى مرسل لابن أبى مليكة ، فهل يعقل أبو رية المرسل ؟ وهل يردّ بهذا المرسل ما تواتر عن أبى بكر من عمله بهذه السنن ؟

قال أبو رية (ص ٢٥٢) وعندما قال عمر حسبنا كتاب الله ، ولم لم يشفق من ضياع هذا المثل وهو بزعمهم نصف ما أوحى الله به إلى النبى ، فيذكره عندما فزع إلى أبى بكر فى أن يجمع القرآن ويكتبه ؟ ﻫ

فيقال لهذا الجاهل : كان هذا الحديث عند عمر عندما سأل عن جزية المجوس ، فروى له عبد الرحمن بن عوف حديث « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » فعمل به وأخذها منهم

وكان عنده عندما اختلف الناس معه بسرغ فى دخول الشام أو الرجوع من سرغ بسبب وباء الشام ، فروى له عبد الرحمن بن عوف حديث « اذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها ، وإذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه » فعمل بالحديث ورجع من سرغ إلى المدينة

وعمل به عندما حرم القاتل خطأ من ميراث من قتله كما فى الموطأ

وعمل به عندما روى له أبو موسى حديث الاستئذان بالسلام ثلاثا وصدقه أبو سعيد الخدرى وقال عمر : ألهانى الصفق بالأسواق

وعمل به حينما طعن وقيل له : استخلف يا أمير المؤمنين ، فقال : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى — يعنى أبا بكر — وإن أترك فقد ترك من هو خير منى — يعنى

النبي ﷺ - فعلموا منه أنه لا يستخلف حينما ذكر النبي ﷺ . كان عنده عندما جاءته الجدة الثانية فقال لها لا أجد لك في كتاب الله شيئا وكان القضاء الأول يعني الذي عمل به أبو بكر لغيرك فإن اجتمعتما فهو بينكما الخ

وأما قوله حسبنا كتاب الله فقد كانت واقعة معينة ظن فيها خطأ أن النبي ﷺ حينما طلب كتابا يكتبه لهم لا يضلوا بعده ، ظن خطأ أن النبي ﷺ غلبته الحمى ، ورضي الله عنه وغفر له فما كان النبي ﷺ ليكتب سوى نصيحة مما سبق له أمثالها ، ولا نقول كما قال ابن عباس المصيبة كل المصيبة ما حال بين رسول الله وبين الكتاب ، فقد ظن ابن عباس أن الكتاب يخص بني هاشم في الخلافة التي كانت أعناقهم تشرئب لها

وأما فزعه لأبي بكر أن يكتب القرآن عندما استحر القتل بالقراء مخافة ضياع القرآن فلأن حملة القرآن كانوا معدودين قد يأتي القتل عليهم جميعا ، بخلاف حملة السنة والحديث الذين انتشروا في عصره في مشارق الأرض ومغاربها فلم يمت رسول الله ﷺ إلا وكانت صحابته تعد بمئات الألوف ، وحسبك أنهم قدروا من حضروا حجة الوداع بما ينيف على مائة ألف ، فما بالك بغيرهم ، فكان عمر أعقل الناس ، ويعرف أنه لو حاول هو أو غيره كتابة ما عند الناس من الحديث والسنة لما استطاعوا إلى ذلك سبيلا

ولكن أبا رية كالببغاء يهرف بما لا يعرف - لو اراد الله تدوين سنة نبيه في عصره لما بعثه في أميين ، ولكن الله علم - وعلمه وقدره حق - أن هؤلاء الأميين هم الذين سيقومون بحفظ دينهم كتابا وسنة خير حفظ تضرب به الأمثال ويعجز الزمان أن يأتي بمثلهم أو قريب منهم ، وكتابة القرآن - لولا حفظ الصحابة - ما كانت لتمنع شواذ القراءات ، وكيف بحروف لا نقط لها ولا شكل لولا الحفظ

قال أبو رية (ص ٢٥٢) : وأين ذهبت عناية الصحابة رضي الله عنهم بهذا المثل يدونوه كما دونوا القرآن في زمن عثمان ، ألا إنهم بإهمالهم هذا إنما يكونون قد تركوا نصف الوحي بغير تدوين ويصبحون بذلك جميعا من الآثمين . اهـ

وجوابه ما تقدم مرارا أن الذى حفظ القرآن ـ كما حفظ السنة ـ هو حفظ الصحابة ومن أخذ عنهم ، وإلا فماذا تفيد كتابة (ان حاىكم فاسى ىىىا فىىىىوا) أو كتابه (والله ىمص الحى وهو حىر الفاصلىں) أو كتابة (فىلقى ادم مں رىه كلمات) أو كتابة (ورحمى وسعت كل سىء) أو كتابة (والله برىء مں المسركىں ورسوله) الخ لولا الحفظ والتلقى ، وصحة السند للقراءة كصحة السند للحديث

وأما كتابة عثمان لمصاحفه فكان لرد المختلفين فى القراءة حتى كفّر بعضهم بعضا كل يقول قراءتى هى الصحيحة لأنها عن فلان وقراءة الآخر ليست بصحيحة ، فقصد رضى الله عنه إلى جمعهم على حرف واحد من الحروف السبعة وترك ما عداها

طوّل أبو رية كتابه بما لا طائل تحته بما تعرض له فى ص ٢٥٢ فما بعدها من الاختلاف بين الأئمة فى بعض الأحاديث ، كمخالفة مالك لحديث غسل الإناء من ولوغ الكلب فيه بمعارضته بحل صيده ، وخلافه لحديث صيام ستة أيام من شوال خوفا من اعتقاد العامة وجوبها وإلحاقها برمضان فى الوجوب ، وإنكار الأوزاعى على أبى حنيفة وجماعته عدم رفعهم أيديهم فى الصلاة بما نقله عن أبى حنيفة فى تقوية ما حدثه به شيخه حماد ـ يعنى ابن سليمان ـ من تفضيله على الزهرى عن سالم بن عبد الله بن عمر وقول أبى حنيفة كان حماد أفقه من سالم ، إلى آخر هذا الهذيان الذى يفتح باب التعصب بالباطل أو الهوى ورد الأحاديث الصحيحة بالأعذار الباطلة

ولو قرأ أبو رية رسالة شيخ الاسلام ابن تيمية المسماة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) وأن من وجد له مخالفة لبعض الأحاديث فانما ذلك لسبب من أسباب عشرة ذكرها : من معارضته لظاهر القرآن ، أو لقياس جلى عنده ، أو لحديث يراه أقوى مما خالفه الخ . لو قرأ أبو رية هذه الرسالة لاستراح وأراح قارىء كتابه من فتح باب سوء الظن بالأئمة أو بصحيح الأحاديث التى قيل إن الأئمة خالفوها

ولو عرف ما نقل عن الشافعى رضى الله عنه أنه روى حديثا ، فقيل له : أتأخذ بهذا يا أبا عبد الله ؟ فاصفرّ لونه وقال : أترانى خارجا من كنيسة ؟ أترى فى وسطى زنارا ؟ يعنى

علامة أهل الكتاب ، أروى عن رسول الله ﷺ حديثا ولا آخذ به ؟!

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الإجماع على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ فلم يأخذ بها يستتاب ، فان تاب والا قتل

وأطال أبو رية (ص ٢٥٤ فما بعدها) فى نقل كلام النحاة الذين لم يستدلوا بالأحاديث فى قواعدهم النحوية ، وخلاف الإمام جمال الدين بن مالك صاحب الكافية والشافية والتسهيل فى النحو وغيرها من ممتعات الكتب

وإمامة ابن مالك فى النحو لا ينكرها إلا جاهل ، ومخالفه فى الإستدلال هى بن بى من نكرات الأسماء التى لا تتعرف

وعدم استدلال قدماء النحويين كسيبويه بالأحاديث لقلة بضاعتهم منها لا يضير الأحاديث ولا يضرها ، والاعتذار عن ذلك برواية للمعنى عذر باطل ، فالذين رووا الأحاديث من الصحابة فمن بعدهم أعرف بالعربية من هؤلاء الذين لم يرفعوا بالأحاديث رأسا . وجمال الدين بن مالك أعرف بشواهد كلام العرب ممن خالفه فى الاحتجاج بالأحاديث ، وأنصح للعلم الذى تخصص فيه وصار به إماما — أعنى علم النحو — من هؤلاء المخالفين

وأبو رية لمرض فى قلبه برهن عليه بالصريح والمدسوس من موادّ كتابه أزال عنه الإيمان بسنة رسول الله والحكمة المقرونة فى القرآن بكتاب الله تعالى التى علمها رسول الله ﷺ لأمته مع كتاب الله تعالى . هذا المرض الذى ورثه عن الروافض والجهمية والمبشرين أعداء الاسلام أصابه بلهفة وجشع يجرى فى عروقه ويخفق به قلبه لكل كلمة يظنها طعنا فى حديث رسول الله ﷺ والذين حفظوه وبلغوه

وما نقله عن الشيخ محمد عبده (ص ٢٥٩) فى ردّ حديث السحر الذى ذكر أبو رية فى حاشية هذه الصفحة أنه رواه أحمد والشيخان البخارى ومسلم والنسائى ، نقل أبى رية انكار الشيخ عبده لهذا الحديث ، ليس مما يشرّفه ولا يشرّف الشيخ محمد عبده ، لوجوه

(١) قوله (ص ٢٦٠) فانه إذا خولط النبي ﷺ فى عقله كما زعموا وجاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئا ولم يبلغه، أو أن شيئا ينزل عليه وهو لم ينزل عليه، والأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان الخ

نقول لأبى رية ولمن قلده إن حديث السحر لم يجىء بهذه الشناعات التى ألصقوها به، فليس فيه أن النبي ﷺ خولط فى عقله ولا أنه ظن أنه بلغ شيئا لم يبلغه أو أنه ظن أنه نزل عليه شىء لم ينزل عليه الخ ما صوروه فى التشنيع على حديث السحر

وإنما فيه أنه كان يخيل اليه أنه فعل الشىء ولم يكن فعله، فهذا من العوارض البشرية التى لم ينزه الله رسله عنها، ألم يقل رسول الله ﷺ «إنما أنا بشر، فاذا نسيت فذكرونى» قال ذلك فى سهوه فى الصلاة. وأى فرق فى تخيل فعل أو عدمه ونسيانه عدد ركعات الصلاة حتى قال لهم «إنما أنا بشر، أنسى كما تنسون، فاذا نسيت فذكرونى»

أصل المسألة هل هناك سحر أو لا؟ فان قلتم به خلافا لمادّيى القرن التاسع عشر كان جائزا على الرسول كسائر الأعراض البشرية، وقد قال الله تعالى ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى﴾ فاذا قلتم بالسحر كما أثبته القرآن كان جائزا على الرسول كسائر الأعراض البشرية

أما التعلق بقول المشركين ﴿إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ فى إنكار حديث السحر فما أبعد الشرق عن الغرب

المشركون قالوا عنه أنه ساحر أو مسحور أو شاعر أو صاحب أضغاث أحلام أو مفتر أو جاء بما لم يسمعوا به فى الملة الآخرة إلى آخر ما بهتوه به، وحديث سحره عرض بشرى كمرضه بالحمى التى هى سموم جراثيم ترفع حرارة البدن وتخل بصحته وعافيته، وكجرحه وكسر رباعيته فى غزوة أحد، وكسقوطه عن فرس حتى جحشت ساقه وصلى جالسا، وكنومه عن صلاة الصبح، ونسيانه عدد ما صلى من ركعات الخ. فقضية تكذيب المشركين فى رميه بالسحر ساحرا أو مسحورا من واد، وحديث سحره وغيره من الأعراض البشرية

من واد آخر

والذى يظهر لى أن قصة السحر التى وقعت فى المدينة لا تردّها آية مكية نزلت فى الرد على المشركين الظالمين الذين زعموا أن ما جاء به النبى ﷺ من توحيد الله تعالى وإنكار شركهم وضلالهم ، ورموا رسول الله ﷺ الذى دعاهم إلى الله تعالى وإلى الصراط المستقيم بأنه ساحر أو مسحور ، فقد قالوا عنه ما حكاه الله عنهم ﴿ وإن يروا يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ ، ﴿ ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ﴾ ، ﴿ وإذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ﴾

فالظاهر أنهم أطلقوا المسحور وأرادوا به أنه أتاهم بسحر كما فى آية الأنبياء والمدثر والقمر وكما قال فرعون لموسى ﴿ وإنى لأظنك ياموسى مسحورا ﴾ وقال فى موضع آخر ﴿ إن هذا لساحر عليم ﴾ ، ﴿ يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك ﴾

فقد جاء فى القرآن وصف المشركين والكفار للرسول ﷺ ولموسى عليه السلام بالسحر والساحر ، فهما شيء واحد أطلق اسم المفعول وأريد به اسم الفاعل حتى يصدق القرآن بعضه بعضا . وعلى كل حال فوصف المشركين للرسول بالمسحور أو الساحر فى ردّ ما جاء به من الحق والهدى لا يتنافى مع حادثة عرضية مما يجوز على الأنبياء من الأحوال البشرية كالمرض والحمى والنسيان

وتهويلهم بأن ذلك يؤثر على الثقة بالوحى لا وجه له ؛ فراوية الحديث أم المؤمنين تقول إنه كان يخيل اليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله ، وهذه حالة نفسية تعترى الإنسان فى الأحوال العادية كالهم والحزن . أما الوحى فقد تكفل الله بحفظه كما قال ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ﴿ سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى ﴾ ، ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ . فالأحوال النفسية من هم وحزن ومرض وسحر لن تتسلط على الوحى ولن تشكك فيه ، والصحابة ومنهم أم المؤمنين راوية حديث السحر كانوا حريصين على سؤال رسول الله ﷺ عما يشكل عليهم ، ولم

ينقل عن واحد منهم استغراب شيء من عبادات الرسول كصلاته بهم يوميا خمس مرات ، منها الصلاة السرية والجهرية ، فظهر أن مسألة سحره لم تكن إلا حالة نفسية كالهم والحزن وضيق الصدر ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ ﴿فلعلك باخع نفسك عَلَى آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ فاذا كان حصل له ﷺ من سحره تخيل أنه يفعل الشيء ولم يفعله فلا يعدو ذلك أن يكون من هواجس النفس البشرية وخطرات نفسية لا تؤثر فى ضبط العقل واتزانه . وعلى هذا فنحن نصدق الأئمة الثقات الأثبات فيما رووه من سنته وحديثه ، ولا نكون ممن يؤمن ببعض الحق ويكفر ببعضه

ولقد ذكرنا فيما مضى أن الاستاذ الامام ــ مع احترامنا لغيرته الاسلامية ونضاله عن الاسلام ــ قد رضع فلسفة القرن التاسع عشر والثامن عشر التى كانت شائعة فى أوربا فى عصره ، وكان أساطينها أمثال كانت وجوستاف لوبون وسبنسر وجوته وغيرهم ، فتعارضت عنده مع ما جاء على ألسنة الرسل من ذكر السحر والجن والشياطين وخوارق المعجزات ، فأراد أن يجمع بين تلك الفلسفة المادية التى تجعل الكون آلة تسيرها سنن لا تنخرم ولا تتخلف ، وبين ما أثبتته الأديان من معجزات الأنبياء والرسل ، فذهب يؤوّلها حتى تنسجم مع ما رضع من فلسفة الماديين . لقد قال جوستاف لوبون فى كتابه (العقائد) : لو صدقنا بالخوارق لرجعنا إلى عصر الخرافات . فهذا كيف يرجى منه أن يصدّق بآيات موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم ؟

ولو عاش الأستاذ الإمام إلى أواسط القرن العشرين ورأى تداعى الفلسفة المادية وانهدام أركانها ، وعرف ما قرره جنز فى كتابه (الكون الغامض) وما كتبه رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك فى كتابه (الانسان لا يقوم بنفسه) الذى رد فيه على هكسلى تلميذ دارون فى كتابه المسمى (الانسان يقوم بنفسه) وقد ترجم الأول (الانسان لا يقوم بنفسه) تحت اسم (العلم يدعو للايمان) ــ أقول ــ لو عاش الأستاذ الامام الى هذا العصر الذى بزغت فيه الروحانية ، وطلعت شمس العوالم الغيبية ، لكان له فى هذه الأحاديث والآيات التى يستشكلها كلام آخر

ولا عيب على عالم إذا تأثر بفلسفة عصره ، إنما الذى يعاب أشد العيب باحث القرن العشرين أبو رية اذ لم يعرف تطور العلم وانهدام الفلسفة المادية ، فأخذ يقلد من ليس تقليده سائغا ، ويرد الأحاديث الصحاح بالجهل والهوى و العصبية

ومثل ما قلنا فى الشيخ عبده نعتذر به عما قاله شيخنا السيد رشيد رضا رحمه الله فى شكه فى حديث السحر تبعا للشيخ محمد عبده . ولله در امام أهل المدينة مالك بن أنس رضى الله عنه إذ يقول : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ، وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ

ولم يضمن الله سبحانه العصمة لأحد غير رسله وأنبيائه فيما بلغوا من رسالات الله ، وكل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون

ونقل (فى ص ٢٦٣) قول الحازمى : إثبات التواتر فى الحديث عسر جدا الخ ، وهو قول مردود بقول شيخ الاسلام ابن تيمية : ان جمهور أحاديث الصحيحين متواترة المعنى ، وقول غيره أظنه الحافظ ابن حجر : إن من تأمل حال الرواة كمالك و الثورى وأمثالها و أن الواحد منهم لأن يخر من السماء إلى الأرض أهون عليه من أن يكذب على رسول الله ، فاذا انضم اليه مثله حتى ترتفع شبهة السهو أو الخطأ حرجنا من ذلك بقرائن قوية يكون بها خبر الآحاد مفيدا للعلم عند من عرف أحوال رواته

قال أبو رية (ص ٢٦١) : وقد رد الأستاذ الإمام أحاديث كثيرة فى أمور اعتقادية وغير اعتقادية كحديث الغرانيق وحديث زينب بنت جحش وغيرها مما لا نستطيع ايراد أقواله فيها هنا . ه

ونقول لأبى رية : ليس ردُّ الأستاذ الامام لأحاديث فى الاعتقاد وغيره بحجة يقلد فيه فيما يخالف خير القرون من الصحابة وخيار التابعين وتابعيهم ، وهم القرون المشهود لهم بالخير ، وهم سلف هذه الأمة التى هى خير أمة أخرجت للناس

وحديث الغرانيق ليس بحديث ، وإنما ذكره ابن اسحاق فى سيرته من مرسلات

بعض التابعين قتادة وغيره ، فليس من الأحاديث الصحيحة

وكذلك حديث زينب بنت جحش ليس من الأحاديث المسندة الصحيحة ، وإنما هو رأى لبعض المفسرين فى قوله تعالى ﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ﴾ أنه حب رسول الله لبنت عمته زينب بنت جحش ، وكانت زوجة زيد بن حارثة الذى تبناه رسول الله قبل أن تنزل الآية ﴿ وما جعل أدعياءكم أبناءكم ﴾ وقوله ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ﴾

فأراد الله أن يبطل عادة الجاهلية فى تحريمهم زوجة المتبنى كزوجة الابن ، وقدر الله كراهة زينب لزوجها زيد ، وأمر النبى ﷺ لزيد أن يصبر عليها ويمسكها ، وهو يعلم أن الله سيزوجه بزينب ولكنه كان يخشى الناس وقالتهم فى ذلك ، فعاتبه الله فى ذلك بقوله ﴿ وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ وقبلها ﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ﴾ أى من أمر زواجه بزينب

واجتهد بعض المفسرين فاخطأ فى اجتهاده أن الذى أخفاه رسول الله ﷺ كان حب زينب ، وأحسن الأستاذ الامام فى التنبيه على هذا الخطأ ، ونشره صاحب المنار مع تفسير الفاتحة ، وقد أحسنا كل الاحسان فى ذلك

وليس فى المسألة حديث مسند لا صحيح ولا ضعيف حتى يقول أبو رية إن الأستاذ الإمام رد أحاديث اعتقادية وغير اعتقادية ، فاين هى هذه الأحاديث التى ردها الأستاذ الإمام ؟ إنما هى آراء لبعض للمفسرين قالها خطأ

ونقل أبو رية (ص ٢٦١) عن شيخنا السيد رشيد رضا رحمه الله قوله : إن بعض أحاديث الآحاد تكون حجة على من تثبت عنده واطمأن قلبه اليها ، ولا تكون حجة على غيره يلزم العمل بها . هـ

وهذا الكلام يستقيم فى بعض الأحاديث التى ليست فى الصحيحين كالسنن والمسانيد ،

أما أحاديث الصحيحين التى أجمعت الأمة على قبولها فلا ينطبق عليها هذا الكلام ، لمخالفته لإجماع الأمة من جهة ، ولأن أحاديث الصحيحين كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية جمهورها متواتر المعنى فلا عذر لأحد فى مخالفتها ، ولذلك حاول السيد رشيد تأويل بعض الأحاديث وهى ما كانت تشكل عليه فى الجمع بينها وبين تفكيره العصرى الذى أخذه عن شيخه الأستاذ الإمام عن فلسفة القرن التاسع عشر وما قبله من الفلسفة المادية التى لا تجتمع مع ماجاءت به الديانات

وإذا كان الحافظ الذهبى قال تبعا لشيخه ابن تيمية : إن ما جاءت به الرسل لا يجتمع مع فلسفة الصابئة من اليونان والفرس والهند ، فاولى من ذلك أن يقال فى فلسفة الماديين التى تكفر بكل ما لا تدركه حواسهم : إنها لا تجتمع مع ما جاءت به الرسل والأنبياء الذين من أهم ما جاءوا به الإيمان بالغيب

أين هذا من قول الإمام أبى عبد الله الشافعى رضى الله عنه حينما روى حديثا ، فقيل له : أتأخذ به يا أبا عبد الله ؟ فامتقع لونه وقال : ترانى خارجا من كنيسة ؟ ترانى فى وسطى زنار ؟ أروى عن رسول الله ﷺ شيئا ولا آخذ به ؟ ! أو ما هذا معناه

ومن قول شيخ الاسلام ابن تيمية أجمعوا على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ فلم يأخذ بها أنه يستتاب ، فان تاب وإلا ضربت عنقه

وقول السيد رشيد رحمه الله (ص ٢٦١) : ولذلك لم يكن الصحابة يكتبون جميع ما سمعوا من الأحاديث ويدعون اليها مع دعوتهم إلى اتباع القرآن والعمل به وبالسنة العملية المبينة له ، إلا قليلا من بيان السنة كصحيفة على رضى الله عنه المشتملة على بعض الأحكام كالدية وفكاك الأسير وتحريم المدينة كتحريم مكة الخ

جوابه أن الصحابة رضى الله عنهم لم يكتبوا جميع ماسمعوه من الأحاديث اكتفاء بحفظها ، لأن أكثرهم أميون يقوم الحفظ عندهم مقام الكتابة سواء فى القرآن أو الحديث ولولا حفظهم للقرآن لما قامت الكتابة فيه مقام الحفظ ، اذ ما فائدة كتابة بلا نقط ولا

شكل بدون حفظ . وقد أمرهم الله بحفظ سنة نبيهم كما أمرهم بحفظ كتابه بقوله ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ و بقوله ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وقوله ﴿ يعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ وقوله لأمهات المؤمنين ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ فما هى الحكمة المعطوفة على الكتاب سوى سنة نبيه ﷺ ؟

والسنة العملية المبينة للكتاب تصير قولية بعد روايتها عن الصحابة ، فلا فرق بينها وبين غيرها من أحاديث النبي ﷺ ، فكلها مما حفظه أصحاب رسول الله ﷺ مع الكتاب وبلغوه لمن وراءهم لا فرق بين شيء من ذلك ولا تفاوت

وأحاديث رسول الله فى بيان الصلاة والزكاة والصوم والحج والمعاملات والربا والأطعمة وغيرها مثل أحاديثه فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، كلها مما يجب الايمان به بلا فرق ولا توقف ، ومثل صحيفة على فى الديات وغيرها صحيفة عمرو بن حزم وحديث أنس فى أنصبة الزكاة فى الابل والبقر والغنم ونحوها كلها من واد واحد ومن مشكاة النبوة ويجب العمل بها على من بلغته كالقرآن ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴾ ، ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾

وأما قصة مالك مع أبى جعفر المنصور فان دلت على شيء فانما تدل على علم مالك وإنصافه ، فقد ذكر مالك للمنصور أن الصحابة تفرقوا فى البلاد وأخذ أهل كل بلد ما سمعوه من بعض الصحابة الذين نزلوا عندهم ، وليس فى الموطأ إلا بعض أحاديث بعض الصحابة كابن عمر ونحوه ، فأين حديث على وابن مسعود وغيرهما من سائر الصحابة الذين بلغوا مئات الألوف فى زمنه ﷺ ؟

إن الموطأ يشتمل من الأحاديث نحو ستمائة حديث ، وباقيه شيء من عمل أهل المدينة الذى بلغ مالكا ، والكثير منه آراء مالك الاجتهادية

فلو حمل الناس على ما فى الموطأ وحده وألزموا به وبترك ما عداه ما ذا كان

يفوتهم من الخير الكثير والحكمة النبوية التي انتشرت في الآفاق ؟

ولو لم يلهم الله مالكا بما أشار به على المنصور أو الرشيد ، لما كان فى استطاعة أحد ـ سواء المنصور أو الرشيد ـ أن يُنسوا الناس ماحفظوا من سنة رسول الله ﷺ وأحاديثه التى انتشرت فى الآفاق انتشار الشمس

لقد أراد عثمان رضى الله عنه بكتابة المصحف أن يرفع من الناس ما انتشر بينهم من القراءات الكثيرة من شاذة وغير شاذة ، ومع هذا لم يرتفع من الناس ما حفظوا من صحيح القراءات وشاذها

قال أبو رية (ص ٢٥٤) : ولا يزال أبو حنيفة إلى يوم القيامة بين الأئمة هو الامام الأعظم وأتباعه يملأون مشارق الأرض ومغاربها ولا يستطيع أحد أن يشك فى إسلامهم أو يطعن فى عبادتهم ه

كلام كله جهل وهوس وهوى ، فمن من الأئمة اعترف لأبى حنيفة أنه هو الامام الأعظم ؟ أمالك الذى قال ان رأى أبى حنيفة هو الداء العضال ، أم الثورى الذى قال فيه إنه كاد يهدم الاسلام ، أم ابن المبارك الذى قال فيه إنه كان يتيما فى الحديث ، أم الامام أحمد الذى قال : إن هؤلاء ـ يعنى أصحاب الرأى ـ ليس عندهم إلا الجرأة . ولما ذكر له أبو حنيفة قال : أحلتنى على غير ملىء . يعنى فقره فى الحديث . أما الشافعى فهو الذى كان يقول لمحمد بن الحسن عن أبى حنيفة : صاحبك لا يزيد على هذا

إن من يقرأ كتاب ابن عبد البر (الانتقا) أو ترجمة أبى حنيفة فى تاريخ بغداد يستحى من الله ومن خيار خلق الله أن يقول عن أبى حنيفة انه الامام الأعظم ، وكفى بما قاله الأئمة فيه جرحا وتحذيرا من القول بالرأى ، وقد سقت شيئا من ذلك فى ردى على الكوثرى الذى حاول أن يطعن على من جرح أبا حنيفة من أئمة الاسلام مالك والثورى وابن عيينة والحمادين ابن زيد وابن سلمة وابن المبارك وأحمد والشافعى والبخارى وغيرهم

وأما أن أتباع أبى حنيفة يملأون مشارق الأرض ومغاربها فهم أهل بخارى وسمرقند

والتركستان الذين تسومهم الشيوعية الدهرية سوم الماشية والأنعام ، ولا يقدر واحد منهم الآن أن ينطق بشهادة التوحيد علنا أو يؤذن للصلاة جهرا ، وقد انقرض الاسلام من بينهم وحل محله مذهب الدهريين ، فأين اسلامهم الذى لا يشك فيه أحد ؟

ولا نذكر الترك العثمانيين وما فعله معهم طاغيتهم أتاترك من الإلحاد والتفرنج والاباحية تنشأ عليها ناشئتهم منذ أكثر من ثلاثين سنة ، كل ذلك من ثمرات خرافاتهم وتمسكهم بآراء صدتهم عن الكتاب والسنة وأخرجتهم من نور الاسلام إلى ظلمات الجهل والضلال وتقليد من لا يفيد تقليده شيئا من دين ولا دنيا

ونقل أبو رية (أول ص ٢٧٦) عن الدكتور أحمد أمين قوله : ان بعض الرجال الذين روى لهم غير ثقات . يعنى البخارى

ولنا أن نسأل الدكتور أحمد أمين ومقلده أبا رية : من هم من رواة البخارى غير الثقات ؟ وصحيح البخارى هو الذى قال علماء الأمة عنه إنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى

إن الدكتور أحمد أمين الذى سبق له أن نقل عن ابن عقيل الحضرمى سب الصحابة وأنهم يلعن بعضهم بعضا ، وأن عمر لم يسلم أحد من لسانه ويده ، وأنه خون فلانا وفلانا من الصحابة ، لايستغرب منه أن يقول : البخارى روى عن رجال غير ثقات ، كل هذا حتى يتحلل الناس من سنة رسول الله ﷺ وأحاديثه ويتبعوا فى دين الله أهواءهم وما تمليه عليهم شهواتهم . ومن الذى نصدقه ؟ أحمد أمين ومقلده أبو رية ، أم شيخ الاسلام ابن تيمية الذى قال : إن جمهور أحاديث الصحيحين متواترة للمعنى ، وإجماع من يعتد باجماعه من أهل العلم أن صحيح البخارى أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى

قال أحمد أمين (ص ٢٧٦) وقد ضعف الحفاظ من رجال البخارى نحو الثمانين . وهذا جهل بالحفاظ وبمن تكلم فيهم من رجال البخارى ، فان الذين تكلم فيهم من رجال البخارى أنهم ليسوا على شرطه من أعلى طبقات الصحيح ، وليس كما زعم أحمد أمين

أنهم غير ثقات . وقد ذكرهم عالم مصر وحافظ السنة ابن حجر في مقدمة فتح الباري وأجاب عما قيل فيهم

قال أحمد أمين : والواقع أن هذه مشكلة المشاكل ، فالوقوف على أسرار الرجال محال ، ومن زل زلة واضحة سهل الحكم عليه ، ولكن ماذا يصنع بمستور الحال ؟ ﻫ

وجوابه أن علماء الجرح والتعديل ميزوا الثقات ، من الضعفاء ، من مستوري الحال كما هو مبين في كتبهم . ولسنا مكلفين ببواطن الناس كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : إن الوحي قد انقطع ، فمن أبدى لنا الخير قبلناه . أو ما هذا معناه

وقال الحافظ ابن حجر عن الامام الذهبي مؤرخ الاسلام : ما اجتمع اثنان على توثيق ضعيف أو تضعيف ثقة . قال ابن حجر عن الذهبي وهو من أهل الاستقراء التام في الرجال: فهذان إمامان من أئمة الحديث وحفاظه يجزمان أن من وثقه الأئمة فهو ثقة ، ومن ضعفوه فهو ضعيف

فليس في الأمر إشكال إلا عند من جهل هذا الأمر ، أو حاد عن طريق أهل الحق واتبع غير سبيل المؤمنين من الجهمية والروافض وغيرهم من أهل الأهواء

قال أحمد أمين (ص ٢٧٦) : ثم إن أحكام النـاس على الرجال تختلف كل الاختلاف ، فبعض يوثق رجلا وآخر يكذبه ، والبواعث النفسية على ذلك لا حصر لها . قال : ثم كان المحدثون أنفسهم يختلفون في قواعد التجريح والتعديل ، فبعضهم يرفض حديث المبتدع مطلقا كالخارجي والمعتزلي ، وبعضهم يقبل روايته في الأحاديث التي لاتتصل ببدعته ، وبعضهم يقول : ان كان داعيا لها لا تقبل روايته وإن كان غير داع قبلت ، وبعض المحدثين يتشدد فلا يروي حديث من اتصلوا بالولاة ودخلوا في أمر الدنيا مهما كان صدقهم وضبطهم ، وبعضهم لا يرى في ذلك بأسا متى كان عدلا صادقا ، وبعضهم يتزمت فيأخذ على المحدث مزحة مزحها

وقد اخترع هذه الصور من خياله أو خيال أعداء الحديث والسنة من الروافض ومن

أواخرهم ابن عقيل الحضرمى ، إلى أن قال : إلى غير ذلك من أسباب يطول شرحها . من أجل ذلك اختلفوا اختلافا كثيرا فى الحكم على الأشخاص ، وتبع ذلك اختلافهم فى صحة روايته والأخذ منه

ثم ضرب المثل بعكرمة مولى ابن عباس واختلاف الناس فيه توثيقا وتجريحا .

ونقول لأبى رية ـ ونترك أحمد أمين يحاسبه الله تعالى على شكوكه فى دين الله تعالى ـ نقول لأبى رية : إن دين الله تعالى الذى جعله حجة على خلقه كما قال تعالى ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ نقول : إن دين الله حجته على خلقه ، وهو أجلُّ من أن تدركه شكوك أحمد أمين . وإن الذين حملوا دين الله تعالى هم خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله كما وصفهم الله سبحانه ، وهم الذين قال الله فيهم ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾

فهذه الأمة الوسط العدول ، الذين يشهدون على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدا وهم خير أمة أخرجت للناس ، كيف نصدق فيهم اتهام أحمد أمين بأن منهم من يوثق رجلا وآخر يكذبه بسبب بواعثهم النفسية التى لا حصر لها عند هذا البهات لخير خلق الله تعالى ؟ بل الذى نؤمن به وندين الله عليه ونقسم عليه أن الواحد منهم خير ملء الأرض من أمثال أبى رية وأحمد أمين . وشكوكه فى اختلافهم فى رواية المبتدع نحمل لا طائل تحته ، فباب البدعة فى القدر والتجهم والخروج باب واحد من أبواب عداوة الدين الكثيرة

فأين فيمن روى كيفية الصلاة والطهارة والزكاة والحج والمعاملات ، أين فيهم المبتدعة الذين شكك أحمد أمين وتبعه أبو رية فى الاختلاف فى قبول روايتهم إذا استثنينا كتاب السنة ومقابلها من القدر والتجهم والخروج يبقى لنا دين الله سالما من رواية أهل البدعة والخلاف فى الاحتجاج بهم

وأما عكرمة مولى ابن عباس فذنبه عند من تكلم فيه إكثاره من الآراء فى التفسير

وغيره مما لم يسمعوا به ، وكانوا أهل تهيب للكلام فى التفسير ، فانفرجت شقة الخلاف بينهم وبينه : تزمتٌ منهم وهيبة للكلام فى تفسير كلام الله تعالى ، وكثرة منه لما هابوا . فكان منهم من أسرف فى الكلام فيه وأطلقوا كلمة التكذيب التى معناها عندهم الخطأ ، كما جاء فى الحديث : كذب أبو السنابل بن بعكك فى قوله لمن مات زوجها ووضعت حملها بعد موته بثمانية عشر يوما وتجملت للخطاب ، فقال لها أبو السنابل : ما أنت بناكح حتى يبلغ الكتاب أجله ، يعنى أربعة أشهر وعشرا ، فقال لها النبى ﷺ : كذب أبو السنابل ، يعنى أخطأ ، حللت فانكحى من شئت

فالذين كذبوا عكرمة مرادهم خطأه

ولو جرينا على ظاهر قولهم واطرحنا ما انفرد به عكرمة من الأحاديث لما نقصت السنة شيئا يذكر

وإنما كانت كثرة رواياته فيما ينقله عن مولاه ابن عباس فى تفسير كتاب الله تعالى ، وهذه آراء لمن شاء أن يقبلها ولمن شاء أن يرفضها ، فليست من الأحاديث المرفوعة المسندة التى أصاب أبا رية سعار جرى فى عروقه من الشك والتشكيك فيها

وقد جاء فى أمثاله من أهل الأهواء : تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه حتى لم يبق عرق إلا دخله

بالله عليكم قولوا لى : من نصدق ؟ الله الذى قال إنه جعل هذه الأمة وسطا عدولا ليكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدا ، وأخبر أنها خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، وأن مثلهم فى التوراة والانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، أم نصدق أحمد أمين وتابعه أبا رية بأن الجرح والتعديل فوضى بحسب الأهواء والحزازات النفسية ، يوثق هذا من يجرحه ذاك ، ويضطربون فى قبول روايات المبتدعين وردها ؟ !

يقول رسول الله ﷺ « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم » فذكر قرنين بعد قرنه أو ثلاثة ، ويقول « أنتم تعرفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله » ويقول مؤرخ الاسلام شمس الدين الذهبي الذى هو من أهل الاستقراء التام بشهادة الحافظ ابن حجر ، يقول : ما اجتمع اثنان – يعنى من علماء الجرح والتعديل – على تضعيف ثقة أو توثيق ضعيف . ويفسرها لنا أحد شيوخ ديوبند بأنه فى كل طبقة من رجال الجرح والتعديل يوجد مشدد ومعتدل كيحيى بن سعيد القطان المشدد مع عبد الرحمن بن مهدى المعتدل ، وكالك والثورى أو ابن عيينة ، وكيحيى بن معين مع أحمد بن حنبل ، وكالبخارى مع مسلم ، وكالنسائى مع أبى داود أو الترمذى وهكذا . فاذا اجتمع المشدد والمعتدل على توثيق راو فهو ثقة أو على تضعيف آخر فهو ضعيف ، وإذا اختلفا فى راو فجرحه المشدد وقبله المعتدل كان وسط الحال ، يقبل فى الشواهد والمتابعات ونحوها

فاذا كان علماء الأمة فى القرون الفاضلة هكذا حالهم بشهادة الله ورسوله وأهل الاستقراء التام ، ويجىء أحمد أمين ليتشبه بأعداء الاسلام الذين يسمون مستشرقين فيرميهم بالفوضى والحزازات النفسية والبواعث النفسية التى لا حصر لها عنده ، ويذكر اختلافهم فى رواية أهل البدع – وما أقلها – فماذا بقى لنا محفوظا من دين الاسلام وسنة رسوله للبينة للكتاب ولأصول الدين وفروعه ؟

إن أعداء الاسلام – من مبشرين ومستشرقين – لم يكيدوا للاسلام بأكثر مما كاده به أحمد أمين ومقلده أبو رية

ونقول لأبى رية – أما أحمد أمين فقد قال الله له ما فيه الكفاية على مابهت به رجال الدين وحملة العلم النبوى – نقول لأبى رية : إن كنت تجد دينا أهدى من دين الاسلام كتابه وسنة رسوله ﷺ فأعلن اعتناقك له ودع الخداع والتملق لأعداء الاسلام

وأما التمثيل بعكرمة مولى ابن عباس فتلك شكاة ظاهر عنك عارها ، فقد ذكرنا فيما سبق أن سبب نقد ناقديه الكثرة الكاثرة من آرائه فى تفسير كتاب الله آثرا لما

عن مولاه ابن عباس ـ وكان أعرف الناس به وألزم الناس له ـ فرماه من لم يعرف هذه الآراء ولم يعن بروايتها بالخطأ الذى ذكره بعضهم بلفظ الكذب

وحسبنا ـ فى الثقة به ـ ثقة مولاه حبر الأمة ابن عباس به

ذكروا أن ابن عباس توقف فى أهل القرية التى كانت حاضرة البحر واعتدوا فى السبت أكانت جماعتين أم ثلاثة ، فذكر له مولاه عكرمة أنهم كانوا ثلاثة : معتدين وناصحين وساكتين من قوله ﴿ وقالت أمة منهم لم يعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون ﴾ فدلت الآية على أن هناك واعظين ومعتدين ولائمين للواعظين يائسين من المعتدين ، فقبله ابن عباس وكساه حله وفرح بفهمه ودقة استنباطه

حسبنا من الثقة به أنه حفظ من علوم مولاه حبر الأمة ما لم يحفظه أبناء ابن عباس وأقاربه ، ومثله مع ابن عباس مثل نافع مع ابن عمر

ونقل أبو رية (ص ٢٨٢) عن الحازمى فى كتابه شروط الأئمة قوله : ذلك بأن أئمة النقل على اختلاف مذاهبهم وتباين أحوالهم فى تعاطى اصطلاحاتهم يختلفون فى أكثرها ، فرب راو هو موثوق به عند عبد الرحمن بن مهدى ومجروح عند يحيى بن اسماعيل (وصوابه بن سعيد) القطان وبالعكس ، وهما إمامان عليهما مدار النقد فى النقل ، ومن عندهما يتلقى شأن معظم الحديث . هـ

وتفسير الحازمى هذا هو على نحو ما قدمت لك عن الذهبى ، وتفسيره لأحد شيوخ ديوبند ، فلن يختلفا فى توثيق مالك والثورى وابن عيينة وحماد بن زيد وابن المبارك وأمثالها ، ولن يختلفا فى جرح محمد بن سعيد المصلوب وأمثاله من الهالكين

وإنما يختلفان فى متوسط الحال كمحمد بن اسحق صاحب المغازى والسير وكحماد بن سلمة مثلا فيتشدد فيه يحيى القطان بينما يقبله ابن مهدى ـ وعلى هذا فلا اختلاف بينهما فى الحقيقة ، وليس من الفوضى التى ذكرها أعداء الاسلام وتبعهم فى ذلك من أراد أن يتشبه

بهم كأحمد أمين وقلده أبو رية .

ومن الغريب أن يعمد أبو رية جهلا منه بامام جليل كيحيى بن سعيد القطان شيخ الامام أحمد ومن مشاهير تلاميذ الامام مالك والثورى وابن عيينة ، يعمد اليه جهلا وعن قلة تمرس بأسماء الرجال فيسميه يحيى بن اسماعيل (ص ٢٨٢ س ١٧) وهذا جهل فاضح ، نتيجة أخذ العلم من الصحف بدون جلوس فى حلقات العلم والأخذ عن أهل العلم ، وهذا يؤدى الى التهجم بوقاحة على ما لا يعرف

ولو تحداه أدنى طلبة العلم أن يجد فى أئمة الجرح إماما اسمه يحيى بن اسماعيل يقرن بعبد الرحمن بن مهدى وعليهما مدار النقد ومن عندهما يتلقى شأن معظم الحديث لحصر أبو رية وبلح وانقطع ، وعرف جهله وهجومه على ما لا يعرف

ونقل عن القاسمى (فى ص ٢٨٣) تعجبه من تجافى أرباب الصحاح الرواية عن أهل الرأى كأبى يوسف ومحمد بن الحسن ، فقد لينهما أهل الحديث كما ترى فى ميزان الاعتدال وآثارهما تشهد بسعة علمهما وتبحرهما بل وتقدمهما على كثير من الحفاظ . ه

وجوابه ما قال مالك : إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ، لقد أدركت سبعين ممن يقولون قال رسول الله عن هذه الأساطين فما أخذت عنهم شيئا ، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينا . ه فيقال لابى رية إن سعة أبى يوسف ومحمد وتبحرهما كان فى غير رواية الحديث ، وإنما كان فى الآراء وتوليد المسائل ، وهذا غير الحديث وروايته

ونقل أبو رية (ص ٢٨٣) عن الزين العراقى فى قول أهل الحديث : هذا حديث صحيح أن مرادهم فيما ظهر لنا عملا بظاهر الاسناد . قال العراقى : وهذا هو الصحيح الذى عليه أكثر أهل العلم ، لجواز الخطأ والنسيان على الثقة ، خلافا لمن قال إن خبر الواحد يوجب العلم ، وكذا قولهم هذا حديث ضعيف فمرادهم لم تظهر لنا فيه شروط الصحة ، لا أنه كذب فى نفس الأمر لجواز صدق الكذاب وإصابة من هو كثير الخطأ . ه

وهذا الذى قرره العراقى هو مذهب أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة والروافض .
وأما مذهب أهل الحق من الصحابة والتابعين لهم باحسان فهو إفادة خبر الواحد للعلم مع القرائن ، وإلا فلماذا ترك أهل قباء قبلة كانوا عليها ثمانية عشر شهرا الخبر من أخبرهم أنه صلى مع رسول الله ﷺ إلى الكعبة ، فتحولوا وهم فى الصلاة إلى الكعبة . والرسل الذين أرسلهم رسول الله ﷺ إلى الملوك والأقيال ما كانوا إلا آحادا ، فكيف قامت بهم الحجة على هؤلاء المرسل اليهم المدعوين إلى دين الاسلام ، وبعث رسول الله ﷺ أبا موسى الأشعرى ومعاذا إلى اليمن كيف تقوم بهما على أهل اليمن الحجة إذا كان خبر الواحد لايفيد العلم ولو مع القرائن ؟

أما تجويز الخطأ والنسيان على الثقة وتجويز صدق الكذاب فمن الخيالات والأوهام التى لا يعول عليها فى فطر الناس وعقولهم ومعاملاتهم فى دنياهم فضلا عن الدين

وقال أبو رية (ص ٢٨٤) : مثل غريب مما اتفق البخارى ومسلم على روايته ، فذكر حديث ابن عمر يوم الأحزاب أن لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة . قال ابن حجر : كذا وقع فى جميع النسخ عند البخارى ، ووقع عند مسلم الظهر مع اتفاق البخارى ومسلم على روايته عن شيخ واحد باسناد واحد من مبدئه إلى منتهاه . قال : ويظهر من تغاير اللفظين أن عبد الله بن محمد شيخ الشيخين إما حدث فيه بلفظين أو أن البخارى كتبه من حفظه ولم يراع اللفظ كما عرف من مذهبه فى تجويز ذلك ، بخلاف مسلم فانه يحافظ على اللفظ . هـ

أقول : وهذا حديث واحد من أكثر من ألفين يكتبه البخارى من حفظه فيذكره بلفظ العصر بينما ذكره مسلم بلفظ الظهر ، وسواء كان اختلاف اللفظين بسبب رواية شيخهما للحديث باللفظين ، أو سببه كتابة البخارى له من حفظه ، فحديث من مائة ألف حديث يختار البخارى صحيحه منها فيغلط بلفظة واحدة فى حديث من مائة ألف ، أى حفظ فى الدنيا يساوى هذا الحفظ أو يدانيه ويقاربه لولا شهوة أبى رية فى التشكيك فى

الأحاديث ، ولكن ما يذكره مما يزيدنا فى التمسك بالأحاديث

كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

والحمد لله الذى يحفظ دينه إذ ينسى هذا أو يخطىء فيحفظه على وجهه الصحيح غيره حتى تبقى حجة الله على خلقه قائمة لا يتشكك فيها إلا من فى قلوبهم مرض ، والذين قالوا فى القرآن ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ فقال الله تعالى ﴿ يضل به كثيراً ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين ، الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون ﴾

وذكر فى ص ٢٨٥ قول ابن حبان فى رد قول من اشترط فى صحة الحديث أن يرويه عدلان ثم قال : ثبت أن الأخبار كلها أخبار آحاد ، ومن اشترط ذلك ـ أى رواية عدلين ـ فقد عمد إلى ترك السنن كلها لعدم وجود السنن إلا من رواية الآحاد . ثم صوب أبو رية ما ذكره ابن حبان

ولكن ذلك لا يفيد أبا رية فى شكه فى الأحاديث والسنن ، فابن حبان وغيره من أساطين علم الحديث وأئمته ورواته يرون أن أحاديث الآحاد هذه تقوم بها حجة الله على خلقه ، والكثير منها بل الأكثر يفيد العلم مع القرائن وتعدد الطرق والشواهد والمتابعات ، ويحكمون على من يرفضها أو يتشكك فى قيام الحجة بها بأنه مشاق لله ولرسوله ومتبع غير سبيل المؤمنين فيوليه الله ما تولى من الضلالة والزيغ . عياذا بالله من الغواية بعد الرشاد ، ومن الضلالة بعد الهدى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

وفى آخر ص ٢٩٠ قال أبو رية : وقد مر بك أنهم أعلوا أحاديث كثيرة مما رواه البخارى ومسلم ، وكذلك تجد فى شرح ابن حجر للبخارى والنووى لمسلم استشكالات كثيرة وألف عليها مستخرجات متعددة ، فاذا كان البخارى ومسلم ـ وهما الصحيحان كما يسمونهما ـ يحملان كل هذه العلل والانتقادات وقيل فيهما كل هذا الكلام ـ دع

ماوزاء ذلك من تسرب بعض الاسرائيليات اليهما ، وخطأ النقل بالمعنى وغير ذلك فى روايتهما ـ فترى ماذا يكون الأمر فى غير البخارى ومسلم من كتب الأحاديث ولا نقول المسانيد لأنها فى نفسها لاثقة بها ولا اعتماد عليها لأن ما فيها كغثاء السيل

اللهم أدركنا بلطفك وهيىء لهذا الدين القويم من يحفظ أصوله ويصون قواعده فلا يغشاها ماليس منها ، ولا يتسور عليها ذو دخلة سيئة لها . ﻫ

وجوابه (١) أن أبارية لم يرحمه سماره فى التشكك فى حديث النبى ﷺ الذى هو الأصل الثانى لدين الاسلام الذى به بيان كتاب الله وتفاصيل عبادات الاسلام ومعاملاته.

(٢) قوله مر بك أنهم أعلّوا أحاديث كثيرة مما رواه البخارى ومسلم ، بهتان بين ، فلم يمر بنا سوى كلام من قلدهم فى رد حديث السحر والذباب ومحاجة الجنة والنار ونحوها مما يعد على أصابع الرجل الواحدة بجانب ألوف الأحاديث فى بيان شرائع الاسلام وأحكامه من عبادات ومعاملات.

(٣) قوله تجد فى شرح ابن حجر للبخارى والنووى لمسلم استشكالات كثيرة ، هو من أمثال تهوره وبهته ، فشرح البخارى لابن حجر المسمى فتح البارى يحتوى ثلاثة عشر مجلداً ضخما تزيد على مائة ألف صفحة إذا طلبنا من هذا المرتاب أن يعد لنا منها مائة إشكال فيكون لكل ألف صفحة إشكال واحد ، لو طالبناه بذلك لعجز وبلح وأبدع به

(٤) وقوله فاذا كان البخارى ومسلم ـ وهما الصحيحان كما يسمونهما ـ يحملان كل هذه العلل والانتقادات وقيل فيهما كل هذا الكلام دع ما وراء ذلك من تسرب بعض الاسرائيليات اليهما وخطأ النقل بالمعنى وغير ذلك فى روايتهما . ﻫ

هذا كلام من لم يردعه ورع ولا انصاف ، فهذان الديوانان الجامعان لجمهور شرائع الاسلام من عبادات وعقائد ومعاملات يقول فيهما هذا البهات المفترى أنهما يحملان عللاً وانتقادات بالدعوى بلا دليل ، والافتراء على كتب الحديث التى تبين كتاب الله تعالى وتشرح شرائع الاسلام من عبادات وعقائد ومعاملات . فاذا أخذنا ببهتان هذا البهات

ورفضنا كتب الحديث لمفتريات هذا المفترى فكيف نعبد الله فى صلاتنا وزكاتنا وحجنا وصيامنا ، دع معاملات الاسلام من البيع والنكاح والأطعمة والقضاء والشهادات . فإما اتباع بيان النبى ﷺ لكتاب الله ولشرائع الاسلام ، وإما الأهواء والبدع والقوانين الوضعية فرنسية أو بريطانية أو غيرهما

فليختر المسلم أحد الطريقين : طريق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسبيل المؤمنين ، أو طريق الشيطان والآراء والقوانين الوضعية

وقد مهد أبو رية لطريق الشيطان واتباع سبيل الطاغوت بتشكيكه فى أحاديث النبى ﷺ وفى أصح ودواوينها صحيح البخارى ومسلم بل غيرهما

وقوله (ص ٢٩١) : فترى ماذا يكون الأمر فى غير البخارى ومسلم من كتب الأحاديث ، ولا نقول المسانيد لأنها فى نفسها لا ثقة بها ولا اعتماد عليها ، لأن ما فيها غثاء كغثاء السيل . ه

وجوابه : ان فيما عدا البخارى ومسلم ـ فضلا عنهما ـ الهدى والنور وأحكام الاسلام وشرائعه ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ صدق الله العظيم . فهذا أبو رية وأمثاله يجذبهم عن الاسلام ما تغذوا به من شبهات الروافض والجهمية والمعتزلة وغيرهم ممن ركبوا رؤوسهم وجروا وراء آراء اليونان والفرس والهند ، ولم يرفعوا بما جاء عن الله ورسوله وطريق خير القرون رأسا

وتكرر ما ذكرنا سابقا لأبى رية وأمثاله ممن يرفضون السنة والأحاديث : كيف يصلون بسجود أو بسجودين ، ويسجدون قبل الركوع أو بعده ، وكم ركعة يصلون الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فى الحضر والسفر ، وهل يصلون باستنجاء أو بلا استنجاء ، وكيف تعمل دولة الاسلام بالزكاة وأنواعها وأنصبتها ، وكيف يحجون ويصومون ، وكيف يتعاملون بالمعاملات الاسلامية ، وكيف وكيف ؟

ليس هناك إلا الصراط المستقيم ، صراط القرآن والسنة وطريق خير القرون . أو سبل الشيطان والطاغوت والأهواء والبدع وآراء اليونان والفرس والهند وقوانين فرنسا وسويسرا وغيرها

وانا لندعو الله تعالى بدعاء أبي رية (ص ٢٩١) أن يدركنا الله بلطفه ويهيىء لهذا الدين القويم من يحفظ أصوله وقواعده فلا يغشاها ما ليس منها ، ولا يتسور عليها ذو دخلة سيئة بها ، ونحمد الله تعالى الغيور على دينه الذى جعله حجة على خلقه ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ وقد وعد الله باظهار دينه على الدين كله ، وهو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وقد وفى سبحانه بوعده ، ومن أصدق من الله قيلا ؟

وقال تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ فالحمد لله على كمال دينه وإتمام نعمته ورضاه لنا بدين الاسلام دينا ، وقال ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ﴾

ودين الاسلام هو الكتاب والسنة من أحاديث النبى ﷺ وأعماله وتعليمه وإقراره وعمل خير القرون المشهود لها بالخير عند ذوى القلوب السليمة والفطر المستقيمة ، بخلاف أهل الشكوك والريب ، ودعوى التفرقة بين الأحاديث القولية والسنة العملية دعوى يردها أن السنة العملية متى رواها من رآها تصير حديثا قوليا ، فالتابعون لم يروا عمل النبى ﷺ وانما عرفوه برواية الصحابة لهم ما رأوه من عمله ﷺ

وقوله آنفا إن فى شروح الصحيحين استشكالات وانتقادات ، أجبناه على ذلك سابقا ، وأن ذلك يعد على الاصابع

ونقول له الآن : ان الله تعالى أخبر عن القرآن بقوله ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله ــ والراسخون فى العلم

يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾

فاذا كان فى كتاب الله المتشابه ، فأى غرابة أن يوجد فى الأحاديث ما يستشكله بعض الناس ، وكلاهما من مشكاة واحدة من الله لهداية خلقه ﴿ فأما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتى فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ﴾

قوله (ص ٢٩١) : ولا نقول المسانيد لأنها فى نفسها لا ثقة بها ولا اعتماد عليها ، لأن ما فيها كغثاء السيل . وقوله عن المسانيد : إن العلماء قد تكلموا فيها وقضوا بأنه لا يسوغ الاحتجاج بها ولا التعويل عليها هـ . كلام متهور لم يعصمه ورع ولا تقوى ولا انصاف ، فانه سيأتى نقل كلام العلماء فى هذه المسانيد وثناؤهم عليها ومكانتها من تراث الاسلام . فكيف يكون ما فيها غثاء كغثاء السيل ، وها هم أولاء الحفاظ الأئمة كالشيخ ابن تيمية وابن حزم والذهبى وابن القيم وابن حجر ينقلون من هذه المسانيد ويحتجون بما هو حجة منها ، فليست عندهم لا ثقة بها ، ولا هى غثاء كغثاء السيل ، ولاهى لا يسوغ الاحتجاج بها ولا التعويل عليها

فمن ترى نتبع ، هؤلاء الأئمة الاعلام العلماء بدين الله تعالى ، أم هذا المتخبط المجازف الذى لم يعرف قرين عبد الرحمن بن مهدى وشيخ الامام أحمد وأشهر تلاميذ مالك فيسميه يحيى بن اسماعيل تقليدا للنسخة المحرفة التى وقعت فى يده من شروط الأئمة للحازمى وهذا الامام الجليل هى يحيى بن سعيد القطان

فمجازف غريب عن علم السنة مثل أبى رية يأتينا فى القرن الرابع عشر ليشككنا فى ثانى أصول الاسلام ، فى سنة رسول الله وأحاديثه ، والله يعلم غرضه من ذلك والذى حمله عليه . فهل نترك ما جاءنا به رسول الاسلام لشكوك هذا الجاهل الأفاك المفترى ؟ !

وختم أبو رية (فى آخر ص ٢٩٨) مانقله عن مسند أحمد من أول (ص ٢٩٣ الى آخر

ص ٢٩٨ بقوله : هذا ما رأينا نقله مما قاله الأئمة الكبار فى مسند أحمد ، وهو كاف فى التعريف به وبيان قيمته فى نفسه لا فيما هو مشهور عنه ، وأنه من المصادر التى لا يعول عليها أو يحتج بها شأنه شأن سائر المسانيد . ﻫ

والذى تقدم نقله عن كبار الأئمة فى شأن المسند ـ ككلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن الجوزى والعراقى وابن كثير وغيرهم ـ أن فى المسند أحاديث ضعيفة لا يشتد بها الضعف إلى حد البطلان ، ولم يقل أحـد منهم ولا من غيرهم ان كل أحاديث المسند ضعيفة لا يحتج بها

ولم يزل الأئمة ابن تيمية وجده المجد ابن تيميه فى كتابه منتقى الأخبار وابن كثير فى تفسيره وتاريخه وابن حجر فى مسانيد العشرة وبلوغ المرام وفتح البارى والذهبى وابن حزم وغيرهم من كبار العلماء وأئمة الدين يحتجون بما هو حجة من مسند الإمام أحمد ويبينون ما هو ضعيف فيه إذا احتج به أحد لا يعرف ضعفه ، فدعوى أبى رية فى المسند أنه من المصادر التى لا يعول عليها أو يحتج بها دعوى كاذبة صدرت من جاهل لا يخاف الله تعالى

وعلق أبو رية (ص ٣٠٠) على سهو النبى ﷺ فى إحدى صلاتى العشى ـ الظهر أو العصر ـ وقول أبى هريرة ولكنى نسيت أنا ، بقوله فى ح ٢ : وكيف ينسى وقد زعم أن النبى ﷺ أمره أن يبسط ثوبه ثم أفرغ فيه ما أفرغ حتى لا ينسى شيئاً سمعه أبدا . ﻫ

وهذا أبو رية بعيد عن أساليب العرب كأنه أعجمى ولم يسمع حكاية مالك والشافعى ، فقد جاء رجل إلى مالك وقال له : إنى حلفت بالطلاق أن هذا القمرى لا يترك الصياح أو التغريد أبدا ، فقال مالك : طلقت امرأتك ، فانه لا بد أن ينام أو يأكل فيترك التغريد ؛ فقال الشافعى وكان فى حلقة الدرس بين يدى مالك : لا تطلق امرأته ، فان هذه العبارة تراد بها الكثرة ، ألا ترى أن رسول الله ﷺ قال عن رجل « لا يضع عصاه عن عاتقه » مع أنه يصلى ويأكل وينام ، وإنما يريد الكثرة من أحواله ، أو ما هذا معناه

فإذا قال أبو هريرة : لم أنس شيئا ، ونسى كلمة فى حياته فى أكثر من خمسين ألف

حديث فلا يكون كاذبا فى ذلك أيها الأعجمى الذى لا يعرف أساليب العرب التى تطلق على الكثرة الحكم الكلى كما قال ﷺ « لا يضع عصاه عن عاتقه » يريد فى أكثر أحيانه

وفى (ص٣٠١) قولهم إن صحة السند لا تقتضى صحة المعنى الواقع ونفس الأمر حتما . وعدم صحة السند لا تقتضى وضعه فى الواقع ونفس الأمر حتما . ه

هذا فتح لباب الفوضى ورد الأحاديث بالأهواء والتعصب ، ولو سلم هذا لأكابر العلماء وأهل البصيرة فى الدين فلن يسلم لأدعياء العلم أمثال أبى رية الذى لا يعرف اسم يحيى ابن سعيد القطان الامام الجليل فيسميه فى موضعين من كتابه يحيى بن اسماعيل تبعا لتحريف طبعة شروط الأئمة للحازمى ، مثل هذا الجاهل ببدهيات علم الحديث وأسماء الرجال كيف يسلم له زمام رد الأحاديث وقبولها

وأما حديث أبى هريرة عند مسلم فى خلق السموات والأرض فى سبعة أيام فقد تكلمنا عليه سابقا وأنه ليس مخالفا للقرآن بل زائداً عليه ، وأن السبت الذى خلقت فيه التربة سبت أسبوع سابق على أسبوع خلق هذا العالم كما سبق ذلك مشروحاً . وحديث أبى ذر فى سجود الشمس تحت العرش ، فالظاهر ـ والله أعلم بمراد نبيه ـ سجود للملائكة الموكلين بها ، والأنبياء والرسل تتوجه الى عالم الملكوت بخلاف أهل العلم والتجربة الذين يتوجهون إلى عالم الملك ، ولكل وجهة هو موليها

وإذا قلنا للذين يستنكرون حديث أبى ذر فى سجود الشمس تحت العرش : أين العرش ؟ هل تقولون بهيئة بطليموس الباطلة ان الأرض مركز العالم ثم فوقها فلك القمر ثم فلك عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المشترى ثم زحل ثم النجوم الثوابت ثم الكرسى ثم العرش فلذلك تستنكرون ذهاب الشمس للسجود تحت العرش ، ولكن الذين يخالفونكم فى نظرية هيئة بطليموس هذه لا يستنكرون سجود الشمس ولا النجوم والشجر وغيرها ، ويؤمنون بقوله تعالى ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب ،

ومن يهن الله فما له من مكرم ، إن الله يفعل ما يشاء ﴾ وقوله ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ على ما أراد الله

وقال (ص ٣٠٢) إن أمثال هذه المشكلات فى الروايات لايهتدى إلى تحقيق الحق فيها إلا الذى يعطى لعقله حرية الاستقلال فيما قاله أصناف العلماء ، فعلماء الرواية هم أعلم من علماء الأصول الاعتقادية والفقهية بنقد رجال الحديث ، وهؤلاء أعلم من المحدثين بنقد المتون وما يوافق المعقول وأصول العقائد منها ومالا يوافقها

وهنا نسأل أبا رية : أى عقائد ؟ عقائد الجهمية والمعتزلة ، أم عقائد الرافضة ، أم عقائد الخوارج ؟ ولكل من هؤلاء أصول وعقائد ، فما وافق أصولهم وعقائدهم قبلوه وما خالفها ردوه ، فان كان من القرآن استحوا من رده فتأولوه بركيك التأويل ، وان كان من الحديث لم يستحيوا من رده بدعوى أنه آحاد وظن لا يفيد اليقين . ومن طالع كتب شيخ الإسلام ابن تيمية — خصوصاً كتاب العقل والنقل — يعلم مصارعهم وتهافتهم وتخاذلهم

حجج كالزجاج تهافتن فكلهن كاسر مكسور

وقال (ص ٣٠٢) : وقد اتفق الفريقان على أنه ليس كل ما صح سنده من الأحاديث المرفوعة يصح متنه ، لجواز أن يكون فى بعض الرواة من أخطأ فى الرواية عمداً أو سهواً ، وما كل ما لم يصح سنده يكون متنه باطلا ، بل قالوا إن الموضوع من حيث الرواية قد يكون صحيحاً فى الواقع ، وإن الصحيح السند قد يكون موضوعا فى [الو]اقع . وإنما علينا أن نأخذ بالظواهر مع مراعاة القواعد ، فما صح سنده قبلنا روايته ، و[حكّمنا] قواعد الاعتقاد ودلائل [العقل] فى متنه إن كان مشكلا ، وما كان غير صحيح السند لا يجوز لنا أن نسميه حديثاً نبوياً وان كان معناه صحيحاً . اهـ

وأقول غفر الله لشيخنا السيد رشيد رضا ، فقد فتح الباب لدعى فى العلم كأبى رية لا يعرف يحيى بن سعيد القطان فيسميه فى موضعين من كتابه تبعاً لتحريف طبعة شروط الأئمة للحازمى يحيى بن إسماعيل ، ويقرنه بعبد الرحمن بن مهدى ، ويصفه مع ابن مهدى

بأن عليهما مدار علم الحديث ، يفتح السيد رشيد رضا رحمه الله لهذا الدعى فى علم السنة الجراءة على رد الأحاديث بالجهل والهوى والباطل

ثم دعوى شيخنا أن الفريقين المحدثين والأصوليين اتفقوا على أنه ليس كل ما صح سنده يكون صحيحاً ، من الذى قال ذلك من المحدثين ؟ مالك ، أم الثورى ، أم ابن عيينة ، أم الشافعى ، أم أحمد ، أم البخارى ، أم مسلم ، أم أبو داود ، أم الترمذى ؟ إن قال ذلك أحد منهم كان عملهم فى جمع الأحاديث التى لا يثقون بها عبثاً ولهواً ولعباً وضياعاً للوقت . ومن من الفقهاء والأصوليين يريد ؟ أهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، أم أهل البدعة من الرافضة والجهمية والمعتزلة والخوارج ؟

وتجويز خطأ بعض الرواة الثقات عمداً أو سهواً بدون دليل كخيالات الحشاشين وأوهام المبرسمين ، مفسد لفطر الناس ومعاملاتهم فى دينهم ودنياهم ، ولا يشاء أحد أن يتخلص من شهادة شاهد عليه فيقول إنه أخطأ عمداً أو خطأ ـ على هذا ـ إلا قال ذلك ، إذا فتحنا هذا الباب

ولماذا لم يقل أهل قبا للآتى الذى قال لهم ـ وهم يصلون إلى بيت المقدس ـ إنه صلى مع النبى ﷺ إلى الكعبة : إنه أخطأ عمداً أو خطأ ؟ ولماذا لم يقل الملوك لرسل رسول الله ﷺ إنهم أخطأوا عمداً أو خطأ فيما بلغوا عن رسول الله ﷺ ؟ فلماذا جوزنا ذلك على المحدثين الذين هم خيار خلق الله ، وأغلاط من غلط منهم معروفة منبه عليها ـ أليس هذا التجويز قادحاً فى قول الله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وأى حفظ للذكر إذا لم يحفظ بيانه وشرائعه وأحكامه وأعماله وقوانينه والأمة التى عملت به ؟

أراد أحد الشيوخ أن يقدم شيئاً من آداب الإسلام ومحاسنه للروس الشيوعية بعد انقلابهم ، فقالوا له : هذا جميل ، فأرونا أمة تعمل بهذا على وجه الأرض الآن لنكون أول من يعتنق هذا الدين ، فلم يقدر أن يرشدهم إلى أمة تتمسك بهذا الدين الآن على وجه الأرض

أما إذا قيل لنا : من الذى عمل بهذا القرآن ؟ ذكرنا لهم رسول الله ﷺ وصحابته بشهادة سنته وأحاديثه وسيرة أصحابه ، فذلك تاريخ العمل بالقرآن ، ومن شك فى أحاديث الرسول ﷺ وسيرة أصحابه فقد جعل القرآن غير تاريخى ، وأسطورة من الأساطير كما قال عنه المشركون ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان بعباده خبيراً بصيرا ﴾

إن من يقرأ كتاب أبى رية الذى سماه أضواء عَلَى السنة المحمدية والذى يتعجب من عدم تأليف مثله من نحو ألف سنة ! يراه قد جمعه كحاطب ليل من مطالعات لم يحسن فهمها من نحو توجيه النظر للشيخ طاهر الجزائرى ومن شروط الأئمة الخمسة للحازمى ، حتى إن الأغلاط المطبعية فى هذه الكتب تحكم عليه فيقع منها فى أغلاط بديهية لايقع فيها طالب علم مبتدئ فضلا عن باحث يضع كتابا لنقد كتب السنة والحديث !

خذ خطأ واحداً لا يقع فيه طالب فى السنة الثانية عندنا من طلبة دار الحديث بمكة : الامام يحيى بن سعيد القطان شيخ الامام أحمد ومن كبار تلاميذ مالك يفرق الطلبة عندنا بينه وبين شيخ الامام مالك بأن تلميذ مالك جده فروخ ولقبه القطان وشيخ مالك جده عبد ربه ولقبه الأنصارى ، فيجىء باحث القرن الرابع عشر – جهلا منه وتقليداً لتحريف مطبعة شروط الأئمة الخمسة – فيسميه فى موضعين من كتابه يحيى بن إسماعيل القطان ص ٢٨٢ س ١٧ و ص ٣٠٨ س ٢ ، ولو كان فى موضع واحد لقلنا سبق قلم ، ولو لم يذكر يحيى بن سعيد القطان فى الصفحة التى قبله ص ٣٠٧ س ١٥ موهما أنه غير يحيى بن إسماعيل القطان كما أوحى اليه بذلك جهله وأخذه علمه من الصحف ، وقديما قيل : من كان علمه من الصحف كان جهله أكثر من علمه

ولعلنا فى آخر هذا الرد نوفق إلى ذكر متناقضات أبى رية التى لم يفطن لها وحشا بها كتابه وفرح بها ظنا منه أنها تنصره فى غرضه من شكوكه فى السنة والحديث

وذكر أبو رية (ص ٣٠٦ و ص ٣٠٧) نتفا من الجرح والتعديل نقلا عن كتاب

الـكامل لابن عدى الذى لم يره بعينه وانما اعتمد على ما ذكره عنه الشيخ طاهر الجزائرى فى توجيه النظر فتلقاه عنه أبو رية مطالعة بدون فهم ، كقوله فى ص ٣٠٧ « ومن تلامذة يحيى بن معين أحمد بن حنبل » فهذه الـكلمة لا يقولها طالب علم شم رائحة من علم الحديث ، فأحمد بن حنبل ويحيى بن معين قرينان وصنوان من شيوخ البخارى ومسلم ومن تلاميذ يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدى ، فليس أحمد تلميذا ليحيى بن معين وإنما هما صنوان وقرينان

(لطيفة) دخل أحمد بن حنبل ويحيى بن معين مسجد المنصور ببغداد وقصاص يقول حدثنى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين بكذا وكذا ، فذكر طامة من طوام القصاص ، فقال أحمد لابن معين : أنت حدثته بهذا ؟ قال : لا . قال : قم اليه فانصحه . فقام اليه أحدهما فقال له : أنا أحمد بن حنبل وهذا يحيى بن معين ، متى حدثناك بهذا ؟ فقال بسماجة : ما زلت أسمع بحماقتكما حتى رأيتكما ، هل لا يوجد فى الدنيا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما ؟ لقد رويت عن ألف أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما . فوضع أحمد كمه على فمه وقام يضحك . والغرض من هذه الحـكاية ترافق أحمد ويحيى لا تلمذة أحمد ليحيى

وأما تسمية أبى رية ليحيى بن إسماعيل القطان فى ص ٢٨٢ و ص ٣٠٨ تبعا لتحريف المطبعة لنسخة شروط الأئمة الخمسة للحازمى فأمر يؤسف له ويضحك منه ، وقد تقدم لنا التنبيه عليه وأن علم أبى رية من مطالعات للصحف لا يفهمها ، ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه

وأما ماذكره أبو رية آخر ص ٣٠٧ و ص ٣٠٨ و ص ٣٠٩ من اختلافهم فى الجرح والتعديل تبعا لما فهمه من كتاب توجيه النظر للجزائرى فجوابه ما قدمنا من كلام الإمام الذهبي مؤرخ الإسلام ـ وهو من أهل الاستقراء التام فى هـذا الشأن بشهادة الحافظ ابن حجر ـ قال الذهبي : ما اجتمع اثنان من علماء هذا الشأن على توثيق ضعيف ، ولا على تضعيف ثقة . هـ

وفسرها لنا أحد شيوخنا من علماء ديوبند أنه يوجد فى كل طبقة من علماء الجرح والتعديل معتدل ومشدد مثل الثورى ومالك ، ومثل عبد الرحمن بن مهدى ويحيى القطان ، ومثل أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، ومثل مسلم والبخارى ، ومثل الترمذى والنسائى . . وهكذا

فاذا اجتمع المعتدل والمشدد على توثيق راو فهو ثقة ، أو على تضعيفه فهو ضعيف ، وإذا اختلفا فقبله المعتدل وجرحه المشدد كان وسطا يقبل فى الشواهد والمتابعات

فمن لم يعرف قاعدتهم وأسلوبهم اشتبه عليه اختلافهم وظنه تناقضا ، ومن عرف مرادهم سهل عليه الجمع بين اختلافهم والانتفاع بما روى عنهم

وأنى لأبى رية الذى يجعل أحمد بن حنبل تلميذا ليحيى بن معين ويسمى يحيى بن سعيد القطان يحيى بن إسماعيل القطان تبعاً للأغلاط المطبعية أن يعرف اصطلاح القوم وهو انما ينظر اليهم بمنظار الجهل والهوى الأسود الذى يحلك الألوان الناصعة ويظلم أنوار النهار فيحيلها فى نظر صاحبه ظلمات فوق ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور

ونقل أبو رية ص ٣٠٩ عن صاحب العلم الشامخ اختلاف آراء الناس واجتهاداتهم فى التعديل والتجريح ، فترى الرجل الواحد تختلف فيه الأقوال حتى يوصف بأنه أمير المؤمنين وبأنه أكذب الناس أو قريب من هاتين العبارتين . ﻫ

وهذا ادعاء يرده ما عرف من انصاف رجال الجرح والتعديل وتقواهم لله تعالى ، ولم يذكر المقبلى مثلا واحداً يشهد لما ادعاه عليهم ، وانما هى دعوى بلا بينة ترد على قائلها كما يرد الاستقراء والتتبع لأقوالهم وشهادة العارفين بأقوالهم كالإمام الثقة شمس الدين الذهبى ، وحسبك بكتابه ميزان الاعتدال فى نقد الرجال

ونقل ص ٣٠٩ عن السيد رشيد رحمه الله قوله : إن توثيق كل من وثقه المتقدمون

وإن ظهر خلاف ذلك بالدليل يفتح باب الطعن فى أنفسنا بنبذ الدليل و الأخذ فى مقدماته بالتقليد ، ومخالفة هداية القرآن المجيد

وقوله « إن كل من قال جمهور رجال الجرح والتعديل المتقدمون بعدالتهم فهو عدل وان ظهر لمن بعدهم فيه من أسباب الجرح ما لم يظهر لهم . ان المستقلين فى الرأي لا يقبلون هذا . . . . . .

ويقال لها : ما هى الأسباب التى ظهرت لكم ولم تظهر للأولين ؟ أوحى أو كهانة أو سوء ظن بفهم الأولين ، أو أحاديث قبلوها ولم تقبلها عقولكم كحديث السحر وسجود الشمس تحت العرش ، وقد قدمنا من الكلام ما يسوغ قبولها مع حديث خلق الله التربة يوم السبت

وليس من الانصاف ولا من الحكمة أن كل ما لا يقبله عقل الانسان من وحى النبوة يرده ، فالوحى يأتى بمحارات العقول ، أى بما يحيرها ، لا بمحالاتها أى المستحيل فيها

فالسحر مثلا من الأعراض البشرية التى تجوز على الأنبياء ، وليس فيه مس جن ولا مخالطة عقل كما صوروه لتشنيعه . وسجود الشمس تحت العرش يستنكره صاحب الهيئة البطليموسية التى تجعل فلك الشمس تحت الفلك الأعظم ـ الذى يزعمه العرش ـ بخمسة أفلاك ، أما الذى يؤمن بالعرش على ما أخبر الله ، ولا يعرف نسبة الشمس منه ، فهو يسلم بسجود الشمس كسجود القمر والنجوم والشجر والدواب وغيرها بكيفية يعلمها الله سبحانه

لقد اخترع المتأخرون لتوصيل الضوء والحرارة ما سموه الأثير مادة تملأ الكون وتنفذ فى كل شىء ، ويفسرون الضوء والكهرباء والمغناطيس والحرارة بأمواجها ، ويسلم كثير من الناس لهم هذا الخيال وهذا الفرض ، فاذا جاء فى الوحى عن علام الغيوب سجود الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغيرها لله رب العالمين استنكروه فأولوا الآيات وردوا الحديث ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ، كذلك كذب الذين من قبلهم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾

ثم أليس فى هذا فتح باب لجاهل مثل أبى رية لا يعرف إن كان أحمد بن حنبل زميلا ليحيي بن معين أو تلميذا له ، ولا يعرف إن كان يحيى بن إسماعيل القطان هو يحيى ابن سعيد القطان ، يفتح الباب لمثل هذا الغريب عن علم السنة ليتهجم على الأحاديث الصحيحة بجهله وهواه ، وتملقه لأعداء الدين من الملاحدة والمارقين والجهمية والروافض والمنحلين . اللهم اشهد أنا نؤمن بالغيب كما ورد فى كتابك وسنة نبيك وحديثه ، ما عرفنا منه وما لم نعرف ، ونعرف أن فى كتابك متشابها ، وفى الحديث مشكلا لك الحكمة البالغة فيهما . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ونعوذ بالله ممن يكذب بما يحط بعلمه ولم يأته تأويله

ولسنا مع هذا نعادى العقل وتجارب الأمم ، ولكننا نقف بها عندما من الله بها على عباده من خدمة المعاش ، وترفيه أمور دنيا الناس ، من غير أن تطغى على دينهم أو تعارضه أو تتقدم عليه

وفيما نقله فى ص ٣١٤ أسرف صاحب العلم الشامخ فى الحط على المحدثين ، ورماهم بالانحراف عن الجادة ، وعذر علماء الكلام بما لا يعذر المحدثين فيه ، ولا غرابة فأصل عقيدته عقيدة المعتزلة وأصل فروعه فروع الأحناف وأهل الرأى ، وعداوة المعتزلة وأهل الرأى لأهل الحديث معروفة من قديم الزمان من حين اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن البصرى ونشأ فيهم أمثال النظام والعلاف وأبى الحسين البصرى ونبزوا أهل السنة والحديث بأنهم حشوية ومشبهة وأهل ظواهر ولا معقول عندهم ولا عقول لهم ، واتصلوا بخدمة الملوك فحسنوا لهم بدعهم وحملوا الناس عليها بسلطان الدولة وعذبوا أمثال الإمام أحمد فى محن صبر فيها من صبر ، وأجاب فيها من أجاب ، والموعد الله

وسبب ذلك ترك الكتاب والسنة ، واتباع الأهواء والآراء ، اتباعا لفلسفة اليونان والفرس والهند ، وخروجا عن هدى الكتاب والسنة وسيرة خير القرون المشهود لهم بالخير

وأما الإمام أحمد فمع اعتراف المقبلي بحفظه للسنة وتقدمه وتجريده نفسه لله (ص ٣١٥) فقد حط عليه — تبعاً للمعتزلة — فى تشدده فى مسألة خلق القرآن ، وتركه رواية من أجاب فيها كعلى بن المدينى واسماعيل بن علية (ص ٣١٥ ، ٣١٦) . ومسألة خلق القرآن ليس الذنب فيها ذنب الإمام أحمد ، فانما الذين اخترعوها هم خصوم السنة كابن أبى دؤاد ، وقد سول للخليفة المعتصم حمل الناس عليها وامتحانهم فيها ، وعلم الإمام أحمد بمرادهم منها وأنهم لا يقولون إن القرآن كلام الله ألفاظه ومعانيه وحروفه ، وإنما تكلم به جبريل أو خلقه الله فى الهواء فليس هو كلام الله وانما خلقه فى نفس جبريل أو محمد أو الهواء أو نحو ذلك فهو مخلوق . فأصر محققو أهل السنة ومنهم الإمام أحمد على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ألفاظه ومعانيه وحروفه تكلم الله بها ، وليس لجبريل ولا لمحمد غير البلاغ . فليس على الإمام أحمد لوم ولا ذنب — إذا علم مراد من اخترع هذه البدعة أن القرآن مخلوق بأنه كلام جبريل أو محمد وليس كلام الله وإنما خلقه الله فى نفس أحدهما — أن يصر على رفض هذه البدعة ومن قال بها كائنا من كان ، على بن المدينى أو ابن علية أو أكبر منهما ، ما دامت تؤدى إلى نفى كلام الله تعالى كما يزعم هؤلاء الجهمية بدعوى أنه يؤدى إلى الحدوث أو التشبيه أو التجسيم ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً

وأما قول المقبلى إن أحمد لم يرو عن يحيى بن معين لأنه قال بخلق القرآن فلم نر ذلك لغير المقبلى ، وابن معين زميل لأحمد ليس عنده أزيد مما عند أحمد حتى يحتاج أحمد للرواية عنه ، وهذا كقول أبى رية إن أحمد تلميذ يحيى بن معين ، كلاهما من واد واحد ولدى الجهالة بطبقات الرواة . والانكار على أحمد فى روايته عن عامر بن صالح بن عبد الله ابن عروة بن الزبير كالانكار على مالك فى روايته عن عبد الكريم بن أبى المخارق ، وكالانكار على الشافعى فى روايته عن ابراهيم بن أبى يحيى .

فلهؤلاء الأئمة عذرهم واجتهادهم فى ذلك ، فان أخطأوا كان لهم أجر الاجتهاد وليسوا ممن يتعمد الغش وعدم النصح ، حاشاهم من ذلك

وإدخال عائشة أم المؤمنين وبعض الصحابة والتابعين (ص ٣١٦) فى نفى رؤية الله تعالى — يعنى فى الآخرة — مغالطة واضحة ، فعائشة ومن وافقها تقول بنفى رؤية محمد ربه ليلة المعراج كما هو صريح حديثها : من حدثكم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ . فانتصب لها الأسود سائلا : أليس الله يقول ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ قالت : أنا أول أحد سأل رسول الله ﷺ عنها ، فذكرت أن رسول الله رأى جبريل على حقيقته مرتين هذه منهما أو ما هذا معناه . فالموضوع كان فى رؤية النبى ﷺ ربه ليلة المعراج ، عائشة تنفيه وابن عباس يثبته ، فنقل هذا الخلاف — كما غالط المقبلى — إلى رؤية الله فى الدار الآخرة التى يثبتها أهل السنة جميعا من الصحابة والتابعين وتابعيهم وينفيها أهل البدعة من الجهمية والمعتزلة مغالطة فاضحة

وأما ورع المحاسبى عن أخذ ميراثه من أبيه كما ذكرها المقبلى (آخر ص ٣١٦) فمن الورع الذى يسلم لصاحبه ، كمن يتورع عن صلات الأمراء ، وعما يشتبه فيه من معاملات الناس

ونقله (ص ٣١٧) عن يحيى بن معين أنه قال عن عمرو بن عبيد إنه دهرى إن صح النقل — ولا أظنه يصح — يكون من المبالغات التى يحمل عليها الغضب والحمية ، وليس هذا بأكثر مما وقع ممن هو خير من يحيى بن معين فى خصومهم فى وقت الغضب أو الخصومات السياسية

وتوثيق يحيى بن معين لعتبة بن سعيد بن العاص بن أمية (ص ٣١٧) ، وكذا قال النسائى وأبو داود والدارقطنى وروى له البخارى ومسلم ، قال المقبلى : وهو جليس الحجاج ابن يوسف . فليت شعرى متى كانت مجالسة الأمراء جرحا ترد به الأحاديث ، وهؤلاء الأئمة يحيى بن معين والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والدارقطنى أعلم من المقبلى المعتزلى بمن تقبل روايته أو ترد ، ولم يعد الذهبى ولا ابن عدى ولا العقيلى ولا ابن حبان فى جرح الرواة مجالسة الأمراء ، وقد كان الزهرى — وهو شيخ محدثى الحجاز والشام

ومصر — من شرطة هشام بن عبد الملك ، ورد الذهبي على من تكلم فيه لأجل ذلك

وفى ص ٣١٧ إنكاره لرواية البخارى عن مروان واتهام مروان بما اتهمه به ، ودفاع ابن حجر بأنه إن ثبتت صحبته لم يضره ذلك ، تهم ضعيفة ودفاع أضعف .

ورواية البخارى له فى حديث شروط صلح الحديبية مقرونا بالمسور بن مخرمة متابعة للتقوية لا اعتراض على البخارى فيها متى علم صدقه وقرنه بمتابع قوى ، والمدار فى الرواية على الصدق والأمانة فى أداء ما سمع

والعمومات التى جاءت فى فضل الصحابة كقوله تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ وأمثالها كثير فى القرآن والحديث تشملهم شمولا كليا لا يخرج عنها منهم أحد إلا من جاء نص صحيح بأخراجه وأنى هو

وإذا استثنينا من شوشوا به مثل مروان بن الحكم وبسر بن أرطاة والوليد بن عقبة ونحوهم بقى لنا من الصحابة الكثير الأكثر الطيب من أمثال أصحاب بيعة الرضوان وأهل غزوة بدر وأحد والخندق وخيبر وغزاة ٢٧ غزوة و ٧٣ سرية وأهل حجة الوداع الذين قيل فيهم إنهم يزيدون على مائة ألف

وإذا قيل فى الصحابة منافقون ، قيل : الآيات فضحت المنافقين فى البقرة وآل عمران والنساء والتوبة والنور والحديد وللنافقين بما لم يبق للشك مجال فيهم حتى عرفت صفاتهم ودخائلهم وبطائنهم ومجالسهم ومن ينتمون اليه وشياطينهم من رءوسهم ومن اليهود ، فلم يعد فيهم شك

وقول أبي رية ح ٢ ص ٣١٧ فى حديث « لا تسبوا أصحابى » أنه فى مناسبة خاصة ، قول جاهل بالعلم لم يشم منه رائحته ، ولم يمر عليه قولهم : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وأكثر النصوص الشرعية من قرآنية وأحاديث وردت على أسباب معينة ، فلذلك قرر علماء الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فأين أبو رية من هـــذا !

وليس الصحابة بمنزلة واحدة عند أهل السنة كما ادعى ذلك عليهم المقبلى ص ٣٨٨ وهم يقرأون قول الله تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى ﴾ وقوله تعالى ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾ وليس الصحابة بمعصومين من الخطأ ولا من الذنوب ، ولكن لهم من صحبة الرسول والجهاد معه وتحمل الأذى فى نشر الاسلام ما يغمر ما كان من بعضهم إن صح ذلك ، بخلاف مفتريات الروافض والشيعة والجهمية وأعداء الاسلام

وتشكيكه فى أن الصحابى من رأى الرسول أو رآه الرسول بأن لفظ صحب لايدل عليه فقد استدلوا عليه بحديث « يغزو قوم فيقال هل فيكم من رأى رسول الله ﷺ فيفتح لهم » الخ

وأما من ثبت عليه ارتكاب كبيرة كشرب خمر ولم يثبت عنه توبة منه فليس له من العدالة ما لسائر الصحابة وأكابر المهاجرين والأنصار ، وباستثناء بسر بن أرطاة والوليد ابن عقبة يبقى لنا من الصحابة الكثير الأكثر الطيب

وقول المقبلى آخر ص ٣١٨ : وما لا يحصى مما سكت عنه رعاية لحق النبى ﷺ ما لم يلجىء اليه ملجىء دينى يجب ذكره هـ : رمىٌ للكلام على عواهنه وإطلاق لعدم الإحصاء فى هنات معدودة لا تتجاوز نصف أصابع يد واحدة . وإذا طلب من المقبلى أن يفصح عما أبهمه مما سكت عنه رعاية لحق النبى ﷺ لأدركه العى والحصر - ألا يرد عليه هذه التهمة النكراء قوله تعالى ﴿ لا تأخذهم فى الله لومة لائم ﴾ وقوله ﴿ كنتم خير أمة

أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ هذه الأمة التى قال أحدها لخليفة رسول الله : اتق الله ، فيلومه لائم ، فيقول الخليفة : دعه ، لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نسمعها . ويقول الآخر لعمر : لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بالسيف . ولم يسمعوا منه حينما رأوا عليه قميصين حتى بين لهم أن أحدهما لولده عبد الله . فهؤلاء كيف يسكتون على ما لا يحصى رعاية لجانب النبى ﷺ وقد قال له أحدهم فى غنائم حنين : اعدل ، فقال : ويلكم من يعدل إذا لم أعدل الخ . ولكنها الدسيسة الرافضية التى ورثوها عن أعداء الاسلام اليهود والفرس . ومروان والوليد اللذان دندن بهما فى أول ص ٣١٩ إذا حذفنا روايتهما من الدين فلن ينقص الدين شيئا ، وأنا لا أعرف للوليد رواية أصلا ، فليرم فى البحر ، ودين الاسلام هو دين الاسلام الذى أكمله الله وأنعم به علينا

وأعرف لمروان رواية مقرونة بالمسور بن مخرمة فى كتاب الشروط من صحيح البخارى فى صلح الحديبية ، وحديث عروة عنه عن بسرة فيمن مس ذكره فليتوضأ ، وإذا لم يكن له غيرها فالعمدة فى حديث صلح الحديبية على المسور بن مخرمة ولا يضره متابعة مروان له ، وحديث نقض الوضوء بمس الذكر معارض بحديث « إن هو إلا بضعة منك » واختلفت فيهما اجتهادات الأئمة

وفى ص ٣١٩ يحيلنا المقبلى على كتب الجرح والتعديل لنجد بزعمه ما لا يحصى من الحفاظ العباد الذين تجنبهم البخارى ، يعنى فى صحيحه

ونقول له : إن كتب الجرح والتعديل محصاة معدودة ، وإذا رجعنا اليها كما طلب منا المقبلى فلن نجد فيها من الحفاظ العباد الذين ليس حديثهم فى صحيح البخارى إلا نزراً يسيرا اكتفى البخارى بأخراج حديث أقرانهم أو من هم خير منهم ، ولم يلتزم إخراج حديث كل الحفاظ العباد ، وانما جعل صحيحه نموذجا لأعلى الصحيح ، كما قال زميله مسلم : ليس كل الصحيح أخرجته فى كتابى الخ

وكان الأليق بالمقبلى فى كتاب علمى ككتابه العلم الشامخ فى التنفير من اتباع الآباء

وللشايخ أن يتجنب المبالغات الشعرية كقوله « سكتوا عما لا يحصى » يعنى من ذنوب الصحابة ومعاصيهم ! وقوله « تجنب البخارى ما لا يحصى من الحفاظ والعباد »

وأما تجنب البخارى لحديث حماد بن سلمة فقد وجد فى حديث قرينه حماد بن زيد ما يغنى عنها مع أوهام عند ابن سلمة ليست عند ابن زيد

وتجنب مسلم لعلى بن المدينى فاحترام لموقف شيخه أحمد بن حنبل فى مسألة خلق القرآن وعنده من أحاديث أقران ابن المدينى ما يغنيه عنه

ومن مبالغاته الشعرية الخيالية التى لا واقع لها قوله ص ٣١٩ : وقد اختلفت عقائد المحدثين ، فترى الرجل الواحد تختلف فيه الأقوال حتى يوصف بأنه أمير المؤمنين وبأنه أكذب الناس هـ . وأين هذا أيها الرامى للكلام على عواهنه بلا زمام ولا خطام ؟

وقوله : وانظر الصحيحين كم تحامى صاحباهما من الأئمة الكبار الذين يتطلب النقم عليهم تطلبا ، ولو نظر تجنب أفضلهم لا ضمحل ، ولما أثر فى ظن صدقهم إلا كقطرة دم فى بحر يم ، وفى رجالهما من صرح كثير من الأئمة بجرحهم وتكلم فيهم من تكلم بالكلام الشديد ، وان كان لا يلزمهما إلا العمل باجتهادهما . هـ

ولم يفصح المقبلى عن الأئمة الكبار الذين تجنبهما صاحبا الصحيح ، وكأنه يشير إلى أبى حنيفة وأصحابه زفر وأبى يوسف ومحمد بن الحسن

ويحط على البخارى ومسلم (ص ٣٢٠) روايتهما عن المستورين مثل حفص بن نفيل ومالك بن بجير الرمادى ، وينقل عن الذهبى أن ابن القطان (وهو أبو الحسن على بن الحسن الأندلسى) تكلم فى كل مالم يقل فيه إمام عاصر ذلك الرجل أو أحد ممن عاصره ما يدل على عدالته وهذا شىء كثير ، فنى الصحيحين من هذا النمط خلق كثير مستورون ما ضعفهم أحد ولا هم مجاهيل

وقال فى ترجمة مالك بن بجير الرمادى : فى رواة الصحيحين عدد كثير ما علمنا أن أحداً نص على توثيقهم . قال المقبلى : فانظر هذا العجب ، يروى عمن حاله ما ذكر ويترك

أئمة مشاهير مصنفين ، لأنهم قالوا بخلق القرآن أو وقفوا أو نحو ذلك . والعجيب هنا من مجاملة الذهبي بقوله : ولا هم مجاهيل ، فمن لم يعلم عدالته لم تشمله أدلة قبول خبر الآحاد الخاصة بالعدول ، والاصطلاح على تسميته مستوراً لا يدخله فى العدول الذين تتناولهم أدلة قبول الآحاد ، فهذا تفريط وافراط . يترك أبا حنيفة ومحمد بن الحسن وابن اسحق وداود الظاهرى ومنهم من أذعن له الناس فى المغازى ومنهم من تبعه شطر أهل البسيطة ، ثم يروى عن مستور لا يعلم من هو ولا ما هو . ه

وجوابه : أن روايتهما عن المستورين غير المجروحين فى المتابعات والشواهد غير الأصول أمر لم تمنعه الشريعة ولم تنفه آية ﴿ ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ ما داموا غير فساق ولا متهمين . ولما جاء أعرابى إلى النبى ﷺ يشهد برؤية الهلال قال له رسول الله ﷺ « أتشهد أن لا إله إلا الله » قال : نعم . فصام رسول الله ﷺ وأمر الناس بالصيام بشهادة من شهد أن لا إله إلا الله ، ولم يطلب توثيقا له أكثر من شهادة أن لا إله إلا الله

وحمل العلم أكبر توثيق لحديث « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله »

وأما نقد المقبلى بعدم رواية الشيخين عن أبى حنيفة ومحمد بن الحسن وابن إسحق فهذا هو بيت القصيد فى نقمته عليهما ، فنقول له : ماذا عندهم من الأحاديث لم يروياها غير حديث القهقهة فى الصلاة تبطل الوضوء ، وحديث تبطل الصلاة بخروج الدم قدر الدرهم البغلى، وحديث من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة . فهل يريد المقبلى أن يغش الشيخان المسلمين بادخال أمثال هذه الموقوذات فى صحيحيهما ؟ دع عنك ما قاله الأئمة مالك والثورى وابن عيينة والحمادان فى أبى حنيفة وتلاميذه . واتباع شطر البسيطة لأبى حنيفة لا يوثق روايته ، وما كانت الكثرة فى أى زمان علامة الحق . وأما ابن إسحق فقد جرحه مالك وغيره من الأئمة واتهموه بتلفيق الروايات الشعرية فى مغازيه وسيرته ، وليست المغازى والسير هى الأحاديث

وفى ص ٣٢١ أنكر المقبلى فى كتابه الأرواح النوافخ على أهل السنة قولهم بالصحبه

لمن رأى رسول الله ﷺ أو رآه بأن كلمة « صحب » لا تدل على ذلك . وفاته ما ذكرنا من حديث « يغزو قوم فيقال : هل فيكم من رأى رسول الله ؟ فيفتح لهم » الخ . وعموم قوله تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه الخ ﴾ والحديث « خير القرون قرنى » الخ . ولو تنزلنا مع جدل للقبلى فلم نقبل إلا بصحبة من صحب النبى ﷺ وأسقطنا من ليس له إلا الرؤية لبقى لنا من صحابة النبى ﷺ الكثير الطيب الذين عليهم مدار تبليغ الدين كتابا وسنة ، ونجد فى كتب الصحابة كالاصابة ونحوها من يقال فيه « له رؤية » لا رواية ، وأمثال هؤلاء فى حكم كبار التابعين

وبسر بن أرطاة ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة باسقاطهم من الصحابة لا نخسر شيئا . والتهكم باجتهاد معاوية فى سب على يقابله مثله من سب على لمعاوية ، ففتح بابا عليه غباره ، والله يغفر لهم جميعا . وأما أخذه البيعة لولده فانكار اجتهاده فى ذلك نزعة شيعية ، ومعاوية قرشى وابنه كذلك ، كعلى وآله ، وشهادة محمد بن الحنفية ليزيد بالصلاح والاستقامة فضحت دعايات الزبيريين التى استغلتها الشيعة بأكاذيبها ومبالغاتها ، وفى بنى أمية من هم خير ممن يسمون أنفسهم شيعة آل البيت الذين دخل فيهم الرفض و الزندقة ومنهم انشعبت النصيرية و الاسماعيلية و الدرزية و البهائية الخ

وذكر أبو رية بحاشية ص ٣٢٢ أن من الصحابة من لمز النبى ﷺ فى الصدقات ، ومنهم آذاه بأنه أذن ، ومنهم من اتخذ مسجدا ضرارا و كفرا الخ ، ومنهم من كان فى قلبه مرض ، ومنهم المعوقون ، ومنهم المتذرون فى غزوة تبوك ونزل فيهم ﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ . وفى هذه الغزوة هم أربعة عشر منافقا أن يفتكوا برسول الله ﷺ فى ظلمات الليل عند عقبة هنالك ، وخالفوا أمر النبى ﷺ فى السقيا من ماء نهاهم عنه فلعنهم ، وفى القرآن سورة تسمى سورة المنافقين . اهـ

ونحمد الله على أن لم يفرغ أبا رية جميع ما فى صدره من الضغن على صحابة رسول الله ﷺ

ﷺ فيقول انهم كلهم منافقون وكلهم لمز النبى ﷺ فى الصدقات وكلهم قال عنه إنه أذن وكلهم تآمروا على اغتياله فى غزوة تبوك

نحمد الله أن قال أبو رية منهم ومنهم ، فسورة التوبة التى سماها بعضهم الفاضحة صارت تقول : ومنهم ومنهم فى المنافقين ، قال حتى ظنوا أنها ستسميهم بأسمائهم . نطالب أبا رية أن يطالع أو يطلع على ما كتب فى تراجم الصحابة كأسد الغابة لابن الأثير والاستيعاب لابن عبد البر والإصابة لابن حجر ، ويذكر لنا واحداً من المنافقين له رواية فى كتب الحديث أو المسانيد أو السنن فضلا عن الصحاح أو حامت حوله شبهة النفاق من قريب أو بعيد، فالصحابة هم الصحابة ، والمنافقون هم المنافقون ، وهؤلاء غير هؤلاء ، وليجنبنا رواية الشيعة والروافض من أمثال أبى جعفر الاسكافى وابن أبى الحديد وعبد الحسين الكاظمى وأضرابهم ، فهؤلاء عندهم أن خيار الصحابة الذين قام الاسلام على أكتافهم منافقون

وجاء فى حديث عتبان بن مالك ــ فى الصحيح ــ لما دعا رسول الله ﷺ ليختار له فى بيته مكانا يتخذونه مصلى لما ضعف بصره وكان إمام قومه ، فذهب اليه رسول الله ﷺ لما تعالى النهار هو وأبو بكر وعمر ، وصلى رسول الله فى المكان الذى أشار إليه . قال : ثم حبسناه على حريرة ، فلما سمع أهل الحى برسول الله ﷺ تسللوا إلى دار عتبان

فقال قائل : ما بال مالك بن الدخشم أو الدخيشم لم يجىء ؟ فقال آخر : ذاك منافق يحب المنافقين ، فقال رسول الله ﷺ : لا تقل ذلك ، أليس يشهد أن لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجهه ؟ قال : بلى ، ولكنا نرى وجهه اليهم . . الخ الحديث

ففى هذا الحديث أنهم كانوا يحصون المنافقين ، ومن وجهه اليهم

قال ابن حجر فى فتح البارى فى شرح هذا الحديث : ان مالكا هذا كان ممن أرسله رسول الله ﷺ لهدم مسجد الضرار ، فلعل مجالسته للمنافقين كانت لمصلحة دنيوية ، أو كان فيه شىء من النفاق فتاب الله عليه منه

فترى من هذا أن رسول الله ﷺ كان لا يثق بالمنافقين فى أعماله من إمارة أو تنفيذ

غرض ، فكيف يهمز أبو رية الصحابة وهذا شأنهم فى الاحتياط لدينهم والشك فيمن يجالس المنافقين بأن منهم ومنهم ومنهم ؟

وقد قال الله تعالى فى شأن المنافقين لنبيهِ ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم فى لحن القول ﴾ فعلق معرفتهم بسيماهم بالمشيئة ، وأكد معرفتهم بلحن القول وفحواه وما يدل عليه باشاراته وما يسميه الناس : ما بين السطور

وهمز أبو رية صحابة رسول الله ﷺ أن منهم من ارتد بعد موته ، ونقول له : إن الردة كانت من أعراب فى البادية شحا بالزكاة ، وإن خيارهم ردوا هؤلاء الأعراب إلى حظيرة الدين بقوة الاسلام ، وهم الذين دكوا حصون كسرى فى العراق وفارس وحصون الروم فى الشام ومصر والمغرب ، وهم الذين حملوا مشاعل الدين إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وهم الكثير الطيب الذين لم ير التاريخ ولن يرى بعينيه أمثالهم

وأما لمزهم بالحروب التى جرت بينهم فالفئة التى هاجت على عثمان كثرتهم من غوغاء البصرة ومصر الذين خدعوا بابن سبأ والسبئية . . .

والتى كانت بين على وأصحاب الجمل نسكت عنها ، وهى لم تهلك الحرث ولا النسل كما زعم أبو رية ، بل إنها كانت على خير ما يكون عليه الصالحون الأخيار ، حتى أنشب القتال قتلة عثمان فيما دبره ابن سبأ ، كما قرر ذلك أعلام السنة ومحققو التاريخ . وأما التى بين على ومعاوية فقد ذهبا جميعا إلى الحكم العدل والله يغفر لهم جميعا

وشك أبو رية ص ٣٢٤ ـ ٣٢٧ تبعا للمقبلى والسيد رشيد رضا فى عدالة جميع الصحابة ، وارتضوا أن الآيات والأحاديث فى فضلهم هى للأغلبية منهم

ومع تنزلنا إلى مخالفتهم مذهب أهل السنة والجماعة ، ورأيهم فى أن العدالة إنما هى لأغلبية الصحابة كما زعموا ، يبقى من عدول الصحابة الكثير الطيب ، فأغلبية يقرب عددها من مائة ألف فيهم الكفاية فى حفظ الدين وتبليغه كما ضمن الله لكتابه وشرعه وحجته على خلقه

وإذا وافقناهم على استثناء بسر بن أرطاة والوليد بن عقبة والذين نزلت فيهم آيات التوبة وغيرها من المنافقين وهم معروفون بأعمالهم وأقوالهم وانحرافهم عن جادة الاسلام ، فهل يطلبون منا الشك فى تعديل ابن عباس وابن عمر وأنس وعائشة وأبى سعيد الخدرى بله الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة وأكابر المهاجرين والأنصار ؟ لقد كان عليهم بدل أن يلقوا هذا الكلام المشوش المائع على عواهنه أن يعمدوا إلى صحابى اعتمد حديثه صاحب ديوان من دواوين الاسلام — من الصحاح والسنن والمسانيد — ويقولوا لنا : هذا الصحابى يحتاج إلى توثيق وتعديل ، حتى نبحث معهم فى ذلك الصحابى

أما إلقاء الكلام غير المحدد ولا المعين : هل الصحابة عدول كلهم أو جلهم ، وهل الآيات الواردة فى فضلهم والأحاديث تشملهم شمول أفراد وإحصاء ، أم هى للأغلبية منهم ؟ فابحاث خالية من الجدوى ، ومحلها كتب الجدل البيزنطى واليونانى وكتب الخيالى والسيالكوتى وأمثالها

وفى حاشية ص ٣٢٢ حرّف أبو رية آية ﴿ سيحلفون لكم إذا انقلبتم اليهم ﴾ الخ فحذف منها فان تعرضوا عنهم (ص ١٧) كما سبق له فى كتابه

وفى ص ٣٢٨ عزا كتاب زغل العلم للذهبى ، والحق أن الذهبى برىء منه ، وانما نسب اليه كذبا وافتراء بدليل أنه : (١) لم يذكره أحد ممن ترجم الذهبى فى مؤلفاته ، (٢) لم ينقل عنه أحد بعد الذهبى شيئا مع عزوه للذهبى ، (٣) حطه فيه على شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية مما يخالف ما ذكره عنه فى سائر كتبه كالمعجم المختص وتذكرة الحفاظ والتاريخ الكبير وغيرها . ولو كان لهذا الكتاب أصل فى زمن الذهبى — فضلا عن الذهبى — لما أغفل النقل عنه مثل الحافظ ابن حجر فى الدرر الكامنة وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبى دع عنك ابن السبكى وابن الزملكانى وغيرهما من المنحرفين على شيخ الاسلام ابن تيمية ، فلم نر من نقل عنه ممن يوافق ابن تيمية أو يخالفه — ويقال إنه للسيوطى ونسبه من نسبه للذهبى ترويجا له

وقوله آخر ص ٣٢٩ ، ولا كَرْدنة النقلة صوابه « النقلة » بالنون جمع ناقل

وقوله ح ٢ ص ٣٣٠ « وممن ضربهم عمر على ذلك أبا هريرة » لحن نحوى أو على لغة « وأبا أباها » . أما فرية ضرب عمر لأبي هريرة على التحديث ، تلك الفرية الرافضية ، فقد أجبناه عليها سابقا ، وقصارى الرافضة منها الحط على عمر أكثر من جرح أبي هريرة

وما نقله ص ٣٢٨ ـ ٣٣٠ عن ابن عبد البر والذهبي والشيخ عبده والثوري وغيرهم من الشكوى ممن يطلبون الحديث لغير العمل به فكلمة حق أريد بها باطل ، فلم يرد هؤلاء الأئمة إبطال الحديث ولا ذم طلبه وطالبيه ولا الشك والتشكيك فيه ، وإنما يريدون الكمال لأهله وخلوص النية فى طلبه وابتغاء وجه الله فى تحصيله ، بخلاف ما أردت أنت أيها الشاك المشكك فى حديث رسول الله ﷺ المتصيد لكل ما تحسبه طعنا فيه وتشكيكا بالحق أو بالباطل . ولقد قال إمام منهم : طلبنا العلم لغير الله ، فأبى أن يكون إلا لله تعالى

وختم أبو رية كتابه (ص ٣٣١ فما بعدها) بنقل فصول من مقدمة حكيم المؤرخين ابن خلدون ، وهى موضوعة لنقد الأخبار التاريخية لا الأحاديث النبوية ، فما لأصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران وأحوال الاجتماع الانسانى وقياس الغائب على الشاهد والحاضر بالذاهب ، ما لهذا كله والوحى السماوى والحديث النبوى ؟

هل عهد العمران عصا تنقلب حية ثم تعود عصا ؟ أو نارا تصير بردا وسلاما على من يلقى فيها ؟ أو مولودا بغير أب ويتكلم فى المهد وكهلا ويبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ؟ أو صاعا من شعير وعناقا تكفى أكل ثمانمائة جياع ؟ أو مزادتين يرتوى منهما جيش برواحلهم ولا تنقص المزادتان شيئا ؟ أو قعبا من لبن يشرب منه أهل الصفة كلهم حتى يشبعوا ؟ أو بقية من تمر وأقط تجمع وتقسم على الجيش فتمونهم كلهم حتى يرجعوا إلى المدينة ؟ أو بقرة تتكلم فيؤمن بهذا رسول الله وأبو بكر وعمر ؟ أو ذئبا يقول للراعى الذى استرد منه حمله : من لها يوم لا راعى غيرى ؟ أو يوم يحدث الرجل سوطه ونعله بما فعله أهله فى داره ؟ أو يوم يحسر الفرات عن جبل من ذهب ويقتتل الناس عنده ؟

أو يوم تطلع الشمس من مغربها ؟ أو يوم ينزل عيسى بن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يقبل الجزية ولا يقبل من الناس إلا الاسلام ؟ أو الدابة التى تكلم الناس ان الناس كانوا بآيات الله لا يؤمنون ؟ أو المعراج إلى السموات السبع فى ليلة واحدة والإسراء إلى بيت المقدس فى تلك الليلة من مكة والرجوع اليها ؟

ماذا تعمل طبيعة العمران فى هذا كله وأضعافه وأضعاف أضعافه ؟ وما يفيد فيه قياس الغائب على الشاهد والحاضر على الذاهب ؟

الحق أن نقل شروط ابن خلدون لنقد أخبار التاريخ إلى نقد الأحاديث النبوية ظلم وافتراء على ابن خلدون الذى لم يضع شروطه إلا لنقد أخبار التاريخ ، وهو يعلم أن علم الحديث له رجال برعوا فيه ووضعوا علما لنقده سموه مصطلح الحديث ، وقد اعترف أبو رية فى أول كتابه أنه نضج حتى احترق ، فما باله يحتاج إلى شروط ابن خلدون التاريخية لعلم الحديث ؟ ما هذا الخبط والخلط والضلال المبين ؟ !

وقوله ص ٣٣٤ عن أبى حنيفة : وإنما قلل منهم من قلل من الرواية — يعنى إلى ١٧ حديثا — لأجل المطاعن التى تعترضه فيها ، والعلل التى تعرض فى طرقها ، لا سيما والجرح مقدم عند الأكثر فيؤديه الاجتهاد إلى ترك الأخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الأحاديث وطرق الأسانيد ، ويكثر ذلك ، فتقل روايته لضعف فى الطرق . والإمام أبو حنيفة إنما قلت روايته لما شدد فى شروط الرواية والتحمل وضعف رواية الحديث اليقينى إذا عارضها الفعل النفسى فقل حديثه . . لا أنه ترك رواية الحديث متعمدا ، فحاشاه من ذلك . وأما غيره فتوسعوا فى الشروط وكثر حديثهم والكل على اجتهاد

وبنحو ذلك اعتذر عن مالك فى قلة أحاديثه التى ذكر أنها نحو ٣٠٠ حديث

والذى يقرأ هذا الكلام يخرج منه بأمرين لا ثالث لهما : أولهما أن شيخ المؤرخين ابن خلدون جاهل بما قيل فى أبى حنيفة أنه يتيم فى الحديث ، وأنه غريب عما كان — يعنى الكتاب والسنة — ومن أعلمهم بما سيكون ، يعنون الفروض وتوليد المسائل ،

وأنه لم يجلس فى حلقة محدث ولا أخذ العلم عن عالم ، وأن ابن خلدون لو قرأ ما قيل فيه فى تاريخ البخارى الكبير والأوسط والصغير وكتاب الضعفاء للعقيلى والضعفاء للنسائى وتاريخ بغداد للخطيب وتاريخ الأئمة الثلاثة لابن عبد البر لكان له فى أبى حنيفة كلام آخر غير هذا الكلام

(الثانى) أن يكون ابن خلدون قد داهن أصحاب أبى حنيفة ، وله من أمثال ذلك هنات وهنات ذكرها مؤرخوه فى مقابلاته لتيمور لنك وغيره ، والله أعلم بمقصده

وأما مالك فقد أبان بنفسه للمنصور عن قلة روايته عندما أراد حمل الناس على موطئه بأن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا فى البلدان ، وفى كل بلد ما ليس عند الآخر

وعلى ذكر دعوى ابن خلدون شروط أبى حنيفة وتشدده فيها فما عرف الناس له شروطا ولا رواية ، وإنما افتعل بعض متعصبيه روايات له

ومالك لم يخرج من المدينة ، فليس عنده إلا حديثها ، وفاته حديث أهل مكة والبصرة والكوفة والشام ومصر واليمن وغيرها ، فلذلك راجع المنصور فى حمل موطئه على سائر الناس

وبمناسبة خطأ ابن خلدون هذا ، الظاهر صدق من قال ان من توجه إلى علم ونبغ فيه يقع منه غير ذلك فيما سواه ، وهكذا تجد ابن خلدون يغلط الغلط الذى يعرفه طالب مبتدئ لعلم الحديث

ونقل ص ٣٤٧ عن القاسمى أن الوجوب يستند على أمر قطعى كالكتاب أو الحديث المتواتر ، يعنى فاته وفاته وهو ينتمى للأحناف أن وجوب الوضوء من القهقهة فى الصلاة ليس حديثا صحيحا فضلا عن التواتر ، وأن إعادة الصلاة من خروج الدم قدر الدرهم البغلى لا أصل له فى حديث صحيح ولا ضعيف ، وأن حديث من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة ضعيف لا صحيح ولا متواتر . ومن طالع تخريج أحاديث المذهب الحنفى للزيلعى عرف أن مبنى الكثير من أحكام هذا المذهب على الضعاف والمناكير وما

لا أصل له ، وإنما عمدتهم فى المذهب الآراء والأقيسة

وذكر أبو رية ص ٣٤٨ حديث عبد الله بن أبى أوفى عند الشيخين « أوصى بكتاب الله » ، وقول الحافظ ابن حجر فى شرحه : أى التمسك به والعمل بمقتضاه ، ولعله أشار إلى قوله صلوات الله عليه « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم (لن) تضلوا : كتاب الله » واقتصر على الوصية بكتاب الله لكونه أعظم وأهم ولأن ما فيه تبيان كل شىء أى بطريق النص أو بطريق الاستنباط ، وإذا اتبع الناس ما فى الكتاب عملوا بكل ما أمرهم به . اه

وذكر أبو رية أن الحديث الذى أشار اليه ابن حجر رواه مسلم فى سياق حجة الوداع يوم عرفة « تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله » وفى الموطأ « وسنتى » ولكن أبا ريه لم يذكر رواية الموطأ لأنها غصة فى حلقه !

والوصية بكتاب الله تشمل الوصية بالسنة لأن القرآن أمر بها فى قوله { هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة } وقال لأمهات المؤمنين { واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة } فما هى « الحكمة » التى عطفت على الكتاب فى تعليم النبى ﷺ لأمته ، وفى أمره لأمهات المؤمنين بذكر ما يتلى فى بيوتهن من آيات الله والحكمة ؟ فما هذه الحكمة ؟ وقوله تعالى لنبيه ﷺ { وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم } فما هو بيان النبى ﷺ لكتاب الله تعالى المنزل اليه من ربه سوى سنته وأحاديثه القولية والعملية ؟ وعمل صحابته الذى أقرهم عليه ؟

قال أبو رية (أول ص ٣٤٩) : وعن أبى الدرداء مرفوعا « ما أحل الله فى كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عافية ، فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى شيئا ، وما كان ربك نسيا » رواه البزار وابن أبى حاتم والطبرانى . ه

يقال له : هل رأيت كتب البزار وابن أبى حاتم والطبرانى ؟ وأنت مدلس تنقل

عمن نقل عنهم موهما أنك نقلت عنهم ؟ (٢) هل هذه الكتب صحيحة عندك ؟ وما فيها حجة عندك ؟ بخلاف الصحاح والسنن فتحتج بكتب البزار والطبرانى لتبطل أحاديث صحيحى البخارى ومسلم والسنن ؟ أو هو الخبط والضلال وعدم الثبات على مبدأ يعرف ؟ (٣) هل تقول بما يدل عليه هذا الحديث من أحكام البول والغائط والاستنجاء وأكل لحوم الوحوش والكواسر من الطير والخنافس والضفادع والجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها وأكل الحشيشة والأفيون وسائر المخدرات وشرب بول الآدمى وأكل العذرة . إن كان بلغ بك تحقيقك العلمى إلى التزام ما ألزمناك سقط الخطاب معك

ومثل ذلك يقال فى مرسل ابن أبى مليكة عن أبى بكر الصديق ، ان كنت تعرف ما هو المعروف ، ونعيد عليك لوازم حديث أبى الدرداء مرة أخرى . ونزيد على ذلك حديث الجدة التى جاءت تسأل ميراثها ، فلو كان هذا المرسل المزيل الميت صحيحا عن أبى بكر لطرد هذه الجدة بعنف ـ أو بلطف ـ وقال لها : لا ميراث لك فى كتاب الله ، وأنا لا أحكم إلا بما فى كتاب الله فقط ، اذهبى . ولكنه خلافا لذلك سأل عن سنة رسول الله ، فقال له محمد بن مَسْلمة : أطعمها رسول الله ﷺ السدس . فأنفذه لها . فأين عمل أبى بكر من هذا الأثر الثبت « فمن سألكم فقولوا له بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه » فلم يقل أبو بكر هكذا للجدة ؟

وأما حديث عمر (ص ٣٤٩) فى قوله « هجر رسول الله » حينما قال ﷺ « ائتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا » وما نقله عليه من الشراح ابن حجر والنووى ، فكان خيرا له أن لا يذكر الحديث فقد قال ابن عباس : الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابة الكتاب ، وإن كنا لا نوافق ابن عباس فى أن فى ذلك رزية ولكنه من اجتهادات عمر التى قد يخالف فيها النص والله يغفر له وله من الحسنات ما يغمر ذلك . وقد ذكرنا سابقا شيئا من اجتهاداته التى تخالف النص وخالفه الناس فيها ، كمنعه من متعة الحج وكمنعه الجنب أن يتيمم وأمثالها كثير

وأما فهم أبي رية من هذا الحديث أن عمر كان لا يعمل بالحديث ويكتفي بالقرآن فهم خاطيء مخطيء وإثم مأثوم ، فعمر ما رجع من سرغ بعد ظهور الوباء بالشام إلا بعد أن روى له عبد الرحمن بن عوف « إذا ظهر الطاعون بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا ، وإذا ظهر بأرض فلا تدخلوها » . فرجع عمر من سرغ بمن كان معه من المهاجرين والأنصار . ولا أخذ الجزية من مجوس هجر إلا بما روى له عبد الرحمن بن عوف « سنّوا بهم سنة أهل الكتاب » . ولا أشرك الجدّة الثانية في السدس مع الأولى إلا بالحديث الذي رواه محمد بن مسلمة لأبي بكر . ولا ترك الاستخلاف إلا اقتداء بالنبي ﷺ وصدق أبا سعيد الخدري حينما حضر مع أبي موسى يشهد أن الاستئذان بالسلام ثلاثا فان أذن له وإلا رجع ، وصدق حسان بن ثابت حينما قال له : كنت أنشد فيه — أي في المسجد النبوي — وفيه من هو خير منك ، يعني النبي ﷺ . واستشهد حسان بأبي هريرة عدوّ أبي رية فشهد أبو هريرة وقبله عمر . ونهى عن نكاح المتعة عملا بالأحاديث الناسخة لها . إلى غير ذلك مما حوته بطون الدفاتر

وقد كتب ولي الله الدهلوي رسالة سماها « مذهب عمر » أنكر فيها على من يزعم أن عمر كان لا يقبل الحديث إلا من صحابيين ، وقال : هذا كان منه أحيانا عند الاشتباه وإرادة التوثق

وقوله (ص ٣٥٠) : وسنن الرسول المتواترة — وهي السنن العملية — وما أجمع عليه مسلمو الصدر الأول ، وكان معلوما عندهم بالضرورة ، كل ذلك قطعي لا يسع أحدا جحده أو رفضه بتأويل ولا اجتهاد ، وككون الصلاة المعروفة خمسا وكون الفجر ركعتين والمغرب ثلاثا والبواقي أربعا أربعا ، وكون كل ركعة تشتمل على قيام وقراءة قرآن فيه وركوع وسجودين الخ ما هو معروف بالعمل من عهد الرسول إلى اليوم . هذه هي سنة الرسول العملية ، أما إطلاقها على ما يشمل الأحاديث فاصطلاح حادث . ه

ونسأله : عمل أي طائفة من المسلمين يعتمد ويجعله السنة العملية ؟ عمل الشيعة الذين

يجمعون — دائما سفرا وحضرا — الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء ، أو عمل أهل السنة الذين لا يجمعون إلا فى سفر أو عذر شديد من نحو مطر أو مرض ؟

وعمل الشيعة فى متعة النساء ، أو عمل أهل السنة فى منعها لأنها منسوخة ؟ وعمل الأحناف الذين لا يرون الرفع من الركوع ولا الجلوس بين السجدتين ، أو عمل غيرهم ممن يرون وجوب ذلك ؟ وعمل المالكية الذين يبيحون أكل السباع من الوحوش والكواسر من الطير ، أو عمل غيرهم ممن يحرّمونها — حتى المثال الذى ذكره من القراءة فى قيام الصلاة منهم من يوجبه ومنهم من يمنع منه المأموم ، فأيها السنة العملية عنده ؟

وقولك « الذى أجمع عليه مسلمو الصدر الأول » هل هذا من غير طريق الحديث والرواية ؟ فاذا أهدرت الأحاديث وشككت فيها لم يبق لنا طريق غيرها نعرف به ما كان عليه الصدر الأول إجماعا أو خلافا

قال أبو رية (ص ٣٥١) : أحاديث الآحاد التى لم يعمل بها جمهور السلف هى محل اجتهاد فى أسانيدها ومتونها ودلالتها ، لأن ما صح سنده منها يكون خاصا بصاحبه

قال : ومن صح عنده شىء منها رواية ودلالة عمل به ، ولا تجعل تشريعا عاما تلزمه الأمة تقليدا لمن أخذ به

وقال : الحديث الصحيح لا يعرف برواته فقط ، وإنما يعرف بالفهم والحفظ . وكم من حديث ليس فى إسناده إلا ثقة وهو معلول واه

وقال : الأحاديث الصحيحة مفيدة لغلبة الظن الذى عليه مدار الصحة . . . . ما كل ما صح سنده يكون متنه صحيحا ، وما كل ما لم يصح سنده يكون متنه غير صحيح

وهذا هو فتح باب الانحلال والتحلل من الأوامر والنواهى ، فاذا نهيت أحدا عن عدم الاحتراز عن بوله وذكرت له أحاديث النهى عن ذلك وأن عامة عذاب القبر من عدم التستر من البول أجابك : إن هذه أحاديث آحاد ، وإن أبا رية أعطانا قوانين صارمة فى أحاديث الآحاد : أنها ظنية ، وأن ما صح سنده لا يلزم أن يصح متنه ، وأن

الأحاديث الصحيحة إنما تفيد غلبة الظن ، ولا يعمل بها إلا من غلب على ظنه صحتها ، وأنا لم يغلب عَلَى ظنى صحتها فلا يلزمنى أن أعمل بها كما حققه محقق القرن الرابع عشر فى أضواء ظلماته

وهكذا يقول لك من رويت له أحاديث النهى عن الإسبال والتبختر والخيلاء.

وكذلك يقول لك من يتعاطى ربا الفضل واليسير من ربا النسيئة

وكذلك يقول من رويت له شيئا من المنهيات ، فانه يردها عليك بطواغيت أبى رية الشيطانية ومن قلده فى رد السنن الصحيحة واعتبارها آحادا ظنية

وخير ما نرويه فى رد طواغيت أبى رية الانحلالية ما جاء عن شيخ الاسلام ابن تيمية قال : أجمعوا على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ فلم يأخذ بها أنه يستتاب فان تاب وإلا قتل.

وما جاء عن الشافعى أنه قيل له عندما روى حديثا : أتأخذ بهذا يا أبا عبد الله ؟ فامتقع لونه وقال : أترانى خارجا من كنيسة ؟ أترانى فى وسطى زنار ؟ أروى عن رسول الله ﷺ حديثا ولا أقول به ؟ !

قال أبو رية (ص ٣٥١) : لا يلزم من إجماع الأمة على العمل بما فى البخارى ومسلم إجماعهم عَلَى القطع بأنه كلام النبى ﷺ ، ولا على أن ما فيهما مجزوم بصحة نسبته إلى النبى . ثم شكك فى الحاشية فى هذا الاجماع بأن الشيعة وغيرهم وهم فرق كثيرة لا يستهان بهم لا يلزمون أنفسهم بالعمل بما فيهما . اهـ

ونسأل عن دليل عدم اللزوم هذا . فإن الناس لا يعرفون وجوب العمل إلا بما جاء عن النبى ﷺ ، وابن تيمية لما حكى الإجماع وعلى استتابة من لم يأخذ بسنة رسول الله بعد استبانتها له لم يحك الإجماع إلا على أنها كلام رسول الله ﷺ ، والشافعى لما امتقع لونه عندما قيل له : أتأخذ بهذا ؟ لحديث رواه ، فقال : ترانى خارجا من كنيسة ؟ ترانى فى وسطى زنار ؟ إلا لاعتقاده أن ما رواه هو كلام النبى ﷺ حقا . فمن أين عدم اللزوم

الذى افتجره فيلسوف القرن الرابع عشر أبو رية ؟ !

وأما خلاف الشيعة لوجوب العمل بما فى الصحيحين فكخلافهم فى أن مصدر التشريع فى الاسلام ومحل العصمة فى التبليغ هو النبى ﷺ وحده أم مع اثنى عشر رجلا آخر بعده ؟ وكخلافهم فى إيمان الصحابة وعدالتهم ، وكخلافهم فى خلافة أبى بكر وعمر ، وكخلافهم فى خيار خير القرون فى كل زمان ومكان ، وكخلافهم فى أن طفلا لم يثبت ولادته ووجوده هو مصدر تشريع ، وهو حى باق من أحد عشر قرنا ، ويرجى منه ما لا يرجى إلا من الله ـ خلاف يخرجهم من جماعة الاسلام ، ويدخلهم فى عداد أعدائه ومناوئيه

وقال أبو رية (ص ٣٥٢) : ولم يظهر البخارى ولا غيره من كتب الحديث إلا بعد انقضاء خير القرون . اهـ

ويقال له : أيها الجاهل بتاريخ الاسلام وأهله ، إن أحاديث خير القرون هى التى رواها البخارى وغيره من كتب الحديث ، وليس للبخارى وغيره فيها غير التبويب والترتيب ، فالبخارى وغيره لم يخترعوا شيئا لا يعرفه خير القرون ، وإنما تلقوا عن شيوخهم ما رواه خير القرون عن أولهم صحابة النبى ﷺ ، فليس فى البخارى وغيره شىء لا يعرفه خير القرون

وقال (ص ٣٥٢) : اتفق علماء الأصول وعلماء الكلام على هذه القاعدة : إن طروء الاحتمال ، فى المرفوع من وقائع الاحوال ، يكسوها ثوب الإجمال ، فيسقط به الاستدلال

والقاعدة : طروء الاحتمال ، للمجمل من الاستدلال ، يكسوه ثوب الاحتمال ، فيسقط به الاستدلال

وكم لأبى رية من تحريفات فى نقوله لتوافق هواه !

وقال أبو رية (ص ٣٥٢) : يعذر من لم يصدق رواية بعض الأحاديث لشبهة عنده

فى المتن والسند ، فكذّب مضمونها ، أو خالفها لذلك ، وإن صح ويرد عليه بالتى هى أحسن . ه

ويقال لبحاثتنا : إن علماء النحو أو الصرف أو الأصول ــ فضلا عن الطب أو الكيمياء أو الطبيعة أو غيرها من الأصول ــ لايغفرون للجاهل أن يتهجم عَلَى علومهم بالجهل والغباء والهوى . فما الذى أخرج علم الحديث من هذا القانون وجعله فى كتابك لعبة اللاعبين ومهزلة الهازلين ، يهجم عليه حتى من لا يعرف أن أحمد بن حنبل قرين يحيى بن معين أو تلميذه ، ويزعم أن يحيى بن اسماعيل القطـــــان هو يحيى بن سعيد القطان ، مقتديا بتحريف المصدر الذى نقل عنه ، فلم يؤت من العلم ما يصحح به غلط المطبعة فى بديهيات هذا العلم وأولياته ، ثم يفتح هذا الباب لأمثاله من كل متهور لا يعرف قدر نفسه ، ولا قدر العلم ، ولا يستحى من الله ولا من خلقه ، فيبيح له أن يرد من الأحاديث ما يشاء بحجة أنه اشتبه فيها ، فأى تمزيق للعلم وللدين فوق هذا ، وأى انحلال من الشريعة غير هذا ؟

وقال (ص ٣٥٢) : الأمة ما تعبدوا إلا بخبر يغلب على الظن صدقه ، وإنما أمروا بالإستناد الى ما ظنوا صحته ، والحكم يقع بالظن الغالب ، ولا يلزم من ظنهم صحته فى نفس الأمر ، وكذلك لايلزم من الاجماع على حكم مطابقته لحكم الله فى نفس الأمر . اه

هوس كرره ، وكررنا الرد عليه ، وسبق له أن حكم على هذا الظن أنه لا يغنى من الحق شيئا ، وطبق عليه الآية ﴿ إن يتبعون إلا الظن ، وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا ﴾ فما باله هنا رضى عن العمل بهذا الظن الذى سبق له أن قال إنه لا يغنى من الحق شيئا ؟ ما هذه المتناقضات !

ومن أين له نفى لزوم صحة الشىء فى نفس الأمر ، إذا ظنت الأمة ــ المعصومة من الخطأ ــ صحته ؟ ومن أين له عدم لزوم الإجماع لمطابقة الحكم فى نفس الأمر ؟ هل يجوز اجتماع هذه الأمة المعصومة من الخطأ على الخطأ ؟ وقد ذم الله من يتبع غير سبيل المؤمنين فمدح بذلك متبع سبيل المؤمنين ، فهو الصراط المستقيم الذى لا يتطرق اليه الخطأ ، فتجويز

خطأ إجماع المسلمين شكٌ فيما مدح الله من اتباع سبيل المؤمنين ، وقدحٌ فيما أمرنا الله أن ندعوه صباحا ومساء فى صلاتنا أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

وقال آخر (ص ٣٥٢) : ان السلف لم يوجبوا عَلَى أحد — ولو كان منقطعا لتحصيل العلم — أن يبحث عن جميع ما روى من هذه الأحاديث ويعمل بها ، كيف والصحابة لم يكتبوا الحديث ، ولم يتصدّوا لجمعه وتلقينه للناس ، بل منهم من نهى عن روايته . ﻫ

ويقال له : إن القرآن الذى هو دين الله العام قال الله فيه ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ ، وما أوجب أحد حفظ القرآن ولا التفتيش عما لم يبلغه منه ، وأركان الاسلام والإيمان هى الواجبة على كل مسلم ، وما بلغه من تفصيلها وجب عليه قبوله ، سواء من القرآن أو الحديث . وكون الحديث لم يكتب فتلك شكاة ظاهر عنك عارها ، فالحفظ له وللقرآن هو الكفيل بحفظهما ، وليس كل الصحابة اطلع على ما كتب من القرآن ، وإنما كان سبيلهم سماعه من حافظيه . ونهى من نهى عن رواية الحديث إن صح ذلك عن بعضهم كان لظروف خاصة زالت بزوال أسبابها

وذكر (أول ص ٣٥٣) اختلاف عبد الرحمن بن مهدى ويحيى بن سعيد القطان فى الجرح والتعديل ، وهنا سماه يحيى بن سعيد ولم يقل بن إسماعيل كما سبق له مرتين ، وسبق لنا كلام الذهبى فى هذا أنه لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن على توثيق ضعيف أو تضعيف ثقة ، والذهبى هو الذهبى علما واستقراء كما شهد له بذلك خاتمة الحفاظ ابن حجر

وحينئذ فاذا اختلفت أنظار ابن مهدى وابن المدينى فى رجل كان محل نظر كابن اسحاق وأمثاله ، وحاشاهم أن يختلفوا فى مثل مالك والثورى وابن عيينة والحمادين وأمثالهم

وقول الرازى (ص ٣٥٣) إن الدلائل النقلية ظنية كذب على الله وعلى رسوله وعَلَى خيار المؤمنين . فاذا كان كتاب الله تعالى لا يفيد عند الرازى إلا الظن فكان عدمه خيرا

من وجوده ، وحينئذ لم يكن هدى للمتقين ، ولم يكن نورا وشفاء لما في الصدور ، ولم يخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور

إن الظنون هي أوهام المتكلمين من جهمية ومعتزلة وأشاعرة وروافض ، هي التي أفسدت على الأمة دينها وفرقتهم شيعا وأحزابا وجعلت بأسهم بينهم ومكنت أعداء الاسلام منهم : التتار والصهيونيين وغزاة أوربا . ولا عزة للمسلمين إلا بمراجعة دينهم وحرق ترهات الرازي وأمثاله . الرجوع إلى الكتاب والسنة على ما فهمه منهما خير القرون المشهود لهم بالخير

وقوله (ص ٣٥٣) نقلا عن السيد رشيد رضا : إنني لا أعتقد صحة سند حديث ولا قول عالم صحابي يخالف ظاهر القرآن وإن وثقوا رجاله ، فرب راو يوثق للاغترار بظاهر حاله وهو سيء الباطن هـ

وجوابه : أننا مكلفون بالظواهر وأمر البواطن موكول إلى علام الغيوب . وإذا كان رسول الله ﷺ يقول لم أومر بسكين أشق بها عن قلوب الناس ، فمن نحن حتى نقول في بعض الرواة إنه سيء الباطن ، ومخالفة ظاهر القرآن أمر يختلف باختلاف الأفهام . هذه أم المؤمنين — وهي من هي — تظن معارضة حديث « من نوقش الحساب هلك » مع آية ﴿ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ حتى بين لها النبي ﷺ أن المراد بالآية العرض ، ولكن من نوقش الحساب فقد هلك

وهذه حفصة تفهم من آية ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ دخول جهنم ، حتى بين لها ﷺ أن ذلك المرور على الصراط . وهذا أبو بكر الصديق تقض مضجعه آية ﴿ من يعمل سوءا يجز به ﴾ حتى يبين له ﷺ أن من الجزاء الأمراض والهموم والأكدار وغيرها . فمسألة مخالفة الحديث لظاهر القرآن تختلف باختلاف أفهام الناس

قوله (ص ٣٥٣) : ونحن نجزم أننا نسينا وضيعنا من حديث نبينا حظا عظيما لعدم كتابة علماء الصحابة كل ما سمعوه . هـ

وجوابه أن علماء الصحابة وغير علمائها كان عندهم من الحفظ ما يغنى عن الكتابة ، هذه هى الحكمة فى بعث نبيه فى أمة أمية يغنى حفظها عن كتابتها

ولو كان الصحابة ضيعوا شيئا من دينهم لما كان ثمة فرق بينهم وبين من قال الله فيهم ﴿ فنسوا حظا مما ذكروا به ﴾ وحينئذ تتساوى خير أمة أخرجت للناس بشرار خلق الله . وأى فرق بين ما هو بيان للقرآن الذى استثناه وبين ما حكم بضياعه بغير حجة ولا برهان

وبعد فالباقى بغير ضياع بأيديهم يقبلونه ولا يقيمون فى وجهه المراقيل : من قولهم آحاد ، وظنى ، ومخالف للمعقول ، والظاهر القرآن ، وأمثال هذه التمحلات

وقال أبو رية (ص ٣٥٣) : كانت عائشة ترد كل ما كان مخالفا للقرآن ، وتحمل رواية الصادق من الصحابة على خطأ السمع أو سوء الفهم . ه

ونقول لأبى رية : هل ما ردته عائشة يكون مردوداً حقا ؟ ألم تردّ عائشة حديث « من نوقش الحساب هلك » لظنها أنه يعارض قوله تعالى ﴿ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ حتى أفهمها النبى ﷺ أن ذلك — يعنى معنى الآية — العرض ، وأن من نوقش الحساب هلك

هل ضمنت لعائشة العصمة من الخطأ وهى من الصحابة الذين لا تقول أنت بعدالتهم فضلا عن زعم العصمة لهم من الخطأ والنسيان ، فهل كان قتال عائشة لعلى يفيد أن علياً كان يستحق القتال ؟ وهل كان كسرها اصحفة صفية غيرة منها صوابا أو خطأ ؟ وهل كان تكريه رسول الله ﷺ فى العسل الذى كان يشربه عند زينب حتى حرمه على نفسه وأنزل الله فى ذلك صدر سورة التحريم — وفيها ﴿ إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ، وإن تظاهرا عليه فإن الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ، عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ﴾ الآية

فهب أن رد عائشة لبعض الأحاديث اجتهاد مخطىء منها من هذه الاجتهادات التى يغفرها الله لها فى حسناتها الكثيرة التى تغمر ذلك وتمحوه . فما بالك تتعلق بأخطاء العلماء لتتأيد بها فى ضلالك الذى فارقت به سبيل المؤمنين ؟ !

ونختم ملاحظاتنا لأضوائك يا أبا رية بما وصف به شيخ الاسلام ابن تيميـة محصل الرازى ابن خطيب الرى ، فأضواؤك جديرة بهذا البيت :

محصل فى أصول الدين حاصله من بعد تحصيله جهل بلا دين

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تصويب

طبع هذا الكتاب بعيداً عن مراجعة مؤلفه ، فوقعت فيه هذه الأخطاء :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦	٦	به زرعا	زرعا
١١	٩	أبو	أبى
١٤	١٢	فآزره	فآزره فاستغلظ
١٦	١٧	المتكلمون	المتكلمون القائلون
١٧	١٢	إلا أن يأتيهم الخ	إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك
١٨	١٧	بالحديد	بالجريد
٢٩	١٠	ألا لله / ألا لله	والله / والله
٣٦	٨	ليشتروا	وما هو من عند الله ليشتروا
٣٦	١٣	الأمثال	أمثال
٤٠	١٨	ثم الى	الى
٤٢	١٢	أبى ذر	أبو ذر
٤٦	٢٠	منعا	منع
٥٣	٥	كنت فيه	كنت أنشد فيه
٦٢	٥	أو قائلا	أو ناقلا
٦٢	١٥	الكافية	النصائح الكافية
٧١	٧	حروف	حروف مدّ
٧١	١٥	وسعت كل شىء	وسعت كل شئ
٧٦	١٩	حسبه	حسيبه
٧٨	٣	منهم	منهم إلا قليلا منهم
٨٧	٧	﴿ ولقد	﴿ لقد
١١٩	١٦	المثقفين	المقنعين
١٢٠	٧	وهذا كأنه	وهذا كله
١٣٦	١٠	منهم	منها
١٦٣	١٠	بعجز	بمجز

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٦٨	٤ - ٥	ونصله الخ	ونصله جهنم وساءت مصيرا
١٧٨	٨	﴿ وجعلنا	﴿ وكذلك جعلنا
١٨٠	٢٢	واتقوا ﴾	واتقوا الله ﴾
١٩٢	١٦	وصلى	صلى
٢٠٥	١	صنيمة	صنيعه
٢١٤	١٠	نصيفة	نصيفه
٢١٧	٢٠	فآزره	فآزره فاستغلظ
٢٢١	١٠	مبغضو	مبغضى
٢٢٢	٢٢	القبلية بصفعة	القلبية بصفة
٢٢٣	١١	فقال الذين	فقال الضعفاء للذين
٢٢٥	٧	سميتم	سميتهم
٢٢٧	١٥	تقسية	تقية
٢٤٢	١٣	فآزره	فآزره فاستغلظ
٢٤٩	١	الوسوسين	الموسوسين
٢٥٨	٥	السماء	السماء وهى دخان
٢٦١	٥	عبد ربه	زيد
٢٦٢	١٤	بالعقل	بالقتل
٢٦٧	١٤	سليمان	أبى سليمان
٢٧٠	١٢	بالسحر	بالمسحور
٢٨١	٢	تعرفون	توفون
٢٨٣	١٤	عن	عند
٢٩١	٣	الواقع	فى الواقع
٣١١	١٠	شروط	نقل شروط
٣١٢	١٨	يعنى فاته	. . .

فهرس

لأهم مطالب الرد على أبي رية

ص

ص

ص

ص

ظلمات أبي رية

أمام أضواء السنة المحمدية

تأليف

محمد عبد الرزاق حمزة

مدير (دار الحديث) بمكة المكرمة

والمدرس بالحرم المكي الشريف

القاهرة

١٣٧٩

المطبعة السلفية

تحت الطبع :

موارد الظمآن

إلى زوائد ابن حبان

للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي

يقوم بتحقيقه ونشره

فضيلة الأستاذ العلامة

الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة

مدير (دار الحديث) بمكة المكرمة

والمدرس بالحرم المكي الشريف

المنتقى
من
منهاج الاعتدال
في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال
وهو
مختصر "منهاج السنة"
تأليف
شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية

٦٦١ — ٧٢٨

اختصره

الحافظ أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي

٦٧٣ — ٧٤٨

حققه وعلق حواشيه

محب الدين الخطيب

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الشواهد والنصوص من كتاب الأغلال
على ما فيه من زيغ وكفر وضلال
بالعقل والنقل

بقلم

محمد عبد الرزاق حمزة

المدرس بالحرم المكى الشريف

قدّم له وعلق عليه

محمد أحمد الغمراوى

مؤلف « النقد التحليلى » و « فى سنن الله الكونية »

قال الله تعالى (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) سورة الأعراف



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

وبعد فهذا كتاب في الرد على كتاب « هذي هي الأغلال » كتبه أخي في الله الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة المدرس بالحرم المكي الشريف ، تأييدا وتتميما للرسالة المقنعة الممتعة التي كتبها علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن السعدي في نقد نفس الكتاب ، والتي سماها (تنزيه الدين وحماته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله)

وكتاب الأغلال ألفه شاب نجدي مغمور وطبعه ونشره في مصر فلم يكن له من الأثر إلا ما يكون للحصاة يلقى بها في اليم : مقالات قليلة كتبت هنا وهنالك أكثرها كان في تحقير الكتاب وتسفيه صاحبه ، وأقلها كان في جانبه من بعض من يذهب مذهبه في الدين ونشوئه . وقد أقنعتني جميعها بتفاهة الكتاب وسخفه ، فصدتني عن قراءته فضلا عن الاهتمام بنقده رغم رجاء أحد تلامذتي وزملائي إياي أن أنقده لأنه كما قال كتاب سوء يحارب الاسلام بكل وسيلة ومن كل سبيل .

لكن الموقف تغير حين طلب إلي أخي وصديقي الشيخ محمد

عبد الرزاق حمزة أن أعلق على كتابه وأن أقدمله إن أمكن ، وحين ارسل إلىّ مع كتابه رسالة الشيخ السعدى هدية من نبيل جدة ووجهها الشيخ محمد نصيف .

قرأت رسالة الشيخ السعدى ثم قرأت كتاب الشيخ حمزة فاذا بى أمام أمور فظيعة منسوبة إلى صاحب الأغلال ، ونصوص شنيعة منقولة عن كتابه لم يذهب بى الخيال يوما إلى أن مثلها يمكن أن يصدر عن مسلم كان له يوما فى الاسلام قدم ؛ بل كان له فى سبيل الاسلام عند أهل بلده جهاد .ولم أجد بدا حين قرأت الكتابين من أن أقرأ كتاب الأغلال من أوله إلى آخره لأعرف حقيقته عن غير واسطة إن كنت كاتبا مقدمة لرد عليه . قرأته فاذا الأمر أفظع حتى مما يبدو من خلال الكتابين .

وجدت كتابا ينبض بالضغن ويفيض بالقدح فى الاسلام وأهله فقد نقض صاحبه ما وصلت إليه يده من كتب المتقدمين حتى إذا وقف على بعض أقوال لا يقول بها أحد يعتد به اليوم — ولا يخلو من مثلها تاريخ أمة حتى فى هذا العهد الحديث — اتخذ تلك الأقوال ذريعة إلى الطعن فى المسلمين أجمعين فى عشرة القرون الأخيرة من تاريخ الاسلام ؛ مؤكدا لقارىء وللناس أن المسلمين جميعا عاشوا طوال تلك الحقبة لا يرون الاخذ بالأسباب معتقدين أن التوكل على الله معناه النوم وترك التدبير اتكالا على أن الله سيرزقهم من غير سعى ولا عمل ويحميهم من غير إعداد عدة ولا جهاد ، واكتفاء فى ذلك كله بالدعاء والانقطاع لعبادة الله من نحو صوم أو صلاة ،فتأخروا فى زعمه عن ركب الانسانية ألف عام ناموها

وسارها غيرهم من مختلف الشعوب والاديان .

ولو اقتصر الأمر على مثل هذا الزعم لهان على شناعته ، فكل عارف بتاريخ الاسلام يعلم أن المسلمين لم يكونوا كلهم أو جلهم يعتقدون ذلك يوما من الأيام ، ولعل فترات عزهم فى الألف عام الأخيرة كانت أكثر من فترات ذلهم، بعكس الغربيين الذين يسبح صاحب الاغلال بحمدهم وحمد مدنيتهم ويقدس لها ولهم . وعلى فرض أن المسلمين كانوا كما وصف طوال تلك القرون العشرة فليسوا هم كذلك الآن فكلهم يريد الأخذ بالأسباب ، وكلهم يدعو إلى الأخذ بأسباب النهوض والعزة ، وإن اختلفوا فى الاسباب ذاتها اختلاف أية أمة ناهضة أو شعب فى كل عصر وعلى الأخص فى هذا العصر . ففيم إذن الهمز واللمز والطعن والذم والاستهزاء والسخرية وقد انقضى سببها المزعوم إن كان قد وجد يوما من الأيام ؟ أليس من الحمق والغباوة ، أو من الغرور وتلمس شهوة المال والشهرة من أسوأ طريق ، أن يفترض صاحب الأغلال وجود مالم يوجد أو استمرار ما قد انقطع وانقضى ليجاهده وينازله كما كان دن كويشوت فى كتاب سرفنتيس يجاهد وينازل طواحين الهواء يظنها مردة وعماليق تقطع على الناس الطريق ؟ ثم أليس من الغرور والحمق معا أن يعتقد صاحب الأغلال أن الاربعمائة المليون المسلم - على حد تعبيره - خاضعة اليوم لسلطان تلك الخرافات التى يزعم ، ثم يطمع أن يزحزحها هو عن ذلك بسفاهته وبذاءته التى بثها فى كتابه ، والتى ستصد عنه كل من يقترب منه كما تصد الرائحة الخبيثة عن مكان الجيفة ؟ فلو أن إنسانا أحسن الدعوة من وجهها

وجاء إلى المسلمين يدعوهم ليقودهم بزمام دينهم — والاسلام كله مقاد إلى الخير والعز والفلاح — لكان عجبا مع ذلك أن يطمع بمفرده فى تحريك العالم الاسلامى وقد قعد عن العمل بالاسلام ، طالت مدة القعود أو قصرت ، فكيف بهذا المغرور الضال الذى لا يرى سبيلا إلى نهوض المسلمين إلا أن يكفروا بماضيهم كله ، وينزلوا عن ميراثهم كله ، ويحتقروا كل ما ألف فى ألف سنة فى أى علم أو فن لأنه صورة من كتاب واحد ألف فى علمه أو فنه قبل أن تبدأ الألف أو بعد أن بدأت الألف ، وأن ينزلوا أى رواية أو رأى يجمع عليه أو عليها مؤلفو تلك الكتب الكثيرة منزلة رواية الفرد الواحد ورأى الشخص الواحد ، هكذا يدعى وإلى ذلك يدعو هذا المغرور المفتون فى إعادة وتكرار ومبالغة وتوكيد واقرأ له إن شئت لترى إلى أى مدى يذهب الغرور بصاحبه ، ولتحكم أعن عقل يصدر فى كلامه أم عن تخليط . قال من ص ٣٠٦ من كتابه : (والخطوط من عندنا)

« إننا نعد فى علم التاريخ مئات الكتب وألوفها ، وكذا فى الحديث والفقه والتفسير وفى كل علم ، ولكننا عند التحقيق لا نجد إلا كتابا واحدا فانسان ألف منذ ألف سنة مثلا مؤلفا فى علم من هذه العلوم وأودع فيه ما أودع من أباطيل وأكاذيب وغيرها . فاذا جاء بعده ألف مؤلف فى هذا العلم فانهم جميعا سيأخذون علومهم وحقائقهم عنه وعن كتابه بلا نظر أو تفكير وهذا هو الشأن فى جميع المؤلفات التى تغص بها المكتبات والفهارس العامة اليوم والتى يفوت إحصاؤها .

« وعلى هذا فمن الخطأ الذى يقع فيه الجميع أن نجد رواية أو رأيا فى مئات الكتب لمئات المؤلفين فنزعم أن تلك الرواية أو ذلك الرأى قد قال به ورواه هذا العدد العديد . والصحيح أن نقول إنها أو إنه «رواية أو رأى» إنسان واحد فى مؤلف واحد نقله هؤلاء الجاهلون المقلدون بلا بحث وبلا عقل ؛ فلا ننخدع ونخدع بالكثرة ونقول : كيف لا تكون تلك الحكاية أو الرواية صحيحة وقد رواها وصدقها عشرات العلماء أو مئاتهم ! وكيف تكون كذبا ثم يخفى حالها على كل هؤلاء ؟ إن من السهل على الانسان ألا يثق برواية إنسان واحد وبرأيه ، ولكن من العسير عليه أن يشك فى رواية العشرات ورأيهم ولا سيما إن كانوا ممن يجل ويحترم »

دعوى يلقيها هذا الأحمق كأنه قرأ تلك الألوف المؤلفة فى جميع العلوم فى عشرة قرون فجاء يعلن نتيجة بحوثه ويزين له شيطانه أن سيسمع له الناس !

والحمق والغرور الظاهران من هذه الفقرة التى نقلناها لك من كتاب الأغلال ، هما الطابع الذى طبع به على الكتاب كله ، لا يكاد يخلو من أماراتها صفحة من صفحاته . فأنت إذا تناولت الكتاب وجدت ذلك الطابع على غلافه الخارجى إذ تقرأ :

« سيقول مؤرخو الفكر انه بهذا الكتاب
قد بدأت الامم العربية تبصر طريق العقل .. »

كأن الأمم العربيه عامية عن العقل وطريقه وستبدأ تبصرهما ولكن على يد صاحب الأغلال !

فاذا أنت قلبت الغلاف وجدت نفس الطابع مرة أخرى إذ تقرأ

على الغلاف الداخلى :

> ثورة فى فهم العقل والحياة . دراسة عميقة للعوامل النفسية والاعتقادية والتاريخية والخلقية التى قضت بانحلال المسلمين عربهم وعجمهم وذهابهم فى طوفان الغرب الطاغى .. ثم كيف يمكن أن ينحسر عنهم هذا الطوفان ..

أرأيت إلى هذا الأحمق المغرور ؟ إنه يثور لا على المسلمين وحدهم ، ولكن على الانسانية جميعا فيما يبدو ، يثور عليهم وعليها فى فهم العقل ! ثم فى فهم الدين ! ثم فى فهم الحياة ! !

وكأنه أراد ألا يدعك فى شك من مدى غروره وفجوره فى ثورته ودعوته فكتب لك فى أول صفحة تلقاها داخل الغلاف : —

« إن ما فى هذا الكتاب هو من الحقائق الأزلية الأبدية التى تفقدها أمة فتهوى لأنها فقدت حقيقة من حقائقها الطبيعية ، وتأخذ بها امة أخرى فتنهض لأنها قابلت الطبيعة الكاملة بطبيعتها الكاملة . . . ولن يوجد مسلم واحد بين الأربعمائة المليون المسلم يستغنى عن هذه الأفكار إذا أريدت له حياة صحيحة طبيعية »

يعنى أنه هو وحده من بين المسلمين أو من بين البشر يأتى بثورة فى فهم العقل والدين والحياة ثم لا يكون ما يأتى به — فى كل الكتاب لا بعضه — إلا حقائق أزلية أبدية ! صادقة منذ القدم قبل أن يوجد الانسان ، صادقة إلى الأبد بعد أن يفنى الانسان . فليت شعر العقل إن كان

بما في كتابه كذلك فكيف يكون ثورة في فهم العقل أو الدين أو الحياة؟ أفلم تهتد الانسانية بنفسها أو برسل ربها إلى مقومات الحياة والدين الأزلية الأبدية قبل عبد الله بن علي القصيمي أو قبل كتاب هذي هي الأغلال؟

وإذا كان كتابه ثورة فكيف يكون كله حقائق، وحقائق أزلية أبدية؟ لو كان بعضه حقا جديدا يضاف إلى ما بيد الناس دهمائهم وعلمائهم من الحق فيما يتعلق بالعقل والدين والحياة لكان عجبا من القصيمي وفتحا للقصيمي لا للناس، لأن كل حق جديد يكشف عنه يجب أن يتفق مع ما بيد الناس من حق معروف من قديم كي يثبت أنه حق؛ إذ المحك الذي يعرف به الحق من الباطل في العلم وعند البحث هو أن يتفق الجديد مع كل المعروف من الحق حتى يمكن أن يفتح له الباب ليدخل في حظيرة الحق. ان الحق لا يتناقض ولا يمكن أن يتناقض، إنما الذي يتناقض مع نفسه ومع غيره هو الباطل.

والناس في العلم وفي غير العلم يستعملون ما بيدهم من الحق محكا لكل جديد يأتيهم بزعم أنه حق: إن اتفق مع المعروف من الحق قبلوه وضموه إلى ما بيدهم من الحق، وازدادت به ثروتهم من الحقائق قليلا او غير قليل، حسب مقدار المكشوف الجديد، وكان تقديرهم للكاشف عن الجزئية الجديدة من الحق في هذه الحالة تقديراً صادقا، صغرت الجزئية او عظمت. أما اذا كان الشيء الجديد منافياً لشيء من الحق المعروف فان هذا يكون دليلا لا يرد وشاهداً لا يكذب على أن الجديد زائف باطل لبس من قبيل

الحق فى شىء ، فكيف إذا نافت القضية أو القضايا الجديدة كثيراً من الحق المعروف للناس علمائهم وجهلائهم على السواء ؟ إنها عندئذ تكون لاتستحق النظر وإن نادى عليها صاحبها من الصبح إلى المساء .

فصاحب الاغلال حين وصف كتابه بأنه ثورة فى فهم العقل والدين والحياة ، وأنه فى الوقت نفسه حقائق أزلية أبدية قد دل على نفسه أنه دعىّ فى أهل الحق ، لايدرى ما الحق ولا ما علامات الحق ، إنه قد دمغ كتابه بالبطلان حين طبعه بطابع الثورة على المعروف للناس أجمعين فى أمر العقل والدين والحياة . فان كان فى الناس من يصدقه مع جمعه بين النقيضين فهو مثله لايدرى ما الحق ولا ما التفكير

ثورته على الحياة والدين

ثورته فى فهم الحياة هى فى الواقع ثورته على الاسلام وأهله ، فهو لايفهم الاسلام كما فهمه المسلمون ويفهمونه ، ولايحب أهله ، يرى المسلمين ضعفاء فيحتقرهم لضعفهم وفقرهم ، لأن القوة والمال والجاه عنده هى الجديرة بالاحترام ، وبالسعى فيها والعمل لها ؛ أما المروءة وأما فضائل الأخلاق فهو إن سواها بالقوة المادية والثراء فقد تساهل معها فى الحساب

ثم هو يرى أن ضعف المسلمين ليس من تركهم الدين ؛ ولكن من اتباعهم إياه ، فهو لذلك يحارب الدين ويستهزىء بقوانينه التى وضعها للناس كلما وجد الى الاستهزاء سبيلا ، أى كلما أمن عواقب الاستهزاء ، فان لم يأمن وظن أن رأيه الذى يعتقد ويود لو اتبعه الناس يعرضه لسخطهم ولرميهم اياه بما هم لابد راموه به من الزندقة والالحاد أو ماهو أكبر منهما لف ودار ، وقرر رأيه بجميع الصور ، ثم تبرأ فى الهامش أو فى الصلب

أن يكون قصد كفراً او إلحاداً ولكنه قصد تقرير الحقيقة ، أو أنه فعل مافعل وأورد ماأورد للاعتبار !

ولا نجد شيئاً اسلامياً سلم من سلاطة هذا الرجل وبذاءته ، لا الدهماء ولا العلماء ، لا الفقراء ولا الأغنياء ، لا الملوك ولا السوقة ، لا الأمم ولا الأفراد ، لا العرب ولا العجم . لا معاهد العلم ولا جهود المسلمين فى سبيله فى الماضى والحاضر . لا شىء من ذلك للاسلام يلقى من صاحب الأغلال الا الغل والضغن ، كأن ذلك كله حال فى الماضى ويحول فى الحاضر بين صاحب الأغلال وبين مايبتغيه من جاه وقوة وثراء

ولو كان هذا الرجل ينبض قلبه بشىء من الحب للاسلام وأهله لكان سبيله فى تنبيههم غير سبيل تجاهل المحاسن وتلمس المساوىء والمعايب ، الموجود منها والموهوم ، واتخاذها وسيلة للتحقير والتسفيه والزراية والتشهير ، ولدعاهم إلى مادعاهم ربهم اليه من العمل بدينه كما فى كتاب الله وسنة رسوله ، بدلا من أن يحاول صرف ذلك كله عن وجهه وصرفهم عنه تارة بسوء التأويل الذى لايمكن أن يكون كله راجعاً الى الجهل ، وتارة بالكتمان الذى لايمكن أن يكون كله راجعاً إلى النسيان ، وتارة بالتشكيك فى الأصول وتارة بالانكار حتى لما هو معروف من الدين بالضرورة كفضل الدعاء وأثر طاعة الله فى حياة الانسان هنا فى الدنيا ، وفضل التوكل على الله حتى مع الأخذ بما شرع من أسباب ، ثم ماهو أدهى وأمر من إنكاره تصرف الله المطلق فى ملكه يفعل فيه مايشاء

وليس يهمنا هنا إثبات شىء من هذا على هذا الرجل المفتون فسترى

مايكفى وفوق ما يكفى لهذا فيما أورده الشيخ حمزة فى رده البليغ من نصوص ؛ إنما الذى يهمنا الآن هو الوقوف على سبب تطور نفسية هذا الرجل ذلك التطور الذى نقله من آخر مراكز البندول فى اليمين إلى آخر مواقف البندول فى اليسار — من التطرف فى الدين إلى التطرف فى التنكر للدين.

وتطرف الرجل فى الدين فى الماضى يحدثنا به الرجل نفسه فى فقرة عجيبة من كتابه لعلها من أغرب الاعترافات . إنها تدلك على حاضر الرجل وماضيه معاً فاقرأها: « إن ذكرى تفيض بالمرارة والحسرة تعاودنى كلما مر بخاطرى عصر مشئوم قضيته مسحوراً بهذه الآراء ، كنت أفر من الحياة ومما يعلى من قيمة الحياة ، فقد كنت لا أجد ما يحملنى على أن أرفع قدمى لو علمت أنى إذا رفعتها تكشف ما تحتها عن أعز ما عليه يتقاتل الأحياء ! وقد ضاعت علىّ من أجل ذلك فرص كان يمكن الافادة منها ، لا يمكن استرجاعها ! كان الغرور الدينى قد أفسد علىّ كل شعور بالوجود وبجماله ، وكنت مؤمنا بأن من فى المجتمع لو كانوا يرون رأيي ويزهدون زهدى لوقفت الأعمال كلها ، ولما وجد العالَم بداً من أن يخرب ! كنت أنظر إلى من يهتمون بالحياة وبمن فيها ، ومن يعملون لها ويجاملون ويخالقون من أجلها ، بعين أقل ما فيها الاحتقار والاستصغار ! وكنت لا أبالى بأحد مهما كان عظيما ومهما كان قادرا على النفع والضر . وما كنت أفكر فى أن أجد فرصة للقائه أو للقرب منه أو للاتصال به ! وكنت لا أخالق إنسانا رغبة فيما يتخالق الآخرون من أجله . وكان شعارى فى تلك الفترة قول ذلك المغرور

المخدوع مثلى :

إذا صح منك الود فالكل هين — وكل الذى فوق التراب تراب

فليتك تحلو والحياة مريرة — وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذى بينى وبينك عامر — وبينى وبين العالمين خراب

ثم كنت أعتقد أن الكل هين ، وأن جميع ما فوق التراب وما فى العالم من جمال وطيبات وحاجيات ، ومن أقوام وأمم وشعوب ، تراب ! وكنت لا أبالى أن يحلو لى شىء من ذلك أو يمر ، ولا أن يرضى أو يغضب ، ولا أن يعمر أو يخرب ، كما يقول هذا الشاعر المسكين . وكنت أرى أنى ابذلك أرضى الله ، وانى إذا أرضيته فلن يضيرني شىء .. وكانت الدنيا كلها تدور من حولى من غير أن أدور معها أو أحس دورانها ! وكان يخيل إلىّ وإلى غرورى الدينى الأعمى أنه لا قوة كقوتى ؛ لأن الله معى واهب القوى ! « التعجب من عند صاحب الأغلال » فليقوَ العالَم كما يشاء ، وليجمع من لأسباب ما طاب له ؛ وليحاول من أجل نفسه ما يحاول ، فان ذلك كله لا قيمة له ولا خطر بالنسبة إلى قوة من استقوى بطاعة الله ، ومن ترك الاسباب جملة مستمسكا بأسباب الله وحدها . وكان يبدو لى أنه بقدر إيمان الانسان بذلك ، وبقدر كراهته العالم والوجود والدنيا والانسانية كلها ، وبقدر استصغاره لها واحتقاره إياها وكفره بها ومغاضبتها ومجانبتها — بل سبها ولعنها — يكون قربه من الله ورضاه عنه ودلاله عليه . وكانت هذه الاعتقادات او الخيالات تهبط بى وتعلو ، وتجعل لى وجوداً خاصاً ، وعالما خاصاً ودنيا خاصة ، تدور من اجل واحد وتوجد من اجل واحد

ايضاً ـ واحد أرضى الله ووهب له كل معانيه فوهب الله له على حسب مايظن ، كل مايريد ولو كان فى جملة مايريد إعزاز الامم وإذلالها »

***

هذا ملك كان هذا الرجل فيه من غير شك ، دونه ملك الثراء والقوة والجاه . ان هذه العزة النفسية التى تملأ جوانب كل متدين متوكل على الله حق توكله ، وتملأ نفس من يكون مع الله بالقلب والنفس والروح والبدن ، هى أقصى ثمرة الملك المادى فى الدنيا ، ثم لاينالها كثير من أهل المال والسلطان ، ومع ذلك فقد استبدل بها ذلك الرجل طائعاً مختارا حالا الله أعلم بها وبه فيها ، فما اظنه نال من القوة والمال كثيرا ، وسيدأب وينصب فى سبيلهما من غير ان ينال مايصبو اليه منهما كل من يرى المادة هى كل شىء وأن ليس بعد الدنيا شىء ، وسيجد نفسه مضطرا إلى النزول على حكم الدنيا وأهلها وأسبابها التى يرى أنها طبيعية حتمية لامفر منها . فيبذل فى سبيل النجاح والمال من ماء وجهه ما كان يصونه حين كان فقيراً مع الله ، ولم يكن الرجل فيما بلغنا مع الفقراء حقا إلا بالنسبة إلى مايطمح اليه ويطمع فيه الآن ، فقد كان له راتب من الحكومة السعودية لعله كان أربعين جنيها فى الشهر ، ولعله لايزال يأخذه إلى الآن من غير أن يرضى عن الحياة ويستشعر من القوة والعزة فيها ما كان يملؤه حين كان مع الله بالصورة التى وصف

وانك لتجد مفتاح ضلال هذا الرجل فيما قص علينا من أمر حياته الدينية قبل أن يفتتن عن الدين . لقد أراد أن يسلك سبيلا من الزهد فى الدنيا ليس هو من رجاله ، فشدد على نفسه وعصى الله ورسوله بتشدده ،

فقد نهى الرسول ﷺ عن التشدد والتنطع فى الدين فى أكثر من حديث كريم قال «لن يشادّ هذا الدين أحد إلا غلبه» وقال «ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ان المنبتّ لا ارضاً قطع ولا ظهراً أبقى» وقال «من رغب عن سنتي فليس منى» فى حديث مشهور نهى فيه رجالا من حرمان انفسهم مما احل الله لهم من الطيبات ؛ ولما بلغه تشدد عبدالله بن عمرو فى الصيام والقيام نهاه وقال له «لا صام من صام الابد» وكذلك امر الله سبحانه فى مواطن كثيرة من كتابه بالأخذ من الطيبات التى احل لعباده (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وقال سبحانه (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم) وقال سبحانه (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ؛ كلوا من رزق ربكم واشكروا له : بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم)

فصاحب الأغلال لم يطع الرسول فيما أمر من القصد ، وأوغل فى الدين بغير رفق ؛ فخسر الرحل والراحلة وانقطع به الطريق.

حرّم على نفسه الطيبات ، وبالغ فى حرمان نفسه رجاء الدرجات العلى عندالله ؛ وما كان عليه فى ذلك من بأس لو أنه كان من رجاله ، لكنه لم يكن هنالك

وكأنه لما عجز عما كلف به نفسه مما لم يكلفه الله ، وبرم بالزهد ومطالبه ، صادف أن قرأ بعض ما نقل إلى العربية من مذاهب للماديين

فى الحياة، وبعض النظريات القديمة فى النشوء، وبعض محاولات من يحاولون تعميم نظرية نشوء الأحياء على النفس والعقل والروح والدين، فلا يرون هناك إلا المادة، ويرون الدين نتيجة طبيعية لتطور الانسان، لا شريعة إلهية من عند الله بالمعنى المعروف فى الأديان. صادف المسكين هذا فقراً ولم يهضم، وغره نسبة تلك الآراء إلى العلم فأنزلها كلها من الثبوت منزلة واحدة، وقبلها كلها من غير تمييز ولا مقدرة على التمحيص.

ولقد كان بيده وسيلة التمحيص لو أراد ولم يكتسحه سيل الشك الذى فتح على نفسه، كان بيده القرآن الذى كان يوقن عندئذ أنه من عند الله، وأنه كلام الله الذى أنزله على رسوله محمد بن عبد الله؛ فكان يستطيع أن يعرض ماقرأ على مااستيقن من كلام الله، فما لم يمكن التوفيق بينه وبين كلام الله نبذه من غير تردد لو كان يقينه وإيمانه إذ ذاك قائما على أساس من البرهان، إذ ليس مما يجوز فى عقل تكذيب كلام الله عند من يؤمن به؛ وتصديق نظريات الناس، لكن تدينه فيما يبدو كان أساسه التقليد رغم أنه كان فيه من المتشددين المحس. فأخذت الشكوك تنوشه، ومر المسكين فى فترات من العذاب النفسى يستطيع أن يتصوره الانسان، حتى استقر أمره تدريجيا على مااستقر عليه ولو لينجو من ذلك العذاب

ولو أنه أطاع الله فلم يقف ماليس له به علم من تلك الآراء والفروض المنسوبة إلى العلم والتى يعلم العلم أنها ليست من الحقائق ولا من سنن الفطرة ولكنها تفسيرات لوقائع يقول بها العلم اليوم ويجيزون عليها أن تنبذ غدا، لو أنه اهتدى بهدى الله فى هذا لنجا من الشك وآثاره، لكنه فى اللحظة

التى استيقن فيها ما يجيز العلم بطلانه من النظريات أصبح مستحيلا عليه التوفيق بين كل تلك النظريات المتضاربة ـ حتى فيما بينها ـ وبين يقينيات الدين ، إذ من المستحيل التوفيق بين الحق والباطل مهما اجتهد الانسان . وقد سلم صاحب الأغلال فيما بينه وبين نفسه بباطل تلك النظريات ، فلم يبق أمامه إلا التخلى عما كان يعرف أنه الحق من الدين ، لأن تدينه كان قائما على التقليد لا على البرهان

وقضى الأمر ، وصدّق إبليس ظنه على عبدالله بن على القصيمى فاتبعه

ومن المستحيل أن ينقلب متطرف فى الدين متطرفا ضده مرة واحدة ، كما يستحيل أن ينتقل البندول من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار دفعة واحدة ؛ لابد من التدرج ولابد من الاستدراج . ويستطيع الانسان أن يتصور استدراج الشيطان لهذا المسكين قبل وبعد إيمانه بما يناقض القرآن . يستطيع أن يتصور كيف زين اليه أن يقبل من أحاديث الرسول وينبذ ، لا طبق أصول علم الحديث ولكن وفق الهوى . ينبذ ما صحح علماء الحديث إذا ناقض الحديث هواه ، وقد يقبل ما رفضوا إذا وافقه . وستجد أمثلة من ذلك فى الكتاب الذى بين يديك نبه اليها مؤلفه المفضال تنبيه محدث خبير ، وبين كيف أن صاحب الأغلال ينبذ من الأحاديث ويقبل ، وطريق ما نبذ هو عين طريق ما قبل . وليس لذلك من تعليل إلا ما ذكرت لك ، ولو كان يصدر فى ذلك عن عقل لنبذ الجميع أو لقبل الجميع ما دام الكل قد اتحد فى الاسناد . وأكبر الظن أن صاحب الأغلال قد صار إلى الحال التى لا يقبل فيها من الحديث شيئا ولكنه يحتج

بما يظن أن فيه حجةله عند المؤمنين بالحديث

زين لصاحب الأغلال التحلل من الحديث أول الأمر فيما نظن ؛ والاقتصار على القرآن رغم تحذير الرسول أمثاله فى قوله ﷺ «لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى ، مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول لا أدرى ! ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه »[1] وكما كان الأخذ فى الحديث بالهوى سبيلا إلى نبذ الحديث ، كان كلاهما سببا إلى القول فى القرآن بالرأى وبغير علم رغم تحذير الرسول أمثاله فى قوله ﷺ « من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار »[2]

وهذا الرجل يقول فى القرآن بغير علم بل وبغير عقل ، لأن أقل ماينبغى على المتعرض للقرآن بعد التزام أصول اللغة أن يراعى سائر القرآن فلا ينقض بعض آيه ببعض ؛ أى لا يفهم بعض آياته على وجه مناقض لبعض آياته الأخرى . لكن صاحب الأغلال لا يراعى اللغة ولا يراعى امتناع التناقض فى القرآن . فالله سبحانه يقول (قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وصاحب الأغلال يقول « ثم لنعلم أنه لا خير يمكن أن يصيبنا إلا ماتقدمه لنا أنفسنا وأيدينا وأعمالنا ، تدفعنا أنانيتنا الخالصة الخاصة اليه » . هو لم يذكر الآية ولكن نص عبارته يدل بوضوح أن فى ذهنه وهو يكتب كأنما هو يريد أن

---

(1) رواه الشافعى فى رسالته ص٨٩ تحقيق القاضى أحمد شاكر

(2) رواه الامام ابن تيمية فى مقدمته فى أصول التفسير من مطبوعات دار الآثار السلفية بدمشق وتحقيق الشيخ جميل افندى الشطى مفتى الحنابلة فيها

يورد نقيض الآية فى توقح واجتراء

وينكر على الناس فهمهم للقضاء والقدر ، ويزعم أن القضاء معناه الفراغ والانتهاء ، لا معنى له فى القرآن غيره ، وأن القدر بجملته وجملة استعمالاته فى القرآن وفى الشعر أيضاً « يراد به التقدير أى جعل الشيء ذا مقادير معلومة ، أى يراد به جعل الشيء منظما فى كمه وكيفه .. » وكل الآيات التى جاء بها تفيد هذا ولكنها تفيد أيضا التقدير من ناحية الزمن مقداراً وتحديد أجل ، ولو قال هذا لما كان بينه وبين المسلمين خلاف ، لكنه يرى أن اعتقاد المسلمين فى القضاء والقدر من أقوى أسباب تأخرهم فأراد أن يصرفهم عما اعتقدوا بتأويله آيات القرآن لهم تأويلا يتناقض مع آيات أخرى فى القرآن كالآية التى أشرنا اليها آنفا ، وتعمد من غير ذكر لها أن يناقضها بقوله « لاخير يمكن أن يصيبنا إلا ماتقدمه لنا أنفسنا » الخ وكالآية الكريمة التى احتج عليه بها الاستاذ الناقد فى رده : آية سورة الحديد (ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير) وصاحب الأغلال لايمكن الا أن يكون حفظ الآيتين فيما حفظ من القرآن أيام زهده وتبتله ، فهو يكتمهما عمداً لأنه لايجد لهما تأويلا لا ينقض مذهبه الذى يدعو اليه ، ولا ماذهب اليه فى فهم آيات أخرى مثل بعض الآيات التى نزلت فى غزوة أحد .

ويلتحق بهذا الباب تجاهل الرجل الآيات القرآنية التى يعلم أنها تنقض مذهبه فى مسألة الأسباب وخضوعها لمسببها سبحانه ، ومسألة الطاعة والمعصية وأثرهما فى هذه الحياة

الطاعة والمعصية : فعنده ان طاعة الله ومعصيته لا أثر لهما مطلقا فى نتائج السعى والكدح لهذه الحياة . إن كان لهما أثر فأثرهما سيكون فى الآخرة ، أما فى هذه الدنيا فالفعل كله للأسباب المادية والقوانين الطبيعية المسيطرة على الحياة ، والتى يستوى أمامها المؤمن والكافر والطائع والعاصى. بل هو يتجاوز هذا ويزعم أن الله جل جلاله لا يكون عادلا إن هو فضّل فى الدنيا من يطيعه على من يعصيه إذا ما استويا فى العمل، فكيف إذا بَز العاصى المؤمن فى الكدح والجهاد ؟

وليس مُهماً أن يعتقد صاحب الأغلال هذا أو ماهو شر من هذا ، فهو حر فى ذات نفسه إن شاء آمن وان شاء كفر . لكنه يزعم للمسلمين أن من أسباب تأخرهم وتفوق الأجنبي عليهم اعتقادهم ان طاعة الله تقدم ، وأن معصيته تؤخر فى هذه الدنيا ، وأن اعتقادهم هذا يخالف القرآن

والقرآن الكريم ينقض زعمه هذا، وهو يعلمه . يعلم أن الله قص علينا فى كتابه خبر الأمم الماضية الذين أهلكهم الله لما كفروا به وعصوا رسله : فى سورة يونس وهود والشعراء وغيرها من سور القرآن الكريم : أهلكهم بنفس العوامل التى يقول هذا الرجل إنها طبيعية لاتخضع لسلطان ولا تتأثر بطاعة ولا معصية ـ بالخسف والرجم والأعاصير والسيل والطوفان ـ وأهلكهم بغير هذه العوامل الطبيعية كالصيحة والطير الأبابيل ، فكيف أمكن لهذا الرجل أن يتجاهل تلك السور وأمثالها ويتهكم بمن يسترشد بها ويقيس عليها ، إن كان يؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر كما يقول فى آخر الكتاب ؟ وإن كان لا يؤمن بكتب الله ولا

بالقرآن فكيف أطمعه شيطانه الغرور ـ حين زعم المسلمين ما زعم ـ أنهم سيصدقونه ويكذبون القرآن ؟

ومن عجب أن يحتج صاحب الأغلال لرأيه السخيف بآيات فى القرآن لم ترد إلا لتوكيد أن الكفر والمعصية يهلكان وأن الايمان والطاعة ينجيان. احتج لاطراد ما سماه الأسباب الطبيعية بقوله تعالى (ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) وأبى عناده وأبت خيانته للبحث وروح الحق أن ينظر فى مساق هذه الآيات فى القرآن . ولو كان مخلصاً يريد الحق لرجع إلى مواضن تلك الآيات الكريمة ولعرف أنها كلها سيقت لا لتقرير اطراد السنن التى يسميها طبيعية ولكن لتوكيد أن هلاك الأمم بالكفر والمعصية سنة اجتماعية لله ليس لها تبديل ولا تحويل . فى سورة فاطر (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله . فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا . أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة ، وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الارض إنه كان عليما قديرا)

وفى سورة الفتح (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا . ولو قاتلكم الذين كفروا لولّوا الادبار ثم لايجدون ولياً ولا نصيرا . سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) وفى سورة الأحزاب (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها إلا قليلا . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتّلوا تقتيلا . سنة الله فى الذين خلوا من

قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)

إن الله قد علم أن من السهل أن يؤمن الناس كما آمن صاحب الأغلال بأن الظواهر الطبيعية تجرى على سنن ليس لها تغيير ولا تبديل ؛ لكن من العسير الصعب أن يؤمن الناس أن لله فى الاجتماعيات سننا لاتتغير أيضا ولا تتبدل ، منها هلاك الناس بالكفر والمعصية ، ونجاتهم بالايمان والطاعة . فاقتضت حكمته ورحمته سبحانه أن يلفت الناس إلى هذه السنن المتعلق بها مصيرهم فى الدنيا قبل الآخرة ، وأن يجعل توكيده عدم تخلف سننه مُنصبا على الاجتماعى منها لا على مايسميه الناس بالطبيعى علهم يؤمنون ويعملون بمقتضى إيمانهم قبل أن يمسهم من الله عذاب لا ينفعهم معه إيمان

وكما أن تلك سنة الله فى الأمم فكذلك هى سنته فى القرى وفى الافراد وآيات القرآن فى هذا الباب كثيرة لتحذير الناس من عاقبة الكفر والطغيان مثل (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين . فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون . لاتركضوا وارجعوا إلى ماأترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون . قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين . فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) سورة الانبياء

(ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ، وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون . فلولا نصرهم الذين اتخذوا من

دون الله قرباناً آلهة ، بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون) سورة الأحقاف .

وصاحب الأغلال يدعو المسلمين إلى عبادة القوة والمال والانقطاع لهما ، وطلب العلم من أجلهما لا من أجل الدين ،حتى يكونوا فى القوة أنداد الغرب وفى المال أنداد اليهود ، متجاهلا كل هذه الآيات وأمثالها رغم علمه بها وترديده لها أيام كان يقطّع الليل تسبيحاً وقرآنا .

والافراد شأنهم فى الطاعة والمعصية وأثرهما شأن الجماعات ، يعلم ذلك أيضا صاحب الاغلال ، لانه قرأ خبر قارون فى سورة القصص ، وكيف أنكر أن يكون لله عليه نعمة ، معللا قوته وغناه بما يعلل به صاحب الاغلال اليوم قوة القوى ، وغنى الغنى (قال إنما أوتيته على علم عندى ! أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً؟ ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون)(فخسفنا به وبداره الارض! فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) قرأ صاحب الاغلال هذا من غير شك كما قرأ نتيجة الحوار بين الكافر والمؤمن اللذين ضربهما الله مثلا للناس فى سورة الكهف (وأُحيط بثمره فأصبح يُقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أُشرك بربى أحدا . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا)

قرأ هذه الامثلة الخاصة كما قرأ المثل العام فى قول الله سبحانه من سورة الزمر (وإذا مس الانسان ضر دعانا ، ثم إذا خوّلناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم ، بل هى فتنة ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ، قد قالها الذين

من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . فأصابهم سيئات ما كسبوا ، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين . أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ؟ إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

ولو شئنا لضاعفنا لصاحب الأغلال الآيات عله يتذكر ويرجع إن كان يؤمن بالقرآن حقا كما يقول ، أما إذا ركب رأسه واتبع هواه وحاول تحريفها كما حرف غيرها من الآى ليثبت أن الله سبحانه لا يتدخل فى الأسباب ، ولا يكشف الضر بالدعاء ، ولا يبسط الرزق أو يقدره كما يشاء ، ولا يسلب النعمة من أحد ينسبها إلى علمه هو لا إلى الله ، كما ينسب صاحب الأغلال مال ذوى المال وقوة ذوى القوة ، وكما يريد من الناس أن ينسبوا ـ أما إذا فعل ذلك فإنه يكون قد حقت عليه كلمة الله التى قررها فى قوله سبحانه (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون)

مسألة الأسباب

إن مسألة الطاعة والمعصية وأثرهما فى حياة الإنسان فرع من مسألة عامة هى مسألة الاسباب ، وكان من الممكن أن يخرج صاحب الأغلال من مأزق الشك الذى لابد أن يكون وقع فيه فى تطوره الاعتقادى ، بتوفيق مبدئى بين اعتقاده الدينى القديم واعتقاده الطبيعى الجديد لو أنه اعتبر طاعة الله سبباً من الأسباب الفعالة فى هذه الحياة ـ وهذا طبعاً قبل أن يتطرف فى تفسير التطور ويعتبر الروح نتيجة لتطور المادة والطاقة ، ومظهراً من

مظاهرها ، أى فى الوقت الذى كان يعتبر فيه الروح أهم ركنى إنسانية الانسان وأن المادة لا اختيار لها . فى ذلك الوقت حين عرضت له مسألة الأسباب الطبيعية وعدم تخلفها كان يستطيع أن ينزل الروح منزلة المادة فى وجوب طاعتها لله ، لانه يقر بأن المادة لا محيص لها من اتباع السنن التى سنها الله لها وإلا هلكت . كذلك الروح لا محيص لها من اتباع السنن التى سنها الله لها وإلا هلكت . ولابد أن تختلف سنن الروح عن سنن المادة بقدر الاختلاف بين طبيعة المادة وطبيعة الروح ، وبقدر امتياز الروح على المادة بأن لها اختياراً وعقلا ، وأن المادة لا اختيار ولا عقل لها . وسنن الله التى سنها للروح تتمثل فى الدين الذى أنزله الله لهداية الانسان . فلم يكن للانسان بد من أن يطيع الدين طاعة لله وإلا هلكت روحه كما يهلك النجم والشجر لولم يطع الله ، غير أن الهلاكين لابد أن يتميزا ويختلفا باختلاف الطبيعتين ومراعاةً لعامل الاختيار العقلى فى الروح . لذلك كانت المادة وما اليها يعجل لها وله جزاء المعصية رأى العين فى الدنيا ، أما الروح فالحكمة فى منحها الاختيار تقتضى تأجيل الجزاء تأجيلا قليلا أو كثيراً حسبما تقتضيه حكمة الله ورحمته ، وإلا فأى فرصة تكون هناك للانسان لو عجل له العقاب أو عجل له الثواب ؟ إذاً لأجبر على الايمان إجبارا لانه يرى الكفر والمعصية تتبعها العقوبة فوراً ، ويرى الايمان والطاعة يتبعها الثواب ، وإذاً لتعطلت الحكمة فى منح الروح الاختيار . وهذا الفرق بين الجزاءين من ناحية التعجيل والتأجيل هو سبب خفاء الأثر المادى للطاعة والمعصية الروحيين وإن كان أثرا حتمياً كأثرهما فى عالم المادة

من غير تفريق

فطاعة الله هى إذن السنة العامة فى ملكوت الله فى عالمى المادة والروح ،لابد منها للنجاة والسعادة وإلا كان الهلاك الحتمى الذى ليس منه فكاك . وعالما المادة والروح تتساند قوانين الله فيهما ولا تتناقض؛ أى لابد للانسان من طاعة الله سبحانه فيهما جميعاً قبل أن تتحقق سعادة الانسان كاملة . ومن هنا جاء تعطل النجاح المادى لبعض المؤمنين الذين هم أكثر طاعة فى عالم الروح منهم فى عالم المادة ، وتكثّر نجاح بعض الكافرين والعاصين الذين هم أكثر طاعة فى المادة منهم فى عالم الروح . وطبعاً هناك درجات كثيرة لا تحصى من الطاعة والمعصية فى كل من العالمين وفيما بينهما وفى نتائج ذلك كله . فمن الخطأ الكبير التعميم مما يبدو للانسان على سطح الحياة أو فى باطنها لأن الانسان لايمكن أن يرى إلا جزءاً صغيراً جداً مما يجرى ، كما أنه لا يفهم إلا جزءاً مما يرى . ولو فهم كل ما يرى لما أمكن أن يفهمه حق الفهم ؛ لأن ما يراه جزء من كلّ خاضع لله تجرى فيه سننه وتجرى عليه إرادته .

وصاحب الاغلال ومن لف لفه يؤتون من ناحية العجز عن التوفيق بين سنن الله التى يرون انها يجب أن تكون صارمة، وبين إرادته التى يرون أنها تستتبع التنقص من الصرامة ، والتدخل فى السنن بالتغيير والتبديل . وهم حين يرون هذا يقعون فى نفس الغلطة التى يرمون بها خصومهم : غلطة قياس الله سبحانه على الانسان . هم يرمون المؤمنين بالله بأنهم يقيسون الله على أنفسهم فينسبون اليه من الصفات مايجدونه فى أنفسهم وفى عالمهم

ويقعون هم فى نفس العيب الذى يعيبون به المؤمنين بقياسهم إرادة الله على إرادة الناس ، ويخلقون لأنفسهم الصعاب والمشاكل الروحية والنفسية والعقلية بتوهمهم أن إثابة الطائع ومعاقبة العاصى فى هذه الحياة وبعدها تستلزم المحاباة واتباع الهوى بالمعنى الذى عرفوه فى أنفسهم وفى الناس . أفمن المستحيل أن يعاقب الله ويثيب كما يشاء طبق العدل وطبق الحكمة ؟ وإذا لم يكن ذلك مستحيلا فقد انحل الاشكال لو كانوا يفقهون .

الواقع أن العيب الذى يُرمى به المؤمنون من هذه الناحية هو عيب خصومهم وحدهم لا عيب المؤمنين . إن المؤمنين يصفون الله سبحانه بما وصف به نفسه فى كتبه ، فى القرآن والانجيل والتوراة . ولو لم يصف سبحانه نفسه بصفات الكمال لوجب أن يصفه بها العقل . عند من يسلم طبعاً بوجود الله . إن من غير الممكن ولا الجائز فى العقل أن يكون المخلوق مريداً مختاراً ويكون خالقه مجرداً عن الارادة والاختيار . ومثل الارادة والاختيار بقية صفات الكمال . فالغلطة ليست فى اسناد الصفات لله ، ولكن فى تصورها . والفصل بين الحق والباطل فى ذلك هو تحقيق الكمال المطلق اللائق بذات الله سبحانه .

وتقييد الله سبحانه بالقوانين الطبيعية بالمعنى الذى فهمه ويفهمه أمثال صاحب الاغلال هو فى حقيقته ونتيجته تجريد لله سبحانه من الارادة والاختيار . إنه تقييد لا يمكن أن يكون إلا فى الوهم قياساً على فهمهم العدل فى تطبيق قوانين الانسان فى حكوماته ، تلك القوانين التى يجب أن تطبق على جميع رعايا الأمة الواحدة ذات الحكومة الواحدة من غير محاباة

ومن هنا القياس الأخرق الذى قاس به صاحب الأغلال حكومة الله على حكومة الناس حتى قال فى كتابه : « وإن حكومة يعامل شعبها هذه المعاملة فلا تسوى بينهم على مقتضى الأسباب والأعمال ، بل تفرق بينهم وتفرق بين نتائج أشغالهم وأعمالهم لأنها تفرق بينهم فى الحب والبغض ؛ لان منهم الموافقين ومنهم المخالفين على حسب الاحزاب والمبادىء والاشياء الأخرى — ان حكومة تفعل ذلك معدودة من شر الحكومات وهى حكومة لا يصح الاتكال عليها ولا الاعتماد على حكمها ولا الايمان بحكمتها . فكيف يسوغ للعاقل أن يصف الله بهذه الصفة ؟ »

إن صاحب هذا الكلام يرمى المتدينين أو المسلمين بدائه وينسل ؛ يرميهم بأنهم يقيسون الله على قدر أنفسهم ويقيس هو حكومة الله على حكومة الناس — أهواء وأحزاب وشيع إلى آخر ما هنالك . ثم هو مع ذلك لا يحسن القياس . فالقياس ينبغى أن يكون أساسه الطاعة — طاعة القوانين والجد والاخلاص فى العمل . فاذا كانت القوانين توجب احترام الحاكم وتعاقب من يطلق اللسان فيه كان من الواجب معاقبة من يخالفها فى ذلك من غير تفريق . وإذا كانت القوانين تقرر عقوبات على مخالفيها فى كل حكومة راشدة كان من الظلم ومن الفوضى أن يسوى بين الطائع والعاصى فى المعاملة فلا يعاقب العاصى ولا يقدر المطيع . فلو كان صاحب الأغلال يعقل ما قاس حكومة الله على حكومة البشر ، أو على الأقل لأحسن القياس

إن قوانين الله فى ملكوته يجب أن تطاع . وأهم هذه القوانين هى

حب الله وتوقيره واتباع أوامره واجتناب نواهيه — هى عبادته كما ينبغى أن يعبد فيما بين الانسان وربه ، وفيما بينه وبين الناس .

هذا هو القانون العام . أما التفصيل فيجده الانسان فى الدين الذى أنزل الله ،وفى الفطرة التى أمر الله الانسان أن يلتمس أسرار الله فيها ،فهما ناحيتان متناسقتان لكن شتان ثم شتان بينهما، فالمادة مادة والروح روح ؛ والتسوية بينهما كالتسوية بين المعصية والطاعة :خرق وظلم وعدوان

هما مصدران للحق ليس لهما ثالث ولا يمكن أن يكون : دين الله والفطرة . والاسلام هو دين الفطرة ،بل هو بالنسبة للانسان فطرة الله نفسها كما وصفه الله فى كتابه ،وهو وصف لا يمكن أن يكون جاء عن خيال انسان : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ودين الله المتمثل فى القرآن أعم وأوسع من العلوم الطبيعية كما نعرفها ،لانها جزء منه شملتها بعض آياته اجمالا وتركت تفاصيلها يطلبها الانسان بأمر الله . فمن العجب أن يتصور متصور أن يقع بين الاسلام وبين الحق من العلم — طبيعى أو غير طبيعى — تناقض . ومن الخذلان — ونعوذ بالله من الخذلان — أن يتكلف مسلم ما ليس له به علم ، فاذا عرض له فيما تكلف ما لا يتفق مع الاسلام، لزم ما تكلف وشك فى الاسلام!

إن استباحة الشك فى كل شىء بدعة أصيب بها شباب هذا الزمان يظنونها حرية فكر وانطلاقا من الإغلال . وقد أصيب صاحب الإغلال بهذه الآفة فكان نتيجتها كتابه وإن لم أجده أشار اليها فيه الا بقوله

ولا يمكن أن تبلغ أمة من الأمم مبلغاً من الحضارة مالم تشك ومالم تفهم . فالشك والفهم شرطان ضروريان فى تحصيل الحضارة والعلم والقوة والذى لايعرف أن يشك لايعرف أن يفهم » وصاحب الكتاب لايعرف أن يشك لانه لا يعرف شروط الشك السليم، شروط الشك العلمى المبنى على أساس من التفكير العلمى . أما الشك للشك طلباً لحرية فكرية مزعومة وتحللا حتى من قيود التفكير ، فخير منه سهولة التصديق .

إن التصديق بالباطل كالشك فى الحق ، كلاهما بالغ الضرر بالانسان . فالفكر الذى يقبل شيئاً من الباطل على أنه حق يفسد على نفسه كثيراً من الحق الذى لديه ، لان كل تفكير يدخل فى قياساته ذلك الباطل القليل سيؤدى حتما إلى نتيجة باطلة تعتبر هى أيضاً عند المفكر حقاً من الحق ، فتلد له باطلا آخر بالتزاوج مع الحق أو الباطل الذى عنده — وهكذا دواليك . والشك فى الحق يفقد المفكر قوة هائلة كانت لديه ، بانتقاص جزئيات الحق عنده فلا يستطيع فى التفكير تحليقاً ، كالطائر الذى تنتف من جناحيه الريش ؛ لكن ضرر الشك فى الحق لا يقف عند هذا ، لانه يستتبع حتما الاعتقاد فى باطل أدى إلى ذلك الشك ، أو باطل هو ضد الحق الذى شك فيه

فضرر الشك فى الحق مزدوج : لانه يعطل الحق فلا ينتفع به فى تفكير . ويكثر سواد الباطل عند الشاك فيفسد عليه التفكير . والمسارع إلى التصديق يشترك والشكاك فى عاقبة تكثير سواد الباطل ، لكنه يظل على أى حال منتفعاً بالحق الذى لديه ، والذى لم يفسده الشك عليه .

وأسوأ أنواع الشك هو الشك الديني ، خصوصاً في المسلّمات التي أجمعت عليها كل الانسانية في جميع الأديان مثل وجود الله سبحانه وبعثه الرسل ، وبعث الانسان بعد الموت . وأقل الشاكين في الدين عذراً مسلم نشأ على الاسلام وقرأ القرآن ولو ببعض فهم ، لأن الاسلام أكثر الأديان احتضاناً للعلم وأوثقها اتصالا به ، وأشدها احتراما للعقل واعتماداً عليه . فلو أن المسلم حين تعرض له الشبهات يتمسك بحبل الاسلام كما يتمسك الغريق بحبل النجاة ، ويتطلب من الشبهات مخرجا ؛ اذن لوجد المخرج من غير أن يخالف العقل أو اليقيني الثابت من العلم . لكن الشرط الضروري لهذا ألا يقبل مطلقاً شيئاً غير يقيني الثبوت حتى ولو قال بذلك الشيء فريق كبير من العلماء ، فان وجود فريق من العلماء وإن قل لا يقول به ، دليل كاف على احتمال بطلانه . وقد يكون في ذاته باطلا فلا يتفق مع الثابت من الدين فيضل المسلم به كما ضل صاحب الأغلال .

وصاحب الاغلال لا يقتصر على قبول كل ما وصل إلى سمعه من أكثر الآراء العلمية تطرفاً ولكن يزيد عليه ويتوسع فيه ما استطاع . فهو مثلا يقبل نظريات التطور بحذافيرها من غير أي نقد لها فيما يبدو وإلا ـ وهو يتأول صريح القرآن بما لا يتفق مع صريح اللغة ولا مع سائر القرآن ـ لوجب أن يشك في نظريات تطور الانسان لأنها أولى بالشك لانها لا تعتمد في الغالب إلا على بعض أجزاء هيكل الانسان ـ جمجمة هنا ، أو بقايا هيكل هناك . وأحيانا لا تعتمد إلا على سن واحدة يبتني العلماء عليها بقية الهيكل ـ فهل من أجل هذا يستبيح مسلم أن

يشك فى القرآن إذا أعوزه التوفيق بين آياته ونظريات التطور فى خلق الانسان ؟ على أن التوفيق بين مبدأ التطور العام وبين القرآن سهل ميسور . وعلى أى حال فالتطور جملة أدل على فعل الله سبحانه لا كما يتصور الطبيعيون .

ويجاوز صاحب الاغلال تطور الاحياء إلى الجماد فيقول بتطوره ولم يقل به أحد ، ويذهب فى ذلك إلى أبعد الحدود ، فيحاول أن يفسر البعث بالتطور بعد أن يؤكد اطراد الترقى التطورى ، واستمرار التطور من غير انقطاع ولا انتكاس ؛ مع أن هذه نقطة كثر فيها الخلاف بين التطوريين . وقد يستقيم له تخيل سماوات غير السماوات وأرضاً غير الارض عن طريق التطور كما حاول فى تفسير (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) لكن التطور المطرد الترقى حتى فى الجماد ان استقام مع هذه الآية فلا يستقيم مع آيات نسف الجبال وانفطار السماء وانتثار الكواكب . وحتى لو استقام مع هذه فلا يمكن أن يستقيم مع بعث الأموات فرداً فرداً مهما اتسع خيال القائل بالتطور الآلى الناشىء عن طبيعة المادة وطبيعة الوجود الذى يقول به صاحب الكتاب

صاحب الاغلال والامانة العلمية :

ومهما يكن تاريخ التطور الاعتقادى لصاحب الاغلال فقد تطور فعلا إلى ما تطور اليه مما يتمثل فى كتابه ويتبدى من خلال الرد عليه . لكن بقيت نقطة لها أهميتها ينبغى التساؤل عنها ، إذ على نتيجة بحثها يتوقف الشيء الكثير من الحكم على بواعث صاحب الاغلال .

هل كان صاحب الاغلال مخلصاً فيما يدعي من طلبه الحقيقة بما كتب ؟
إن الانسان قد يؤتى من ناحية الخطأ في التفكير أو من ناحية قلة العلم بل قد يبالغ في الشك من غير مبرر فلا يلحقه من ذلك عار ، لان اخلاصه في طلب الحق يشفع له . فلننظر أين صاحب الأغلال من الاخلاص

إن أول مانلقى من دلائل عدم اخلاصه في طلب الحق تجاهله الكثير من آيات القرآن المضادة لمذهبه ـ ان الرجل جابه المسلمين بشيء كثير فلا يمكن تعليل تجاهله تلك الآيات بالخوف من عاقبة بحثها وعرض مذهبه عليها أو تفسيرها تفسيراً يوافق مذهبه الذى ساقه في الكتاب . وقد كان يستطيع إذا عجز عن التوفيق ان يعرض الأمر من طرفيه في كتابه مبيناً موقف القرآن الكريم والحجج التي تشهد للرأى الذى لم يستطع التوفيق بينه وبين القرآن ، ثم يطلب إلى أهل العلم والرأى حلا للمشكل الذى وقع فيه . هذا إذا كان يؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر كما ذكر في آخر صفحة من الكتاب .

لقد أنكر أن يكون لله سبحانه سلطان على العوامل الطبيعية من نحو تسخيرها لقوم إذا أطاعوه أو إرسالها على قوم إذا عصوه .وقد رد عليه مؤلف هذا النقد الجليل بالآيات القرآنية المقررة لمعجزات الرسل ، وذكرت هذه المقدمة غير ذلك من الآيات القرآنية في اهلاك الأمم التي أصرت على عصيان الرسل؛ وكلا الضربين من الآيات أغفله صاحب الأغلال لكن هناك آيات أخرى تتصل بحياة البشر ولها نفس دلالة الصنفين السابقين

فمن آيات التخويف قوله سبحانه في سورة الاسراء : (ربكم الذى

يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما . وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا ، أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ؟ . أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ؟)

ومن آيات المن واظهار القدرة : قوله سبحانه من سورة النور : (ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار)

ومن سورة الروم (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا ، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين . الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين . فانظر إلى آثار رحمة الله .) الآيات

فهذه آيات نص فى موضوعين على الأقل من المواضيع التى خالف فيها صاحب الاغلال اجماع المسلمين ، وهو طبعا يعرفها وكان عليه أن يعرض عليها مذهبه الذى ذهب اليه إن كان لا يزال يؤمن بالقرآن

لكن لا يزال هنالك احتمال بعيد ضعيف أن صاحب الكتاب لم يكن

يعرف هذه الآيات وأمثالها ومواضعها من القرآن . فهاك آيتين لا يمكن أن يتطرق اليهما مثل هذا الاحتمال ، لأنه استشهد باحداهما وأختها تنقض معناه الذى استشهد عليه، وهما آيتا الأحزاب خطاباً منه سبحانه لزوجات الرسول (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ، إن الله كان لطيفاً خبيراً) . فقد فسر (واذكرن) بمعنى علمن الرجال والنساء ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ولم يتعرض لقوله تعالى (وقرن فى بيوتكن) بصرف النظر عما فى معناه الذى ذهب اليه فى (واذكرن) من غرابة وتكلف وبعد .

وهاك شاهدا آخر أظهر من هذا . فقد زعم صاحب الاغلال أن الاسلام يسوى بين المرأة والرجل فى كل شىء ، وأورد دليلا على زعمه قوله تعالى (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) وسكت عن بقية الآية (وللرجال عليهن درجة) وهو سكوت ينطق بقلة حظ صاحبه من الأمانه والاخلاص .

على أننا إذا جاوزنا استشهاده بالقرآن إلى استشهاده على سوء رأى بعض أئمة الدين وجدناه يخون فى الاستشهاد هنا كما خان فى الاستشهاد هناك . لكننا لن نستطيع أن نشير إلا إلى مثلين مما كتب فى أمر التوكل على الله وما افتراه فيه على المسلمين .

أول المثلين ما نقله عن عوارف المعارف للسهروردى من حكاية يشنع

بهما على التوكل والمتوكلين : حكاية القنبرة العمياء التى لما شاهدها أحد المتوكلين فى البادية تنشق لها الأرض عن سكرجة فيها سمسم وماء فأكلت وشربت رجع هو عن السعى والطلب . والحكاية موجودة فى السهروردى حقاً لكن موجود بعدها غير بعيد منها حكاية المتصوف الذى خرج إلى البادية وأقسم ألا يسأل أحداشيئاً حتى كاد يهلك فنودى ان وعزتى وجلالى لا رزقتك حتى تدخل الأمصار ، فدخل فرزق فنودى مرة أخرى : أردت أن تبطل حكمتى فى الأسباب ، ألم تعلم أن رزقى العباد على يد العباد أحب إلى من أن أرزقهم بيد القدرة ؟ هذا أو قريب من هذا هو خلاصة الحكاية الثانية، وهى ضد مراد صاحب الأغلال من الحكاية الأولى على خط مستقيم؛ وقد كانت الأمانة تقتضى أن يذكرهما معاً أو يتركهما معاً، لا أن يقتصر على ذكر مايلائم مراده من التشنيع .

والمثل الثانى هو ما افتراه على الامام الغزالى فى أمر التوكل، فقد اقتبس جملة انتزعها من موضعها فدلت على غير مراد الامام وترك آراء الغزالى فى التوكل وشروطه ومراتب أهله الى آخر ذلك التحليل العلمى الدقيق مما تجده فى باب التوكل فى الاحياء، ومما هو وما رماه به صاحب الأغلال على طرفى نقيض . لكن صاحب الأغلال لايكتب ابتغاء الحق ولكن ابتغاء التشنيع . ولا بأس عنده فى سبيل تحقيق غرضه من التلبيس والتحريف

والشواهد على عدم أمانة الرجل كثيرة فى كتابه نقتصر مما بقى منها على ثلاثة قصيرة ولكنها كبيرة الدلالة .

الأول قوله فى باب التوكل أيضاً :

« وفى قواميس اللغة . توكل على الله واتكل استسلم » وإذا رجعت إلى القاموس وجدت « استسلم اليه » لا استسلم فحسب . وحذف « اليه » يوهم الاستسلام لغير الله، وذكرها يقيده بأنه إلى الله ويذهب بكل ما أراد صاحب الاغلال الاستشهاد به عليه، إذ لا حرج على المسلم ـ بل الفخر كل الفخر ـ أن يستسلم إلى الله اذ هذا من المعنى الأساسى للاسلام . هذا واحد .

الثانى أنه أراد أن يتهم أهل الحديث النبوى بالوضع على النبى ما لا يمكن أن يكون ﷺ قد قاله، فأورد فيما أورد حديث « أكثر أهل الجنة البُله » ونقل معناه عن قاموس النهاية لابن الأثير وأسقط ما نص عليه ابن الأثير فى آخر شرحه إذ قال « فأما الأبله وهو الذى لا عقل له فغير مراد » . واستباح صاحب الأغلال هذا الاسقاط ليوهم قارئه أن المعنى على المتبادر من اللفظ .

لكن لعل من أظهر الدلائل على خيانة الرجل فى البحث بيتاً استشهد به فغير فيه لفظة لو ذكرها على أصلها ما أسعفه البيت بما يريد من النعى به على قوم يزعم أنهم يعبدون قبور أناس بعد الموت وقد كانوا لا ينصفونهم فى الحياة : قال « وقد قيل فى هذا المعنى أو ما يشبهه :

لا ألفينك بعد الموت تعبدني وفى حياتى ما زودتنى زاداً

والبيت « تندبنى » كما هو معروف، لكن لا بأس فيما يظهر من مثل هذا التحريف والتلبيس بالحذف والتبديل فى مذهب صاحبنا الجديد

والآن لا بد من وقفة عند هذه الظاهرة فى هذا الرجل الغريب . لا نظن الرجل كان يستبيح مثل هذا الغش والكذب فى أيامه الأولى التى حدثنا هو عنها - أيام كان يحذر الآخرة ولا يبالى بالدنيا ، وأيام كان يرجو الله ويخشاه ولا يرجو ولا يخشى سواه . أما بعد أن صار سببياً محضاً وماديا يرى المادة غاية الحياة ، فقد انقلب عن فضائله الأولى التى عاقته عن بلوغ حظ الناس من الدنيا ، وأخذ يسلك إلى الدنيا سبلها غير متقيد بقيد عله يختصر الطريق إلى ما فاته منها ، فكان هذا الذى قصصنا عليك من خيانته فى النقل وفى التفكير . والغاية تبرر الواسطة عند من يتحلل من قيود الدين ، على ما فى الغاية عند هذا الرجل من سقوط .

* * *

وبعد فقد طالت هذه المقدمة فوق ما كنا نريد ، لكن لا بد لنا مع ذلك من أن نتلمس وجه العبرة فى هذا المثل الفذ من أمثلة الانقلاب الدينى - مثل هذا الرجل الذى كان بالأمس من المؤمنين الحمس فأصبح يرى التدين لا يأتى بخير ، ويرى الدين لا فائدة فيه

أما فرق ما بينه اليوم وبين نفسه بالأمس من حيث السلوك فقد رأيت طرفاً منه فيما قصصنا عليك . ولو قرأت كتابه لرأيت سحق ما انقلب اليه : تقرأ له فتقول دهرى يتكلم ، ثم تقرأ فتقول صهيونى يتكلم ، ثم تقرأ فتقول شيوعى يتكلم . ولعل فى هـــــذا ما يفسر طلبه الدنيا عن طريق مناصبته الاسلام العداوة ، ومبالغته فى ذلك حتى ليخيل إليك أنك إزاء كلب أو ذئب عقور يحاول أن يعقر من الاسلام كل ما يرى لولا أنك ترى

أحيانا من خداعه وختله ، ودورانه ولفه ؛ ماينذرك أنك تجاه عدو يكيد ولكن كيد مفتون مغرور .

فلنترك الرجل وما اختار لنفسه ،ولنتساءل كيف أمكن أن يقع مثل هذا الانقلاب ؟ كيف أمكن أن يأتى الرجل مصر متديناً زاهداً متشدداً كما يقول ثم ينقلب فيها إلى ما انقلب اليه ؟ أى وسط وأية بيئة مصرية أثرت فى الرجل ذلك التأثير ، ونقلته تلك النقلة ؟

إن المشتغلين بالاصلاح فى مصر لا يستغنون عن كشف تلك البيئة والعوامل فيها ، فانها إذا كانت قد أثرت ذلك التأثير فى ذلك الزاهد الأحمس على حد وصفه لنفسه فى طوره الاول ، فأى تأثير يكون لها فى من يتعرض لها من شبابنا وليس لهم من الوقاية الدينية ما كان لذلك المسكين ؟

على انه سواء عرفنا تلك البيئة أو لم نعرفها فلا مناص لأولى الأمر القوامين على المسلمين فى مصر وفى غير مصر من أن ينظروا بجد فى هذا المشكل ، مشكل صيانة النشء الاسلامى ووقايته مما استجد فى البيئة الاسلامية من العوامل الهدامة للدين فى النفوس . والعبرة فى صاحب الاغلال من ناحيتين : ناحية تربيته الدينية الأولى فهذه ثبت أن مثلها لا يصون ولا يقى . فيجب أن نتجنب مثلها فى تربية نشئنا . والأخرى ناحية البحث عن تربية اسلامية صالحة تصون وتقى وتكفى على الأقل لرد عادية الشبهات الحديثة التى لابد أن تعرض للمسلم فى هذا العصر الحديث حتى إذا وجدوها — ووجودها ميسور — اتخذوها ونفذوها على الوجه الذى يكفل تحقيق الغرض منها فى بيئات التعليم والتربية على اختلافها .

ولابد من اختلاف فى صور تلك التربية يناسب الاختلاف فى تلك البيئات . لكن الروح يجب أن تكون واحدة . روح القرآن وروح العلم الطبيعى : علم الفطرة التى دينها الإسلام .

وإلى أخوى فى الاسلام اللذين أتاحا لى فرصة التعبير عن هذه الآراء خالص تحيتى وشكرى ، ثم خالص دعائى أن يجزيهما الله عن الاسلام وأهله خير الجزاء .

محمد احمد الغمراوى

شعبان سنة ١٣٦٧

يونية سنة ١٩٤٨

نأسف لوقوع بعض أخطاء فى هذه المقدمة ، فقد وقع فى صفحة (س) فى السطر الرابع كلمة (رجال) وصوابها (رجالا) وفى السطر العاشر منها كلمة (الرسول) وصوابها (الرسل) .

كلمة الأستاذ الأديب سيد قطب

نشرت بمجلة السوادى

هذى هى الاغلال

لم أكن أنوى أن أكتب شيئا عن هـذا الـكتاب ، لا خيراً ولا شرا . فلعل صاحبه أن يصل إلى أهدافه الحقيقية من طريق الشر والخير سواء .

وللكتاب وصاحبه معى قصة ما كنت لأفشيها للناس لولا أنهـا تكررت مع غيرى فلم تعد سراً .

أهدى إلىّ الرجل كتابه ، ومضت فترة لم أكن قد فرغت فيها لقراءته . ثم تفضل فزارنى مع صديق كريم عزيز أحمل له فى نفسى وداً مكينا ، وسر لى الصديق ثم أعلن أنه وافد إلىّ فى مهمة . إن حرية الفكر فى خطر .

فهذا الرجل صاحب الكتاب قد عنت له أفكار وآراء جريئة فأودعها كتابه ، وخصومه من الرجعيين والنفعيين فى الحجاز يدسون له هنـاك وأنه على وشك أن يستدعى لمحا كمته ، وربما لشنقه ! وأن علىّ ككاتب يقدّر رسالة الفكر أن أشارك فى الذود عن حرية الفكر الموشكة على الاختناق .

ولم يكن بد من أن أتحمس فى أول الأمر فعزيز على صاحب فكر وقلم أن يسمع ويرى خنق حرية الفكر ولا يتحمس أو يثور ، ووعدت أن أفعل فى حدود ما أستطيع .

وجلس الرجل وأخذنا بأطراف الحديث — فى دارى — وشيئاً فشيئاً بدأت أشم رائحة فى الحديث . رائحة ليست نظيفة .

هذا رجل يريدنى على أن أفهم أن الانجليز فى الشرق قوم مصلحون لا مستعمرون . وأن وسائلهم فى الشرق أرق وأكرم من وسائل المسلمين عند ما استعمروا الشعوب .

وليس — المسلمين — هم الأتراك مثلا فأجد عذراً ، ولكنهم أصحاب محمد بن عبد الله وعمر بن الخطاب . بل القرآن الذى أباح التخريب والتمثيل .

وكان ذلك كله رداً على ما قلته له : من أن الاستعمار لا قلب له ولا ضمير . وأن الحضارة الأوربية الحديثة تستخدم وسائل غير إنسانية فى الحروب وغير الحروب .

إن المسلمين صنعوا تلك الشناعات وبعد ما صنعوها جاء القرآن ليبررها لهم ، « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله » ! ولم يرد أن يستمع إلى حديثى عن وصايا النبى للقواد ، ولا إلى وصايا خلفائه الانسانية الرحيمة .

فليكن ! فقد تكون تلك عقيدة يجاهر بها صاحبها ويتحمل تبعاتها ونتائجها ! ثم ماذا ؟

ثم يجب أن ننفي العنصر الاخلاقى من حياتنا . فالحياة لاتعرف العناصر الخلقية ؛ ولا قيمة لها فى الرقى والاستعلاء . هذا والمسلمون لم يكونوا فى أى عصر من عصورهم حتى أيام محمد إلا فساقاً فجاراً . وهم الآن فى البلاد المحافظة أفسق وأفجر ؛ ولا عبرة بهذا كله . فقد كانوا أقوياء وهم فساق فجار لأنهم آخذون بوسائل الحياة المادية ، وهم ضعفاء اليوم — مع فسقهم وفجورهم — لأنهم لا يأخذون بوسائل الحياة المادية .

والمعول على هذه الوسائل ، لا على بر أو فجور !

فليكن أيضا ، فقد تكون تلك عقيدة الرجل ، وأنا مستعد أن أستمع لكل عقيدة يجاهر بها صاحبها ، ويتحمل تبعاتها ونتائجها .

وطال الحديث . وأنا — بعد هذا كله — لا أزال معتزما أن أقرأ الكتاب ، فإن وجدت فيه حرية رأى حقيقية وفكرة ناضجة قوية . دافعت عن الرجل ولو خالفته فى فكرته كل المخالفة !

ثم عدت إلى الكتاب . وهنا تحول شعورى إلى اشمئزاز عميق .

هذا رجل ينافق يريد أن يطعن الطعنة فى صميم الدين خاصة ثم يتوارى ويتحصن فى الدين وينكر ماقد يفهمه القارىء من بعض النصوص ومن روح الكتاب كله ؛ وراء النصوص .

ثم هذا رجل يسفسط ولا يأتى بشىء «دون كيشوت» جديد يطعن فى الهواء ويحارب أفكاراً لم يعد لها وجود منذ خمسين عاما على الأقل .

ثم هذا رجل يسرق أفكار غيره بالنص ، وينكر أن يكون قد قرأ شيئاً عن هذه الأفكار .

ثم — وهو الأهم — هذا رجل مريب!

١ — « فطبيعة المتدين — غالباً طبيعة فاترة، فاقدة للحرارة المولدة للحركة المولدة للابداع »

« ونرجع لنكرر مرة أخرى أن الدين نفسه لا ذنب له ولكن الذنب ذنب النفوس البشرية التي لم تستطع أن توجد التعادل بين الكفتين والتوفيق بين الروحين: روح الدين، وروح العمل للحياة »

هكذا: طبيعة « المتدين » غالباً طبيعة فاترة فاقدة للحرارة. الخ. ثم « الدين نفسه لاذنب ! وأمثالها فى كل موضع كثير: والحديث عن الخلق كالحديث عن الدين، فهو دائما ضد العنصر الأخلاقى يراه قيداً معجزاً وضعفاً زريا. ثم يتوارى بعد هنيهة وينكر ما تنطق النصوص.

هذا رجل تنقصه الجرأة على أن يقول ما يريد أن يقول، وإذن فلا حرية فكر؛ ولا خطر على حرية الفكر! إنما هى دعوة خبيثة ملتوية ضد التدين، وبخاصه الاسلام وضد الروح الخلقية فى النفس والضمير!

٢ — مَن من الشعوب الاسلامية الآن يكتفى فى مجاهدة الغربيين بالدعاء بأن يحرق الله بيوتهم وييتم أطفالهم؟ الخ

قد تكون هذه بعض دعوات المنابر التقليدية ولكن الشعوب هذه هى تجاهد وتقاوم وتكافح وتثور وتسيل دماؤها فى كل مكان. ولكن المؤلف لا يرى فى المسلمين إلا هؤلاء الداعين على بعض المنابر ويجىء بكتابه ليقول: إنكم جميعا — سواء — أخطأتم الطريق

بالاقتصار على هذا الدعاء.

وهكذا معظم كفاحه لتصحيح أفكار المسلمين « دون كيشوت » يطعن فى الهواء وينازل الأشباح، ويحارب الأفكار التى حاربها الزمن منذ خمسين عاما أو تزيد

٣ — وفصل ضخم — هو أحسن فصول الكتاب — عن الايمان بالانسان وهو عنوان كتاب للاستاذ عبد المنعم خلاف، ولا يشك إنسان فى أن مؤلف الأغلال انتفع بهذا الكتاب انتفاعا كاملا تاما، وليس فى هذا من حرج. ولكن الرجل حينما سمع منى اسم الكتاب أبدى انه لم يسمع به أصلا.. لم أحترم هذا التجاهل، لانه ليس سمة الباحثين المخلصين.

٤ — « نؤمل اليوم أن تحمينا بريطانيا وأمريكا من هذا الغزو المحيط الماحق (الغزو الصهيونى) مع انهما هما الخصمان! إننا نخدع أنفسنا كثيراً ونضللها حينما نظن أن فى حولنا — لو تخلت هاتان الدولتان — أن نحمى أنفسنا بقوانا الخاصة من غزو الصهيونية وأخطارها، فالصهيونيون مسلحون اليوم بأعظم وأحدث القوى العلمية والصناعية والمالية والفكرية والدولية؟ أما نحن فنكاد نكون مجردين من كل ذلك »

وإذن فعلينا أن نبدأ فى الاستعداد لحماية أنفسنا وإلى أن نستعد يجب أن نحافظ على بقاء قوة انجلترا بجانبنا لتحمينا من الغزو الصهيونى!

هنا رائحة ما!

هذا رجل لا يخاف عليه من اعتقال ولا شنق ولا سواهما، انه رجل

يعرف طريقه جداً فلا داعى للخوف الشديد !

وعلمت أن الاسطوانة التى أُديرت على أذنى أديرت على آذان الكثيرين واستنهضت بها أريحية الكثيرين ، وقد تحمس الأستاذ اسماعيل مظهر فكتب كلمه قوية فى الكتلة عن الكتاب . وأنا واثق أنه لم يقرأه إلى نهايته . وإلا فلن تفوت فطنة الأستاذ اسماعيل أن تتبين فى ثنايا الكتاب شيئاً غير نظيف !

وكنت بعد هذا كله على نية أن أسكت لولا أن وجدت بدء ضجة مفتعلة تعطى الكتاب أكثر من قيمته وتصور المسألة فى غير صورتها ولابد أن الأستاذ السوادى وأنا أعرف أريحته — قد تأثر بالاسطوانة المثيرة ففتح صدر جريدته للدفاع عن حرية الرأى المهددة بالشنق ، لقد كنت على استعداد أن أدافع عن الرأى المخالف لو وجدت شيئاً ذاقيمة ، ولو وجدت إيماناً حقيقياً بفكرة ، ثم لو لم اشم هنا وهناك رائحة شىء ما ؛ شىء غير نظيف ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما حمد نفسه ، والصلاة والسلام على خير خلقه المصطفين خصوصاً خاتم المرسلين محمد وعلى أصحابه بدور الهداية وشموس الرشاد وآلهم ومن تبعهم على صراطهم المستقيم الى يوم الدين .

(وبعد) فلما ألف علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى رسالته المسماة (تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمى فى اغلاله) لم يذكر فيها نصوص كتاب « هذه هى الأغلال » بألفاظها ونصوصها بل اكتفى بذكر معانيها اختصاراً ، مشيراً إلى أرقام صفحاتها استقذاراً لها واحتقاراً ، ولكن دعت الحاجة لذكرها نصاً لأمرين (أولهما) قطع شغب المشاغب وجدل المجادل والمعاند ، بدعوى أن الشيخ لم يفهم تلك النصوص فغلط فيها (ثانيا) أن تكون عمدة لمن ليس عنده الكتاب « الاغلال » فى حكمه عليه وعلى صاحبه بنفسه .

وربما زدت شيئاً يوضح غرض الكتاب ومرامى مؤلفه وأهدافه التى يرمى إليها بعبارته الملتوية ونفاقه المقنع وجبنه عن الصراحة والصدق اللذين هما أهم سند الدعاة المصلحين الذين يريدون الخير لأنفسهم وللناس اجمعين . وهاك نصوص نصوصه وما أردت نقله ورده .

آخر صفحة ١٥٦ وأول ١٥٧

(ويشهد لذهابه — يعنى النبي ﷺ — فى حب الجمال مذهب الكمال أنه كان دائماً يحتضن الطبيعة ويحنو عليها ويعمل على اجتلائها وعلى الخلوة بها)

فهذا هو فهم الماديين الذين ينكرون ماوراء المادة من عالم الغيب كرب العالمين وملائكته ووحيه لصفوة خلقه وتصويرهم للنبوة والرسالة والوحى السماوى الذى يؤمن به أهل الأديان جميعا وينكره الماديون الدهريون. لخص الكاتب فكرهم بعبارة مقتضبة مبهمة مبرقعة - وسيأتى تبسيط فكرته فى غضون كتابه وإسفار وجهها مما لا تحتاج معه إلى استنتاج ، بل نقل النصوص بألفاظها كاف واف للحكم على مرامى الكاتب وأغراضه وأهدافه .

ثم وصف خروجه ليلا إلى البقيع لزيارة قبوره ووصف حاله حينئذ فقال (ص ١٥٧)

« انه فى الصحراء انه يناجى السكون والظلام والنسيم والسماء . . . . انه يخاطب ماحوله بلغة هى فوق الحروف والالفاظ . إنها لغة تموت عندها الالفاظ والحروف . . انه يرى فى الكواكب فوق الاشراق والارتفاع والنظام والدوام فتمتلىء نفسه الكبيرة بهذه المعانى . ويذهب تصوره لها إلى أن رسالته يجب أن تشرق إشراقها وترتفع ارتفاعها ، وتدوم دوامها ، وتنتظم انتظامها ، انه يفره من هذا الاشراق والانتظام والدوام مايرفع عن نفسه الحدود والقيود والعوائق والموانع انه يقفل من هذا المشهد الرائع معتقداً أنه لا شىء يستطيع أن يقف فى طريق الجمال الذى تزود به مما شهد ورأى والذى قفل به ، عن أن يتم وعن أن يأخذ طريقه إلى الوجود ، انه رأى قمراً واحداً وسع نوره الكون، وشهد

سماء واحدة قد أظلت الوجود وانه الآن ليرى قلباً واحداً يستطيع أن يتسع للوجود وأن يملأه ضياء وحرارة . . . .

انه لا يستطيع فراق الطبيعة لانه لايستطيع فراق الجمال . . . إن الليل والنهار والظلام والضياء والشمس والقمر والكواكب والنجوم والكسوف والخسوف والرعد والبرق والغيم والصحو والرياح والنسائم والجبال والسهول والانهار والغدران وكل النبات والحيوان وكل ساكن ومتحرك ان كل شيء من هذا ليأخذ بلبه وببصره ويلهمه الجمال»

أما وحي السماء ونزول الروح الأمين على قلبه وقرآن منزل عليه من رب العالمين لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً ولو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله أو بسورة منه ما فعلوا ولن يفعلوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، فهذا كله ليس له موضع فى تفكير كاتب الأغلال ولا يستحق قليلا ولا كثيرا من جهوده وعنايته التى وجهها لتقرير المذهب المادى وتوضيحه فى كل مناسبة من كلامه وفى غير مناسبة كما سيأتى ذلك مبسطاً موضحاً .

أول ص١٥٨

« لقد بدأ رسالته بالخلوة بالطبيعة ومناجاتها فوق غار حراء وختمها بمناجاتها أيضاً وهو فى حجر عائشة بينما كان يجود بأنفاسه فلقد كان فى تلك الساعة شاخصاً ببصره إلى السماء لايحوله عنها هول ولا أهل ويقول (اللهم الرفيق الأعلى)

ونقول للكاتب :الرفيق الأعلى ليس هو الطبيعة ،وقصة زيارته ﷺ للبقيع كانت لزيارة القبور والسلام على الأموات المؤمنين فيه. وسؤاله الله تعالى الرفيق الأعلى كانت دعاء لله تعالى أن يلحقه بأهل الرفيق الأعلى من

الملأ الأعلى فى أعلى جنات الفردوس التى هزأ بها الكاتب وبالمؤمنين بها آخر كتابه ، فرويداً حتى تمر به فى حينه .

لهج الكاتب بذكر الطبيعة وتفريقها بين الانسان والحيوان (ص ٥٥ـ ٥٧) وقرر نظرية دارون الطبيعى الانكليزى « أن الانسان مترقٍّ عن الحيوانات التى دونه كالقرود ونحوها » وليس مخلوقا من تراب وطين مسنون كما أخبر الله بذلك فى كتابه ، فقال (ص ٤٧)

«لامحالة من أن نتصور الانسان فى بداية وجوده عارياً من كل معرفة كما كان عارياً من كل لباس . . .

واستنتج ذلك من حال الطفل يأتى إلى هذه الدنيا حينما يأتى عارياً من جميع المعارف فقال

«وجاء إلى هذه الحياة — ولا مجال للجدل كيف جاء[1] — كما يجىء الأطفال اليوم على أحسن تقدير على أن من الواجب أن نعتقد أن هنالك فرقاً عظيماً من حيث الاستعداد والطاقة بين أطفال اليوم والانسان الأول لأن أطفال اليوم يحملون فى دمائهم تراث الآباء والاجداد كله بخلاف الانسان الأول الذى جاء لا يحمل معه سوى ماورث من منبته[2] إن كان فيه مايورث . نعم جاء إلى الحياة كما يجىء أطفال اليوم من حيث التجرد من كل معرفة ومن كل لباس لا يعرف لغة ولا كتابة ولا إشارة دلالة على الكلام »

ثم سار فى وصف جهالات الانسان الأول ، وعدم فهمه للأمور

---

(١) لم يفصح الكاتب بما يعتقد فى كيفية مجىء الانسان الأول أبى البشر جبنا منه عن الافصاح وإن كان قد لوح بذلك تلويحا هو كالتصريح (٢) يريد أصله الحيوانى الذى ترقى عنه

حوله ، وفزعه من الرعد والبرق والريح ونزول المطر وجريان الانهار ، ورعبه من الظلام ، وتخيله الأشباح المؤذية المهاجمة .الخ إلى أن قال (ص ٤٨)

« فراح يعبد كل مايرى أو يسمع عبادة ساذجة حقيرة، فكان الانسان إذ ذاك يتلخص فى شيئين : فى الجهل المطلق لكل شىء وفى عبادة كل شىء متقلب مضطرب ونعود فنقول مرة أخرى ان أحسن وأصدق صورة ترسم للانسان فى ذلك العهد هو الطفل من حيث العرى من كل لباس علمى وبدنى »

ثم سار فى شرح نظرية تطوره من الحيوانية إلى أن قدر أن يتفاهم بالأصوات التى لا مقاطع لها ولا معاني كالأطفال سواء حينما يلحون فى طلب حوائجهم بالبكاء والصراخ فقال (ص ٤٩)

« ثم ترقى بقصد أو بغير قصد [١] بأن ذهب يتخذ لنفسه طريقة للتفاهم والتخاطب أفضل من التصويت المبهم فذهب يتخاطب بالاشارات والحركات — إلى أن ظفر بعد مالا يمكن تخيله من العناء والمشقة والزمان بما يصح أن يسمى أول لغة انسانية ذات مقاطع وحروف مفهومة . . . »

ثم شرح كيف اهتدى للكتابة والصناعات الخ. بما هو تطبيق لنظرية النشوء والارتقاء ، وخروج الانسان الاول آدم الذى خلقه الله بيديه وأسجد له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شىء ؛ خروجه من نحو القردة لايفهم ولا يتكلم ، ويفزع من كل شىء ، ويعبد كل شىء مما حوله . الخ واقرأ من (ص ٤٧ — ٥٤) من أغلاله

هذا ومناقضة هذه النظرية لنصوص الديانات لاتخفى على من تأملها ،

(١) يعنى ولا دخل للعناية الالهية ولا لهداية الرسل. فأين قول الله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء) (وعلم آدم الاسماء كلها)

وعرف ماجاء على ألسنة الرسل كلهم فى كيفية خلق أبيهم وأبينا آدم ﷺ

واسمع كلام أهل العلم الحديث الآن فى هذه النظرية على لسان عالم من علماء الأحياء هو «لوكنت دى نوى» مؤلف كتاب « مصير الانسان» الذى قرظه الدكتور «روبرت مليكن» الحائز لجائزة «نوبل» فى علم الطبيعة بقوله « يأتي بالبراهين العلمية على زيف الفلسفه المادية ، ولست أعرف أحداً سبقه إلى هذا ، وما من أحد يستطيع حمل هذا العبء مالم يتمرس بأحدث مكتشفات الرياضة والطبيعة والكيمياء وعلم الأحياء ووظائف الاعضاء . إنه رجل يبنى للحق فى العلم والدين ، وكتابه من القوة والسداد بحيث لا يتيسر مثله أكثر من مرة أو مرتين فى قرن واحد » اه

ويقول فيه «ملتون أورسفر» من كتاب صحف أمريكا الشهيرة « منذ وضع « دارون » نظريته فى التطور أخذ الشك فى قواعد الدين المسيحى — قلت : والاسلامى (١) والموسوى — ينتشر وفتن الناس بأن يعدّوا الانسان وليد المصادفة فى عالم الأحياء ؛ وأن ينكروا وجود الروح وحريتها فى أن تختار بين الخير والشر ، وأن يروا الحياة شيئاً لا غرض له ولا معنى ، وأصر أهل الشك أن العلم قد صرع الدين

« بيد أنا نسمع اليوم صوتاً جديداً . صوت عالم ينادى بأن العقائد القديمة صحيحة كلها ، والداعية الجديد إلى الايمان بالله هو عالم من علماء الاحياء

---

(١) مع الفارق الكبير ، ان الشك الذى ترتب على نظرية دارون فى الدين الموسوى والمسيحى كان عاما أو شبه عام ، أما فى الدين الاسلامى فكان خاصا ببعض مقلدة الغرب من المسلمين (غ)

اسمه الدكتور «لوكنت دى نوى» وقد كان من قبل أحد علماء معهد روكفلر ومعهد «باستور» وقد كشف فى كتابه العجيب (مصير الانسان) عن نظرية جديدة للتطور ، وحاول من طريق العلم والمنطق أن يثبت ما كان مثاراً للجدل من المعانى السامية التى تاقت اليها نفوس البشر منذ أول عهدهم بالحياة كحرية الارادة ومعنى الحياة والخلود ، ووجود الله سبحانه وتعالى ، فيجعلها حقائق لا مماراة فيها

« يستهل عالم الأحياء «دى نوى» كتابه باعترافه بأن العلم عرضة للخطأ فينبغى لنا أن لا نثق به ثقة عمياء ، فليس فى هذه الدنيا شىء نستطيع أن نعرفه معرفة كاملة مطلقة . وحواسنا الخمس يشوبها نقص ، وأدواتنا العلمية لن تبلغ الكمال فى دقتها (تأمل)

« وليس فى طاقتنا أيضاً أن نعرف الحقيقة ، فاذا مزجت الدقيق بالسناج (١) كان لك منهما مسحوق أغبر . فلو سارت حشرة دقيقة بين حبيبات هذا المسحوق الأغبر لكانت هذه الحبيبات فى نظرها صخوراً ضخمة بيضاء وسوداء ، فلا وجود لهذا المسحوق الأغبر كما نراه نحن فى تقدير هذه الحشرة . ونحن نعيش فى كون لا يحيط به إدراكنا ، فكل رأى نراه فى شأن الحقيقة إنما هو رأى نسبى فى هذا الكون الجبار (تأمل) نجد العلم يعبث بأجزاء ضئيلة من المعرفة ، ولكن المهاوى التى تفصل بين ما نعرفه من الحقائق إنما هى مهاو رحبة عميقة ، ونحن نعيش على كرة عمرت حوالى ألفى مليون سنة وعلى هذا المسرح العظيم تمت روائع التطور ولكن

---

(١) الهباب أو غبار الفحم أو الدخان

كيف رفع الستار عنها ؟ لقد استحال علينا حتى اليوم أن نعرف معرفة دقيقة كيف بدأت الحياة ؛ بل لا نرى أحداً قد تمكن من أن يشرح لنا أصل الحيوانات الفقارية التي ننتمي نحن اليها (اسمع)

إن تاريخ التطور كله مشوب بالأسرار الغامضة ، فكل خطوة كبيرة خطاها الأحياء إلى الأمام قد تمت على رغم مناقضتها لنواميس الاحتمال العلمي المحكمة . وكل تقدم من أدنى إلى أعلى كان ارتقاء بعيد الاحتمال

خذ - مثلا - تلك اللحظة التي بدلت فيها الحياة نهجها فى التناسل ، فقد مرت ملايين من السنين وخلايا « البروتو بلاسمة » تتكاثر بالانشطار كأن فيها حياة خالدة(١) ثم ظهر فجأة أسلوب جديد ، فذ فى التناسل - هو التزاوج - ومن أدعى الأمور إلى العجب أن الموت (١)جاء قريناً للتناسل الجنسى حين طرأ هذا التناسل على الحياة

إلى أن قال : إن الثلوج التى تذوب على قمم الجبال تصبح جداول وأنهاراً متدفقة وهى فى طريقها منحدرة إلى البحر ، وهى تنحدر استجابة لناموس لا يرد وهو « ناموس الجاذبية » أما فى التطور فان الحياة لم تنحدر إلى أسفل بل ترقت صعداً يستحثها ناموس لا يرد كناموس الجاذبية

---

(١) يرى بعض علماء الاحياء أن البكتريا أو الجراثيم لا تموت لتكاثرها بالانشطار كل جرثومة تنشطر الى جرثومتين وهلم جرا . فلو هيئت لها الظروف لظلت تنشطر هكذا الى الابد ، ويغفلون عما تحت (لو) هذه من القيود الهائلة : فان البكتريا تموت اذا جفت وبالتعقيم وبالحرمان من الغذاء . هذا الى أن كل شطر من الاشطار ليس هو عين البكتريا قبل الانشطار . فالقول بخلود البكتريا قول بعيد عن الدقة كما ترى (غ)

ومنذ كان العالم صعدت الحياة فى هذا المعراج فبدأت مادة لا شكل لها ، ومضت علواً حتى صار إنسانا له عقل وضمير

فهل عمى العلم عن البينات التى تدل على النهج والنظام فى التطور ؟ كلا فان الحياة فى ترقيها المتواصل كثيراً ما خالفت نواميس الاحتمال الثابتة حتى لنرى أشد الماديين عناداً مضطراً إلى التسليم بوجود قوة مجهولة ..

ولم يكن للماديين بد من أن يطلقوا اسماً على هذه القوة المجهولة لكى يتمكنوا من أن يدخلوها فى نطاق تفكيرهم . ولما كانت جوانحهم منطوية على نفور من اسم الله وصفوها بقولهم «عدو المصادفة» وماداموا يعترفون بوجودها فليسموها ماشاءوا . وقد ظلت الحياة تعمل ألف مليون سنة إلى أن صار الانسان مخلوقا مفكراً وهى خاضعة لسيطرة حافز أصيل هو حافز البقاء ، ثم ظهر خلق جديد من البشر ظهر أنه خاضع لقوة جديدة — فكرة الخير والشر — التى يبذلون المهج فى سبيلها . ثم يقول « من الواضح أن زمام التطور فى المستقبل سيكون فى أيدى الأخيار من الناس ، ولكن ماهو الخير وماهو الشر ؟ أما الماديون فينكرون وجود الخير والشر وأما « دى نوى » فلا يكتفى بتوكيد وجودهما بل يسمى إلى تعريفهما أيضاً — إلى أن قال — فالخير ينبغى أن يكون أيضاً احتراماً للشخصية البشرية ، والشر هو ما كان احتقاراً لها

وإذاً فينبغى أن لا نيأس إذا كان الاخيار ندرة فى هذه الدنيا ، فان هذه القلة هى التى ستسير بالارتقاء قدماً شأنها اليوم كشأنها فى ملايين السنين وهذه القلة سوف تكون طليعة سلالة جديدة ، وأسلاف

الانسان الذى بلغ كمال النمو الروحاني — إلى أن قال

« إن كثيرين من الناس ينظرون إلى المخترعات الحديثه كأنها دلائل الحضارة الحق . بيد أن مثلنا الأعلى ينبغى أن يكون كرامة البشر لا راحتهم . أساء البشر الاختيار بين الخير والشر ، فالعقل يشير بالمطابقة للمألوف والملاءمة والتراضى . ولن يشير بالثورة والمقاومة والتطور ، وانك لاتجد فى تاريخ البشر رجلا ذهب شهيد الرأى المتزن . ولذلك ترى الذكاء وحده خطراً ، فهو وحده الذى صنع القنبلة الذرية ، وإذا الناس يدركون أن ظفر العلم يهدد أمنهم وسلامتهم ؛ فصار الصراع بين الذكاء والمبادىء الاخلاقية مسألة موت أو حياة للناس

ومما يؤسف له أن هناك كثيرين من الناس لايزالون يعدون الانسان حيواناً راقياً لاأكثر ، ولذلك نراهم لا يثبتون سوى حلول حيوانية لمشكلات البشر .

وضرب مثلا بسياسة الطغاة الذين يجندون الناس ويعبئونهم كالحشرات .. ثم قال « ومن هنا نرى الرجل الذكى محيراً لانه لا يستطيع أن يدرك الله الذى لاتدركه الابصار على صورة يفهمها : أهو جبار ذو لحية على صورة الانسان ؟ فى هذا العصر عصر العلم يسهل الرد على السؤال ، فمن ذا الذى يستطيع أن يتصور الالكترون(١) وكل عالم يقول لك : إن الالكترون شىء لايمكن تصوره ، ولا يسعك أن ترسم شكله وليس ثمة رجل قد رآه ، فالالكترون الذى لا يُرى موجود وإن تعذر علينا أن

(١) هو الكهيرب أو ذرة الكهربائية السالبة

تصوره ، فما ظنك بالله الذى لا تدركه الابصار ، والذى ليس كمثله شىء ..

« إننا نعرف قوانين الأخلاق وفى وسعنا أن نلتزمها ، وأهم من هذا نستطيع أن نعود إلى العادة القديمة عادة تهذيب الشباب وتقويم أخلاقهم ، فالكفاح من أجل المستقبل ينبغى أن يبدأ فى المدرسة ، لأن التعليم سلاح من أسلحة التطور ، ونحن نربى صغارنا اليوم يحشون عقولهم بتفاصيل لا تجدى

أما الأخلاق التى لا غنى عنها فيمرون بها مر الكرام ، فكأنك تعلم الزراع أن يزرعوا الأزهار دون أن تعلمهم كيف يحرثون الارض ، فلم لا يفكر أحد فى تعليم الخلق للصغار؟ إن العالم كله ليدرك حقا عظمة المزايا التى تعود عليه يوم يكون أكثر السكان فى الدنيا أهلا للثقة بهم

إن ناموس التطور اليوم كما كان منذ الازل كفاح نحو العلا والكفاح لم يفقد شيئا من حدته وعنفه لان ميدانه قد انتقل من المادة إلى الروح ، ففى البشر نفحة من روح الله ، ونحن أحرار فى أن نهملها ونخمدها أو أن نقترب من عرش الله بما نبديه من رغبة فى طاعة أمره »

انتهى ما أردت نقله مما لخصه عدد المختار (مايو ١٩٤٧) من كتاب (مصير البشر) للكونت « دى نوى »

وقد استفدنا منه أنه ليس فى طاقتنا أن نعرف الحقيقة ، وأن العلم (١) عرضة للخطأ ، فينبغى أن لا نثق به ثقة عمياء ، فليس فى هذه الدنيا شىء

---

(١) يراد بكلمة العلم فى لسان أهل العصر واصطلاحهم : الافكار والآراء التى تثبت بالتجربة والاختبار العملى كالكيمياء والطبيعة والميكانيكا ، ويخرجون من ذلك علوم الدين وكذلك علوم الرياضيات والفلسفة

نستطيع أن نعرفه معرفة كاملة مطلقة ، فحواسنا الخمس يشوبها نقص ، وأدواتنا العلمية لن تبلغ الكمال فى دقتها ، وأننا نعيش فى كون لا يحيط به إدراكنا ، فكل رأى نراه فى شأن الحقيقة إنما هو رأى نسبى ، وانه فى هذا الكون الجبار نجد العلم يعبث بأجزاء ضئيلة من المعرفة ولكن المهاوى التى تفصل بين ما نعرفه وبين الحقائق إنما هى مهاو رحبة عميقة

وان تاريخ التطور كله مشوب بالأسرار الغامضة ، وان كل خطوة خطاها الاحياء إلى الأمام قد تمت على رغم مناقضتها لنواميس الاحتمال العلمى المحكمة ، وكل تقدم من أدنى إلى أعلى كان ارتقاء أبعيد الاحتمال

واستفدنا منه أيضاً ان المثل الأعلى ينبغى أن يكون كرامة البشر لا راحتهم كما يظن كثير من الناس أن المخترعات الحديثه هى دلائل الحضارة ، وأن الذكاء وحده — يعنى بدون الأخلاق والضمير — خطر : فهو الذى صنع القنبلة الذرية فأدرك الناس من ذلك أن ظفر العلم يهدد أمنهم وسلامتهم . فصار الصراع بين الذكاء والمبادىء الأخلاقية مسألة موت أو حياة للناس فان أحيوا أخلاقهم عاشوا بسلام

واستفدنا أسفه أن هناك كثيرين من الناس لايزالون يعدون الانسان حيواناً راقياً لا أكثر . وقوله إنه يجب أن نعرف قوانين الأخلاق وأن نلتزمها . وأهم من ذلك أن نرجع إلى العادة القديمة ، عادة تهذيب الشباب وتقويم أخلاقهم ، وأن يبدأ ذلك فى المدرسه ، وذلك بالتزام الخلق والدين . وتألمه من حشو عقول الشباب بتفاصيل لا تجدى ، وأما الأخلاق التى لا غنى عنها فيمر ن أعليها مر الكرام كتعليم الزراع أن يزرعوا الازهار ون

، تعليمهم كيف يحرثون الارض للحبوب والثمار ، واستفهم منكراً لمَ لا يفكر أحد فى تعليم الصغار الخلق ؟

وجزم قائلا : إن العالم كله ليدرك حقا عظمة المزايا التى تعود عليه يوم يكون أكثر سكان الدنيا أهلا للثقة ،يعنى بالأخلاق الطيبة التى معدنها الدين والايمان بالله تعالى .

فاستفدنا منه جملة عدم الغرور بما يسمونه العلم ، والعناية والثقة بالدين والأخلاق ونشرها بين الناس خصوصاً الشباب حتى يكون للناس مستقبل زاهر بالأمل والثقة والارتقاء والسلام والصفاء (١)

فتأمل هذا كله ثم ارجع إلى ماافتتن به صاحب الأغلال إذ اغتر بالفتات الذى وقع عليه من آراء المتخرصين فى هذا الكون الرحب الفضاء الغامض الأسرار ، فأعجب بها وحقر من أجلها الدين والخلق والعمل الصالح والايمان بالله واليوم الآخر والقدَر والملائكة .الخ . وأخذ يهزأ بذلك وبالمؤمنين به بسخرية تدل على العُجب والزهو وقصر النظر كما سترى ذلك فى كتابه فى مواضعه إن شاء الله تعالى

ثم أعاد الكاتب صاحب الأغلال نظرية تطور الكائنات من المادة السديمية الدخانية إلى التجمع وتكون الشموس ثم السيارات ثم الاقمار —

---

(١) واستفدنا قبل ذلك وفوق كل ذلك استدلال (دي نوى) على وجود الله بنفس التطور الذى ضل به من ضل ،وباتخاذه من الكهيرب دليلا على خطأ من أنكر وجود الاله حين لم يستطع تصوره فان الكهيرب موجود ولا يمكن تصوره لانه تارة يكون موجيا وتارة ماديا كما يبدو من التصوير الضوئى لآثاره (غ)

كل ذلك بطبيعة المادة وقوانينها (ص ٢٨٧ — ٢٩٠) إلى أن قال (ص ٢٩٠)

« أما الانسان فليس هناك شك فى أنه كان منذ ثلاثمائة سنة (يريد ثلاثمائة الف سنه فسقطت لفظ الف كما صرح به فى صفحة ٢٨٨) دع أكثر من ذلك أضعف منه اليوم أجساماً وعقولا ومعارف (يعنى أنه كان فى الحالة القردية أو مايشبهها) وليس هناك من يرتاب فى أنه فى هذه الثلاثة المائة [الألف] السنة قد تحسن من ناحيته الصورية ومن ناحية التفكير ومن ناحية القوة البدنية تحسناً عظيما »

يعنى بتحسن صورته أنه صار منتصب القامة لا شعر على بدنه ، بعد ما كان يمشى على أربع ، مغطى البدن بالشعر ، ذا مخالب وأنياب بارزة حادة ثم صار إنسانا مفكراً متكلما بعد ما كان حيوانا أعجم . ثم استدل بتطور الحضارة على تطور الانسان وبقوله تعالى (وقد خلقكم أطوارا) غير ملتزم ماقاله بعض الشيوخ فى تفسير الأطوار قال :

« وانما نطلق ماأطلقه الله وأن نحمله على أحسن الوجوه »

يعنى نظرية تطور الانسان من حيوان قرد أو شبيه به إلى إنسان آدمى . وأما النصوص فى الديانات كلها فى خلق الانسان الاول (آدم) من تراب ثم من صلصال كالفخار ثم نفخ الله فيه من روحه ، فلا وزن لها عند الكاتب ولا قيمة له فضلا عن الاحاديث كحديث « خلق الله آدم طوله ستون ذراعا فى السماء وأن الصالحين من ذريته يدخلون الجنة على أحسن صورة كصورة أبيهم آدم » الخ وتشريف الله لآدم بخلقه بيديه ، وتعليمه أسماء كل شىء وإسجاد الملائكة كلهم له

وقد سمعت كلام أحد العلماء العصريين صاحب كتاب (مصير الانسان) ورأيه فى نظرية التطور ، وفيما يسمونه العلم وعدم الاغترار به ، وأن

التطور جرى على نهج لا مجال للعلم به .الخ.

***

قول الكاتب « إن الايمان بقضاء الله وقدره والتوكل عليه يوهن المسلمين ويضعفهم ، وانه يجب عليهم ترك ذلك ، وأن التوكل على الله هو العلم بنظام الطبيعة ، وكذلك الايمان بالقضاء والقدر (ص ٢٧ ، ٢٩ ، ٢٦٨ ، ٣١٥) ففى آخر (ص٢٦) وأول٢٧ يقول :

« إن الشعوب تمتاز بالإيمان بالثراء الانسانى الطبيعى ولهذا تحاول الظفر بكل شىء ، والوصول إلى كل شىء ، والتغلب على كل شىء . . وتنقل الانسان فى وجوده وحقيقته من طور إلى طور أعلى وأرقى . . .

ثم مثل بالاغريق والرومان والمصريين القدماء والعرب وأوربا الحديثة وأمريكا طبعاً وغيرهم

« ممن أوجدوا التاريخ الانسانى وصنعوا الحضارات ـ على أقدار مختلفة متفاوتة ـ بفيض من هذا الايمان »

« وكل شعب يكفر بالانسانية ـ الانسانية المطلقة انسانيته هو وإنسانية غيره ـ ويكفر بمواهبها وثرواتها الذاتية الطبيعية ويؤمن بأنها مقيدة بقيود وحدود لاتتعداها ولا تتخلص منها وانها ليست مطلقة القوى وليس متروكا لها الطريق ،الطريق الذى ليس له نهاية تحده ولا غاية تلزمه الوقوف عندها ـ لامحالة أن تفتر همه ويضعف عمله وأن يقف عاجزاً عن التحليق فى سماء اللانهاية وأن يرضى من زمنه بالتافه الحقير والنصيب اليسير »

وفى آخر (ص ٢٨ وأول٢٩)يقول

« فالأمم والرجال الذين وثبوا امتازوا كما ذكرنا بهذا الايمان والأمم والرجال العاجزون القاعدون ـ وكذلك الاطفال لم يرزقوا هذا الايمان بل رزقوا

- وأخبث به رزقاً - بالاعتقاد اللازم المسيطر بأن الانسان خلق عاجزاً محدوداً مهيناً حقيراً لا قدرة له على التحكم فى الطبيعة القاهرة الغالبة، ولا يد له تستطيع الامتداد إلى تغيير هذا العالم الذى أوجده الله ولا إلى تغيير صبغته التى صبغه الله بها

ثم مثل بالفقر والمرض والبطالة والجدب والجهالة والاخلاق والاستقلال والسيادة الوطنية وكل مشكلة، وان هذا الفريق — يعنى المؤمن بقدر الله — ليس أهلا لحل مشكلة منها .. إلى أن قال (آخر ص٢٨ وأول٢٩)

« وما عليهم إلا أن ينتظروا من الله أن يضعها لهم كما يشاؤون ويشتهون وكل ما يجب عليهم فى هذه الحالة أن يطيلوا الدعاء والبكاء وأن يصدقوا الضراعة والمسكنة وأن يجملوا الانتظار . . . أولئك الذين يريدون كل شىء من السماء ومن الآلهة المتعددة الأخرى أما هؤلاء فيعلمون أن عليهم أن يرجعوا إلى أنفسهم وأن يعولوا عليها وأن يطلبوا منها كل شىء، وأن فى استطاعتها أن تهبهم ما فقدوا وما احتاجوا فيبدعون فى الأعمال ويسيرون فى الطريق . أما اولئك فقصاراهم النحيب والدعاء المذل ثم الانتظار الممل . .

ومعلوم أن الدعاء أضعف وسيلة يلقى بها عدو عدوه بل انه ليس بوسيلة وليس له من فائدة سوى أنه يقوم بعملية تعويض (لعله يريد تعويق) وتصريف خبيثة (ومثل بخطباء الجمع) الذين يقرعون مسامعنا كل يوم جمعة بهذه الضراعات الكاذبه والابتهالات الوقحة الذليلة داعين على الآخرين سائلين الله أن يسقط عليهم السماء أو يخسف بهم الأرض . . . ولكن الله لن يصنع ذلك أبداً

(وفى ص ٢٦٨ يقول) « لست أريد أن أقول ان التوكل هو الاخذ بالاسباب مع الاعتقاد بأن الله قد يدخل فيها فيجعلها ان شاء اسباباً ويجعلها إن شاء غير أسباب أو مع الاعتقاد بانه تعالى قد يفعل من غير الاسباب فان هذا هو السفه والفوضى التى لا ضابط لها »

فليعلن غوستاف لوبون فى قبره فقد وجد له خليفة ينعق بأصواته

الحمقاء فى كتابه (الآراء والمعتقدات) من إنكار القدر والرب ؛ وما وراء الطبيعة والمادة والملائكة ، وليس ثم موضع بط دمامله وذكر عباراته بنصوصها وأرقام محالها ، ولعل لذلك فرصة أسنح وأوسع .

« فالايمان بقدرته يوجب بأن ماجعله سبباً لشيء فسيبقى كذلك لن تبطل سببيته بحال ولن يوصل إلى ذلك الشيء بشيء آخر غيره ويوجب الايمان بأن ذلك الشيء الذى جعله مسببا لن يوصل إليه بدونه فبوجود السبب يوجد المسبب وبفقده لا يوجد »

وقال فى ص ٣١٥ وص ٣١٦ بعنوان (مشكلة لم تحل)

« فالمشكلة التى ماأظن أحداً قد درسها دراسة صحيحة وافية هى ان فكرة التدين قائمة على الايمان بسبب ترجع إليه جميع الأسباب لأنه هو خالقها المهيمن عليها ، المتصرف فيها كيف شاء وهذا السبب الذى هو سبب الأسباب أى الله على اختلاف كبير بعيد بين أصناف المتدينين فيه وفى حقيقته — لايحتاج هو إلى سبب فى وجوده وقيامه بنفسه وفى فعله وصنعه فاذا وصلوا إلى الايمان بهذا السبب وإلى الايمان بقدرته الكاملة التى لا يعجزها شيء ولا يند عن سلطانها وقبضتها أمر شكوا فى الأسباب الأخرى التى هى دونه والتى هى من خلقه وصنعه . وإذا ما صاروا إلى هذا الشك فى الأسباب تراخوا فيها وفى الأخذ بها وفى العمل على اتقانها والتعويل عليها وحينئذ تصاب قواهم كلها بالضعف وبالعجز عن الابداع والتبريز وعن الانتاج والعمل البارع العظيم فإن الإنسان لن يكون سببيا محضاً إلامتى آمن بأن هذا الوجود كله مربوط بأسباب آلية طبيعية تسير إلى نهاياتها ونتائجها سيراً آليا طبيعيا ليس لقوة من القوى أن تقف فى سبيلها وأن تتحكم فى نهايتها وهو - أى الانسان — لن ينجح النجاح المرجو إلا إذا كان سببيا محضا فالايمان بسبب الاسباب - يعنى الله تعالى الرب الخالق - يمنعه على حسب ماتصور وبلغ - من أن يكون سببيا وشدم كونه

سببيا يمنعه من النجاح ـ هذا هو كل ما استطاعت مـدارك البشر الدينية أن تبلغ وأن تعرف ،تلك لعمر الله هي المشكلة الحقيقية الـكبرى التي لم يوجد لهـا حل حتى اليوم »

« وقد يقال بعبارة أخرى ـ على حسب تصور المتدين ـ الأسباب إما أن تـكون كافية للآخذين بها أو غير كافية فان كانت كافية فأين الاله وأفعاله وألطافه ؟ فهي إذن غير كافية وإن كانت غير كافية فهي إذن غير خليقة بأن يعول عليها المؤمن تعويلا صحيحا ولا أن يلتفت إليها ومن هنا يصبح غير سببي »اهـ

وأقول أنا محمد بن عبد الرزاق حمزة ـ هذه لعمري هي فلسفة القرن الثامن عشر وماقبله ومابعده إلى نصف التاسع عشر ،فلسفة الالحاد والـكفر والدهرية لخصها غوستاف لوبون في كتابه الآراء والمعتقدات ومنه استقى الـكاتب فعب منها ونهل ، وقاءها في أغلاله دما وصديدا من قرحات باطنه وقلبه .وسأفرد مقالا للجمع بين الاصل وفرعه من كتاب غوستاف وكتاب الاغلال ان شاء الله تعالى . ولا بأس بسوق نبذة منه على سبيل النموذج حتى لايظن أنهامه بغير بينة من كلامه .

قال في كتابه (الآراء والمعتقدات) ص٢٩

« ومع أن علم الحياة الحديث أصاب في نقضه مبدأ علة العلل — يعني الخالق سبحانه— فاننا نرى سلسلة الأشياء تبدو كأنها خاضعة لهذا المبدأ ـ يعني إثبات واجب الوجود الخالق سبحانه ـ يؤيد ذلك كون الشروح العقلية التي أتى بها العلماء لم تقدر على حل كثير من الأمور الغامضة في الـكون »

أقول : لاتقدر ولن تقدر مادامت تنكر أشرف مافي الوجود وأعلى مافيه وعلله الروحية وخالقه الأكبر سبحانه وتعالى

ثم قال (ص ٤٧) « لا أهمية لارتباط الاشياء والحوادث بعضها ببعض عند أولى النفوس الدينية : فالارتباط المذكور فى نظر هؤلاء إن هو إلا أمر يختص بموجودات علوية نعانى عزائمها فقط »

وقال (ص ١٤٨) « لعل أهم ثورة ظهرت فى عالم الفكر هى الثورة التى أدى اليها العلم باثباته ان الحوادث تصدر عن نواميس مهيمنة لا عن أهواء الآلهة : إذ بهذا الاكتشاف تبدلت الكيفيه التى ننظر بها إلى الكون دفعة واحدة ، وهذا الاكتشاف العظيم الذى أخرج الناس من دائرة المعتقد إلى دائرة المعرفة لم يعم بعد ، إذ أن كثيراً من الناس يعتقدون أن قوى ما بعد الطبيعة تسير الحادثات وتقدر على تغيير مجراها عند ما يستغاث بها

إلى أن قال : والانسان بتركه مبدأ الوجوب فى تسلسل الحوادث يعود إلى المبدأ الذى قضى عليه بعد عناء كبير والقائل إن مصدر الحوادث هو الآلهة ذات الأهواء ، فلو أن الحادثات التى يخبر بها أولو الكرامات فى الوقت الحاضر ممكنة لتقهقر العلم طائعاً إلى قرون الاساطير حيث مصير الحروب بيد الآلهة — إلى أن قال :

إن نفس الانسان الدينية تهيمن عليه فى كل وقت فترغمه على الالتجاء إلى ما بعد الطبيعة وإن كان البحث الدقيق فى خوارق ما بعد الطبيعة يدلنا على أن هذه الخوارق عبارة عن أوهام تكونت فى نفوسنا » الخ اهـ

وليس هنا موضع مناقشة هذا الجاهل فى دعواه إن علم الحياة نقض مبدأ علة العلل ، ولا أن خوارق ما بعد الطبيعة أوهام ، وان نفى وجوب تسلسل الحوادث يرجع بنا إلى عصر الخرافات ؛ وإنما قصدنا أن نريك

أصول كتاب صاحب الاغلال ومادة ارتوائه واستقائه ومادة تفكيره التى انتقضت برمتها، وانقلبت رأساً على عقب، وصارت تفكير العجائز عند مفكرى القرن العشرين، وكاتبنا هذا وأمثاله استقوها من كتب غوستاف لوبون وأضرابه كما رأيت؛ وسننقل بطلانها والضحك من مفكريها عن أقطاب العلم فى هذا العصر الحاضر مثل السير جنز العالم الرياضى الطبيعى الفلكى الانكليزى من كتابه (الكون الغامض) ومثل الاستاذ مصطفى مشرفه باشا عميد كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول من محاضرة له نشرت فى المقتطف. ومن رسالته «النسبيه الخاصة» مما يدل على تلاقى آخر سير العقلاء ونهاية سبلهم مع ماجاء فى الدين من أن الله هو الفاعل المختار لا تحكمه أسباب ولا تتحكم فى فعله نواميس، وليس العالم مسيراً بعلل طبيعية آلية كما قرره هذا المأفون الناقص الفهم والاطلاع تبعا لمقلديه وأصنامه، فيتوافق العقل الصريح والدين الصحيح كما قال تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد) وقال (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) وقال (ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) (إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)

جاء فى محاضرة للدكتور مشرفة باشا عميد كلية العلوم الآن بعنوان

(الاضافات الحديثة) (العلوم الطبيعية وأثرها فى تطور الفكر الجديث) نشرت بمقتطف يوليو (١٩٣١) ابتدأها بتصوير تطور الفكر عند الانسان فى مختلف أطواره من طفولة إلى شباب إلى كهولة ، ثم خلص من ذلك إلى تشبيه تطور العلم عند المجتمع بتطوره فى الفرد ثم قال « فالتفكير العلمى إذاً حى متطور تؤثر فى تطوره الخبرة العلمية ، أو بعبارة أخرى الاضافات التى يضيفها العلماء إلى المعرفة البشرية . ثم قال :

« ونحن اليوم — أيها السادة — نعيش فى عصر يشهد تطوراً عنيفاً فى التفكير ، بل انقلابا بليغ الأثر فى مجملنا العقلى ، فوجهة نظرنا اليوم نحو ما يحيط بنا من الكائنات تختلف اختلافا بيناً عنها فى أواخر القرن الماضى بل تكاد تناقضها مناقضة صريحة »

ثم ذكر أن سبب هذا التطور الاضافات العلمية إلى العلوم الطبيعية فى نحو ثلث قرن كما سيصفها . ثم استحسن أن يلقى نظرة على موقف العلوم الطبيعية وحالة التفكير العلمى فى أواخر القرن الماضى فقال

« الكون آلة »

ثم شبه فلسفة القرن الماضى بفلسفة رجل ناجح فى عمله راض عن فلسفته مؤمن بنفسه ثم لخص فلسفة العلوم الطبيعية فى آخر القرن الماضى بقوله « فالكون مؤلف من المادة المحسوسة التى نراها ونلمسها وهى موزعة فى الفضاء الذى يحيط بنا ونحكم بوجوده بالبداهة ، ثم ان الاجسام المادية تتحرك فى هذا الفضاء بناء على قوانين ثابتة كشف عنها وطبقها الرياضيون وعلماء الفلك فحصلوا على نتائج ضرب بها المثل فى الدقة والضبط — إلى

أن قال ـ فالكون إذاً فى نظر علماء القرن التاسع عشر هو آلة هائلة تشتغل طبقا لقوانين ثابتة ، هذه الآلة مصنوعة من المادة التى لا تقبل الخلق ولا الفناء .

وتقوم بالمادة أو ترتبط بها حالات كالحرارة وما أشبه هى مظاهر لشىء واحد هو الطاقه والطاقه كالمادة لا تقبل الخلق ولا الفناء . ومهمة العلم هى معرفة القوانين التى تنظم سير الآلة وتربط الطاقة بالمادة ، والعلماء جادون فى هذا السبيل يضيفون القانون تلو القانون .. فاذا استمرت الحال على هذا المنوال فلا شك أن الانسان سيصل إلى معرفة أسرار الكون فيهيمن عليه ويسيطر على أجزائه

مواطن الضعف

ثم ذكر ما حيرهم فى الضوء الذى ينتقل فى الفضاء الخالى من المادة ، فهو إذاً مستقل عن المادة قائم بذاته لا يمكن أن يوصف بأنه حالة من حالات المادة .

ومثله الحرارة وإشعاعات أخرى ، فليست هى كالحركة هذه الأشعة الضوئية والحرارية وغيرها حيرت ألباب العلماء فى أواخر القرن التاسع عشر وناقضت فلسفتهم مناقضة صريحة .فالتجأوا إلى فرض وجود نوع مستحدث من المادة سموه الاثير لكى تقوم به هذه الأشعة وهو ليس بالمادة التى نعرفها ؛ إنما له خاصية أساسية من خواص المادة هى التكيف حتى يصح أن تقوم به حالة كالضوء والحرارة . ثم لخص الموقف فى أواخر القرن الماضى المادة ذلك الجوهر الذى لا يقبل الخلق ولا الفناء . والطاقة عرض

يقوم بالمادة ولا تتصور وحدها عارية عن المادة ، والزمان والمكان بديهيان ثم هناك فوق هذا كله القوانين الطبيعية ، وهى التى تنظم حركة المادة وما ينشأ عنها من التغيرات ، كما أنها ترتب أمور الطاقة أيضاً وأهمها قانون بقاء المادة ، ويليه فى خطورة الشأن قانون بقاء الطاقة ثم قوانين نيوتن فى الجاذبية

ثم قال « وهنا أصارحكم القول بأن وجهة نظر العلم اليوم : « فى هذه الفلسفة تشبه وجهة نظر الرجل إلى فلسفة الطفل فى حياته ثم وصفها لعبه وهى أهم شىء عنده فى الوجود ، والمنزل والخادمة والطاهى والأطفال الذين يلاعبهم وقواعد اللعب التى يتبعها والأم والأب

فما هى الخبرة التى اكتسبناها والتى حولت نظرنا إلى الأمور عما كانت عليه فى أوائل القرن؟

الحقائق المقلقة

أولا — إذ علمنا تركيب المادة فالذرات التى تتركب منها جميع المواد انحلت إلى الالكترونات والبروتونات التى هى كهرباء خالصة ، فانقلب الموقف فصارت المادة حالة تقوم بالكهرباء بدلا من أن الكهرباء حالة تقوم بالمادة، والالكترونات والبروتونات (١) تتشتت كالضوء إذا مرت فى ثقوب ضيقة فهى ذات خاصية موجية كأنها مؤلفة من أمواج كأمواج الضوء كما تنبأ بها « دى برولى » العالم الفرنسى سنة ١٩٢٦ وحققها عملياً طمسون وجرمر وغيرهما

(١) الالكترون الكهيرب السالب . والبروتون الأبيّب الموجب أو نواة ذرة الايدروجين ومنها تتكون ذرات بقية العناصر : نواة فى قلب الذرة تدور حولها كهيرباتها الخاصة فى أفلاك كأفلاك السيارات حول الشمس

فالمادة إذاً قد فقدت جوهريتها وصارت كالضوء عرضاً يقوم بغيره لا جوهراً مستقلا بذاته. ثم شرح كذلك زوال قانون بقاء الكتلة، فجميع الأجسام تتغير كتلتها بتغير سرعتها

« ولم يقف الحد عند الكتلة والطاقة بل تعداهما إلى الزمان والمكان فقد أصبحا فى نظر علماء الطبيعة ظلين زائلين لا إطلاق لحقيقة وجودهما »

ثم شرح ذلك وضرب له الأمثلة توضيحاً وأشار إلى نظرية اينشتين التى تخلط الزمان بالمكان

« الحالة الآن »

« والآن وقد اختلط الزمان بالمكان وزالت معالم المادة واختلطت بالنور ماذا تظنونه حادثاً للقوانين الطبيعية . ان الزمان والمكان لا يسمحان لى بشرح هذه النقطة الشرح الذى تستحقه ولكن سأذكر لكم وجهة النظر الحالية

اننا نقسم القوانين الطبيعية إلى قسمين . قسم نسميه القوانين الاحصائية وهى لا تعبر إلا عن قوانين الصدفة والاحتمال أمثال قانون بويل للغازات، فما هو إلا نتيجة وجود عدد كبير من جزيئات الغاز فى اضطراب مستمر بحيث لا نظام إلا نظام الصدفة . (القسم الثانى) نسميه القوانين التطابقية ومثاله القانون الذى اكتشفه جحا فى الحكاية المشهورة فأنه كان يسوق عشرة حمر فوجد انه إذا ركب واحداً منها ثم عدها كانت تسعة وإذا نزل ومشى ثم عدها كانت عشرة وهكذا اكتشف جحا قانوناً من القوانين الطبيعية لا يختلف فى كنهه عن كثير من قوانين الطبيعة

وربما كان خير وسيلة لختام محاضرتي ان أقرأ على حضراتكم ترجمة ماختم به السير « جيمس جنز » كتابه (الكون الغامض) .

قال : لقد حاولنا أن نبحث فيما إذا كانت العلوم الحديثة عندها ماتقول عن مسائل صعبة وربما كانت إلى الأبد بعيدة عن منال العقل البشرى ولا نستطيع أن ندعى اننالمحنا أكثر من بصيص ضعيف من النور وربما كنا واهمين تماماً فى لمح هذا البصيص فاننا ولاشك قد اضطررنا أن نجهد أعيننا إجهاداً عظيما قبل أن نظفر بشيء ما ولذا فليس مغزى كلامنا أن العلم عنده قول فصل بل بالعكس ربما كان خير ما نستطيع أن نقوله « ان العلم قدعدل عن إلقاءالأقوال فان نهر المعرفة قدتعرج فى اتجاه سيره مراراً وتكراراً بما لايسمح لنا أن نحكم بالناحية التى فيهامصبه.اه

هذا ماأردت تلخيصه من محاضرة الأستاذ مشرفة باشا عميد كلية العلوم وقد أطلت فى تلخيص المحاضرة المذكورة لما فيها من بيان حال التفكير فى القرن الماضى وهو الذى حشا به القصيمى كتابه « الاغلال » معجبا به يريد هدم الدين والأخلاق بذلك وقد وسمه الاستاذ مشرفه باشا بأنه كفلسفة الطفل ولعبه بالنسبه للرجل العاقل عند مفكرى القرن العشرين وإن قوانين الطبيعة التى يريدنا القصيمى أن نكفر بالله واليوم الآخر لأجلها كما كفر بسببها من قبل غوستاف لوبون ماهى إلا كحمار جحا الذى ينساه حين يركبه ويعده ويتذكره إذا نزل عنه

ثم استشهد سعادة العميد بكلام السير جيمس جنز اننالم نر من الحقيقة إلا بصيصاً ضئيلا بعد اجهاد الأعين وإن العلوم الحديثة ليس عندها ماتقول

عن مسائل صعبة ربما كانت إلى الأبد بعيدة عن منال العقل البشرى. وان العلم ليس عنده قول فصل بل بالعكس خير ما يقال إن العلم قد عدل عن إلقاء الأقوال لأن نهر المعرفة قد تعرج فى اتجاه سيره مراراً وتكراراً بما لايسمح لنا بالحكم على الناحية التى فيها مصبه

والسير جيمس جنز مؤلف كتاب (النجوم فى مسالكها) و(كتاب الكون الغامض) هو دكتور فى الآداب ودكتور فى العلوم وعضو المجمع العلمى البريطانى وقطب من أقطاب العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية من الانكليز الذين يطريهم القصيمى ويتغنى بهم ، وسأنقل لك نبذاً من كتابه (الكون الغامض) الذى استشهد سعادة عميد كلية العلوم مشرفة باشا بخاتمته يتبين منها جهل كاتب الأغلال بما وصل إليه الفكر العلمى فى هذا العصر فى مشكلته التى لم تحل وكتابه كله فى الكفر بالله والإيمان بالأسباب التى لاتتخلف عند الكاتب وأن المؤمن بها لا يمكن أن يؤمن بالله الفاعل المختار الذى يسميه قوة مجنونه خرقاء سفيهة(١). ويريد منا أن نكفر بديننا وبدين الرسل كلهم لأجل أفكار تركها أهلها وعدوها صبيانيه مجنونية هذيانية جحوية قلد فيها كافراً بالله واليوم الآخر هو غوستاف لوبون

قال السير جيمس جينز فى كتاب (الكون الغامض) ص ١٦٩ س ١١

وما أكثر مايغيب عنا أننا لانستطيع إلا أن نبحث هذه المسائل فى صيغ الاحتمالات : وما أكثر مايعير رجل العلم بأنه يبدل آراءه على الدوام، وفى هذا مايشعر بأنه ليس من الضرورى أن يؤخذ بقوله جدياً. على

---

(١) راجع ص ٣٢٥ من الاغلال

أنه لا لوم فى الحقيقة على العالم الذى يرتاد نهر المعرفة إذا انحرف أحيانا إلى مجرى جانبي فرعي ولم يستمر سائراً فى المجرى الأصيل . ذلك بأن المرتاد لا يستطيع أن يتأكد من طبيعة المجرى الجانبي إلا بعد أن يسير فيه ، وأخطر مافى الأمر وأبعده عن سيطرة المرتاد ان نهر المعرفة ملتوى يجرى آناً نحو الشرق وآناً نحو الغرب ، وقد يقول المرتاد فى وقت ما « إنى أسير مع التيار » وبما إنى متجه نحو الغرب فأكبر الظن أن بحر المعرفة — أي الحقيقه — كائن فى الجهة الغربية فاذا تحول اتجاه النهر بعد ذلك نحو الشرق قال « كأنى بالحقيقة الآن واقعة فى الجهه الشرقية » وأكبر الظن أنه ليس من العلماء الذين عاشوا فى الثلاثين عاما الأخيرة من يستطيع أن يبت برأى قاطع فى اتجاه نهر المعرفة فى المستقبل أو فى مكان الحقيقة أين يكون ، ذلك ان تجاربه الخاصة تدل على أن النهر لايتسع مجراه على الدوام فحسب بل تدل أيضاً على أنه دائم الالتواء . ولذلك ينصرف العالم بعد أن يلاقى ضروباً من الخيبة متعددة عند كل التواء عن الظن بأنه قد انتهى «إلى مجرى الحقيقه اللانهائي وأحس معالمه »

« ويلوح أننا على حق إذا قلنا مع هذا الاحتراس السابق إن نهر المعرفة قد انحرف انحرافاً شديداً فى السنوات القليلة الماضية ، فقد كنا نظن أن نفترض من ثلاثين عاماً أننا سائرون صوب حقيقة نهائية من النوع الآلى ، وأن هذه الحقيقة تتكون من خليط مهوش من الذرات قدّر عليه أن يقوم زماناً ما برقصات خالية من المعنى طوعاً لتأثير قوى عمياء ليس لها غرض معين ، ثم يرتد ليكون منه عالم ميت لا حياة فيه . وفى

هذا العالم الآلى المحض ظهرت الحياة مصادفة (١) بتأثير هذه القوى العمياء نفسها، واتفق أن ناحية ضئيلة واحدة على الأقل من نواحى هذا الكون الذرى — وقد تكون عدة نواح منه — قد أصبحت واعية برهة من الزمن ولكنها مقدر عليها آخر الأمر بتأثير القوى العمياء أن تنجمد عن آخرها ثم تترك هذا العالم مرة أخرى لا حياة فيه » اهـ

هذا ملخص آراء الماديين فى القرن الماضى لخصه لك المؤلف فى عبارة وجيزة وهو الذى يدعونا اليه كاتب الاغلال فى فصله الأخير من كتابه تحت عنوان « مشكلة لم تحل »

فاسمع الآن رأى السير جيمس جينز فيما تطورت إليه أفكار القرن العشرين فى ذلك قال ص ١٧٠ س ١٨ « أما الآن فان الآراء متفقة إلى حد كبير يكاد فى الجانب الطبيعى من العلم يقرب من الاجماع على أن نهر المعرفة يتجه نحو حقيقة غير آلية وقد بدأ الكون يلوح أكثر شبها بفكر عظيم منه بآلة عظيمة ولم يعد العقل بعد دخيلا ألقت به المصادفة فى عالم المادة، بل بدأ يجول فى خاطرنا أن من واجبنا أن نحييه ونعده خالق العالم المادى المسيطر عليه — ولسنا نقصد بهذا العقل بطبيعة الحال عقولنا الفردية بل

(١) من أكبر أغلاط العلماء الطبيعيين فى الماضى هذا القول الذى أدركوا خطأه الآن من أن الحياة ظهرت فى الارض مصادفة . إنهم لم يقولوه استنتاجاً من قرائن حملتهم عليه ولكنهم لما عجزوا عن تفسير ظهور الحياة بعلمهم قالوا أبظهورها مصادفة ! وهذا طبعا ليس بفرض علمى ولا بتفسير فكل إنسان يستطيع عند العجز أن يحيل أى ظاهرة على المصادفة . فالقول بالمصادفة والاعتراف بالعجز عن التفسير سواء (غ) .

نعنى ذلك العقل الكلى الذى توجد فيه على شكل فكر تلك الذرات التى نشأت منها عقولنا (١)

« وتلك المعرفة الجديدة تضطرنا إلى أن نعدل رأينا السابق الفطير وهو أننا قد ألقى بنا مصادفة فى كون لايعنى بالحياة أو أنه عدو لها بالفعل ويلوح أن من المحتمل أن يختفى من الوجود ثنائية العقل والمادة القديم الذى كان من أكبر أسباب هذه العداوة » الخ اه

واقرأ ما كتبه أول الكتاب من غرور طبيعى القرن التاسع عشر ورياضييه فى فهم هذا العالم وهو مايدعونا إليه صاحب الأغلال وكيف انقلب عليهم التفكير رأساً على عقب بعد اكتشاف « بلانك » نظرية الكمة حتى أبطلت قانون السببية الحتمية الذى يدعونا إليه القصيمى تبعاً لغوستاف لنكفر بالله ونؤمن به، وأننا لانكون سببيين ناجحين فى الحياة حتى نكفر بالله وقدرته واختياره ونؤمن بالأسباب التى يعجز الله عن إبطالها أو التدخل بينها وبين مسبباتها وأنه إن فعل كان سفيهاً ومجنوناً أوكالمجنون إلى آخر ماقرره فى فصله الأخير من كتابه بعنوان «مشكلة لم تحل » وقد نقلنا لك خلاصته فيما مضى قريباً بنصه

قال جينز ص٢٠ س١ « وقد أظهر اينشتين فى عام ١٩١٧ أن النظرية

---

(١) المهم فى هذا الكلام وأمثاله مما كتب جينز أن علمه الطبيعى جعله يدرك وجود الخالق سبحانه من خلال السنن المتجلية فى الفطرة بصرف النظر عما يرد فى كلامه من تصوير وتمثيل قد لا يتفق مع ماينبغى للخالق سبحانه من تنزيه عن مشابهة المخلوقات . فالاسلام من ناحيته قد احتضن العلم ، والعلم من ناحيته بدأ يتصل بالدين إذ بدأ يدرك وجود الخالق سبحانه (غ)

التى وصفها بلانك — نظرية الكم أن الاشعاعات تسير دفعات متقطعة فى قفزات واهتزازات — تظهر فى أول نظرة على الأقل أنها تنطوى على نتائج أبعد أثراً من فكرة عدم الاتصال وظهر أنها ستنقض ما كان لقانون السببية من الشأن فى توجيه العلم الطبيعى فى مجراه. لقد كان العلم القديم يقرر تقرير الواثق أن الطبيعة لا تستطيع أن تسلك إلا طريقاً واحداً وهو الطريق الذى رسم من قبل لتسير فيه من بداية الزمن إلى نهايته فى تسلسل مستمر بين علة ومعلول، وأن لامناص من أن الحالة (ا) تتبعها الحالة (ب) أما العلم الحديث فكل مايستطيع أن يقوله حتى الآن هو أن الحالة (ا) يحتمل أن تتبعها الحاله (ب) أو (ج) أو(د)أو غيرها من الحالات الأخرى التى يخطئها الحصر.

ثم فى استطاعته أن يقول إن حدوث الحالة (ب) أكثر احتمالا من حدوث الحالة (ج) بل إن فى مقدوره أن يحدد درجة احتمال حالة من الحالات (ب) و (ج) و (د) بعضها بالنسبه إلى بعض ولكنه لايستطيع أن يتنبأ عن يقين أى الحالات تتبع الأخرى لأنه إنما يتحدث دائما عما يحتمل. أما مايجب أن يحدث فأمره موكول إلى الأقدار مهما تكن حقيقة هذه الأقدار. ثم ضرب مثلا ماديا بذرات الراديوم وغيرها من المواد ذات النشاط الاشعاعى انها تتفكك بمجرد مرور الزمن عليها وتخلف وراءها ذرات من الرصاص والهليوم فينقص حجمها باستمرار ويحل مكانها رصاص وهليوم. قال والقانون العام الذى يتحكم فى معدل التناقص غريب غاية الغرابة شبهها بعدد الوفيات أو القتلى فى كتيبة ترمى بالرصاص

اعتباطاً من غير قصد لمن يصاب ،فليس لكبر السن أثر فى ذرة الراديوم الواحدة بل تموت بمنية تخبط خبط عشواء ولا يدرى بأى طريق تختار تلك الذرة المعينة لا بأكثرية اصطدام ولا بشـــدة حرارة فليس فى الاستطاعة تفكيك الراديوم أو تعجيل التفكيك بضغطه أو تسخينه بل الموت يصيب على الأرجح فى كل عام ذرة واحدة من ألفين. ويرجو المؤلف فى ص ٢٢ أن التاريخ قد يعيد نفسه فتعرف قانون العلة والمعلول أى فيما بعد أما الآن فلا يعرف

ثم ضرب مثلا آخر بانبعاث الضوء من المصباح الكهربائى العادى وشرح كيف يشع النور فقال ص ٢٥ س ١٦ « وقد بين اينشتين أنه لابد من وجود نوع آخر من القفزات وان هذه القفزات لابد وأن تحدث من تلقاء نفسها كما تتفكك ذرة الراديوم من تلقاء نفسها ومعنى هذا بالاختصار انه لابد لنا من أن نلجأ مرة أخرى إلى فرض وجود القدر » وقال ص ٢٧ س ٣ « ومع أننا لا نزال بعيدين عن القول الفصل فى هذا الموضوع فقد يخيل إلينا أن ثمة عاملا من العوامل لم نجد له بعد اسماً خيراً من القدر يعمل فى الطبيعة ليمحو أثر قانون السببية القديم الصارم . وقد لا يكون المستقبل كما تعودنا أن ننظر إليه قد حدده الماضى تحديداً غير قابل للتغيير بل انه قد يكون إلى حد ما على الأقل متروكاً لتصريف الأقدار مهما تكن هذه الأقدار » وهناك اعتبارات أخرى توجه افكارنا فى هذا الاتجاه نفسه

مثال ذلك أن الأستاذ هايزنبرج أوضح أن ماتصوره نظرية الكم

الحديثه ينطوى على مايسميه هو « قاعدة عدم قابلية التحديد » ولقد ظللنا من قبله زمناً طويلا نعتقد أن أعمال الطبيعة هى غاية مايمكن الوصول إليه من الدقة والاحكام ، ومع اننا نعلم أن الآلات التى يصطنعها الانسان بعيدة من الدقة والكمال ، فقد كنا نصر على الاعتقاد بأن أعمال الذرة الداخلية هى المثل الأعلى للدقة والاحكام ثم جاء هايزنبرج فأوضح الآن أن أكثر ماتمقته الطبيعة هو الدقة والإحكام (١)

وقال ص ٢٢ س ٣ بعد ماضرب مثلا لتناثر الذرات بغير نظام ومثله برمى مليون طن من قطع النقود فى الهواء وسقوط مايسقط منها على وجهه وما يسقط على الوجه الآخر اتفاقاً فقال « ومن هذا يرى كيف كان من السهل أن يتسلل وهم الجبرية إلى العلم ان كانت الجبرية وهماً » وليس لدينا حتى الآن معلومات موثوق بها عن أية مسألة من هذه المسائل على أن هناك عدداً من علماء الطبيعة وإن كنت أظن أن هذا العدد آخذ فى التناقص بسرعة كبيرة يتوقع ان قانون السببية الصارم سيستعيد فى نهاية الأمر مكانته القديمة فى العالم الطبيعى بطريقة ما ولكن الاتجاه الحديث فى تقدم العلم لايقوى مركزهم فى ذلك ، ومهما يكن من شىء فان السببية الصارمة ليس لها الآن مكان فى صورة الكون التى يعرضها علينا علم

---

(١) العلم الطبيعى فى موقفه الحاضر يدرك الدقة والاحكام فى سنن الفطرة التى تجرى على الكتل والمقادير المحسوسة من المادة والطاقه ولكنه إذا تعداها إلى عالم غير المحسوس أشكل عليه الأمر وتبلبل وقال قائله بمثل هذا القول . ولن ينجو من هذا التبلبل حتى يعبد خالق الذرة مع العابدين (غ)

الطبيعة الحديث . وقد نتج من ذلك أن صار فى هذه الصورة أكثر مما كان فى صورة الكون الآلية القديمة متسع للحياة والشعور يقومان فيه مع الصفات الأخرى التى تقرنها عادة بهما مثل الارادة الحرة، والمقدرة على تغيير الكون إلى حد ما بوجودنا فيه وذلك فى حدود الصورة نفسها . ومبلغ علمنا أو مبلغ مايستطيع العلم الحديث أن يناقض به علمنا أن الأقدار المسيطرة على ذرات مخنا قد تكون هى عقولنا نحن وقد تكون هذه العقول هى التى تؤثر بوساطة هذه الذرات فى حركة أجسامنا فتؤثر بذلك فى أحوال العالم الذى يحيط بنا . ولم يعد العلم اليوم قادراً على ألا يجيز هذا الاحتمال ،فليس لديه حجج دامغة يرد بها على ماهو متأصل فينا من الاعتقاد بأن لنا إرادة حرة . على أن هذا العلم لايشير أية إشارة إلى ماقد يكون لقدم السببية أو الجبرية من معنى ، فاذا كنا نحن والطبيعة بوجه عام لانستجيب بطريقة فذة للمؤثرات الخارجية فما الذى يجدد مجرى الحوادث ؟ فاذا كان ثمة مؤثر أياً كان نوعه فان هذا يلقى بنا فى أحضان الجبرية والعلّية وإذا لم يكن ثمة شىء من ذلك فكيف يستطيع حادث أن يحدث (١) »

---

(١) لم يبق الا خطوة حتى يتدين العلم مضطرا . ان العلم منكر الجبرية والعلية كما رأيت وانكاره هذا يضطره الى نفى الاحتمال الاول : احتمال تجدد مجرى الحوادث بمؤثر خارجى من عالمها ، فلم يبق للاجابة على سؤاله الاضطرارى : كيف يستطيع حادث أن يحدث ؟ الا جواب واحد هو ما أجمعت عليه الاديان وما توحى به فطرة الانسان فى كل ماعرف من تاريخه الى الآن (غ)

وفى رأيى أنه ليس من المحتمل أن نصل إلى نتائج قاطعة فى هذه المسائل إلا إذا فهمنا جيداً طبيعة الزمن الحقيقية خيراً مما نفهمها الآن.

ثم أبان صعوبة فهم الزمن وأن قوانين الطبيعة الأساسية لاتقول لم يمر الزمن بلا انقطاع بل مستعدة لتجويز احتمال بقائه ثابتاً لايتحرك بقدر تجويز احتمال رجوعه القهقرى. وذلك أن تقدم الزمان إلى الامام بلا انقطاع وهو جوهر الصلة بين العلة والمعلول إنما هو شيء أضفناه من تجاربنا الخاصة إلى قوانين الطبيعة المحققه وليست هى متأصلة فى طبيعة الزمن وإن كانت نظرية النسبية تهم أن تسم الرأى القائل بتقدم الزمن تقدماً مستمراً وبوجود الصلة بين العلة والمعلول بميسم الوهم والخداع »

إن ماهية الزمن وما يكتنفها من غموض هى التى تمنع أفكارنا من التقدم وتقف بها عند حد محدود. وإذا كان الزمن من المسائل الأساسية وإذا كان فهمه على حقيقته سيظل انه فوق مستوى مداركنا، فأكبر ظننا أننا سنظل أعجز من أن نقضى برأى حاسم فى النزاع الطويل الآن بين الجبريه والقدرية (١)

« على أن احتمال إلقاء مبدأ الجبرية وقانون السببية من علم الطبيعة يعدّ إلى حد ما من التطورات الحديثة فى تاريخ نظرية الكمة (الكونتم)

ثم ذكر قوانين بقاء المادة والكتلة والطاقة، واغترار علماء القرن التاسع عشر بذلك. ثم قال ص ٥٩ « وكان من عادة علماء الطبيعة فى القرن

---

(١) يعنى القول بقانون السببية والجبر وعدم تخلف المسبب عن سببه، والقول بانخرام قانون السببية وتدخل القدر الالهى والارادة الحرة فى نظام الكون والخلق.

التاسع عشر أن يتحدثوا عن هذه القوانين كأنها هى المسيطرة على الخليقة. وعلى هذا التفكير وضع الفلاسفة قواعدهم التى فرضوها على طبيعة الكون الأساسية . غير أن هذا كان يشبه الهدوء الذى يسبق العاصفة »

ثم ذكر كيف هبت العاصفة بالبحث النظرى الذى قام به السير ج ج طمسون بتغيير كتلة أى جسم مكهرب إذا ما حرك .الخ

وقال ص ١٤٠ « وقد يرى كثيرون من الناحية الفلسفية العامة أن أهم ما أنتجه علم الطبيعة فى القرن العشرين ليس هو نظرية النسبية وما أدت اليه من إدماج الفضاء والزمن معاً ، ولا هو نظرية الكمة وما يبدو منها فى الوقت الحاضر من إنكار لقوانين السببيــة ، ولا هو تمزيق الذرة وما كشف عنه هذا التمزيق من أن الأشياء ليست كما تبدو فى ظاهرها . بل أهم من هذا كله إقرارنا العام بأننا لم نلمس بعدُ الحقيقة النهائية ، فكأننا كما قال أفلاطون فى تشبيهه الشهير لانزال محبوسين فى كهفنا مستدبرين الضوء ، ولا نستطيع أن نشاهد غير الظلال على الجدار ، وكل ما يطلب إلى العلم الآن هو أن يدرس هذه الظلال ، وأن يبوبها ويفسرها بأسهل طريقة مستطاعة»

انتهى ما أردت نقله من كتاب الكون الغامض للسير جيمس جنز العالم الفلكى الرياضى الطبيعى الانكليزى العصرى الذى مات من بضع سنين.

وقال (ا. ن . داس أندريه) فى مقدمة كتابه « من أسرار الفطرة » تعريب الأستاذين الغمراوى والكرداني ، بعد ما لخص نظريات الطبيعه فى الذرات فى نصف القرن الماضى ونظريتها فى أول هذا القرن ، وأورد

سؤال ناقد عالم الطبيعة إذ يقول: منذ نحو نصف قرن أخبرتنا أن الذرات صلبة لا تقبل انقساماً ولا انكساراً، خُلقت كاملة أول الخليقة واستمرت منذئذ فى كمال غير منقوص. واليوم تخبرنا أن الذرات بنيات متفككة يسهل جداً كسرها. فأنت تتحدث عن ذرات شعّاعة تتكسر وتتحول إلى ذرات أبسط، بل وتبحث فى احتمال أن تكون الذرات الأثقل قد تكونت فى الأصل من الذرات الأخف. فأى قوليك نصدق؟ إن نظريتك التى يقبلها جيل ينبذها الجيل الذى بعده؛ فمن أين لنا أن نثق أنك هذه المرة على صواب؟ فأجاب بقوله: إن الجواب الصحيح فى رأيي هو أننا لا نزعم لنظرياتنا أى صدق مطلق، إن الذى نزعمه إن نظرية مثل نظريتنا الذرية الحديثة لها مزايا عظيمة — إلى أن قال:

والنظرية تكون أحسن وأفضل كلما قل ما تستلزمه من افتراضات أساسية لتفسير ما يراد تفسيره. ولسنا نزعم لنظرية أنها نهائية بوجه من الوجوه؛ فقد نفاجأ بكشف جديد يرغمنا على تعديل كثير من تفاصيلها. ثم قال: من هذه الوجهه تكون أية نظرية علمية خاصة مجرد أداة وقتية نتخذها لنقتطع بها من كتلة الفطرة معرفة لنا بالعالم المادى، وقد تحل محلها فى أية لحظة نظرية جديدة.

ثم قال: فالفرق إذاً بين أى اعتقاد دينى، وبين نظرية علميه أن الاعتقاد فيه عند معتقديه عنصر من الحقيقة المطلقة، انه لهم علم يثبتون حوله أو يسقطون. وفى التخلى عنه العار والاثم. أما النظرية العلمية فهى عند أهلها صحيحة مادامت نافعة، ويعتبر رجل العلم حتى أحسن نظرياته

وسيلة مؤقتة تعينه على طريقه ، ولا ينفك ينظر حوله منقباً لعله يجد شيئاً خيراً منها وأشمل .اه

فهذا عالم طبيعي يكتب رسالة فى نظريات الطبيعة الجديدة على ضوء ما اكتشف فى أول هذا القرن وآخر الماضي يقول : لا نزعم لنظرياتنا أى صدق ، ولسنا نزعم لنظرية أنها نهائية بوجه من الوجوه فقد نفاجأ بكشف جديد يرغمنا على تغيير كثير من تفاصيلها ، ويعتبر رجل العلم نظرياته حتى أحسنها وسيلة مؤقتة ، ويرجو خيراً منها (١)

وقصدى بهذا هو الرد على هذا المغرور الذى يريدنا على الكفر بديننا لأجل ماسماه العلم والأسباب تبعاً لصنمه وغوستافه فى كتابه « الآراء والمعتقدات» فهذا كلام أهل العلم العصرى فيه ، وهذا كلامهم فى الأسباب التى يريد منا أن نعتقد عجز الله تعالى عن تعطيلها إذا شاء عطلها ، وأنه لا يوجد مسبب إلا بسبب ، وأنه من يؤمن بالله فاعلا مختارا لا يكون سببياً فلا يكون ناجحاً كما قرره فى فصله الأخير ؛ ونقلنا لك نصوص عبـــاراته الشنيعة فى ذلك الفصل الذى يشكك فيه فى وجود الله تعالى

ولست أكتب هذا لأهل الايمان بدينهم ، وبكتاب ربهم وبما جاء فيه من أوصاف الله تعالى وكمالاته وقدرته وحكمته واختياره ، وما اتفقت عليه الديانات فى الايمان بالله واختياره . وإنما كتبت هذا للذين اغتروا بكلام صاحب الأغلال فتشككوا فى كلام الله وكلام نبيه ، وآيات الله التى

(١) فكيف يمكن أن يبنى عاقل على النظريات المادية مهما كانت ، نقدا يشكك به فى أصل من أصول الدين اليقينية (غ)

التي أيد بها رسله ، وأكرم بها أولياءه ، بل تشككوا فى الله سبحانه الفاعل المختار . وقد كشف عن اعتقاده أن المؤمن بالله فاعلا مختارا لا يمكن أن يكون سببياً مؤمنا بالأسباب ، ولا أن يكون ناجحاً ، وقد أشاد بالأسباب فى كتابه وعقد لها فصلا خاصاً ؛ فأبان بهذا أنه لا يؤمن بالله العظيم رب العالمين خالق السموات والأرض سبحانه وتعالى عما يقول الدهريون علواً كبيراً الذين قلدهم بغير عقل ولا بصيرة ولا فهم كلوبون وقد نقلت لك من كتاب الآراء والمعتقدات ماتعلم منه أصول كتاب الأغلال . فالرجل الذى يصف أنبياء الله ورسله فى كتابه «حضارة العرب» ص ٣٤ بأنهم من ذوى الهوس ، ويقول فيه آخر «ص ٣٣» « حقا إن من عجائب التاريخ أن يلبي نداء ذلك المهوس الشهير - يعنى النبي ﷺ أعلى الله قدره وصانه من هذا الشين - شعب جامح شديد الشكيمة لم يقدر على قهره فاتح ، وأن تنهار أمام اسمه أقوى الدول ، وأن لا يزال يمسك وهو فى جدثه ملايين من الناس تحت لواء شرعه » الخ

فهل مثل هـذا الجاهل الوقح يقلد ويجعـل أصول دهريته مواد لتحريف دين الأنبياء اليها ؟

فاسمع كلام صاحب الأغلال فى المتدين ومن يؤمن بالله واليوم الآخر واقرأ من وسط «ص ٣١٦» إلى وسط ٣١٧ كيف تهكم بالمتدينين وبإلههم وشبههم وشبه إلههم أقبح تشبيه إلى أن قال « ص ٣١٧ »

« اننا اذا تصورنا ذلك كله لم يعسر علينا أن ندرك كيف عجز المتدينون

ـ على اختلاف ديارهم وأزمانهم وأنبيائهم[1] وأمزجتهم وأجناسهم ـ عن أن يهبوا الحياة شيئاً جديداً ، وأن يكونوا فيها مخلوقات متألقة

(وأمر آخر) ذلك أن المؤمنين يرون دائماً ان الله حينما خلق العالم وخلقهم قد ضمن أرزاقهم وكفلها وتعهد بحمايتهم ورعايتهم فى كل أمورهم أو جلها . . . فيصيبهم هذا الاعتقاد بمثل ما يصاب به الطفل المدلل المكفول بين والدين مدللين رحيمين ثريين أى يصاب بالتواكل والاعتماد على القوى الخارجيه وحينئذ لا يصنعون لأنفسهم مايجب أن يصنع وما لن يظفروا به إلا اذا صنعوه هم ولا يمكن أن يكونوا فى أفكارهم مثل الذين يرون أنهم متروكون موكولون لقواهم ولأنفسهم .

ومثّل بالطفل المدلل مع ذلك الرجل العصامى الذى يعمل ويناضل يعيش وإلا فلا سبيل له إلى البقاء .

ثم قال فى آخر «ص ٣١٧»

« ثم ان المؤمن يعتقد عادة ـ بأن الله تفضل عليه وأوجده من صميم العدم فمن الواجب عليه أن يشغل بخدمة ذلك الرب المتفضل وبالانقطاع لعبادته . . . وأن يصرف ـ ان استطاع ـ كل قواه وأعماله وأوقاته أو أكثر ذلك الى القيام بشكر ذلك المنعم الخالق المتفضل . . وحينئذ يجىء عاجزاً فى تناوله الأمور والحياة ويكون دون ذلك الذى صرف جميع قواه وأوقاته فى سبيل الانتصار فى معركة الوجود والبقاء »

---

(١) تأمل ذكر « أنبيائهم » لتعرف نفاقه حينما يذكر أنه يريد الدين الباطل فما كان الأنبياء ليأتوا الا بالدين الصحيح فهم عنده لم يهبوا الحياة شيئاً جديداً ولم يكونوا فيها مخلوقات متألقة يعنى كالملاحدة والزنادقة الذين وهبوا الحياة وتألقوا فيها بزعمه ، وياليته أعلن دهريته صراحة بدل هذا النفاق المفضوح وهاجم بطلا لا ثعلبا مراوغا محتالا

هذا هو رأيه فى الايمان بالله والمؤمنين به لايحتاج إلى تعليق ؛تكفى قراءته للحكم عليه .

أما رأيه فى الايمان باليوم الآخر ركن الايمان فى كل الأديان السماوية كلها ، والذى قرنه الله مع الايمان به فى غير آية ، فقد مهد لذلك بذكر الآمال والأهداف ، وان المؤمن هدفه الأكبر وأمله الذى يملأ قلبه هو الايمان بالآخرة .ثم رتب الحكم على ذلك فقال (ص٣١٨)

« على أن هنالك ماهو أكبر وأظهر فى ايجاد الاختلاف بين المتدين وغيره فى هذه القضية

ثم ذكر أنه لابد للانسان من أمل وأنه لايحيا إلا بأمل ، واختلاف الناس بحسب اختلاف آمالهم . إلى أن قال آخر هذه الصفحة

« على انه لاخلاف فى أن أسمى هذه الآمال وأقواها فى الاجتذاب والتوجيه والسلطان هو ذلك الامل الضخم الابدى فى تلك الحياة الفخمة الابدية التى ينال فيها المرء الخلود وكل مايرجى من حاجات الجسم والنفس بدون أن يكدر ذلك شىء من المكدرات المعروفة التى تشوب لذائذ هذه الحياة الاولى القصيرة ، فاذا استطاع إنسان أن يتمثل هذا الامل وأن يغنى ويتغنى به ،فلا محالة من أن يشغله ذلك عن كل شىء فى هذا الوجود وقد يطغى عليه وعلى وجوده حتى لايدع لهذه الحياة شيئاً وقد يدع شيئاً قليلا أو كثيراً ، وقد يفنى عن هذه الحياة ويغيب عنها لانه ليس من أهلها لا ينافس ولا يغاضب ، ويصير كذلك الرجل الورع الطيب (يعنى عبد الله بن عمر) الذى صرفه ورعه ودينه عن كل ماهنا حتى قال فيه معاوية بن أبي سفيان ، وهو يضع خطوط الطريق لابنه يزيد ، أما فلان (يعنى ابن عمر) فقد أعجزه الورع فدع له دينه يدع لك دنياك

فاذا لاحظنا على المتدينين ـ أفراداً وشعوباً ـ عجزاً عن ايجاد الحياة وعن

التحليق بالصناعة والزراعة أو التجارة أو العلوم المادية الانسانية ، أوعن أى شىء ما من وسائل الحياة وأسبابها فلتعلم أن أحد أسباب هذا العجز هو التصور لهذا الامل العظيم (أمل الايمان بالآخرة وسعادتها) والانصراف اليه بأكثر العقل وأكثر الامل وأعظم الاهتمام

ثم مثل بعلى بن أبي طالب وجيوشه وانهزامهم وانهيارهم لايمانهم أمام معاوية وجنوده — يعنى لعدم إيمانهم — ثم قال ص ٣١٩

« واذا ألفينا الرجل التقى الورع المحافظ على فروضه وعباداته ينهزم شر هزيمة فى كل عمل يتناوله أمام ذلك الذى جعل فرضه ودينه وعبادته هو التحليق بتجارته أو صناعته مصيراً ذلك إلهه المطاع المعبود وربه

فالمؤمنون يشتغلون اذن بأملهم فى الآخرة عن أن يصنعوا لهم فى الدنيا أملا جسيماً عظيماً فيأتون عادة عاجزين عن اللحاق بالآخرين الذين صنعوا لهم هذا الأمل ثم أعطوه كل نشاطهم وإبداعهم فأصبحوا فيها السادة الغالبين

ثم مثل بأوربا أيام كانت مؤمنة بالكنيسة فى ذلها وهوانها ، وضعفها وعجزها . ثم قال :

« فلما أن مرقت من إيمانها وتنازلت عن ذلك الأمل الاخروى وجعلت الصناعة والتجارة والحياة الكبيرة القوية هى آلهتها التى وحدتها وأبت الاشراك بها صعدت بالحياة الصعود الذى أعجز أبصارنا بنوره والنظر إليه . وقد قال أحد فلاسفة الانجليز المعاصرين [1] المدرسين اليوم فى إحدى الجامعات البريطانية — وهو ملحد كما هو الظاهر — إن أوربا لم تستطع أن تكون أوربا إلا بعد أن أعتقت نفسها من رق الإيمان بالآخرة وبالله »

(١) الظاهر أن العبارة هى لغوستاف لوبون فالمعاصرة هى له لا للكاتب خوف ما توهمه عبارته وسرقته التى لم يعز فيها الكلام لصاحبه . ولعله يريد سبنسر فيلسوف الانجليز

ثم مثل بروسيا القيصرية المسيحية منذ أقل من ثلاثين عاما انها كانت مثلا طيباً للفقر وللضعف والمسكنة والجهل حينما كانت مسيحية متدينة صالحة . فلما أن مرق بها البلاشفة وصنعوا لها أرباباً أخرى وعبادة أخرى صارت هى روسيا اليوم قاهرة ألمانيا التى لم تكن تقهر . الخ .. والواقع يكذبه فروسيا الدهرية الشيوعية ليست خيراً الآن من روسيا القيصرية المسيحية فى الغنى والقوة ؛ ولا روسيا الشيوعية الدهرية هى التى كسرت ألمانيا وحدها بقوتها ودهريتها ، وأسباب هزيمة ألمانيا معلوم لأطفال السياسة ، فمقدمات استدلال الكاتب كنتائجها سفسطة وكذب على الواقع ولكن الهوى فى احتقار الدين ورميه بكل باطل يعمى ويصم ، وما الحيلة فيمن يخرق (١) ثم يستدل لخرقه ببهتان يفضحه الواقع المشهود ؟

ثم مثل بتركيا اليوم وكل الأمم الحديثة والقديمة وباليابان والصين ، ثم بالهند واختلاف الديانات فيها . إلى أن قال ص ٣٢١

والعقلاء يعلمون اليوم جميعاً أن الهند لن تظفر بالحياة المرتجاة مالم تغير أديانها أو تغير فهمها لها أو تتركها .

وقد أكذبه الله فى كذبه على العقلاء ، والهند اليوم تسلمت مقاليد حكمها ، وصارت دفة البلاد بيد أهلها ، هندوسها ومسلميها كل فى بلاده بدون تغيير دينهم . فأعجب بالجراءة على الله وعلى غيبه ومستقبله

ثم مثل بإبداع الاغريق والرومان والمصريين القدماء (٢) وغيرهم لمبالغتهم فى حب مظاهر هذه الطبيعة حتى عبدوها وصيروها كل أملهم ورجائهم المنشود

(١) خرق كذب واختلق ومنه قوله تعالى (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم)
(٢) المعروف أن مدنية قدماء المصريين ورقيهم إنما كانت بدافع الايمان بالآخرة

« وهوت الأمم الأخرى التى انصرفت بآمالها عما ترى وتحس وتجد ، إلى ما لاتحس ولا تجد ولا ترى ، حتى ان رجلا فيلسوفا عظيما هو الدكتور غوستاف لوبون لما لاحظ هذا قال فى كتابه الموسوم (بالآراء والمعتقدات) « إن الايمان بالله وحده كان نكبة على البشر » لأنه على ما زعم قد وقف بالحضارة عن التقدم إلى الأمام . قال « ولم تستطع الحضارة البشرية أن تخطو خطواتها الصحيحة إلا فى عهود الوثنية وعبادة الأصنام » (١)

تبرأ الكاتب فى حاشية سفلى هنا من كل زيغ وإلحاد ، وأن غرضه من هذه الاقوال الاعتبار وطلب الفائدة ، لا الايمان بها ، مع أنه قررها أولا وأعاد وكرر فى تقريرها ، فما استشهد بكلام غوستاف لوبون إلا بعد ماقرره فى عمل الاغريق وما عطف عليهم وإبداعهم لعبادتهم ماتحس . الخ ثم إذا كانت فى هذه الاقوال فائدة واعتبار فلمَ لايؤمن بها ؟ هل يستفيد الانسان ويعتبر الا بما يؤمن به ؟ وأى فرق بين قول غوستاف وقول الكاتب «وهوت جميع الأمم التى انصرفت بآمالها عما ترى وتحس وتجد إلى مالاتحس ولا تجد ولا ترى »

أليس هذا هو الكفر بعالم الغيب الذى هو أحد أركان الايمان فى الديانات السماويه كلها ، فالله وملائكته واليوم الآخر والجن وخبر الرسل المتقدمين : كل ذلك من الغيب الذى يجب الايمان به والذى امتلأ به كتاب

---

(١) لم يكن يخطر ببال أن يصل السفه والشطط بملحد أيا كان إلى تفضيل الوثنية على الاديان السماويه ، وعبادة الاصنام على عبادة الله ، وعقل ينزل به السفه إلى هذا الدرك جدير ألا يؤبه بأى قول يقوله فى أى ميدان من ميادين القول لا أن يؤتم به ويحتج بقوله فى نقد دين ما ، بله دين الاسلام (غ)

الله تعالى حتى ان أول وصف للمتقين فى أول سورة البقرة قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) فاذا قرر الكاتب أن الامم التى تترك ما نجد وترى ونحس إلى مالا نرى ولا نجد ولا نحس ، تهوى . فهذا هو قول غوستاف : ان الايمان بالله وحده كان نكبة على البشر ولم تستطع الحضارة البشرية أن تخطو خطواتها الصحيحة القويه إلا فى عهود الوثنية وعبادة الاصنام .

فهل يظن الكاتب أن القراء لا عقول لهم فيقرر كلام لوبون أعظم تقرير ، ويستدل به ثم يذر الرماد فى العيون بهذه الحاشية المتهافتة التى ينقضها ما فى أعلى الصحيفة

ثم مثل بملاحظات فردية بنجاح غير الأتقياء فقال ص ٣٢٢

« ومن الملاحظات الفردية فى هذه القضية أن الآحاد الذين نراهم ينجحون فى التجارة أو الصناعة أو العلوم أو غيرها من الجوانب الانسانية هم دائما من غير الأتقياء الورعين وأنه لا يقدر على المنافسة القاصمة إلا أولئك الذين تركوا الأوامر الدينية جانباً وراءهم حتى اننا إذا حاولنا أن نلتمس فى تاريخنا نفسه مكان أولئك الأفذاذ القلائل الذين بلغوا فى سماء الشعر والأدب الخالد أو قاموا بنظريات علمية لها بقاء وخلود أو جاؤوا بفلسفة ذات شأن معترف به بين الفلسفات لم نجدهم إلا بين أولئك الذين وصفوا بالتمرد والانحلال الدينى أمثال المتنبي وأبي العلاء وابن الرومى والجاحظ وابن سيناء والرازى والفارابى وابن رشد وجابر بن حيان والحسن بن الهيثم وسواهم . ولا نزال حتى اليوم نرى أنه لا يقوم بتصريف شؤون الدولة الكبيرة كالوزارة والسفارة وأمثالها الاجماعات تختار من غير الأتقياء حتى امنا (يريد أمتنا يعنى السعودية) التى شهرت بالتدين وبتأسيس مالكها وحكمها على أوامر الله نجدها تعرف هذا وتعترف به وتكل أمورها الرسمية ذات الشأن إلى غير المتدينين ، وهذا لانها تعلم بالاستقراء والتجربة

أن هـذه الشؤون اذا أُسندت الى جماعات الصالحين لم يحسنوا اولم يستطيعوا القيام بها »

ثم استشهد بقول عمر « لوددت انى وجدت رجلا قويا تقياً مسلماً أستعمله » وبقوله « إني أشكو إليك جَلد الفاجر وعجز الورع » الذى لم يفهم الكاتب مراد عمر منه فلم يكن عمر يوما ما دهريا حتى أيام جاهليته بل كان يعرف الله ويخافه بالغيب ويقدم فى حكومته المؤمنين ويرضاهم ويأتمنهم ويبعد الفسقة بله الكفرة بله الدهرية ، وحكاية إنكاره على عامله أبي موسى الأشعرى استكتابه لنصرانى معروفة .

وهنـا نسأل الكاتب سؤالين نرجو جوابهما صريحاً بدون مداورة أو روغان .

(الاول) مؤسس المملكة العربية جلالة الملك عبد العزيز بن سعود هل هو مع نجاحه الباهر تقى ورع صالح أو فاجر متمرد تارك لدينه وراء ظهره ؟ فان قال بالاول انتقضت قاعدته رأساً على عقب ، وان قال بالثاني - ولا أظنه يقول به وان اعتقده - كذّبه الواقع الملموس المحسوس . فهو مخالف للواقع على كل حال

(ثانيـاً) عمر بن الخطاب ذلك العبقرى النـاجح الذى فتح الشرق والغرب هل كان متدينا تقيا ورعاً متبعا لدينه مصلياً مسبحاً عابداً أو كان فاجراً فاسقاً تاركا لدينه وراء ظهره ؟ فان قال بالأول تبعثر كتابه شذر مذر ، وتبخرت بحوثه وجهوده .وتناثرت أفكاره وذهبت أدراج الرياح وانمحق مايدعو اليه ويشير به من الكفر بالله واليوم الآخر والفجور والالحـاد .

وإن قال بالثاني باهت التاريخ والواقع ، وصار مفتريا كذابا أفاكا ، قليل العقل والحياء .

ثم نسأل عظماء رجال المملكة السعودية من وزراء وسفراء وغيرهم : هل هم حقيقة فجار فساق ليس لهم دين ولا تقوى ولا ورع ، فلذلك نجحوا وأسندت اليهم هذه المهام لعدم دينهم ولفسقهم وفجورهم ، وعدم تقواهم وورعهم ؟ ثم نسأل الحكومة السعودية نفسها : هل هي حقا وثقت بمن لادين له لعدم دينه ، وأنها لاتثق بالمتدينين من أجل دينهم ؟ وهل حقا ماقاله ذلك الكاتب فيها وفي رجالها ؟ نريد أجوبة صريحة في ذلك كله

المتدينون لا عقل لهم بتجربة الكاتب وحكمه عليهم . قال ص ٣٢٣

ثم انه قد علم بالتجربة أن المتدينين يفقدون الميزان الفكرى الذى توزن به الأمور فى الغالب [1] ويصبحون من الناحية النفسية أناساً طيبين خيرين فاقدين لكل مناعة عقلية مستعدين استعداداً غريباً للوقوع فى حبائل المشعوذين والدعاة المضللين ، عمين عن كل الحقائق التى يراها ويستفيد منها الآخرون ويرتفع لديهم سعر التهريج والدجل ارتفاعاً عجيباً وتنبت أرضهم الدعاة الكثيرين - دينيين وغير

---

(١) فان أردت الاصول التى فرعها الكاتب من كلام غوستافه فى كتابه (الآراء والمعتقدات) فاسمع لقولة لوبون ص١٤٦ « المعتقد هو إيمان لا يتطلب لثبات أمره أدلة — الى قوله « وبراهين المؤمنين فى الغالب صبيانية بالنسبة للعقل ومع ذلك فليس من خصائص العقل أن يقضى فيها لاشتقاقها من عناصر دينية أو عاطفية لا صلة بينه وبينها . ولما كان العقل غير مشترك فى تكوين المعتقدات فانه لا حد لسرعة التصديق فى المؤمن ، ولايتخيل أن المؤمن يعاقد الاشياء من غير برهان بدليل أنه يستشهد بالبراهين على الدوام ، غير أن هذه البراهين التى يقنع بها تدل على مافيه من سذاجة متناهية ، وسرعة تصديق متأصلة »

دينيين .. ويصيخون لكل ناعق ويهبون بسخاء نادر جيوبهم وقلوبهم وعقائدهم لكل سائل لأنهم بعد أن عزلوا [1] العقل وتنازلوا عن تحكيمه عجزوا عن أن يعرفوا الحق من الباطل ، والصادق من الكاذب ، والقائد من الصائد ، فصدقوا المستحيلات والمتناقضات ، وآمنوا بأشنع الترهات ، لان العاصم من كل ذلك وهو العقل — قد أبعد وعزل »

ثم مثل لانهيار عقل المتدينين بتصديقهم لما كان يشاع فى الحرب الماضية ثم استطرد فعمم عدم العقل عند المتدينين قديماً كما هو الحال الآن ، واستشهد بأشعار من ذلك ثم كلف نفسه تعليل ذلك فقال ص ٣٢٥

« ومن الواجب أن نعرف سبب هذا الاستسلام والضعف الفكرى لدى هؤلاء المتدينين والذى يظهر لنا كثيراً أن من أسبابه أنهم ينكرون أن يكون بين أحداث هذا الوجود ترابط عقلى وتعليل ثابت بل يرون أن الوجود كله - بما فيه من حوادث وأحداث محكوم بقوة مجنونة - أو هى كالمجنونة - فى أفعالها وتصرفها (أنظر كيف يعبر عن الله الفاعل المختار) ولهذا فلا قوانين ولا ضوابط للمعجزات والخوارق - تأمل شكه فى آيات الأنبياء ومعجزاتهم - فكل

---

(١) من الذى قال ان المؤمنين المتدينين عزلوا العقل وتنازلوا عن تحكيمه ؟ وأى قيمة لقول كهذا مادام مصدره الهوى والتجنى على الدين وأهله ؟ ومن الذى قال إن الاسلام يعزل عن العقل - والرجل يكتب للمسلمين لا لليهود ولا للهندوس والاسلام يحكم العقل ويأمر بحسن تصريفه واستعماله فى مئات الآيات

ان الرجل يكذب ويفترى ويتخذ من افتراءاته حججا على الناس ممن يكره ؛ وللناس ممن يود أن لو كان مثلهم فى الدنيا . ولقد كان يستطيع أن يقلد أهل الدنيا فى أخلاقهم وسننهم ويجربها فى نفسه لننظر أين تفضى به من غير أن يطعن فى أهل التدين كل هذا الطعن المنكر المكذوب (غ)

شيء جائز وكل شيء مستحيل [1] فيصابون بالفساد الفكرى العام وإذا اختلت الوسيلة فكذلك النتيجة .وإذا انهار الاساس انهار بلا شك مارفع عليه ! ولن تجد ميزانا فكريا لدى هؤلاء الذين يعيشون فى هذاالجو المسحور المجنون المائج بالخوارق والمعجزات والكرامات التى صنعها الشيوخ والصالحون ساخرين من القوانين الطبيعية »

فأعاد ما كرره سابقا ان الايمان برب فاعل مختار يفعل ما يشاء على مقتضى حكمته لا على موجب هوس الماديين الطبيعيين وأغلالهم المقيدة لأفهامهم ، وأنه يؤيد رسله بالآيات والخوارق التى تعمى عيون معارضيهم وتحير أصحاب الفكر المادى ، فيلجأون إلى البهت والتكذيب بما لم يحيطوا به علماً .قرر الكاتب أن هذا كله مناقض للعقل مبعد له .الخ ماسمعته من كلامه .ثم مثل ضعف عقولهم بقسوة قلوبهم معللا لذلك فقال ص ٣٢٥

« وهذا التعليل صحيح على وجه الاجمال كما يبدو لنا كما علل بعض علماء النفس والاجتماع القسوة التى يتصف بها المتدينون غالباً إذا قدروا وأخذهم خصومهم أخذاً خالياً من الشفقة الانسانية ـ بكثرة ممارستهم صناعة التخويف والتهويل للعصاة والكافرين وكثرة قراءتهم النصوص التى تصف الأهوال المعدّة لأهل الآثام والشهوات فقد صاغوا طباعهم وأنفسهم بطابع الغضب والقسوة والعنف فارتاضوا على ذلك كثيراً حتى أصبحوا وحوشاً تنطق باسم الدين وتفترس على حسابه . ومن ثم فاننا نعتقد أن هذه الجماعات المنسوبة إلى الدين الناطقة باسمه لو انها استطاعت الوثوب على الحكم ووضعت السلاح فى يدها لحكم البشر

---

(١) كذا والعبارة مختلة ولعلها كانت هكذا « وكل شيء غير مستحيل » ولكن غير الورعين الذين طبع كتابه عندهم حرفوها له كما أنه مرت تحريفات أخرى غيرها ص ٢٩٠ س ٧ وس ٩ فكيف لم يصححها ولا غير المتدينين

عهد من الارهاب يتضاءل ازاءه كل إرهاب يستنكره العالم اليوم [1] . وهذا أمر يجب أن يعرفه أولو الرأى والمقدرة وأن يحسبوا له الحساب قبل فوات الاوان ولن تجد أقسى قلباً ولا أفتك يداً من إنسان يثب على عنقك ومالك ويقتلك ويسلبك معتقداً أنه يتقرب إلى الله بذلك ويجاهد فى سبيله وينفذ أوامره وشرائعه . والسوء لمن ناموا على فوهة البركان قائلين لعله لا ينطلق [2]

فى هذا الكلام استهزاء بالنصوص الدينية الأخروية فى وعيد العصاة والفجرة والكفرة . فاذا ضُم مع ماتقدم من التشكيك فى الله تعالى

---

(١) هذا كلام ملقى إلقاء من غير تقدير ولا حساب وإلا فالتعصب ضد أهل الدين هو وحده الذى يزين لمثل هذا الرجل أن أهل الدين يكونون فى الحكم أقسى على خصومهم من أهل الثورة الفرنسية مثلا فى الماضى وأهل الشيوعية فى الحاضر (غ)

(٢) وفى حاشية ص ١٨٠ رمى المتدينين بالقسوة والخشونة فى معاملة الناس ، وعلل ذلك باعتقادهم أن الاتصال بالله والايمان بعظمته وكامل قوته يستلزم إهانة خلقه الضعفاء فشتمهم وإهانتهم كالبرهان على الثقة بالله وعلى أن الضر والنفع منه وحده . اه فهل تعجب من هذا البهتان الذى يفضحه الواقع أو من الحقد على الدين وأهله أو من هذه القحة المفضوحة وإذا أردت أن تعرف كيف نبت هذا الفرع الأغلالى من أصل غوستافى فاقرأ ما كتبه لوبون فى كتابه (الآراء والمعتقدات) ص ١٤٦ س ٧ « ويتضمن اليقين الدينى واليقين العاطفى فى الانسان احتياجا يدفع حمل الناس عليهما ، فالمرء عند مايؤانس من نفسه قوة لا يتحمل أن يرى غير يقينه عند الباقين ولا يتأخر لحظة عن اقتراف أشد المظالم والاتيان بأفظع المذابح فى هذا السبيل حتى لقد خرب أولو اليقين العالم فى كل زمان ومما يخشى على الأمة أن يقودها هؤلاء . . فليوقن رجل ذو قوة كأمبراطور ألمانيا أن يقتبس قوته من الله ثم ليتوهم أن الله أمره بشهر الحرب على الملاحدة لنرى كيف يقلب أوربا كما قلبت فى الماضى بفعل مثل ذلك اليقين » اه

واحتقار المؤمنين بالآخرة ، وتعظيم الفجار والكفار والكفرة بهما علمت ماينطوى عليه جناح الكاتب وأهدافه فى أغلاله . ثم التشهير بالدين وأهله ورميهم بالقسوة والغلظة التى لانظير لها فى تاريخ العالم ؛ ثم تحريض أهل القوة والرأى والسياسة على خنق الدين وأهله وكتم أنفاسهم ومحقهم قبل أن يثوروا كالبركان، ثم الهزء بالجهاد فى سبيل الله ورمى أهله بالقسوة والوحشية

كنت أعجب كيف جاءت هذه الأفكار الهدامة الفجة الدهرية لمثل هذا المطوع (١) العامى الذى لم يؤت من العلم ما يوازى الشهادة الابتدائية فضلا عما فوقها من فنون العلم والعرفان ؛ وبدايته ونهايته العلمية معروفة لدى عارفيه فقط ثم خطر ببالى انه طالع كتب غوستاف لوبون مثل كتابه « الآراء والاعتقادات » « وروح الاجتماع » « وسر تطور الأمم » الخ وأمثاله من الهدامين لجمود النصرانية فى العصور المتأخرة ومحاربة سيطرة الكنيسة على أهلها بالعدوان والظلم والجهل

فتغذى هذا الكاتب بهذا القيح والصديد ونفثه سموماً على دين الاسلام وأهله ولم يعلم - وهو يدعى العلم والفهم - ان الاسلام وأهله وتاريخه غير النصرانية وأهلها وتاريخها ولكن (من لم يجعل الله له نورا فما له من نور) (ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا) (أرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله؟ أفلا تذكرون)

(١) المطوع بلغة نجد هو المتشبه بالمتعلمين وليس بهم وهم كصنف الفقهاء بمصر الذين يظهرون بمظهر العلماء وملابسهم وليسوا بهم .

أراد الكاتب أول ص ٣٢٦ ان يعتذر عما يصق من قيح وسموم وأقذار في وجه طهارة الدين ونقائه فاعتذر بعذرين (احدهما) ان الدين «إذا أخذ على غير وجهه وقصده جاء ضاراً ومفسداً لأخلاق الانسان وكل معانيه الطيبه ..(وثانيهما) أن البشر عاجزون — فيا يبدو لنا حتى اليوم - عن أخذه وفهمه وتصوره على وجهه النافع المفيد بل هم إما أن يبقوا غير متدينين أو متدينين تدينا باطلا - كما أثبت هذا جملة تاريخ الانسان ولابد من إستثناء فترات أو ومضات قليلة خافتة « ويظهر أن المبادىء الانسانية العظيمة تأتى دائماً سابقة لاستعداد الجماهير من البشر فاذا دعوا إليها أو فرضت عليهم - قبل تمام هذا الاستعداد - أخذوها أخذاً سيئا ضاراً بهم وبالمبادىء نفسها وذهبوا يعملون بها على غير وجهها وصوابها ومن هنا تأتى النكبة . . والدين هو أحد هذه الأمور الجميلة التى عجز الناس عن تصورها تصوراً صحيحاً لأنها جاءت قبل استيفاء استعدادهم الموقوت،فراحوا ضحايا هذا التصور الباطل »

فالدين فى نظر الكاتب لم يفهمه الناس إلى اليوم ، والرسل تبعث عبثا وأتباعهم لا يعرفون الدين حتى يجىء هذا الكاتب ومن تغذى بأفكارهم فيفهمون الدين فهماً دهريا ،من أسباب لا تتخلف ،ولا يمكن لله أن يبطلها ، ولا أن يحول بينها وبين مسبباتها . وكذلك من فهم الله فاعلا مختاراً يؤيد رسله بالآيات ويخرق لهم النواميس التى لا تخرق عندهذا الكاتب وأمثاله فقد فهم الله قوة مجنونة أو كالمجنونة فلم يفهم الدين فهماً صحيحاً ، ومن كان سبيباً ناجحاً فلابد لهمن الشك فى الله وقدرته ، ومن آمن بالله فلن يكون سبيباً ناجحاً له عمل فى الحياة متألقا فيها . أما أنبياء بنى إسرائيل وأنبياء المتدينين عموما فكانوا كالايمان بالله واليوم الآخر نكبة على البشر تأخيراً للحياة وأهلها . الخ

ويتنبأ الكاتب ص ٣٢٦

بمجيء اليوم الذى يقدر البشر فيه أن يدركوا من حقائق الأديان مالم يدركوا وأن يفهموها ويفهموا مراميها السامية كما أريد منها وبها وحينئذ — حينئذ فقط ستبلغ بهم السمو المقدر لهم ولها .»

ذلك اليوم الذى يترقبه الكاتب فيما نراه نحن هو يوم انتشار الفوضى الأخلاقية والدينية ، يوم يمشى الناس عراة كالبهائم ، ويتسافدون فى الطرقات كالحمر ؛ كما أشار اليه الحديث الصحيح « إن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس وعلى لكع بن لكع » ويوم تطلع الشمس من مغربها وحينئذ (لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا) (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم إن الناس كانوا بآياتنا لايؤمنون) وينطمس معالم الدين حتى لايقال فى الأرض الله الله . يوم تهب ريح طيبة فتقبض كل نفس مؤمنة ، وتكون حينئذ الدهرية مستحكمة ، والايمان بالطبيعة وجمالها — على حد تعبير الكاتب — قائماً، آخذا بزمام الناس ، وحينئذ تكون الساعة كالحامل المتم لا يدرى أهلها متى يفجأهم وضعها ...

﴿ فصل أمامنا لا وراءنا ﴾ ص ٢٨٧

يريدنا الكاتب فيه أن نكفر بالقرون الفاضلة من الصحابة والتابعين ونرفض القدوة بهم وتعظيمهم ، وأن نكفر بهؤلاء الأئمة ومعارفهم وفضائلهم ، وما قالوه وعملوه أو تركوه لنا ، وتهكم بمن يدعو إلى الأخذ بما أخذ به الأولون ، فقرر نظرية النشوء والارتقاء في المادة والجماد والنبات والحيوان ؛ وحكى ماتخيلوه في كيفية نشوء هذا العالم من مادة سديمية وكيف تجمعت وتكتلت شموساً وسيارات وأقمارا بكلام غير مفهوم بلسان العلم اليوم ولا بلسان الدين أمس ، فقال (ص٢٨٨)

« ثم أخذت هذه النجوم والشموس بالتفاعل نفسه وبالاستعداد والمخبوء فيها للتطور تنقسم على نفسها وتنفصل عنها النجوم والسيارات والتوابع ليكون لكل شمس من هذه الشموس مجموعة متماسكة من هذه المجموعات التي يدعونها اليوم المجموعات الشمسية أو المجموعات النجمية التي إحداها مجموعتنا الشمسية التي نحن إحدى رعاياها .

فأنت ترى في تعبيره هذا أنه لم يقل أو لم يعرف ماقاله العلم اليوم في تولد الشموس والسيارات وتوابعها ، ولو قرأ كتاب (النجوم في مسالكها) وكتاب (الكون الغامض) كلاهما للسير جنز الفلكي الانكليزي ، لكان له تعبير آخر أقرب إلى كلام أهل هذا الفن . ولسنا في صدد حكاية كلامهم ، فهو مبسوط في محله ، والغرض التنبيه على أن الكاتب وقف على نظرية لابلاس في توالد السيارات من الشموس ، وهي اليوم أضعف نظرية في ذلك وأوهاها ؛ وقد جدت بعدها نظريات وستجدد غيرها . والعلم الحق عند

خالق الكون وواهب العلم

ثم تدرج الكاتب من ذلك بعد كلام طويل ممل إلى نشوء الانسان فى ثلثمائة الف سنة . وعبر بثلاثمائة سنة غلطا فى موضعين (ص ٢٩٠ س ٧ و ٩) وقد نقلنا كلامه بنصه فيما مضى (ص ١٤) ثم تدرج من ذلك بسفاهة ووقاحة وبذاءة على زعماء الدين فقال (ص ٢٩٣)

« أما هؤلاء الذين قلدوا الزعامة الدينية واختيروا لقيادة الفكر الاسلامى فى أحوال سيئة قاسية ولأسباب ينكرها الدين والعلم قد عصفت بهم نوبة من نوبات الفساد الذهنى وموجة من موجات العماية الأصيلة واجتاحهم إعصار من أعاصير الجهل التليد البليد فقاموا وهم يترنحون من الغباوة ويتمايلون على أنغام الشيطان ليوقعوا على أكذوبة علمية من أعظم وأشهر الأكاذيب العلميـة فى التاريخ فقـد زعم هؤلاء - بين هتاف الغباء المتواصل - فى كل كتاب كتبوه وقول قالوه أن سعادة الانسان وطريق تقدمه وراءه لا أمامه ،وأن عليه أن يتلفت خلفه أبداً وألا يمد بصره بين يديه ابداً وأن يرجع القهقرى وينـكص إلى الوراء مااستطاع إلى ذلك سبيلا ليظفر بالسعادة وبالعلم وبالعقل وبالاخلاق وبالعدالة والنظام الاجتماعى المبرأ من العيوب والنقائص وزعموا أن كل خير هو فى أعمال الماضين وكل شر هو فى أعمال المتأخرين وأن كل خير فى اتباع من سلف وكل شر فى اتباع من خلف وان كل مايمكن تصوره من الخير فقد مضى، وكل ما يمكن تصوره من الشر فقد بقى . . .

. إذ قد ادعوا أن الانسان فى كل نواحيه العقلية والعلمية والاخلاقية والخلقية والجسمية قد أخذ حظه من الكمال فى الزمان الأول ثم عاد يتناقص وراح ينحدر مسرعاً فى سلم الرذيلة والجهل والانحطاط والضعف فى كل شىء وأنه لا يمكن أن يتوقف عن انحداره حتى يقضى عليه القضاء الأبدى الأخير الخ .

وحسبك من شتم هذا الوقح لمن احترم السلف وعظمهم ، واعتقد

فيهم الخير والفضيلة بذاءه وما هذى به من تحقير خير القرون وأزهر عصور الاسلام وحقده الذى لم يقدر على إخفائه على الاسلام وأهله وعلمائه وحماته . أما مسألة تقدم الانسانية أو تأخرها ، وهل هى فى ارتقاء أو انحدار ، فستأخذه عن أحدث آراء العلم عن لسان استاذ فى جامعة من جامعات العلم بأوربا التى يعبدها الكاتب ويؤمن أنهم هم الناس فضلا عن نصوص الدين كما ترى : فماذا نشترى : آلدر أم البعر ؟

جاء فى مجلة الاثنين عدد ٦٧٦ (٢٦ مايو سنه ١٩٤٧) تحت عنوان (يوم القيامة قريب) « يقطع العالم الألماني شيلر الأستاذ بجامعة « بون » أن الانسان سيختفى قريباً عن ظهر الكون ، وأن يوم القيامة أقرب مما يظن الكثيرون ، وهو يضع لحكمه هذا «حيثيات» نوردها فيما يلى :

١ — لم يطرأ أى تحسين على النوع البشرى منذ مدة طويلة من السنين ، وهذا ثابت بالنتائج التشريحية للجسم والمخ

٢ — فان عقل الانسان فى القرن العشرين لا يختلف وعقل الانسان منذ فجر التاريخ . وليس أدل على ذلك من أن قدماء المصريين كانوا عباقرة فى شئون الهندسة والمعمار والكيمياء وفنون الحرب ، والفينيقيين كانوا نوابغ الجغرافيا والملاحة والتجارة . وقدماء الاغريق كانوا أرباب الأدب والشعر والنحت والموسيقى

٣ — وإذا كان الانسان قد توصل إلى عدد من الاكتشافات والاختراعات العظيمة خلال القرنين الأخيرين ، فليس يعنى ذلك أن عقله قد ارتقى أو تطور ، بل مرجع ذلك إلى المصادفة فى غالب الأحيان ، وإلى

تراكم المعلومات التى توارثها الانسان فى العصر الحديث عن آبائه وأجداده خلال مئات السنين الماضيه

٤ — بدأت الجماعات تهوى وتنحلّ خلقيا ، والخلق هو رباط المجتمع السليم ، وليس أدل على ذلك من انتشار دور الرقص والملاهى المبتذلة ، وتفشى الآراء المتطرفة المادية . وفى هذا دليل على ثورة الجنس البشرى على الأوضاع التى فرضتها الأديان (تأمل)

٥ — ويقرر شيلر أن حدوث حربين عالميتين فى مدى عشرين عاماً دليل على عدم رضاء الجنس البشرى عن النواميس الخلقية التى تقيد بها فى عصر نهضة الضمير الانسانى ، ودليل على انطلاق غرائزه الحيوانيـة التى كانت على أشدها منذ آلاف السنين . ومعنى ذلك أن البشر قد وصلوا إلى مرحلة الشيخوخة التى تشابه مرحلة طفولتهم الأولى مع فارق واحد هو أن الطفل مرجوّ التقدم ، والشيخ ينحل ويفنى

ويقول «شيلر» إن فى ذلك كله علامات الساعة ، وأن المتدينين قد ـنون أسعد الناس بهذه النهاية العاجلة »

فليتدبر كاتب الأغلال كلام العالم الألمانى لعله ينظف جروحه الصديدية من جراثيم الأفكار الغوستافية وميكروبات الدهرية البائدة . وليفهم كلام هذا الأستاذ الجامعى الأوربى حتى يناقش حيثيات حكمه بالحكمة والعقل والأدب لا بالسفاهة والسباب التى كالها لسلفنا والمؤمنين بفضائلهم وبما جاء فى ديننا وبما يشهد له الواقع من انحطاط الناس خلقيا وأدبياً بل وجسمياً وتدهورهم فى ذلك كله عن سلفهم كما يشهد بذلك الواقع

المشاهد فى المراسح والمواخير وشواطىء البحار (١) وسنشير إلى شيء مما جاء فى القرآن وصحيح الأحاديث بعد مانفرغ من نقاش بعض آراء الكاتب فى هذا الباب

قال الكاتب أول ص ٢٩٤

« وقد حاولوا — والبلاهة تحدو لهم — أن يعززوا هذه الدعاوى بروايات وأخبار نسبوها إلى الرسول عليه السلام وإلى أصحابه وإلى الأئمة المقلدين. وجدّوا فى نشر هذه الأخبار والروايات والآراء وفى ترويجها حتى أمكن لهم أن يصيروا من هذه الخرافات ثقافة عامة يلتقى عليها وينضوى إليها أربعمائة مليون من الأجناس المختلفة . . وقد استسلم لهذه الثقافة أو لهذه الخرافة كل الطوائف وحتى أصبح اعتقادها والتصديق بصدقها مما يتسامى على الخلاف والجدل وحتى قام عليها من الإجماع بين الخواص والعوام مالم يقم على قضية أخرى .

ولو أن قائلا قال انه لم يدر على خاطر انسان الشك فيها وفى صحتها كل هذه القرون لما كان قائلا باطلا ولو سئلنا عن أكبر غلطة نهض عليها الاجماع الحقيقى أكبر مدة من الزمن لذكرنا هذه القضية فى أول مانذكر

(١) وإن ارتقت صناعاتهم المادية فلهدم مجتمعهم الخلقى والأدبى والدينى ولا سعادة لأمة إلا بقيام دينهم وما ينشأ عنه من خلق وأدب . وقال تقولا حداد فى آخر مقال ميلاد عصر الذرة ص ٢٥٦ مقتطف ابريل سنة ١٩٤٦

الأرجح أن هـذا الانسان لن يتوب الى الله وأن مدنيتنا الحالية شاخت وهرمت وهى تحمل مابين جوانحها عوامل فنائها هى ابتدعت القنبلة الذرية والقنبلة الذريه ستفنيها وهكذا سينقرض الانسان عن وجه الأرض كما انقرض قبله الدينوسور وأصناف الانسان السبعة التى تقدمت — إلى أن قال : هل يمكن أن ينقرض الانسان عن وجه الأرض كما انقرضت أحياء قبله ولكن أين العقل ! العقل بلا أخلاق لايقى الانسان من الفناء . ا هـ

فانظر إلى تكذيب خيار الأمة وخير قرونها ، وجلة أئمتها وعلمائها ، ورميهم بالبهتان . ثم رمى إجماع الامة الحقيق بالخرافة والبطلان ؛ ثم رمى الأمة التى شهد الله لها بأنها خير أمة أخرجت للناس — خواصها وعوامها — بالجهل والكذب والزور والبهتان . ونترك اليك أيها المؤمن الحكم والتعليق

قال الكاتب ص٢٩٥

« كان أقوى ما عززوا به هذه الأغلوطة انهم قلدوها مصلح البشرية عليه السلام وصحابته وانهم ذهبوا يجمعون الروايات من هنا وهناك ويزعمونها من كلامه إلى أن استقرت فى الأذهان هذا الاستقرار الذى صار من العسير التشكيك فيه وزحزحته .

من هذه الروايات الروايه التى أوردناها فى مطلع البحث وهى (لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه)

وقد ردها الكاتب بأمور مضحكة ستسمعها لتضحك معى من فهم الكاتب وعجمة قلبه وعقله . وهذه الرواية فى صحيح البخارى من رواية سفيان الثورى عن الزبير بن عدى قال : أتينا انس بن مالك فشكونا اليه مانلقى من الحجاج فقال اصبروا .. فمن ذا الذى يريد الكاتب أن يكذبه من هؤلاء الرواة : أهو سفيان الثورى أو شيخه أو أنس بن مالك ؟

والكاتب يردها كما فى ص ٢٩٥ بأمور قال:

(١) انها سب للدهر فتكون مخالفة للروايه الأخرى الصحيحة ولا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر)

فأقول له : من عجمة عقلك وهواك أتيت ، فبيان الحقيقة ليس بسب ، فمن قال عنك إنك صعيدى كان أبوك أو جدك ممن نكبت بهم نجد فليس

سابًا ، ومن قال لعنة الله على الصعيدى الملتصق بالقصيم ، لعنة الله على من يلتصق بقوم وهم ينكرونه ولا يعترفون به ، فهذا هو السب ، فالسب المنهى عنه للدهر هو كقولهم ياخيبة الدهر ويانحس هذه الأيام ، ويا شؤم تلك الليالى .الخ.

وأما قولك : هذه السنة جدب ، وهذه السنون شداد قحط ، وغير ذلك فليس من السب فى شىء كما يعرفه كل عربى مستقيم السليقة والفطرة والعقل والفهم . وشتان بين هذا وذاك

ثم من أين لك صحة الحديث الآخر « لا تسبوا الدهر » والذين رووه هم مثل من روى حديث «لا يأتي زمان» الخ . الكل من مشكاة واحدة ، وعن رواة متشابهين وأئمة عدول . فلماذا رددت هذا وقبلت ذاك : آلهوى أم العمى ؟ أم نظرية النشوء والارتقاء ؟ أم تسفيه إجماع الامة المعصومة ؟ أم اتباع غير سبيل المؤمنين ؟

وبيان حقيقة الزمان ليس سبًا له كما قدمنا ، وهى بيان لأهله بأسلوب عربى معروف جاء مثله فى أبلغ الكلام وأفصحه (واسأل القرية) (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) (ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة) فقصد الحديث أنه لا يأتى أهل زمان إلا والذين بعدهم شر منهم فى الخلق والدين والحشمة والآداب . وهذا هو الواقع حذوك النعل بالنعل

(٢) رد الحديث لكونه يدل على أن كل أهل زمان يكونون شرًا من الذين قبلهم . ثم قال:

«إن هذه دعوى يكذبها الحس والعقل والتاريخ ، والاديان كلها لا تخرج عن

أن تكون بجملتها تكذيبا لهذه الدعوى ، لانها جاءت لنقل الناس من حالة عامة إلى أخرى مغايرة - وقد نقلتهم - وكان الناس الذين قبلوا الدين هم بلا ريب خيراً من الذين قبلهم ممن كانوا على خلاف الدين فكان الأنبياء والمؤمنون بهم خيراً جداً من الذين قبلهم » الخ . ما قرر . . . .

وأقول له : من عجمة العقل أو من الهوى أتيت . فالحديث يقول « لا يأتي زمان إلا والذى بعده شر منه » فيحكم على الزمن المستقبل بعد التكلم به أى بعد زمانه ﷺ ، كما يدل على ذلك الفعل المضارع المنفى بلا ، كما يعرف ذلك من عرف العربية ذوقا أو قواعد أو جمع بينهما ، ولم يقل الحديث « كل زمان » حتى يرده بهذه اللوازم التى لا ترد على لفظ الحديث ، والعامى الذى لم تفسد فطرته يذوق الفرق ويميزه بين « لا يأتى زمان » انه للحكم على الزمن المستقبل ، وبين « كل زمان » انه تعميم للحكم على كل زمن مضى ويأتي ، وشتان بين الحكمين عند من عقل وأنصف ؛ ولم ينظر إلى ارتقاء الصنائع والمخترعات ، ويعمى عن تأخر الخلق والدين

(٣) رده الكاتب بسفاهة تدل على قلة الفهم والانصاف ، وعلى عدم معرفة التاريخ فقال ص ٢٩٦

« وفى الرواية قصة هى كوثيقة الجريمة التى تعلق فى عنق المتهم قالوا أتى الناس انس بن مالك وشكوا اليه ما يلقون من الحجاج بن يوسف فقال انس اصبروا فانه (لا يأتى عليكم زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم) سمعته من نبيكم . . . وإذن فالرواية سيقت فى مقام الامر بالصبر على مظالم الحجاج بحجة أنه لا أمل فيما يطلبون من العدل ومن الحكم الصالح ولا أمل فى أن يوجد أحسن من الحجاج ومن خليفته المرخي له فى عنانه ليخوض فى عدوانه الخ . . ! .

إلى آخر ماأطال الكاتب فى ترديده لرد الرواية والتهكم بها وبرواتها، ومن آمنوا بها

وأقول : إن ما جعله من القصه كوثيقة الاجرام فى عنق المتهم هى أول دليل على صدق الحديث وصحة القصة التى روى لأجلها

ومن يك ذا فم مر مريض   يجد مراً به العذب الفراتا

ذلك أن أنس بن مالك رحمه الله وقد استفاد من صحبة النبي وخدمته، وما سمع من أحاديث الحض على الجماعة والنهى عن الفرقة، والخروج على أئمة الجماعه ولو جاروا، وما استفاد من عبر التاريخ، والواقع من النتائج السيئة التى حصلت للخارجين على الجماعة، وما وقع بهم مما يبكى له التاريخ، ومن قصة خروج الحسين بن على سبط النبي وابن الزهراء وسيد شباب أهل الجنة وابن الخليفة الراشد على بن أبي طالب : فى خروجه على ابن زياد وما حصل للحسين مما نبكيه ونحزن له، ونتمنى أن يكون الحسين قد سمع مشورة عقلاء آله وأحبابه عليه كابن عباس وغيره من عدم الخروج على يزيد وواليه، وأن يأخذ بأقوال جده فى عدم الخروج، وبسنة أبيـه فى رضوخه لأحكام عثمان مع نقده لسياسته الأموية وعصبيتها، وبسنة أخيه الحسن بن على الذى تنازل عن بيعته فى الخلافة وحقه فى الولاية لخصمه وخصم أبيه معاويه حقناً للدماء حتى مدحه جده على ذلك مقـدماً بقوله فيه مشيراً اليه « إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » فتحققت نبوة النبي ﷺ فيه فى هذا التنازل الجامع لكلمة المسلمين. فلم يخف على أنس هذا كله، ولا عواقب ما كان من خروج

عائشة وطلحة والزبير على علىّ رضى الله عنهم أجمعين فى وقعة الجمل ، ولا خروج الخوارج عليه فى النهروان

فهل يريد الكاتب الجاهل بالدين والتاريخ وعبره أن يشير عليهم أنس بالخروج حتى يكون لهم فى التاريخ ما كان لفتنة عبدالرحمن بن الأشعث ومن معه الذين بنى برءوسهم بناء ، وسميت الوقعة بوقعة الجماجم تخليداً لعبرتها التاريخية .

إن كاتبنا حينما شكا من ظلم ملوك العصر بقوله ص ٢٩٧

« من مظاهر ذلك هذا الذى نشهده فى كل الطوائف فى البلدان الاسلامية أو الشرقية من الخنوع لخلفاء أولئك الجلادين الذين يحاولون اليوم أن يقوموا بتمثيل أدوار أسلافهم من الطغاة وقد رأينا البائسين المحرومين يجدون لذة كبيرة وسعادة نفسية ووجدناهم تشرق من وجوههم الكالحة المغبرة إذا أبصروا هؤلاء الذين أخذوا منهم كل شىء ولم يعطوهم شيئاً يمرون بهم بل انهم يقفون صفوفاً صفوفاً ليتمتعوا برؤيتهم وليسعدوا بمشهدهم إذا ذهبوا أو جاؤوا بمواكبهم التى يجب أن تملأ النفوس حقداً وغضاضة من غير أن يتألموا من ذلك أو تطرف له أعينهم بل لعلهم يذهبون يدعون لهم من أعماق صدورهم يسألون الله أن يزيدهم مما أعطاهم وأن يرفع من مقامهم فوق رؤوسهم أكثر مما رفع ولا ريب أن هذه الروح التى برئت من الاحقاد النافعة ،ومن الغضب والغيظ لرؤية المظالم والظالمين أثر من آثار هذه الروايات الخ .

فأنت ترى الكاتب مع حقده لهذه المظاهر الملوكية والمواكب لهم لم يستطع أن يتكلم فى أهلها إلا بحسرة عجائز الخوارج وتنهدات عذارى الفوضويين — هذا وهو فى القرن العشرين الذى يعده أرقى بمراحل كثيرة من قرن سائلى أنس ، القرن السابع الميلادى ، فاذا كان وهو بزعمه قد ارتقى

عنهم بتطور ثلاثة عشر قرنا علماً وشجاعة وزعامة وإصلاحا وبدنا ، لم نسمع منه غير أنات المرضى وآهات المكظومين ، أفلا يعذر أنس فيما أشار عليهم من الحكمة ورعاية مصلحة الجماعة الاسلامية حينئذ ، وليس مراد أنس أن حكم الحجاج لا يأتي ما هو خير منه ، ولكن يريد أن الجماعه الاسلامية فى زمنه خير من الجماعة التى تأتى بعده ، فالخروج عليها وتمزيق شملها سفه وطيش ، وعواقبه وخيمة كما سطره التاريخ فى دفاتره ، ودلت عليه حكمة أحاديث الحث على الجماعة والتمسك بها ، والبعد عن الفرقة وشرورها .

سنعود فيما بعد — قبيل آخر الكتاب — إلى شيء من نفاق الكاتب وجبنه ومناقضاته ومدحه لأقوام يرجو منهم فتات خبزه ، ثم ذمهم تحت ستار من النفاق حفظا لعيش دنيء . (١)

أطال الكاتب الكلام وكرر فى تعليل هذه الفكرة ، فكرة تعظيم الأوائل واحترام القدامى من ص ٢٩٨ـ ٣١٨ وأخذ يعدد مالها من شرور فى نظره ، وتحسر وبخع نفسه حزنا للألوف الكثيرة من مؤلفات أهل تلك القرون ، وانها شيء ضار غير نافع ، إلى أن خرج بالنتيجة التى يريدها ويتمناها « ص ٣٠٨ » فيقول

« يجد المصلحون اليوم - يعنى نفسه - عناء وإرهاقاً فى محاولتهم هدم ماشاده الجهل الأول ويذهب كل ما يبذلونه أو أكثره فى هذه المحاولة هباء . . . . والعائق الاكبر هو أن هؤلاء الذين يراد اصلاحهم يرون الكمال فى أولئك

---

(١) ومن ذلك طلبه ممن ذمهم بالظلم والغشم أن يشتروا له بيتا بمصر ببضعة آلاف من الجنيهات حتى رمى بسبب ذلك منهم بالجنون والحمق . ومن مد رجله لايمد يده

القدامى الذين يجدون هذه الأباطيل والخرافات فى كتبهم فمن المستحيل أن يجمعوا بين الكفر بأباطيلهم وبين اعتقاد الكمال المطلق فيهم - والسبيل التى لا سبيل سواها لاخراج هذه الجماعات المنكودة مما هى فيه أن تعلم الكفر بهؤلاء والشك فيهم وإساءة الظن بهم وبعلمهم وأن تعلم انهم كانوا تحت ظنهم بهم جداً وانهم أبعد عن الكمال من المعاصرين ومن المتأخرين وأن تعلم كيف تثق بنفسها وبعقلها وباستمدادها

إني لأنظر إلى هذا الميراث الثقيل الباهظ الملقى فى طريق المسلمين، وإلى هذه الأسفار التى تروع أعدادها ويعجز تمدادها . وما فيها مما لا يستقيم لأمة أمرها ووجودها معه فأفزع وتذهب الافكار بى كل وجه ثم تؤوب مجتمعة بي مجمعة على أنه لا خلاص إلا اذا استطعنا أن نكفر بهذا الميراث وعلى انه لا يمكن الكفر به الا اذا عرفنا كيف ننزل مورثينا اياه عن هذه العروش السماوية التى صنعناها لهم على حساب قوانا العقلية والدينية ثم أجلسناهم عليها ثم جثونا تحتهم نسبح بحمدهم ونقدسهم وننزههم عن كل مايخطر بالبال من اثم أو نقص أوضعف . فهل من سبيل الى هذا على انه لا سبيل سواه »

فاجمع بين هذا وبين رمى أنبياء بنى إسرائيل أنهم نكبة على البشر ؛ ورمى المتدينين وأنبيائهم بتأخير الحياة وإطفاء تألقها، وان الايمان بالله كان نكبة على البشر ، وانظر ماذا بقى فى جعبته من الحط على الدين وأهله وأنبيائه ، والايمان بالله واليوم الآخر

ونقول على سبيل التنزل : لاسبيل إلى هذا الكفر والمروق ،وهدم تاريخ الاسلام والكفر به وبرجاله وتراثه وتراثهم وبالدين كله بهذه السهولة التي يريدها الكاتب ويريدنا عليها لأجل أن نستبدل بذلك كله حضارة مادية عارية من كل فضل ، متهتكة ؛ يشكو عقلاؤها من شرورها ،

ويعترفون أن السعادة لم تمر بباب من أبوابهم كما نقله الأستاذ الامام فى آخر تفسير سورة «والعصر» عن ماكس نوردو فى كتابه المسمى (الأكاذيب العرفية لمدنتنا الحديث) قال الأستاذ الامام رحمه الله تعالى

« إن ما يُرى فى بعض الأمم من ظاهر السعادة ليس إلا لمعان السراب حتى إذا جاءه وحقق أمره لم يجده شيئا »

وقال ماكس أيضا فى كتابه المذكور مامعناه : إن الناس كانوا ولم يزالوا يطلبون الحق ، ولم يكونوا فى زمن أبعد عنه منهم فى هذا الزمان . ثم قال ماترجمته « إنك لو طرقت أى باب تسأل: هل مرت السعادة بهذا البيت ؟ لأجابك مجيب : إذا شئت فاطرق بابا آخر ، فان السعادة لم تمر ببيتنا »

وهو يقول ذلك بعد أن ذكر ما عليه حال الأمم الأوربية جميعها ، ونسبته من السعادة والشقاء ، وبعد أن أجمل من وصف أحوالهم والمصائب التى تتوقع لهم ، والآلام الشاغلة لقلوبهم أجمعين ، ما يرحمهم لأجله المقصرون عنهم ، ويزهد الراغبين فى مثل حالهم ، ويصرفهم عن اقتفاء آثارهم ، ويبين سبب ذلك وأنه بُعدهم عن الحق ؛ ونزوع أنفسهم إلى الباطل ، وفقدهم الصبر فى طلب المال ، وهرولتهم خلف داعى الشهوة لا يعصون له أمرا ، ولا يخالفون له إشارة . ومنشأ ذلك خلو نفوسهم من الركون إلى الاله الواحد خالق الجميع ورازق الأحياء ، ومقدر الأسباب لمكاسبهم على حسب ماوهبهم من القوى والقدر . اهـ وكما سمعته من كلام أستاذ جامعة بون الالمانية وكما يشهد به الواقع المحسوس

وها هو ذا غوستاف لوبون إمام الكاتب ومقلده ينصح للشرق

يبقائه على دينه وخلقه وأدبه ، وينعى على الغرب ويتوقع له شراً عاجلا
قال لوبون فى كتابه (حضارة العرب) ص٣٦

« إن مابين الشرق والغرب من الاختلاف عظيم ، وهو يبلغ فى عظمته مايتعذر معه اعتناق أحدهما لمبادىء الآخر وتفكيره

«وتعانى مجتمعاتنا تحولا بعيد المدى فى الوقت الحاضر ، وقد قلبت مبتكرات العلوم والصناعة كياننا المادى والأدبى رأساً على عقب ؛ ويقاسى الغرب خلافا شديداً فى مجتمعه ، ويكابد فى سبيل معالجة الشرور التى نشأت عن ذلك الخلاف أزمة عامة تسوقه باطراد إلى تبديل نظمه ، ويئن من عدم الانسجام بين المشاعر والمعتقدات الجديدة ، ويألم من تصدع مبادىء الأجيال السابقة . وتنال يد التغيير فى الغرب الأسرة وحقوق التملك والديانة والأخلاق والمعتقدات ، وتصبح هذه الامور موضوع جدل ، ولا يقدر أن يتكهن بما يتمخض عنه العلم الحديث.

(قلت) قد أغنى الواقع عن التكهن فلقد ولّد العلم الحديث بما أعطى الناس من صنائع وغرور بها ، وبما أفقر النفوس من الخلق والدين — شروراً طار لظاها فى حربين عالميتين فى أقل من ربع قرن ، حصدتا من النفوس والرجال والنساء والاطفال ما الله به عليم ، وخربت الديار وأعرت الابدان ، وأجاعت البطون ما تقشعر له الابدان ؛ والحرب الثالثة على الابواب ربما تأتي على البقية الباقية من الحضارة والعمران

قال لوبون : وقد كلفت الجماهير فى الوقت الحاضر بمبادىء سلبية ، وقد بلغ كلفها بها درجة الحماسة . قال : وحال الشرق غير ذلك ، فالشرق

فى طمأنينة وسكون ، ولا عهد له بما عندنا من الانقسامات والحياة الصاخبة ، وقد بلغت شعوبه التى هى أكثرية البشر - درجة ظاهرة من التسليم الهادىء الذى هو عنوان السعادة على الاقل ، وتتمتع شعوب الشرق بما خسرناه من التماسك ، ومعتقدات الشعوب الشرقيـة قويمة ، وتحافظ أسرها على استقرارها القديم ، وبقيت مقومات المجتمعات القديمة كالديانة والاسرة والنظم والتقاليد والعادات - وهى التى أصابها فى الغرب من الهدم ماأصابها - مؤثرة فى الشرق مسيطرة عليه ، وليس على الشرقيين أن يفكروا فى تبديلها ...

فهذا لوبون الذى يقلده كاتب الاغلال يفرق بين الشرق والغـرب ؛ وينعى الغرب ويندبه ويتوقع له ماحققته الايام من الخراب والدمار، ويمدح الشرق وينصح له أن لا يغير أوضاعه وخلقه ودينه . فماذا يقول كاتب الاغلال فى كلام إمامه هذا ؟ هل يرميه بالجهل والغباوة أو بالنفاق وسوء النية ، أو يرجع عما آذى به العقـلاء والخالق والدين والآداب ؛ فيكفر عن هذا التضليل بالرجوع عنه ونصح الناس بما نصحهم العقلاء قديماً وحديثا أنه لا صلاح لهم إلا بدينهم وخلقهم وآدابهم . وإن كنت أستبعد أن يتركه شيطان الغرور والاعجاب بالنفس أن يراجع الحق ، فذلك ما لا يرجى منه ولـكن القلوب بيد الله تعالى يقلبها كيف يشاء

ونقول للذين يريدون القوة ويتوهمونهـا من كتاب الاغـلال : إن هذا الـكتاب سموم وجراثيم للهلاك ؛ وليس من القوة فى شىء ، بل هو هدم لـكل مابقى فينا من قوة ومن طريق إلى الفلاح والفوز ، وليس بعد

تقويض الدين وآدابه وعقائده ؛ والكفر باختيار الله والتوكل وإنكار قدره ومشيئته ، والكفر بالآخرة والعمل لها وتحقيق أهلها والمؤمنين بها من غاية فى الافساد والشر

وبالجملة فليس ثم إلا دين الله وأنبيائه ورسله والصالحين من خلقه ؛ ودهرية فرعونية لوبونية تكفر بالله رب العالمين وبملائكته ورسله وآياتهم ونصر الله إياهم وخذل أعدائهم . وأسباب متصلة الحلقات محكمة الارتباط ينفى بها غوستاف ومقلده وقبله «أوغست كنت» وقبلهم فرعون ينفون بها رب العالمين الفاعل المختار ، أو رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، خالق الأسباب والقادر على وقفها وإبطالها ، والفعل بدونها ، وتأييد رسله متى شاء بوقفها أو إبطالها .الخ ما تقوم الديانات ويؤمن الرسل والمؤمنون بهم .

وهاك كلمة هندية فى قيمة الحضارة الأوربية مدعمة بشهادة أحد أبناء تلك الحضارة . قال السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى فى كتابه « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » الذى شرح فيه فساد المجتمع العربي والفارسى والروم قبل البعثة المحمدية ، ثم شرح الاصلاح الاسلامى العام للانسانية أجمع ، ثم تكلم على أصل المدنية الاوربية الحالية وبذورها الاغريقية والرومانية وخلوها من الروح والمعنى والخلق ، معززاً أقواله بشهادات حكماء الغرب — إلى أن قال :

قال الاستاذ جود فى كتابه المرشد إلى الشر العصرى ص ٢٦١ :

يقول دسرائيلى : إن المجتمع فى عصره يعتقد أن الحضارة هى الراحة

أما نحن فنعتقد أن الحضارة عبارة عن السرعة ، فالسرعة هى إله الشباب العصرى ، وأنه يضحى على نُصُبه بالهدوء والراحة والسلام ، والعطف على الآخرين بالقسوة .

ثم قال جود : إن الأوربيين قد فقدوا تعادل القوى والأخلاق ؛ والتوازن بين العلم بظاهر من الحياة الدنيا وبين الدين منذ قرون ، فلم تزل القوة فى أوربا بعد النهضة الجديدة ولم يزل العلم ينموان على حساب الدين والأخلاق ، ولم يزل ذانك فى ارتفاع وارتقاء ، وهذان فى انخفاض وانحطاط حتى بعدت النسبة بينهما ، ونشأ جيل كأنه ميزان لصقت إحدى كفتيه بالارض ثقلا « كفة القوة والعلم » وخفت الثانية « كفة الأخلاق والدين » حتى ارتفعت جدا ، فبينما يتراءى هذا الجيل للناظر فى خوارقه الصناعية ، وعجائبه الكونية وتسخيره للمادة والقوى الطبيعية لمصالحه وأغراضه كأنه فوق البشر ، فاذا هو لا يتميز فى أخلاقه وأعماله فى شرهه وطمعه ، وفى طيشه ونزقه وفى فسوقه وظلمه ، عن البهائم والوحوش . وبينما هو قد ملك جميع وسائل الحياة إذا هو لا يدرى كيف يعيش ؛ وبينما هو قد بلغ الغايات ووراء الغايات فى كماليات وفضول الحياة ، إذا هو لم يعرف المبادىء الأولية والبديهيات للحياة الانسانية والمدنية والاخلاق ، فتراه يصعد إلى السماء ويريد أن يناطح الجوزاء ، وهو لم يتقن شؤون الارض ، ولم يصلح ماتحت قدميه . وقد خوّلته العلوم الطبيعية قوة قاهرة ولكن لا يحسن استعمالها كطفل صغير أو سفيه مجنون يُملّك أزمة الامور ، ويؤتى مفاتيح الخزائن ، فهو لا يزيد على أن يعبث بالجواهر الغالية والنفائس المخزونة ،

ويعيث فى دماء الناس ونفوسهم

ثم قال جود الانكليزى : إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديرة بالآلهة ولكننا نستعملها بعقل الاطفال والوحوش . ويقول فى موضع آخر : إن هذا التفاوت بين فتوحاتنا الصناعية المدهشة ، وطفولتنا الخلقية المخجلة نواجهها على كل منعطف ومتعرج ، ونستطيع أن نتحدث من وراء البحار ؛ ونركب فوق الارض والبحر وتحتها ، وننصب آلات الاذاعة فى منازلنا ، ونستمع فى سيلان إلى دقات ساعة لندن الكبيرة ، الاطفال يتحدثون على الاسلاك . البرقيات المصورة ، آلات الكتابة الصامتة . نملأ الاسنان من غير وجع . الثمار تنضج بالكهرباء ، الشوارع تفرش بالمطاط . أشعة رونتجن نوافذ نطل منها إلى داخل أبداننا . الصور المتحركة تتكلم وتغنى . نكشف عن المجرمين والمغتالين باللاسلكى . الغواصات تذهب إلى القطب الشمالى والطيارات نطير إلى القطب الجنوبى ومع ذلك كله لا نقدر فى وسط مدننا الكبرى أن نخصص رحبة ليلعب فيها أطفال الفقراء فى راحة وسلام ، ونتيجة ذلك أن نقتل منهم ألفين ، ونجرح منهم تسعين ألفاً سنويا . قال لى فيلسوف هندى فى انتقاده اللاذع لإطرائي بعجائب حضارتنا — وكان بعض سائقى السيارات قد نجح فى قطع ٣٠٠ أو ٤٠٠ ميل فى ساعة ، أو أن طائرة طارت من موسكو إلى نيويورك فى ٢٠ أو ٥٠ ساعة (لا أحفظ)

قال الفيلسوف : نعم إنكم تقدرون أن تطيروا فى الهواء كالطيور ، تسبحون في الماء كالسمك ، ولكنكم إلى الآن لا تعرفون كيف تمشون

على الأرض !! ثم قال جود (ص٢٤٧)

قد استطعنا أن نسافر بسرعة زائدة من مكان إلى مكان ، ولكن الأمكنة التى نسافر اليها قلما تصلح للسفر . وقد زويت الارض للرحالين وتدانت الأمم ، ووطىء بعضها عتبة بعض ولكن كان من نتيجة ذلك أن توترت العلاقات بينها وأصبحت أسوأ مما كانت ، أما المرافق التى استطعنا أن نتعارف بها إلى جيراننا عادت فحشرت العالم فى حرب . اخترعنا آلة الاذاعة وتحدثنا بها إلى الشعوب والامم الشقيقة ، فكان عاقبتها أن كل شعب استنفد موارد الهواء لإيذاء الشعب المجاور ومعاكسته ، فيقنعه بفضل نظامه السياسى على نظامه

وقال : انظر إلى الطائرة تحلق فى السماء فيخيل لك أن صانعيها لعلمهم ولباقتهم وصناعتهم هم فوق البشر ، وأن من طاروا عليها أولا كانوا فى علو همتهم وجرأتهم وعزمهم أبطالا مغاوير ، ولكن انظر الآن إلى المقاصد التى استعملت فيها الطائرة وتستعمل فى المستقبل ، أليس هى قذف القنابل وتمزيق جثث الانسان وخنق الأحياء وإحراق الأجساد ، وإلقاء الغازات السامة ، وتمزيق أبدان الضعفاء من النساء والولدان إربا إربا . فهل هذه إلا مقاصد الحمقى أو الشياطين؟

وقال ص٢٦٢ : ماذا عسى أن يقول المؤرخ كيف كنا نستعمل المعادن والذهب؟ يذكر أننا توصلنا إلى معرفة الذهب وأماكنه باللاسلكى ، ويعرض صوراً تمثل اللباقة والمهارة التى كان أصحاب المصارف يزنون بها الذهب أو يعدونه . سيذكر المعجزة البونية التى كنا ننقل بها الذهب من

...ة إلى عاصمة ، ونقاوم بذلك قانون الجاذبية والثقل . سيبتجل أن يقول إن أشباه الوحوش الماهرين فى فتوحاتهم الصناعية كانوا عاجزين عن التعاون الدولى الذى كان يقتضيه ضبط الذهب وتقسيمه تقسيما صحيحاً، كانوا يُعنون بدفن المعادن بأقصى سرعة ممكنـة ، كانوا يخرجون الذهب والماس والمعادن بكل مهارة من بطون أرض أفريقيا ، ليدفنوه فى ظلمات مصارف لندن وباريس ونيويورك . اهـ ما أردت نقله مما نقله السيد الندوى من كلام الأستاذ جود الانكليزى . والأستاذ جود هو رئيس قسم علوم النفس والفلسفة باحدى كليات جامعة لندن

وقال الأستاذ السيد أبو عبد الأعلى المودودى الهندى فى فصل من فصول كتاب «تنقيحات» تحت عنوان « الأمم المريضة »:

ظهرت الحضارة الغربية فى أمة لم يكن عندها معين صاف ، ولا نبع عذب للحكمة الالهية . لقد كان فيها قادة الدين ولـكن لم يكونوا أصحاب حكمة ولا علم ولا شريعة إلهية ، لم يكن عندهم إلا خيال دينى لو حاول أن يسير بالنوع الانساني على صراط مستقيم فى طرق الفكر والعمل لما استطاع ، ولم يكن له إلا أن يكون حجر عثرة وسداً فى سبيل ارتقاء العلم والحكمة ، وهكذا كان ، فكان عاقبة ذلك ان الذين كانوا يريدون الرقى نبذوا الدين بالعراء ، واختاروا طريقا لم يكن دليلهم فيها إلا المشاهدة والاختبار والقياس والاستقراء ، ووثقوا بهذه الدلائل التى هى نفسها فى حاجة إلى الهداية والنور ، وجاهدوا واجتهدوا بمساعدتها فى طرق الفكر والنظر والتحقيق والاكتشاف والبناء والتنظيم ، ولـكن ضلت خطوتهم

الأولى فى كل مجال وكل جهة ، وانصرفت فتوحهم فى ميادين العلم والتحقيق ؛ ومحاولتهم فى سبيل الفكر والنظر إلى غاية لم تكن صحيحة ، إنهم فضلوا أن يسيروا من نقط الالحاد والمادية ، ونظروا فى الكون على أنه ليس له إله . نظروا فى الآفاق والأنفس على أنه لا حقيقة فيها إلا المشاهد والمحسوس ، وليس وراء هذا الغلاف الظاهرى شىء ، إنهم أدركوا من نواميس الفطرة بالاختبار والقياس ، ولكنهم لم يتوصلوا إلى فاطرها ، وجدوا المخلوقات مسخرة فاستخدموها لأغراضهم وجهلوا أنهم ليسوا سادتها ومدبريها ، وإنما هم خلفاء سيدها الحق ؛ فلم يروا أنفسهم مسئولين عنها ولا عليهم تبعات وحساب ؛ فزاغ أساس مدنيتهم وتهذيبهم وانحرفوا عن عبادة الله إلى عبادة أنفسهم ، واتخذوا إلههم هواهم ، وفتنتهم عبادة إله الهوى ؛ فساروا بهذه العبادة فى كل ميدان من ميادين الفكر والعمل على طرق شتى وسبل متفرقة خلابة رائعة ، ولكن مصيرها إلى الهلاك . هذا هو الذى مسخ العلوم الطبيعية فصارت آلة لهلاك الانسان. ضاعت الاخلاق فى قالب الشهوات والرياء والخلاعة والاباحة ، وتسلط على العيش شيطان الاثرة والشح والفتك ببنى الانسان ، ودس فى عروق المجتمع وشرايينه سموم عبادة النفس والانانية ، والاخلاد إلى الرفاهية والتنعم ؛ ولطخ السياسة بنعرة الجنسية والوطنية ، وفروق الالوان والاجناس وعبادة القوة وتأليهها والتغنى بها ، وجعلها هدف الانسانية الاكبر . وبالجملة إن البذرة الخبيثة التى أُلقيت فى تربة أوربا ونهضتها الاخيرة نبتت منها دوحة خبيثة أثمرت ثمرات يانعة سامة ، وأزهرت

أزهاراً بهيجة شائكة فروع خضراء تنفث غازا ساماً لا يُرى لكنه يسمم دم النوع البشرى . وغارسو هذه الشجرة الخبيثة من الغرب قد مقتوها، وأمسوا يتذمرون منها ، فقد خلفت فى كل ناحية من النواحى مشاكل وعُقداً عجزوا عن حلها ،وما حلوا عقدة إلا ظهر غيرها ، ولا قطعوا فرعا إلا نبتت فروع شائكة أخبث منه ، فهم فى معالجة أدوائهم وإصلاح شؤونهم كمعالج الخمار بالخمر ، ومداوى الادمان بالمداومة عليه وكناقش الشوكة بالشوكة التى تنكسر مع أختها ، عالجوا الرأسمالية الظالمة بالاشتراكية المتطرفة ، حاولوا استئصال الدمقراطيه الزائفة فنبتت الدكتاتورية المستبدة الخانقة . أرادوا أن يحلوا مشاكل الاجتماع فنبتت حركة تذكير النساء وحركة منع الولادة . أرادوا تشريع قوانين لاستئصال المفاسد الخلقية فهاجت حركة العصيان والجنايات . فلا ينتهى شر إلا بولادة شر ، ولا فساد إلا إلى فساد أكبر منه . ولا تزال هذه الشجرة تثمر لهم شروراً ومصائب حتى صارت الحياة الاوربية جسداً مقروحا متسمما يشكو كل عضو منه أوجاعا وأوصابا ، وأعيا الداء أطباءه ، واتسع الخرق على الراقع

الامم الغربيه تتململ ألماً بقلوب مضطربة وأرواح متعطشة إلى ماء الحياة ، ولكنها لا تعلم أين معين الحياة ، وأكثرهم لا يزال يتوهم أن مصدر مصائبهم من فروع هذه الشجرة فتراهم ساعين فى قطع الفروع ، ونزع الأغصان ، مضيعين أوقاتهم فى ذلك ، ولم يعلموا أن أصل هذا الشر كله من أصل تلك الشجرة ، فمن الحماقة أن يترقب الانسان فرعا صالحا من شجرة خبيثة . وقليل من عقلائهم من أدركوا أن أصل حضارتهم فاسد

وشجرتها خبيثة يجب أن تجتث من فوق الارض ؛ ولكنهم لطول عهدهم قرونا عديدة فى ظل هذه الشجرة حتى نبت لحمهم ونشز عظمهم من ثمارها لم يعرفوا أصلا آخر غير هذا الأصل يستطيع أن يخرج فروعا وأغصانا وورقا وثمرات طيبة صالحة سليمة نافعة ؛ فهم ومن قبلهم فى النتيجة والعاقبة سواء ؛ فهم يتطلبون علاجا يداوى سقمهم ؛ ويرفع عنهم كربهم ؛ ولكنهم لايعلمون ولا يعملون أين هو ؛ ومن علمه منهم - إن وجد - لايطلبه ولا يرغب فيه .

إنتهى ما أردت نقله من كتاب (ماذا خسر المسلمون) للعلامة السيد على أبو الحسن الندوى أستاذ التفسير بندوة العلماء بلكهنؤ بالهند مما لخصه من كتاب المستر جود الانكليزى رئيس قسم علم النفس والفلسفة باحدى كليات جامعة لندن من كتابه (المرشد إلى الشر العصرى) وما لخصه من مقالة « الأمم المريضة » من كتاب « تنقيحات » الذى كتبه على شكل مقالات الاستاذ أبو عبد الأعلى المودودى الدهلوى منشىء مجلة « ترجمان القرآن » الأردية بلاهور أوسع المجلات الهندية وأكثرها رواجا وحظوة عند الطبقة المثقفة وهو من كبار علماء السياسة والاقتصاد والفلسفة العصرية مع التضلع من الدين وعلومه ،وهو مؤسس (الجماعة الاسلامية) الواسعة الانتشار بالهند وأقوى جمعياتها الدينية . وللاستاذ المذكور كتاب « الجهاد فى الاسلام » وكتاب «الحجاب» و «تفهيمات» فى مباحث دينية فى الدفاع عن مسائل إسلامية . وكتاب «تنقيحات» في المسائل الناشئة عن اصطدام الحضارة الاسلامية بالحضارة الغربية الاوربية ؛

واصطراع الفكر الاسلامي والغربي . ورسالة (دينيات) في التوحيد والعقائد لطلبة الكليات، نقلت إلى الانكليزية . وكتاب (نظام الاسلام السياسي) نقل إلى الانكليزية أيضا ، إلى غير ذلك

وقصدنا من هذه الكلمة أن يعرف كاتب الأغلال نفسه ، ومقدار ثقافته العصرية كمًا وكيفا ، فلا يعجب بنفسه بما قرأ من أفكار دهرية مهلهلة ممزقة ، فيذهب بسفاهة وقلة حياء ليدعو إلى آراء بالية ، وجسد مسم لا روح فيه ولا معنى . فهؤلاء حكماء الغرب والشرق ومنهم هؤلاء الأقطاب الثلاثة : جود الانكليزي والسيد عبد الأعلى المودودي والسيد أبو الحسن الندوي ، وغيرهم كثير قد عرفوا شرور المدنية الدهرية الغربية وحذروا منها ،وأشاروا بالتمسك بقديمنا الذي يعده كاتب الاغلال أغلالا غلت يداه إلى عنقه وملأ الله فمه ترابا ، وأطفأ شعلته التي يريد بها حرق ما بقي لنا من تراث فاضل وتجفيف ما بقي في الكوب من علالة أخلاقية ، ومن ثمالة دينية .

وإن أنس فلن أنسى ما حدثني السيد أبو الحسن الندوي عن أخيه السيد عبدالعلي الندوي رئيس ندوة العلماء في معرفته بثقافة العصر وتخرجه في جامعة لكهنو من كلية الطب الحديث بها ، ثم جمعه بينه وبين الطب القديم الذي استفاده من حكيم الهند وزعيمها الكبير (أجمل خان) ثم تضلعه من علوم العصر بلغة أهله (الانكليزية) ثم قيامه بادارة ندوة العلماء وإمامة مسجد الحي وعلاجه لمرضاه جسديا وروحيا مع الزهد والورع ، والسير على طريقة الصالحين الأولين ، فلم يطش طيش كاتب الاغلال لنبذ كل

فضيلة بدعوى أنها غل . والكفر بالاسلام وعقائده وآدابه وروحانيته وعباداته وملائكته وقدره وثمرة الايمان بالله واليوم الآخر والتوكل عليه والثقة به الخ ما هذى به وما نفثه من سمومه وجراثيمه القاتلة السامة (فإنا لله وإنا اليه راجعون) (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)

***

نقلت مجلة مسامرات الجيب عدد ٩٤ (٢٧ ابريل سنة ١٩٤٧) تحت عنوان « هل للطبيب أن يقتل المريض ؟» قالت :

« وفى مدينة بنسلفانيا (أمريكا) عثر على جثث خمسة أطفال ووالدتهم وأبيهم ، وُجد الأطفال فى الغابة مغطين بملاءات وعلى مقربة منهم الاب والام ، وتبين بالبحث أن حالة الاسرة المالية قد ساءت ملى حد أصبحت معه لاتجد قوت يومها ؛ فلما اشتد اليأس بالأب ، وتقطع قلبه لمشاهدة زوجته وأطفاله يتضورون جوعا ، ويتلوون بالألم وهم يعتصرون بطونهم ، باع بعض ملابسه واشترى بثمنها مسدساً وبعض رصاصات ، وبعد أن أنام أطفاله فى الغابة وغطاهم بالملاءات ، أطلق عليهم الرصاص وأرداهم قتلى فى الحال ثم قتل زوجته ثم قتل نفسه »

يريد منا الكاتب أن نكفر بديننا وتاريخنا لهذه المدنية الوحشية البغيضة الخليعة الرقيعة فنصبح بهائم ووحوشا كاسرة ، ولا أريد أن أكثر من الشواهد والامثلة من الواقع وكلام العقلاء على فساد هذه المدنيه وضررها بالناس وإن تزخرفت وبرقت لهم بظاهرها الخداع

كسراب الصحارى ، فذلك يطول فيه الوصف

نعم اننا نؤمن أن الدنيا تترقى ، ورقيها محسوس ملموس كهذا الذى أجاد وأبدى فيه الكاتب لأنه لا يؤمن بغيره ؛ وهذا هو مبلغه من العلم وأمله من الحياة ، وغرضه من الوجود . اما الفضائل المعنوية والأخلاق وروح الدين فقد تأخر إلى الوراء مراحل ، والتاريخ والواقع والآيات والأحاديث وأقوال العقلاء كلها شاهدة بذلك

وقد قدمنا كلام الاستاذ الجامعى شيلر فى ذلك ونذكر الآن طرفاً قليلا من اشارات القرآن وتصريحات الأحاديث وإن كان لا يؤمن بها الكاتب لكننا نذكرها للمؤمنين بها لا له . فمن ذلك قوله (١) (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً . فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، فسوف يلقون غيا) وقوله (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) وقوله (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) وقوله (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) ويأجوج ومأجوج هما اللذان قال الله فيهم (إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض) وقال تعالى (والسابقون الأولون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأولين

(١) سورة مريم والشاهد فيها قوله (فخلف من بعدهم خلف) الخ

وقليل من الآخرين)

والأحاديث كثيرة شهيرة فى دواوين السنة التى يؤمن بها المسلمون، فمن ذلك حديث « لتتبعن سنن من قبلكم ذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه وراءهم » وحديث حذيفة الذي رواه البخارى ومسلم وأبو داود — واللفظ للبخارى — قال حذيفة « كان الناس يسألون عن الخير وكنت أسأل عن الشر مخافة أن يدركنى . فقلت يا رسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر حتى أتانا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال نعم . قلت فهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال نعم وفيه دخن . قلت : وما دخنه ؟ قال قوم يهدون بغير هديى ، تعرف منهم وتنكر . قلت فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها. قلت يارسول الله صفهم لنا . قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا . قلت : فما تأمرنى إن أدركنى ذلك الزمن ؟ قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت فان لم يكن لهم إمام ولا جماعة ؟ قال فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك »

وحديث « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها . فقال قائل : أومن قلة نحن يومئذ ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قال قائل يارسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » رواه أبو داود من حديث ثوبان

وأحاديث فتنة الدجال الكثيرة التى تبلغ حد التواتر المعنوى ،

وأحاديث الدابة وطلوع الشمس من مغربها ، وحديث « لا تقوم الساعة حتى لايقال فى الأرض الله الله » وحديث « لاتقوم الساعة إلا على شرار الخلق وعلى لكع بن لكع » وحديث « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وليس المراد ذكرها بألفاظها وأسانيدها فلها محل مبسط موفى من دواوين السنة بعنوان « الفتن والملاحم وتغير الزمان » آمن بها المسلمون وإن جحدها الجاحدون ، وحكمة قيلها لبيان الواقع من جهة ، وللاحتياط لتأويلها والعمل على التفادى منه بقدر ما يمكن لا للاحتجاج بها واليأس من رحمة الله بسببها . كلا ثم كلا

إن الكاتب لايؤمن بها وبما هو أظهر منها من أصول الايمان والاسلام كالايمان بالله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه على الوجه الذى آمن به المسلمون وصدّقه المؤمنون ؛ ولكن على وجه دهرى إلحادى تلقفه من نفثات سموم غوستاف لوبون وأمثاله

ولكن هل لنا أن نسأله : هل بغايا عصره وراقصاته وخليعاته خير من أمهاته وعماته وخالاته فى القرون الماضيه فى العفة والحشمة حسبما تقرره نظريته الارتقائية خُلقا وديناً ؟

﴿ الأسباب — أوهام الناس فيها ﴾ ص ٢٧٢ — ٢٨٦

بدأ الكلام بالتمثيل بالتربة الغنية بالعناصر اللازمة للانبات، وببذر البذر فيها ووقته المناسب وسقيه وفاق أصول الرى الصحيحة، فاذا هو قد نبت حتما، ومثّل بالتربة الخبيثة وعدم إمكان الانبات فيها وبالحى إذا قطع عنه الهواء أو الطعام والشراب فانه يموت. كل ذلك دليل على لزوم المسبب لسببه وعدم انفكاكه عنه بحال، وأنه لا يمكن أن تدخل بينهما قوة فتحل ما بينهما من ارتباط ولا أن يتدخل الله تعالى فيلغى السبب أو يوجد بغير سبب وإلا كان قوة مجنونة أو كالمجنونة الحمقاء السفيهة. وسيأتي له في باب مشكلة لم تحل إن من يؤمن بالله الفاعل المختار لا يمكن أن يكون سببيا فلا يكون ناجحاً فى الحياة وأن من يؤمن بقدرة الله تعالى على كل شيء فقد آمن أن الكون محكوم بقوة مجنونة أو كالمجنونة، ونقلت نص كلامه فى ص١٧ والرد عليها من كلام علماء القرن العشرين مشرفه باشا والسير جيمس جينز فى ص ٢٠ فارجع إليه وكن على ذكر منه. وتهكم بالخوارق والمعجزات واستهزأ بالقائلين بها. ثم قال هنا أول ص ٢٧٣

« أساء المسلمون الظن بالاسباب[1] وأكثروا من القول فى تقليل

---

١) أىّ مسلمين ؟ ان المسلمين الاولين أخذوا بالاسباب كل مأخذ، والا أمر بالأخذ بالاسباب أمراً. فاذا كان المسلمون الآن لا يحسنون الاخذ بالاسباب على وجهها لضعف فى التربية بنواحيها فهل معنى ذلك أنهم لا يقولون بالاسباب ؟ وليس السبيل الى تنبيههم هذا الذى كتبه صاحب الاغلال، فانه إنما يضلهم السبيل بمحاولة إيهامهم أن التقدم رهن بتركهم الدين، واتباع سبيل غير المؤمنين (غ)

وأثرها — بل فى تجريدها من كل قيمة وأثر ، وملأوا المنابر والكتب والنوادى والمجالس كتابة وخطابة بأن تحصيل السبب وافيا ليس معناه تحصيل المطلوب ، وأن فقده ليس معناه فقد المطلوب ، فقد تأخذ بأسباب شىء أحسن أخذ ثم لا تنال غرضك وقد تنال كل ماترجو بدون أن تأخذ بسبب واحد من أسباب ذلك .وقد زعموا أن القول بذلك قول بعظمة الله وبقدرته الشاملة وتصرفه المطلق

وقال ص ٢٧٨ « ومن أعظم ما جعلهم يسيئون الظن بالأسباب شيئان أحدهما ـ انهم حسبوا الايمان بقدرة الله المطلقة فى تصرفها وعملها ينافى الايمان بالأسباب وحسبوا أنهم إذا آمنوا بالسبب فقد قيدوا الله به وألزموه بألا يخرج عنه وأن لا يعمل بدونه والله عندهم غير مقيد فى فعل من أفعاله بل هو يفعل ما يشاء بلا قيد ولا سبب ولا إلزام [1]

وثانيهما ـ إنهم وجدوا المسببات كثيراً ما تتخلف عن أسبابها ووجدوا أن الانسان قد يؤدى السبب على الوجه الأوفى الأكمل فيما يبدو ثم لايصل به ذلك إلى غرض منشود كما وجدوا أن المرء قد ينال حاجته وغرضه بدون سبب »

هـذا الذى يحكيه عنهم عايباً عليهم زارياً مخطئاً لهم هو الصحيح يشهد به الواقع ويؤيده الاستقراء ،ونزيده على ذلك انه ربما يعتقد فى الشيء زمنا طويلا أنه سبب لكذا أو مسبب عن كذا ثم يظهر بعد ذلك خطأ هذا الاعتقاد والأمثلة فى ذلك كثيرة فى الطب والكميا والطبيعة ،فكم من الأمراض الجرثومية كان يظن الناس أنها من فساد الهواء أو الغذاء

---

(١) أما عند الكاتب ومن قلده فالله مقيد بسنن صارمة ونواميس طبيعية لا تنفصم أوقل عنه هو هذه السنن وأما الآيات والخوارق والمعجزات والديانات التى أتت بها فارم بها من وراء ظهرك وبهّت نقلتها ولو تواتروا حتى تكون سببيا ناجحا متألقا فى الحياة .

كالكوليرا والملاريا ثم عرفت بعد ذلك جراثيمها ،وكم أدوية اعتقد فيها ثم ظهر بعد ذلك خطأ الاعتقاد وكم من الآيات والخوارق خرقها الله لعباده كما شحنت بذلك كتب الديانات التي لا يؤمن بها الكاتب وإن آمن بهامن هم خير منه دينا وعقلا — والآيات والخوارق لا يعرف الناس لها سببا والا لما كانت خوارق ،فهذه عصا موسى التي تتحول حية تسعى ماسببها وكذلك يده البيضاء فى جسده الآدم وانفلاق البحرله الخ وهذه نارابراهيم التي صارت بردا وسلاما وإخصابه بالنسل والذرية بعد العقم والشيخوخة منه ومن زوجه وهذه آيات عيسى بن مريم وهو أول الآيات ولادته من أنثى بلا ذكر وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص على يديه ، وآيات نبينا محمد ﷺ من تكثير الطعام القليل صاع من شعير يطعم منه مئات الناس نحو الألف وكف من ماء يتوضأ منه المئات ، وقربتان من ماء تفتحان فيستقى منها الجيش الكثير- أناسيه وإبله -والقربتان لم تنقصا شيئا .ودعاء مستجاب لشفاء مريض ونزول مطر وكثرة تمر يسد دينا لجابر ،ويبقى بعد ذلك طعام الأسرة سنتهم وكان الدائن لايقبل ذلك التمر فى سداد بعض دينه ،وانشقاق القمر والأسراء إلى بيت المقدس ؛والعروج إلى السماء والإخبار بالنبوءات المستقبلة الكثيرة ،ووقوع كثيرمنها كما أخبر وسيقع الباقى حتما وكرامات الصحابة والتابعين — ومن بعدهم من صالحى هذه الأمة المدونة فى كتب الثقات الأئمة وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى طرفا صالحا منها فى كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) وتكلم عليها علميا ،وردّ على منكريها فى رسالته « المعجزات » وكلاهما

مطبوع منتشر بين الناس ،سائر فيهم مسير الشمس.

***

يريد منا الكاتب أن نكفر بذلك كله وأن نكفر بقدرة الله تعالى على اخلاف الأسباب وسلبها سببيتها متى شاء وعلى عدم قدرته أن يوجد بلا سبب أو أن يخرق نظام الأسباب والمسببات ،بل نواميس صارمة لم تتخلف ولن تنخرم . ومن اعتقد الله قادراً عليها إيجادا وسلبا وتعطيلا فقد اعتقده قوة مجنونة أو كالمجنونة ؛وأن الايمان بحتمية الأسباب وتسلسلها لا يمكن معه الايمان بخالق فاعل مختار ؛فلابد أن نكفر به سبحانه وتعالى حتى نكون سببيين ناجحين عنده ،والا فلا نجاح لنا ولا تألق فى الحياة

***

ثم يريدنا أن نؤمن بقدرة الانسان التى لا تحد ص ٣٧ وأنه

« تُرك غير محدود القوى الذهنية وان له أن يشارك الله فى عمله وأن يخرج من نطاق الانسانية الضعيفة الواهنة إلى رحاب الألوهية التى تتصرف كيف تشاء وتعلم ماتريد(١)

وانه أى الانسان أول ص ٦٩ « ما خلق إلا ليغالب الطبيعة والحياة ولينازع الله (١)فى علمه وقوته وقدرته

ورجاؤه أو خشيته ص ٦٧ . وقد تحقق الأيام أى الأمرين . الرجاء أو الخشية . أحسن . أن يأتي الزمن الذى يقال فيه : الانسان الصناعى والحيوان الصناعى . وهذا ما لايزال العلم أمامه حيران عاجزاً ولكنه لم يعترف بالعجز ولم يفكر فى

(١) هذا كلام مجنون لا يفقه مايقول ولولا رجاء أخى المؤلف فىّ مامضيت فى قراءة هذا السخف المروى عن صاحب الأغلال (غ)

الاستسلام للاخفاق ،ومحاولة صنع المادة الحية وإيجاد الحياة [1] فى المادة لا يزال من المعارك الملتحمة التى لم يكتب للعلم حتى اليوم الظفر بها إذ يكاد يكون سر الحياة من أسرار الطبيعة التى لم يرفع عنها العلم الاستار ولكن الانسان يقول انه انتصر فى نضال هو أشد [2] من هذا النضال الدائر الحامى من أجل الانتصار على سر الحياة ولغزها . وعلينا نحن أن نلزم الحياد حتى نرى لمن يكتب النصر .

وقال فى ص ٢٧٩ « أما تخلف المسببات عن الأسباب فهذا ما لا يكون أبداً وإذا تم السبب وجد المسبب لامحالة ولا يقع شيء فى هذه الدنيا إلا إذا اجتمعت أسبابه وإذا اجتمعت أسبابه فلابد من وقوعه على كل حال »

---

(١) الانسان لايستطيع أن يوجد شيئا مطلقا مهما تقدم به العلم وكل مايستطيعه هو استخدام ما أودعه الله فى المادة والطاقة من خواص ، حية كانت المادة أو ميتة ، وقد عبر العلم فى الماضى عن يأسه من إيجاد المادة أو إعدامها بقانون محفوظية المادة أو بقاء المادة كما كانوا يسمونه . ثم ظهر أن المادة لا تبقى وانها تنعدم كمادة بتحولها إلى طاقة ، وحتى هذا الانعدام قد كشفه العلم من غير أن يكون له فيه يد أو يكون له عليه أدنى سلطان فالعناصر الشعاعة كالراديوم والبورنيوم تتحلل إلى أشعة طبق سنن لا يستطيع العلم لها تغييرا ولا تحويلا ، فلا هو يستطيع أن يزيد فى سرعة التحلل ولا أن ينقص منه بأدنى مقدار مهما اجتهد فإذا كان العلم عاجزا حتى عن تعويق الانعدام أو تعجيله فهو عن إيجاد المادة فضلا عن إيجاد الحياة اعجز

فالعلم إنما يكشف عن الموجود كما أوجده الله ، واختراعاته إنما هى تطبيقات للسنن التى فطر الله عليها الأشياء فهو حين يكشف عن قانون لم يوجد هذا القانون وكل ما هنالك أنه بعد أن كان يجهل الموجود صار يعرف بعضه فيخيل إلى الجاهلين أن العلم يخلق ويوجد ،والعلماء أعرف الناس بعجزهم عن الخلق والايجاد (غ)

(٢) هذا كلام جاهل بالعلم وتاريخه فليس فى أهل العلم من يقول ان الانسان حل لغزا أصعب من لغز الحياة ليوهم نفسه أو غيره أن حل لغز الحياة ميسور (غ)

ثم استطرد لذكر آجال الأمم والأفراد وخطأ الذين يقولون أن للامم شيخوخة وضعفاً وهرماً . ونقول له ما بال النار التى أوقدها أعداء إبراهيم لم تحرقه حينما ألقى فيها، بل صارت برداً وسلاما عليه وما سبب تحول عصا موسى حية تسعى وكيف ولد عيسى بغير أب ولا تلقيح . وكم أعد من أسباب تخلفت مسبباتها عنها ومسببات بلا أسباب . ألا فليكشف القناع كما كشفه إمامه غستاف إذ صرح أن الخوارق والمعجزات أوهام انخدع بها رائوها ورواتها . ولا نجادله بالتواتر الذى لا ينكره إلا مباهت ولكن بالقرآن ، فإما إيمان به وكفر بالمادية الدهرية وإما إيمان بها وكفر بالقرآن المملوء بالآيات. ثم قال ص ٢٨١ :

وهذه الآراء مصدرها كلها هذه الفكرة الباطلة - وهى فكرة إنكار الأسباب أو التهوين من شأنها أو الاعتقاد بأن الله يفعل بدونها أو يدخل بينها وبين مسبباتها ويحول بينها وبين نهاياتها .

نعم نؤمن بأن الله يفعل بها وبدونها وله أن يبطلها متى شاء ، ولتهن الأسباب وليسقط عبادها وليسقط النجاح الدنيوى معها وليسلم لنا ديننا وإيماننا . وأغرب ما ترى من تحريف الكلم عن مواضعه قوله ص ٢٨٢

وأما قوله (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) فالمعنى فيه أن هنالك أقواماً من أشراف العرب يوجب عليهم شرفهم ومكانهم من قومهم وفى قومهم وتوجب عليهم سيادتهم ذات الحقوق المعروفة المرعية وظروفهم القاهرة الحاكمة أن يخرجوا للقتال على أى حال حتى ولو كان فى هذا الخروج الهلاك المحقق إذا ماأهاب بهم داعى المجد وان لم يدعهم الرسول وأصحابه إلى ذلك . . . حكم هذى الظروف عليهم المحفوفة بالأخطار وأسباب

الهلاك هو معنى كتب القتال عليهم ومعنى بروزهم إلى مضاجعهم ؛ وليس معنى هذا أن هناك قوة خفية تلزم قوماً معينين بالخروج لأنهم مرادون للقتل لأغراض لا تعقل ، ولنعدّ فهمنا للأشياء كلها من جديد

يعنى على ظلمات المادية والدهرية فبماذا أتعجب ! من تحريف الآية وتحميل (كتب عليهم القتال) ما لا يحتمله حتى عند برابرة الأعاجم فضلا عن العرب أم من إنكار القدر والقوة الخفية التى ساقت من كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم. ولما شعر بسخف ما أتى به فى ذلك أشار إلى أنه تجديد فى الفهم وأنه يطرد هذا السخف فى التجديد(١)

وأسأله عن قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها)

ثم سار فى تقديس مادية الأسباب والاستدلال على ذلك من طبيعة العرب وبلادهم حتى قال آخر ص ٢٨٣

إن العربى هناك ليرى الريح الملقحة بالبخار تهب على سمائه الصافية فتنعقد السحابة الثقيلة المتراكمة فلا تلبث أن تتهاوى وابلا مدراراً على أرضه الجدبة اليابسة العابسة فتوجد الحياة ، يوجد الأحياء ثم يكرر الجدب والشمس المحرقة على تلك الأرض الخضراء المعشوشبة فإذا كل شىء عابس هامد وهكذا تتكرر العمليات

---

(١) وأسأله عن قوله تعالى فى أول السياق (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) وقوله (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله) (إذ يوحى ربك إلى الملائكة إنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) وما نريد منه تحريفا مضحكا مبكيا كالذى سمعناه فى تحريف (لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) ويظهر أن الكاتب أراد من شرائع السماء مسخا دهريا مشوها قذرا أو أن يدس سمومه المادية الدهرية فى عسل الشرائع الالهية .

أمام بصره وبصيرته- ما بقي -بلا اختلال ولا اختلاف وبلا تدخل قوة من القرى في هذا فأين ما لاسبب له وأين السبب بدون مسببه ؟

فهل فطنت إلى قوله (بلا تدخل قوة من القوى) في هذا أي في نشأة السحاب ونشأة الحياة ؟ أليست هذه هي الدهرية ؟ وقوله (فأين ما لا سبب له وأين السبب بدون مسبب) أليس ذلك هو الكفر بالله وبآياته ومشيئته وقدرته . ونقول ان سني الجدب والقحط وجدت أسباب الامطار فيها ولم توجد الأمطار . والشمس وحرارتها والهواء موجودة كلها ولم توجد أمطار. ويستسقي النبي ﷺ لأمته فلا ينزل عن المنبر إلا وتهطل الأمطار كأفواه القرب ، ويمطرون سبتا كاملا (أسبوعا من سبت إلى سبت) حتى يضجوا إليه ليدعو برفعها فيدعو قائلا اللهم حوالينا ولا علينا ويشير بيده إلى السحاب فيتمزق تمزق الثوب وينجاب عن المدينة . فأين الأسباب التي عبدها الكاتب ويريدنا على عبادتها من دون الله تعالى ؟

واسمع لونا آخر من ألوان الهزء بالله وقدرته وشرعه والأعمال الصالحة ص ١٩٧ س ١٠

« ومن الأمثلة السيئة للجهل بسنة الحياة أو بسنة الله[١] في الحياة أن الناس يريدون أن يبلغوا جميع أغراضهم المادية والمعنويه بغير وسائلها الطبيعية فهم يريدون أن ينالوا الثراء الوفير والأولاد والصحة والقوة وأن . . . وأن . . . بماذا ؟ إنهم يريدون أن يدركوا ذلك كله بالدعاء المجرد تارة وبالبكاء والضراعة

(١) وتفطن إلى هذا العطف التنويعي بأو التفسيرية تعرف أن الله في إيمانه وفلسفته هو سنة الحياة ليس هو رب العالمين خالق الأسباب ومسبباتها القادر على انفاذها وإبطالها والخلق بدونها متى شاء وكيف أراد

تارة وبالصلاة تارات وبالصيام أخريات وبالايمان حينا بلا عمل وبالتقوى أحيانا، وبقراءة القرآن أو بترتيب الأذكار والاوراد والاحزاب ، ثم يزعمون أن القرآن والدين قد دلاهم على هذه الحقيقة . والدين والقرآن بريئان مما يزعمون

وذكر ص ٢١٤ الاعلان عن خطبة خطيب فى محاضرة عنوانها (الثقة بالله) فذكر خلاصه الخطبة واستحسان الناس لها وعلق عليها هازئا ساخراً بقوله

« انه حينئذ سيهبهم كل شيء وسيهلك لهم أعداءهم وسيقدم لهم صك الاستقلال التام ملفوفاً بحرير مصنوع فى السماء تحت إشراف الملائكة »

ياللهزء بالله وملائكته. ثم ذكر نجوم السماء المتلألئة التى تملأ الفضاء والتى تواجهك أينما توجهت والتى تزخرف بساطاً من حبات اللؤلؤ ذات الاشعاع المتوهج المتوقد الدائم الضوئية ومرور الأحقاب وهى محافظة على نظامها وسيرها ومداراتها بلا اضطراب ولا اختلال ولا فوضى ولا تصادم، وأن الذى يمسكها هو النظام الالهى ثم قال ص ٢٢٦ س ٤

« ثم سل قائلا : ارأيت لو أن الجن والانس والملائكة وكل الخلائق - أولين وآخرين - وقفوا فى صعيد واحد ثم سألوا الله جاهدين أن يفسد هذا النظام أو أن يغيره أو أن يتخلى عنه - أ كان من الممكن أن يجيب الله هؤلاء الداعين أو يقبل هذا الدعاء »

والجواب أن هؤلاء المخلوقات من جن وإنس وفيهم الرسل والأنبياء ثم الملائكة ليسوا من البلاهة والجهل بالله وسننه أن يدعوا دعاءً أحمق لا فائدة منه وأنهم ان أجمعوا على دعاء كان مستجاباً، ولكن الغرض هو تعجيز الله بما يسميه نواميس ونظاماً ،والهزء بالجن والرسل والملائكه أنهم لم يعرفوا ماعرفه الكاتب من مادية الكون وطبعية نواميسه وقوانينه

وأحيلك على ماقرره علماء الطبيعة فى القرن العشرين من انتقاض قانون السببية ،وأنه تحول إلى قانون احتمال شبيه مشرفه باشا بحمار جحا المنسى. وقرر جيمس جينز فيما مضى ص ٣٢ بطلان غرور مادي القرن التاسع عشر فى تلازم الأسباب والمسببات وبطلان آلية الكون وصرامة نواميسه الطبيعية فارجع إليه إن شئت

ولا نحتاج أن نذكر للكاتب الوقائع التى لا تحصى ولا تمد دعا فيها الداعون ربهم فاستجاب لهم وخرق السنن وهدم الطبيعة ،فدعاء زكريا الشيخ الهرم وامرأته العاقر وابراهيم وزوجه العقيم العجوز ونار إبراهيم وإحياء موتى عيسى وولادته بغير لقاح ذكرى ودعاء موسى على فرعون بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم الخ

لانحتاج إلى شىء من هذا فالكاتب لا يؤمن به ، وإنما نذكر على سبيل الفكاهة وترويح النفس ماذكرته مجلة الدنيا المصوره عدد ٦ سنة ثالثة ابريل سنة ١٩٤٧ من مذكرات متهم بالقتل نجا من الاعدام بمعجزة هو جون فوجن قضت عليه محكمة تكساس بالولايات المتحدة بالاعدام لاتهامه بقتل أحد رجال البوليس وكان القاتل غيره ولما سأله قسيسه حلف له أنه لم يقتله وإنما ارتكب ماارتكب من النهب والسلب لإطعام امرأته وأطفاله الجائعين وكان صادقا فيما قال وقد عرفه قسيسه الايمان بالله العظيم الذى هو أعظم من رئيس الجمهورية الذى كان المتهم لا يعرف أعظم منه فتعرف إليه بعد الكفر به ولجأ إليه ودعاه ولما أخذ إلى الغرفة الخضراء حيث كرسى الاعدام الكهربائى وأخذ الجلاد بيد المجرم ليجلسه على الكرسى

وفجأة خيم السكون على الغرفة الخضراء، ووقف المحرك الكهربائي وحدثت المعجزة للمرة الثالثة إذ كان قد وقف قبل ذلك مرتين ـ وأعيد المجرم إلى غرفته، وقال قبل إعادته لحاضرى التنفيذ: أيها السادة هل جئتم ههنا لتشهدوا جريمة . جريمة قتل برىء منهم بالقتل تهمة غير صحيحة ، هل تأكدتم الآن براءتى . وقال فى مذكراته : كنت أول من دخل حجرة الكرسى الكهربائي فى ولاية تكساس وخرج منها حياً . ولقد أيقنت حقاً ان هناك إلها يأخذ بيد المظلوم فجثوت على ركبتى وصليت بحرارة

تأجل التنفيذ أسبوعاً ليرسلوا المحرك لاصلاحه ، قال المتهم ليصلحوه وليفعلوا به ما شاؤوا ؛ إنه لن يصعقنى (قال ذلك لحارس الليل) فسمعته يقول لحارس النهار : لقد جن جنونه فراقبه قال المتهم مضت ثلاثة أيام وأنا مطمئن النفس وفى اليوم الرابع فتح باب غرفتى ونادى البشير : لقد صدر أمر العفو عنك ياجون فاذهب فأنت حر لوجه الله . اهـ

لعل الكاتب يؤمن بمثل هذه القصة أكثر مما يؤمن بما جاء فى الآيات والأحاديث فى إجابة دعاء الداعين وإكرام الله تعالى لرسله وأنبيائه وعباده الصالحين .وما ذكره الهيهاوى الذى هم باغتيال السلطان حسين كامل رحمه الله تعالى تحت عنوان « خمس ليال فى غرفة الاعدام » فى أحد أعداد مجلة الاثنين من أنه ليلة صبيحة التنفيذ بات يدعو الله تعالى ويقرأ عدية ياسين حتى أخذه النوم العميق ثم أوقظ فاذا بحكمدار القاهرة « رسل أو هارفى باشا » ومعاونه فما شك أنهم آخذوه لحبل المشنقة ؛ فقال الحكمدار جئت بنفسى لأبشرك بشرى إلغاء الحكم الاعدامى واستبدال الإشغال

الشاقة به قال فطار فرحا حتى صار يرقص أمامهم ويستعيدهم البشارة

وما ذكر فى أحد أعداد المختار من نحو سنتين من انقطاع حبل المشنقة بأحد من أرادوا اعدامه مع أنه جرب فى حمل كيس من الرمل ضعف وزن المجرم قبل ذلك . وكان ذلك مما أبطل التنفيذ الخ .

***

يقول فى مسألة رفع الانسان إلى مقام الربوبية وعدم الفرق بين الخالق والمخلوق والايمان بارتقاء الانسان إلى مراتب الالوهية ص ٣٦

« من الواجب المفيد أن تعرف من أين جاء الانسان هذا الكفر بذاته وانسانيته . . يلوح أنه كفر هذا الكفر لأنه أراد أن يؤمن بالله الايمان الذى تصوره فقد تصور أن أساس الايمان بالله قائم على التفريق بين الخالق والمخلوق أو بين الله وعباده فانه يجب أن يعتقد بأنه كامل فى كل شىء قوى فى كل شىء والعبد يجب أن يعتقد بأنه ناقص فى كل شىء ضعيف فى كل شىء »

فهذا الفرق بين الخالق والمخلوق وبين الله وعباده فى الكمال والقوة والعلم هو أساس الديانات كلها أوجبه العقل والفطرة والتجربة وإن أنكره هذا الكاتب وسماه ص ٣٧ س ١٣ « فلسفة مجنونه مخذولة وتدينا مدخولا » وهزأ بالدليل العقلى الذى يفرق بين الخالق والمخلوق وهزأ بالديانات التى تقرر ذلك ، فحكى ذلك حكاية المنكر الهازىء بقوله آخر ص ٣٦

« ثم البرهان العقلى يقضى بألا يكون المخلوق الحادث مثل القديم الأزلى وإلا فلا فرق بين القدم والحدوث ولكن المسألة كلها قائمة على التفريق بين الحدوث والقدم أو بين القديم والحادث ولولا هذا لما كان هناك عابد ومعبود ، ولكن الديانات كلها مبنيه على العبودية »

يعترف بأن هذا هو بناء الديانات كلها وأنه حكم البرهان العقلي ثم يحكم عليه بعد عدة أسطر من هذه الصفحة بأنها فلسفة مجنونة مخذولة ودين مدخول ويقرر مع الهزؤ بمن يخالف ذلك بعد أسطر :

إن الانسان تُرك - ولا يقول خلق - غير محدود القوى الذهنية وأن له أن يشارك الله فى عمله وأن يخرج من نطاق الانسانية الضعيفة الواهنه إلى رحاب الألوهية التى تتصرف كيف تشاء وتعلم ما تريد »

وسخّف الخطباء والعلماء والوعاظ وجميع رجال الدين وغير رجال الدين الذين يقولون مؤكدين لنا

« بأن الانسان ما خلق ليكون عالماً ولا ليكون شيئا كبيراً ولا ليغالب الطبيعة والحياة ولا لينازع الله فى علمه وقوته وقدرته آخر ص ٦٨ وأول ص ٦٩

وقال ص ٦٧ « وقد طفق من أجل ذلك يبارى الطبيعة ويساميها فى كل أفعالها وعجائبها » ومثل بالبترول والمطاط واللؤلؤ الطبيعى والصناعى ثم قال « واننا لنخشى أو نرجوا وقد تحقق الايام أى الأمرين أحسن — أن يأتى اليوم الذى يقال فيه الانسان الصناعى والحيوان الصناعى »

أي أنه يصنع الانسان انساناً وحيواناً لا يفترق عن الانسان الحقيقى والحيوان الحقيقى الذى سماه الطبيعى الذى هو صنع الله تعالى ثم ذكر محاولتهم الوصول إلى سر الحياة ومحاولة صنع المادة الحية ورجاءهم الوصول إلى ذلك ثم قال فى معرفة الانسان ما كان وما سيكون ص ٥٨ س ١٥

« انه - أى الانسان - راح يُولد هذا الوجود ويشهد تولده وتكونه وتوالده وذهب يحدث حديث الحاضر الشاهد : كيف ولدتْ مادة الكون (كذا) ومتى ولدت وكيف ظلت تتفاعل وتتطور ثم كيف أخذت تتوالد ثم كيف ولدت هذه الشمس وغيرها من الشموس (يالها من دهرية مغرورة) وقال ص ٥٩ «ثم لم يقف

يعمله عند هذا الحد بل ذهب مسرعاً يسابق الوجود فيسبقه وذهب يخبرنا مما بقي من عمر هذا الانسان وغيره من الأحياء ويخبر عن الأحداث والحوادث التي لا تزال في طريق الوجود والتي لا تزال تترقب »

(ياللتهجم السخيف) ثم حرف قوله تعالى (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) وإنه نفى عنهم المشاهدة لا العلم ص ٦٠ وطبق على الناس وقت نزول القرآن قوله في المشركين (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) آخر ص ٦١ وعممها في الجميع ولم يستثن مع أنها في الكفار الذين لا يعرفون غير الدنيا وهم عن الآخرة غافلون أمثال من قلدهم الكاتب وارتضى فلسفتهم الدهرية. ثم قال ص ٤٨

« ماذا ترى الآن في هذه الحياة التي تموج بأعمال الانسان والقوى المادية والفكرية التي أوجدها (١) هذا المخلوق. كيف استطاع الخروج من تلك الظلمات الأزلية حتى وصل إلى هذا العصر وكيف استطاع الوصول في سيره المتعثر واستطاع أن يسدد وقع أقدامه المتحركة في الظلام بدون أن يكون له هاد إلا طبيعته ومرشد الا حاجته ونور يبصر به السبيل إلا أمله وبدون أن يكون له قوة دافعة إلا استعداده المولد للطاقة بعد الطاقة بدون عطل أو توقف »

لا حول ولا قوة إلا بالله (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) (وما بكم

---

(١) لقد قلنا من قبل إن الانسان عاجز كل العجز عن الإعدام فضلا عن الايجاد بل هو في آلاته عاجز كل العجز عن أن يسترد من محصولها ما يكافىء كل أو جل ما وضع فيها من وقود. إن أهل العلم وحدهم هم الذين يعلمون مبلغ قصورهم عما ينبغي لأنهم أعلم بما يبذلونه وما يحصلون عليه. أما من عداهم فيظن فيهم ظن الطفل في أبيه من القدرة على كل شيء (غ)

من نعمة فمن الله) (ولو شاء الله ما زكا منكم من أحد أبداً ولـكن الله يزكى من يشاء) (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة) (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) (وخلق الانسان ضعيفاً)

***

علق على قول المسيحى الذى جعل فى تأليه المسيح فائدة للنصارى وتقديماً لهم على المسلمين أول ص ٣٩

« ليس بخاف مافى هذا القول من محاولة للتسامى بالمواهب الانسانية والحقيقة الانسانية وكم الفرق بين هذه الروح التى أملت هذا الكلام وبين تلك الروح التى أملت قولهم (ما للتراب وللمعلوم الخ) لقد عظم الفرق فى التوجيه والاتجاه فعظم الفرق فى النتيجة والغاية » ثم انظر إلى قوله ص ٩٧ فى الممتازين من الناس الذين يهبون الشعوب ماهى فيه من اديان ومعارف وصناعات ومخترعات ومكتشفات ولولا هؤلاء لما استطاعت الانسانية أن تنعم بشىء مما تنعم به اليوم من وجوه هذه الحياة المشرقة الواضحة فلكل هؤلاء الذين أعطونا هذه الحياة وعودونا على التحرر والخطو إلى الأمام شكر الانسانية أجمع »

فجعل الأديان كالمعارف والصناعات والمخترعات من هبات الاقوام الممتازين الذين أعطونا هذه الحياة الخ

ثم انظر قبل ذلك بعدة أسطر تحقير الدين وأهله والمتمسكين به بقوله ص ٩٧

« وقد جهلت وهانت تلك الأمة التى تحتاج إزاء الحقائق السافرة الملموسة إلى براهين دينية تقنعها بفائدتها وجواز الأخذ بها وإذا ما رأيت أمة تثير غبار الجدل الدينى أمام مايجد من مبتكرات العقل الانسانى ـ مجوزة أو مانعة محللة

أو محرمة ـ فاعلم أنها أمة فاشلة مريضة بعقلها وتفكيرها ودينها »

هكذا يكون تقليد الملاحدة كلوبون فالرسل والأنبياء والمؤمنون بهم الذين يقفون عندما شرع الله تعالى حلا وحرمة حظراً وإباحة فاشلون مريضون بعقولهم وتفكيرهم وبدينهم أيضاً فى نظر الكاتب ومن قلده. فبشرى للاباحية العصرية من رقص وفسق وفجور وعرى وتهتك وخلاعة وذم آخر ص٩٧

«هذه المخلوقات البشرية التى تأبى مفارقة إلفها واعتيادها لأنها إنما تعيش بحواسها المجردة فما رأت وأحست واعتادت فهو الحق ـ ومالم تحس وتألف فهو الباطل وشبههم بالعجماوات ثم تناقض ومدحهم فى آخر ص ٣٢١ وأول ص ٣٢٢ إذ يقول (وقد أبدع الأغريق والرومان والمصريون القدماء وغيرهم من الشعوب القديمة لأنهم كانوا يبالغون جداً فى حب مظاهر هذه الطبيعة حتى عبدوها وصيروها كل أملهم ورجائهم المنشود وهوت جميع الأمم التى انصرفت بآمالها عما ترى وتحس وتجد إلى مالا تجد ولا تحس ولا ترى. واستشهد بكلام غوستاف لوبون « إن الايمان بالله وحده كان نكبة على البشر ولم تستطع الحضارة البشرية أن تخطو خطواتها الصحيحة القوية إلا فى عهود الوثنية وعبادة الأصنام» (١)

فماذا نصدق وماذا نكذب المدح أو الذم وبأيهما يؤمن الكاتب أم هو التقليد بجهل صاحبه (كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى) لقد فتن هذا الكاتب بما قرأ من معربات كتب غوستاف لوبون فنقلها نقل تقليد

---

(١) إن الذى يقرن بين وثنية الاغريق والرومان والمصريين القدماء وبين تقدمهم ويقرن بين الاسلام وبين تأخر المسلمين الآن إنما هو كذلك الطفل الذى رأى بقرة بيضاء تحلب فظن أن بياض لبنها من بياض جلدها ! (غ)

بدون فهم لما فيها من تناقض أو بفهم منكوس وصار صدى يرددها بلا عقل حتى أن غوستاف لما استشهد بكلام فيلسوف انكليزى معاصر له ذكره الكاتب قولاً لنفسه حتى كأنه هو الذى اطلع على كلام هذا الفيلسوف بنفسه، فرحي للتقليد والسرقة والتحلي بثياب الزور. ألا فليذكر لنا الكاتب اسم ذلك الفيلسوف الانكليزى المعاصر الذى ذكر كلامه آخر ص ٣١٩ إن كان قد وقف بنفسه على كلامه من كتاب له أو محاضرة أو من مجلة أو جريدة، وإلا فهو لص غير شريف، ومصور لأفكار غيره تصويراً مشوهاً مختلا، ومستق بغير أدب من حياض غوستاف الحجة الوخيمة بدون اعتراف بمصدر تفكيره، ولا سند أقواله، بل يخرج أقوال غيره مخرج المبتكر المخترع المختلق المخترق لها، بلا حياء ولا حشمة ممن يطلعون على ذلك منه

وقال فى شرحه لكلام غوستاف: إن الايمان بالله وحده كان نكبة على البشر. الخ ص ٣٢٢

(يريد بعهود الوثنية تلك العهود التى سادت عبادة الطبيعة ومجاليها الجميلة ويعنى بعهود التوحيد تلك العهود التى أعلن فيها الدعوة إلى عبادة الله وحده وإلى العمل للآخرة وحدها والتأميل فيها دون الدنيا كعهود انبياء بنى اسرائيل وأسباطهم)

فهل عقل الكاتب قوله « عهود أنبياء بنى إسرائيل » وان منهم موسى وهارون وداود وسليمان ويوسف الذين أسس الله على أيديهم عز هذه الأمة الاسرائيلية وسيادتها وملكها ؛ وما كتب لهم التاريخ من أثر ومن عمل ؟ أم هو التقليد الأعمى لما كتب غوستاف

بدون عقل وفهم ؟ وهل نسى الكاتب ما كتبه سابقا عن علوم اليهود وفنونهم ، وعن حكم سليمان فى طلب الغنى ، وهم أمة أولئك الأنبياء ، أو نسى عز بنى إسرائيل أيام داود وسليمان ومن قبلهما إلى موسى وهارون ؛ وما ناله المصريون من حكمة يوسف وتدبيره فى وزارته ايام خصب بلادهم وجدبها وهو من انبياء بنى اسرائيل الذين ذم الكاتب عهودهم الدينية تقليداً لصنمه غوستاف بلا عقل . أو هو الهوس فى ذم الدين ورجاله وقادته من الأنبياء والحكماء والعلماء ؟

وقال ص ٢٣١ .

(وقد ثبت فى تاريخ كل الأمم التى أوجدت [1] التاريخ انها كانت تذهب هذا المذهب فى حب الجمال وتصوره ـ على درجات متفاوته ـ . . كما ثبت من جهة أخرى أن الأمم التى لا تكون كذلك تعجز عن أن تبدع فى الحياة وعن أن توجد لها بين سطور التاريخ حديثا يقرأ فيشوق . ومن الواجب أن نعتقد أن الأمم أجمع إنما هى صنع خيالها وأن خيالها إنما هو هبة رجالها الذين استطاعوا أن يسبقوها فى التصور والتصوير وأن يحدوا لها على أنغام المثل العليا . .

يقال له : هل قرأت تاريخ هذه الأمم وتخصصت فى كليات هذا التاريخ ؟ أم هل النقل الحرفى أم هو مدح الطبيعة والجمال وإبداع الحياة وهبة رجال الامم لها ؟

---

(١) لقد أوجدت الأمة العربية فى عصر الخلفاء الراشدين التاريخ من غير شك فهل كانت تذهب المذهب الذى يزعم صاحب الأغلال ؟ إنه يدعى الدعاوى جزافا بغير حساب ليثبت مذهبه عن طريقها . وليس من يفعل هذا ممن يقام له وزن ولا حساب (غ)

وقال فى مدح الاباحية والانطلاق من حدود الادب والحشمة ص ١٥٩

(وقد لوحظ ولا يزال يلاحظ وعلم النفس يقرر بمباحثه صدق هذه الملاحظة — أن الجماعات التى تضيق عليها رغباتها وتحرم من ميولها الطبيعية حرماناً هو العنت والإرهاق تجيء أبداً عاجزة فى عقلها وقلوبها وعواطفها ومشاعرها عن اللحاق بالجماعات الاخرى التى أطلقت ميولها من الاغلال والحرمان. هذه حقيقة يقررها علم النفس والاستقراء والتاريخ)

بشرى لكم أيها الفجار والفساق رجالا ونساءاً فقد أباح لكم الكاتب حل المقال لتكونوا أقوياء فى العقول والقلوب والعواطف والمشاعر وتلحقوا بالجماعات الأخرى التى انطلقت ميولها من أغلال الأدب والعفة والحشمة والدين .فتلحقوا بالفسق والفجور ركب الحياة وموكب الانسانية. وليس العجب من جرأته على علم النفس الذى يحمله تقرير ذلك ولكن العجب افتراؤه على الاستقراء والتاريخ ، لا أقول لهذا المباهت اقرأ تاريخ الامبراطورية الرومانية للمؤرخ الانكليزى « جيبون » وأسباب انحلالها وما كتبه العلماء وسطره التاريخ عن زوال الدول بسبب الرفاهية والفسوق والترف . وما أخبار ترف الأمويين والعباسيين والعثمانيين وغيرهم بخافية على من أرادها . وما أصاب الأمم المنقرضة بسبب الفسق والفجور حروب أوروبا المدمرة بسبب التنازع على الترف والرفاهية من العقلاء ببعيد

وقوانين انكلترا الصارمة بعد الحرب فى منع الترف أو تقليله إلى حد العدم حتى ماتعده ضرورياً فى حياتنا اليوميه كالدهن والسمن والبيض واللحم . واقرأ مقال « أتستطيع بريطانيا أن تنجح » للكاتب الأمريكى

(فرنسيس وكاترين دريك) فى مختار يونيه ٩٤٧ نقلا من مجلة اتلانتيك الشهرية تغنى عن نقل الشواهد على ذلك مبدوءاً بقوله : هل تستطيع بريطانيا أن تنجو من الافلاس وهى تعاني نقصاً فى الأيدى العاملة وقلة الطعام وتلفاً فى الآلات » واجمع بين قول الكاتب هنا وما نقلناه عنه فى ص ٦٠ تعرف الهاوية التى يريد الكاتب أن نتردى فيها ، ويكفى عقلك وقلبك ودينك فى وزن ذلك ونتائجه. ثم اجمع بين ماقاله الكاتب الامريكى فى ديون انكلترا الباهظة الفادحة التى تمد بعشرات ألوف الملايين ومئات ألوف الملايين وبين قول الكاتب فى الأغلال ص ٢٢٢ س ٢١ فى وصف بريطانيا « إنها ذات الثراء المخيف » فمن نصدق ؟ هذا المتطفل على مالا يعرف أم كاتبا المجلة الامريكية الشهرية اللذان يكتبان ما يعرفان من حقائق واقعية لمساها بأيديهما .

ومثل ذلك مدحه للانجليز فى اسقاطهم تشرشل ص ٣١٣ بقوله:

« إذ لاشك فى أن الانكليز إنما أسقطوا تشرشل لايمانهم بأن من الممكن أو من المحقق أن من سيخلفه سيجيئهم بأفضل وأعظم مما يجيئهم به واهب النصر لو أبقوه مكانه . . ولا ريب أن شعباً يعتقد هذه العقيدة فى تشرشل وفى خلفه شعب يؤمن أشد الايمان بالمستقبل وبالتطور وبأن المستقبل وأهله دائماً أفضل وأكمل من الماضى وأهله، تقوده هذه الأفكار الجميلة . . لعسير جداً مباراته وإنزاله عن سلطانه الضخم الواسع »

الخ ما استطرد ورمى به المسلمين أنه لوكان فيهم تشرشل لعبدوه وعدوا إسقاطه جنونا وخيانة وكفراً بالله. وتجهيل المسلمين الذين يذكرون سلطهم وأسماءهم الذين هم عند الكاتب لم يفعلوا شيئا « بل صنعوا مايستحقون.

عليه الرجم والتدمير والكفران الأبدى » لأنهم حفظوا الدين وحافظوا عليه وجاهدوا فيه وله، وهذا مما يستحقون عليه الرجم والتدمير والكفران الأبدى عند الكاتب الذى يفضل الانكليز واستعمارهم على المسلمين حتى على صحابة محمد ﷺ ،كما صرح بذلك عندما خانه حزمه ونفاقه أمام الكاتب الشهير سيد افندى قطب رئيس لجنة التأليف بوزارة المعارف المصرية

فهل يعجب الانسان من جهل هذا الكاتب بسياسة الانكليز وطرق قيام الحكومات فيهم تبعاً للحزب الفائز فى الانتخاب وسقوط حكومة الحزب الفاشل وأن فوز إتلى وسقوط تشرشل كان بسبب فوز حزب العمال وفشل حزب المحافظين ولهذا أسباب معروفة ذكرها الكتاب السياسيون فى الصحف السائرة فى حينه خلافاً لما علل به الكاتب واستطرد فى مدح الانجليز . أو يعجب لمدح الكاتب للانجليز فى تراثهم المخيف وسياستهم وسلطانهم الضخم الذى يعسر عند الكاتب انزالهم عنه واستعمارهم الذى يفضله الكاتب على عهد الاسلام الزاهر فى عصر رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين رضى الله عنهم ومن بعدهم وفتوحاتهم الوضاءة فى غرة جبين الدهر . ثم يشيع اليأس فى نفوسنا ويرهبنا بطش اليهود وقوتهم ويحسن لنا البقاء فى احضان الحماية الانكليزية أو الأمريكية ولو قرأ الكاتب ما كتبه السياسيون فى اخطاء تشرشل الشنيعة أيام وزارته لكف عن كيل المدح له جزافاً . واقرأ فى مختار يوليو مقال « فصل خفى من التاريخ » وفى عدد ١٣٧ (٢ شعبان سنة ٣٦٦) من جريدة أخبار اليوم مقال الأستاذ عباس العقاد ومحمد التابعي تغنيني عن نقل

، الشواهد ـ بقوله ص ٢٢١ س ١٧

« نؤمل اليوم أن تحمينا بريطانيا وأمريكا من هذا الغزو المحيط الماحق ـ مع أنهما هما الخصمان ـ إننا نخدع أنفسنا كثيراً ونضللها حينما نظن أن فى حولنا ـ لو تخلت هاتان الدولتان ـ أن نحمى أنفسنا بقوانا الخاصة من غزو الصهيونية وأخطارها .

فالصهيونيون مسلحون اليوم بأعظم وأحدث القوى العلمية والصناعية والمالية والفكرية والدولية . أما نحن فنكاد نكون محرومين من كل ذلك »

وإذن فالمخرج هل هو أن نبقى تحت حماية بريطانيا ذات الثراء المخيف والسلطان الضخم الذى لا يقهر أو تحت حماية أمريكا الفتية الناشئة التى فارت قوتها اليوم ؟ أو نعمل على الاتصاف بالمناعة الذاتية الداخلية التى تخيلها الكاتب ذراً للرماد فى عيون من لا يقرءون مابين السطور ؛ ولا ينظرون ما وراء الستائر ويفضون الغلف لينفذوا إلى مابداخلها . إن كان الكاتب يريد بالمناعة الذاتية الداخلية التى يشير بها علينا : المادية الحسية مع ترك الخلق والدين فبئس ماأشار به وأخدع به من غش ، وأكرم بما بقى منا من بقية دينية خلقيه ، ولعل الله ونرجوا رحمته أن يمن علينا بالرجوع إلى الدين الحق من كتابه وسنة رسوله ﷺ وسيرة الصحابة وخيار التابعين ، فنصبح خير أمة أخرجت للناس ، ونطفىء شر هذه المادية الدهرية التى قدمها لنا كاتب الأغلال بروح الله وشرعه وقدره وفضله ومعونته.

***

فسر القدر تفسيراً مادياً على خلاف ماجاء فى القرآن والسنة الصحيحة وكلام سلف الأمة وأئمتها فى ذلك ، مخطئاً فيهما قالوه وذهبوا إليه ، ثم

ابتكر له هذا المعنى فقال أول ص ٢٤٩

« فالقدر بجملته وجملة استعمالاته يراد به التقدير أى جعل الشىء ذامقادير معلومة أى يراد به جعل الشىء منظما فى كمه وكيفه »

ثم شرح هذا التقدير الكمى والكيفى بكلام طويل ممل ، واستدل بالآية (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . . ذلك تقدير العزيز العليم) إلى أن قال ص٢٥١

« قوله (ذلك تقدير العزيز العليم) يراد به القدر الذى ضل فيه الناس وصيروه عامل ركود وانحطاط مع أنه هو القوة والوثوب والنشاط . وختام الآية بقوله « العزيز العليم » هو كالتدليل على أن المقصود بالتقدير وضع الأشياء فى مواضعها وخلقها متناسبة متكافئة والعليم هو الذى يفعل ذلك ويقدر عليه)

فهل سمعت فى العجم أو البربر من فسر العليم بالذى يفعل ويقدر ؟

ثم قال فى آخر الصفحة

« وقوله ائتيا طوعاً أو كرها إشارة إلى فائدته وإلى أنه سنة محتومة لا تغير ولا تبدل » إلى أن قال ص ٢٥٣ س ١٧ « إن العالم يشبه إلى حد بعيد صناعة كبيرة فيها ملايين الآلات والعدد الدقيقة وكل هذه العدد والآلات تسير وتدور وتتحرك بدءوب لا ينقضى لغاية مقصودة ولايجاد شىء متقن عظيم بدون أن تقف هذه العدد وبدون أن تتصادم أو تتعارض أو يصيبها ما يحدث الخلل إن هذه الصناعة لابد أن يكون كل جزء فيها وكل آلة وكل عدة مقدرة بتقدير حكيم دقيق من ناحية حجمها وناحية موضعها وناحية كيفها ؛ ومن كفر بهذا التقدير فى هذه الصناعة الفخمة فقد كفر بعقله ، والايمان بهذا التقدير هو الايمان بالصناعة المذكورة والايمان بها هو الايمان بصانعها وكذلك هذا العالم إنما نظمه ونظم وجوده وبقاؤه وبقاء كل ما فيه بالاقدار المودعة فى أجزائه الصغيرة والكبيرة ولا يمكن للايمان بالله مع الكفر بهذا كما لا يمكن الكفر بالله مع الايمان

بهذه الأقدار إلا أن ينأى المرء عن عقله بعيداً ولكن الكفر بهذه الاقدار هو كفر بالانسانية العاقلة المفكرة فلا يكفر اذن بالله إلا من كفر بالانسانية وبمزاياها العقلية والمنطقية »

فبشرى للطبائعيين والدهريين الذين يقولون بآلية الكون وحكمه بنواميس طبيعية قائمة بالمادة ، إذ شهد لهم الكاتب انهم بإيمانهم بهذه النواميس التي سماها أقداراً يؤمنون بالله ولا يمكن أن يكونوا كفاراً بالله مع إيمانهم بهذه الآلة العظيمة الدقيقة. ثم ويل للمؤمنين بالله الذين يؤمنون أنه قادر على خرق هذا النظام والتصرف فيه، وكم خرق من عاداته وسننه على أيدى رسله والمصطفين من خلقه — ثم الهبل والثكل لعقلاء القرن العشرين إذ يعترفون بتدخل القدر فى إبطال قانون السببية وعدم القطع به بل آل إلى قانون احتمالي جحوي(١) وارجع إلى مانقلت لك من كلام عميد كلية العلوم وصاحب كتاب « الكون الغامض» وصاحب كتاب « مصير الانسان » آنفاً تستغنى عن تكرار الاعادة

أما معنى القدر فقد شرحه الأئمة والمحدثون والمفسرون بما يملأ قلب الكاتب غيظاً وحقداً وبغضاً لهم بما هو مبسوط فى كتبهم . وأخصر كلمة نقولها هنا حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام وأنه خلق

(١) نسبة إلى حكاية جحا إذ كان يعد حميره فيفقد منها ماهو راكبه فترك الركوب حتى لا يفقد منها شيئا والمثل ضربه عميد كلية العلوم على مصطفى مشرفه باشا فى محاضرته التى لخصت منها ما يرد على كاتبنا ومن قلدهم من دهرية القرن التاسع عشر وما قبله

القلم فقال له اكتب فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة » والحديث الآخر « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » وفى القرآن الكريم « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير »

وجواب موسى لفرعون عند ما سأله عن القرون الأولى فقال موسى (علمها عند ربي فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) (يضل من يشاء ويهدى من يشاء) (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء)

وحديث تحاج آدم وموسى وقول آدم فكيف وجدت أن الله كتب علىّ ذلك قبل أن يخلقنى بأربعين سنة ، فحج آدم موسى فحج آدم موسى »

وردّ الغالطين فى الاحتجاج بالقدر ليس بانكاره ، ولكن بتعليمهم إياه على الوجه الصحيح الذى يرشدهم إلى التوكل على الله ، وعدم الحزن على ما فات ، مما لا يوافق أهواءهم كما جاء فى الحديث « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن ، فإن غلبك شىء فقل قدّر الله وما شاء فعل »

ولقد كتب فى افتتاحية مجلة الرسالة أحد كتابها الأستاذ عباس العقاد

معترفا بالقدر ، مؤمناً به على الوجــه الذى يقرره الدين ويوجبـه ، وذكر صاحب كتاب « أومن بالانسان » ما معناه : إن علينا أن نسير فى أعمالنا قُدماً فان نجحت وإلا علمنا أن للعناية الالهية أغراضاً غير ما نريد وما نحب

***

قال فى ص ٢١٥

« قال أحد القواد العبقريين [1] الذين عركتهم الحروب وعركوها « إذا احترب فريقان كان الله مع أقواهما » ثم أخذ يوجه قول هذا القائد بقوله «وإذا استمعنا إلى قول الله فى كتابه « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » إستطعنا أن ندرك ما فى قول هذا القائد من حق وصدق فان هذه الآية قد جعلت نصر الله لنا إنما يأتى بعد نصرنا له ونصرنا له تعالى هو نصرنا لأنفسنا [2]

(١) لعله هتلر مؤسس النازية الألمانية . والكاتب لم يصرح باسمه مداهنة للانكليز يسترضيهم وكلمة زعيم ألمانيا من الخطابات التى يراد بها شحذ الهمم ليست من القواعد العالية، التى تحوج الكاتب الى تكلف توجيهها بهذه السخافات المضحكة المبكية

وقرأت فى بعض الكتب أو الصحف أنه ويلهلم غليوم الثانى عاهل ألمانيا قبل الحرب الاولى وموقد تلك الحرب الماضية قبل هذه

(٢) ويكون حل الآية وتفسيرها على زعم الكاتب هو إن تنصروا أنفسكم تنصركم أنفسكم. فيالها من عجمة مضحكة لقد ضحك الناس قديما على الاعجمي الذى فسر قوله تعالى (والسماء ذات الحبك) اذ قال أما السماء فهى السماء وأما الحبك فلا نعرفه نحن ولا أنتم. وهنا يؤول معنى الآية على ما فسرها الكاتب ان تنصروا أنفسكم تنصركم أنفسكم، والمغزى ليس فى الميدان الله ولا الايمان به ولا الثقة به والتوكل عليه، فياقرة عينك يالو بون بعطرع نجدى صعيدى يقرر دهريتك من كتاب الله تعالى .

وإذن فالله لاينصرنا إلا إذا نصرنا أنفسنا ولا يمكن أن ننصر أنفسنا إلا اذا كنا أقوياء وإذن فالله مع الناصر لنفسه والناصر لنفسه هو الأقوى واذن فالله مع أقواهما وهذا هو القانون العادل الشامل فمن هلك به فقد هلك بالحق والعدل ومن هلك بهما فلا ناصر له »

ونسأل الكاتب الفيلسوف : أين كان الله ومع من فى غزوة بدر ؟ ومن كان الأقوى منهما ؟ وما معنى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) ؟ ومع من كان الله فى جهاد موسى مع فرعون ؟ وقوله (ذروني أقتل موسى وليدع ربه) وما معنى قوله تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها)

وقال فى ص ٢٢٧

« والقدر هو النظام كله . . ويجب أن يعلم بأن الخلاف الذى قام بين الأنبياء والمصلحين وبين جميع أصناف المخالفين هو فى أمر واحد تحته أمور كثيرة هذا الأمر هو أن الأنبياء والمصلحين كافة انما جاءوا بالنظام والدعوة الى النظام فى كل شىء والى الايمان بهذا النظام . ثم شرح هذا النظام الى أن قال « ولا انتظار للخوارق والمعجزات التى تطلب من وراء الأسباب ومن وراء القوانين الطبيعية

ثم استدل بقوله تعالى (لن تجد لسنة الله تبد ؛ ولن تجد لسنة الله تحويلا) ثم قال :

« فهى لا تغير بل تجرى على وتيرة واحدة أزلا وأبداً ولا تصرف عن سبيلها بل تمضى فيه غير مبالية بمن هلك ولا بمن نجا »

وقد قطع بعض الآية عن بقيتها وعن سياقها ، ليتأتى له تحريفها ،

..والاستدلال بها على ما ذهب اليه من الباطل .. إن الله لا يخرق السنن الطبيعية ، والنواميس الآلية الميكانيكية جريا وراء ما ذهب اليه طبيعيو القرن التاسع عشر ، وقرره غوستاف فى آرائه واعتقاده . ولو جاء بالآية تامة مع سياقها قبلها وأراد أن يفهم الحق الذى دلت عليه لما هوى فى تلك الحفرة المادية الدهرية على وجهه

***

سابق الآية ولاحقها وسياقها هو (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم ، فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً . استكباراً فى الأرض ومكر السيء ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ، فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا . أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة ، وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الارض ، إنه كان عليما قديراً . ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ، فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا)

فأنت ترى أن الآية فى سياق تهديد قريش لكفرهم ونفورهم من النذير ، واستكبارهم على دعوته ، وأنهم إذا أصروا على كفرهم ومكرهم فلابد أن يصيبهم ما أصاب أمثالهم من الامم الماضية ، فاذا جاءهم ذلك فلن يرده عنهم راد ، ولن يحوله عنهم محول ، وهى كآية (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا) .وقوله فى

ذكر ما أصاب المكذبين من الأمم الماضية (أكفاركم خير من أولئكم؟ أم لكم براءة فى الزبر) وانظر إلى ختام السياق بقوله (وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض) بهذه التأكيدات المتكررة من نفى الشأن مع لام الجحود مع التأكيد بزيادة «من» وتنكير «شىء» فى سياق النفى، وتكرير النفى فى قوله (ولا فى الارض)

فهل يتصور العاقل أن ينقض آخر الكلام أوله، أو هو الفهم المقلوب؛ أو هو المادية الآلية وتقرير آلية الكون ونفى اختيار الله وخلقه وقدرته الشاملة؛ وتسمية ذلك قوة مجنونة أو كالمجنونة؛ والنعق بحماقات لوبون فى آرائه واعتقاداته؛ إذ ادعى أن الخوارق أوهام، وإن نفى تسلسل الأسباب يرجع بنا إلى عصور الأساطير، وإن علم الحياة نقض القول بعلة العلل — يعنى الله تعالى، وان الأنبياء والمؤمنين بهم منهوسون، وان الجنات أمل كاذب، والآخرة وهم باطل الخ

يريد الكاتب أن يمزق الدين رقعاً فيخيط منها ثوبا مهلهلا يلبسه تلك الفكرة الدهرية التى ضحك منها أهلوها وسموها فلسفة أطفال وقوانين جحوية، ونواميس احتمالية.

لو كان لفظ السنة فى الآية يفيد ما يريد الكاتب أن يحملها إياه من أن السنن أزلية أبدية لاتتخلف ولا تتبدل ولا تتغير، لناقض ما دل عليه القرآن من آيات الله تعالى التى أيد بها أنبياءه كآيات موسى وعيسى وإبراهيم وصالح والنبى محمد ﷺ، فيكون القرآن على فهم هذا الكاتب ينقض بعضه بعضاً. وهو ما تولى الله سبحانه وتعالى نفيه عن كتابه بقوله (ولو كان

من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فكيف ساغ فى عقـل الكاتب أن ينفى الله أن تبدل السنن والنواميس أزلا وأبداً فى موضع من كتابه ثم يقول فى موضع آخر (قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم) ويقول (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) ويقول (ويكلم الناس فى المهد) وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً باذنى وتبرىء الأكمه والأبرص باذنى ، وإذ تخرج الموتى باذني ويقول (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وكيف شق البحر لموسى؟ وكيف آتى صالحا الناقه مبصرة ؟ وكيف وكيف وكيف ؟ الخ ماذكر الله عن أنبيائه ورسله وآياتهم وخوارقهم . ولكن الأمر كما قال الله (وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) (وكذبوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً)

فهل يثبت القرآن فى موضع ما نفاه بتاتاً فى موضع آخر ؟ أو يهدم مابناه أو يتعارض ويتضارب فيدل على أنه من عند غير الله ؟ تعالى الله وتبارك كتابه وصدق رسوله وسائر رسله . وكذب الدهريون والماديون ومن جرى فى ركاب بغالهم ليظهر بمظهرهم وإن ضحك منه العقلاء ومن تعلق بهم وهو فيهم ملصق ليس منهم

ثم فسر القضاء بمعنى الفراغ فقال أول ص٢٥٨

« فالقضاء إذن المقرون بالقدر يراد به الفراغ والانتهاء فالواجب علينا أن نؤمن بان الله قد خلق الخلق ووضع النواميس والسنن ثم فرغ منها بحيث لايحتاج إلى تعديل ولا مراجعة ولا تكميل أو اصلاح أو تدارك . . . وقال فى أول ص ٢٥٩ « فالقضاء والقدر معناها أن الله قد أوجد هذا العالم مقدراً بمقادير مضبوطة محكوماً بسنن لا تقبل التغيير وأنه تعالى قد فرغ من ذلك فراغاً

لا يعقبه تبديل ولا تعديل ولا زيادة ولا نقصان لأن ذلك هو شأن الضعفاء أو الجهلاء أو السفهاء — وتعالى الله عن ذلك .

واعجب من تفسير آية (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلنّ علواً كبيرا)ص٢٥٧ :

(وفرغ من إنهاء ذلك الى بنى اسرائيل)

فهل رأيت أعجمياً فسرها هذا التفسير فضلا عن عربي كاتب يزعم نفسه مجدداً مصلحاً . واجمع هذا التفسير مع تفسير آية (لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) ليكون عندك نموذجان من تحريفات الباطنية القرامطة لكتاب الله ليلبسوا منه رقاعا مهلهلة تدل على مامنيت به عقولهم وأفهامهم من سخف . ويا ليت القوم كانوا أصرح من ذلك وأعقل وعلموا أن دين الصابئة والمجوس ووثنية اليونان ودهرية القرن الثامن عشر والتاسع عشر وحماقات غوستاف لوبون فى آرائه واعتقاداته مناقضة كل المناقضة للحنيفية ملة إبراهيم ومن بعده إلى خاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فلم يحاولوا الخلط بين ما لا يختلط ، ولا المزج بين ما لا يمتزج ، ولا الجمع بين النقيضين ، ولا القبض على المشرق والمغرب ، فأراحوا أنفسهم وأراحوا الناس معهم ، وكشفوا النقاب عن آرائهم ونحلهم ، فمن شاء وافقهم وشرب من وردهم بلا غش ولا تمويه ولا مكر ولا خداع ، ولكنهم رأوا أن الناس لا يستجيبون لهم بسهولة إذا كشفوا القناع وصرحوا بما يريدون ، فلجأوا إلى هذه المهازل وتلك المضحكات من التحريف والتسخيف .

وما تحريفات أبي زيد الدمنهوري لكتاب الله تعالى من الناس ببعيد
ولكن كاتب الأغلال طم الوادي وأتى إلى الدين من أصله يقلعه بمادية
دهرية حتى يصبح الناس أحياء متألقة ، وكان الأجدر به أن يتمهل ويتأني
حتى ينظر مآل الدهرية الأوربيه ومدنيتهم التي يحطم بعضها بعضا ،
كالنار يأكل بعضها بعضا ، وقد أضرمت على نفسها حربين
طاحنتين في ربع قرن ، والشرر يتطاير لإشعال حرب ثالثة ، لا يعلم مدى
ضررها وخرابها إلا الله تعالى . كان عليه أن يتمهل حتى يرى عواقب هذه
المدنية المادية وماذا يكتب لها من حياة أو فناء ؟ وهل تقوم من هذه
النكبات التي انصبت عليها : نساء تعرض فروجها لتسد رمق حياتها ،
فتيات يبعن عرضهن بقرص أو قرصين من الخبز الاسود لايطرد الجوع .
وعصابات مخربة ، ومذاهب هدامة

هذا هو ما يدعونا اليه كاتب الأغلال ليخرجنا من نور ديننا إلى
ظلمات دهرية مادية سببية تنكر الرب واختياره وتكذب رسله وآياته

﴿ التوكل : أخطاء الناس فيه ﴾

نقل الكاتب بعض أخطاء فيه وسمى أشخاصاً ، ونقل كلاماً لهم تشهيراً وتهجينا ثم خلص إلى النتيجة التي يريدها من صرف الناس عن الله وعن الثقة به والتوكل عليه ، واحتقار من يؤمن به ويعتمد عليه الى الايمان بالانسانية التي هي كل شيء عنده فقال ص ٢٦٤

« إن الشعوب التي تلقن أنه لا يصح لها أن تعتمد فيما تحتاج إليه على قواها وسواعدها وتلقن أن هناك قوة عليا مستعدة أبداً للقيام بكل مايراد منها استقلالا فما عليها إلا الضعف والاستسلام والانتظار . . .

إن الشعوب التي يقضى عليها بأن تلقن هذه الخرافات والمحالات لهي شعوب غير جديرة بالحياة والاستقلال في جانب واحد من جوانبها . . ولكن الأمم الجديرة بالكرامة وبالحياة هي الأمم التي تلقن منذ تستطيع الفهم انها إنما وجدت في الأرض مجردة من كل ما يملك الناس مسلحة بكل أسلحة الجهاد والنضال لتوجد هي حياتها بنفسها ولتعمل كل مايلزم لبقائها وسلامتها وسعادتها وتلقن أن الانسانية بمجموعها هي التي أوجدت هذه الحياة وبنت هذا المجتمع وسخرت كل هذه الطبيعة بعقولها وأهلها دون أن يعينها معين [1] ويشاركها مشارك وأن هذه الانسانية لو أنها انتحت هذا المنحى في الاتكال وراحت تلتمس من تتكل عليه ومن تكل إلى قوته القيام بما تريد وبما لاتستغنى عنه لظلت حتى اليوم — أي من يوم وجودها — منتظرة مرتقبة ما لاسبيل الى حصوله،

---

(١) فروع متدلية من قول غوستاف أن علم الحياة نقض مبدأ علة العلل وأن الاله للناس هو الأمل، وأن خيالهم وحرصهم هو الذى أوجد حضارتهم الى ما تراه مبنونا بصريح العباره في كتابه الآراء والمعتقدات وكتاب حضارة العرب. واعفنى من نقل نصوصه وهذياناته

ولبقيت كاحدى هذه الفصائل الحيوانية أو لانقرضت كما انقرضت فى سالف الدهور الاحياء التى عجزت عن مغالبة الحياة ومجابهة الطبيعة العاتية .

ثم شبه (ص ٢٦٥) المتوكلين على الله بالطفل الذى يلقن أن حوله قوة غالبة عزيزة لا يمتنع عليها شىء ، وان هذه القوة على استعداد لأن تهب له كل مايشتهى فى كل وقت ، وفى كل مكان ، ثم خلص بهذا السؤال : هل من الجائز أن يصنع مثل هذا الطفل خيراً ، وأن يقوى على شىء ، ثم صرح أن الرجل المتوكل على الله شر من ذلك الطفل فقال ص ٢٤٥

ثم ليعلم أن شراً منه ذلك الطفل أو الرجل الذى يعلم هذه التعاليم الاتكالية ويلقن كل هذه الملقنات للاستسلام والانتظار

والجواب سهل جداً فان المسألة لا تخلو من أمرين : فاما أن تكون الدهرية الوجودية الطبيعية التى تنفى الخالق وتصرفه وربوبيته صحيحة ، فيصح تبعاً لها هذا التفريع الكلى الذى فرّعه الكاتب وشرحه ، وأعاد فيه وأبدى ، وإما أن يصح دين الرسل كلهم ودين رب العالمين خالق الناس ومربيهم ومرسل رسله إليهم ليعلموهم الايمان بالله والاعتماد عليه وانه لا حول لهم ولا قوة عندهم إلا منه سبحانه وتعالى وانه (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده) وانه (مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) وأنه (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وأنه(وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) إلى مالا يحصى من الآيات (فابتغوا عند الله الرزق) (إن الله هو الرزاق

ذو القوة المتين) وهذا لا شك صحيح لا يصح إيمان المؤمن بدونه بل هو لب الايمان وثمرة اليقين وملتقى إجماع الرسل والديانات ،وحينئذ تبين أن الكاتب يدعو الى فلسفة دهرية وفكرة إلحادية وشريعة فرعونيه (ما علمت لكم من اله غيرى) (أنا ربكم الأعلى) (وما رب العالمين) (لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً) وعند غرق هذا الرب الجاحد لرب العالمين ذهب غروره وكبره وجحوده وطغيانه واعترف صاغراً (آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) ثم فسر الكاتب التوكل ذلك التفسير الذى هو روح كتابه ومحور دعوته ، وشرحا مبسطا لحماقات غوستاف وهى الأسباب والأيمان بها مع الكفر بالله وتعجيزه فقال بعد ما ضرب مثلا بالوكيل الذى ترضاه وتعتقد بأن ما سيقوم به من أعمال وأسباب وما سيضع من وسائل أعمال مؤدية للغاية وأسباب موصلة إلى النتائج ثم خلص إلى ما يريد فقال ص ٢٦٧ س ٦

(وهكذا لننظر الى التوكل على الله فالتوكل الصحيح عليه هو أن تثق ثقة مطلقة فى أن ما وضعه لعباده من أسباب ووسائل لتبلغهم غاياتهم هى أسباب مؤدية الى مسبباتها ونتائجها بلا تخلف . .)

ومثل بالعلاج الصحيح فى أدائه بلا ريب إلى الشفاء والبذر الصحيح فى التربة السليمة مؤد ولا ريب إلى الانبات واختلاط الذكورة القادرة على الاخصاب بالأنوثة القادرة كذلك مؤد إلى وجود الولد إلا أن يوجد مانع من الموانع الطبيعية ثم قال

« وهكذا القول فيما يدعى أسباباً ووسائل ، فكلما ازددت ثقة بهذه الأسباب التى جعلها الله كذلك ازددت توكلا عليه وثقة به وبأعماله وتصديقاً بأخباره حينما أخبر بأن الأسباب موصلة إلى غاياتها ، وإذا شككت فى الأسباب والطرق التى جعلها الله وجوزت ألا توصل إلى شيء فقد نقص توكلك على الله وإيمانك بنظامه وأصيب يقينك بأخباره وأصبحت من الشاكين غير المتوكلين . . . »

إلى أن قال ص ٢٦٨ س ٣

« أما غير المتوكلين حقاً فهم أولئك الذين لا يثقون بسنة من سنن الله ولا بناموس من نواميسه ويجوزون عليهما الاختلال والاختلاف »

فبشرى لفرعون إذ كان من المتوكلين حقا حينما أخذ بالأسباب من جنود وجيش وملأ وركب وسار وراء بنى إسرائيل ليردهم إلى حظيرة عبوديته . وأما موسى الأعزل الهارب ببنى اسرائيل الى شاطىء بحر عميق مغرق ، فضرب البحر بعصاه فانفلق ، وانخرقت له سنن الكون ونواميس الطبيعة ، فلم يعرف التوكل بالشرح الذى شرحه كاتبنا ، وكذلك سائر الأنبياء ابراهيم وهود وصالح وشعيب ولوط . فأعداء ابراهيم لما أوقدوا النار واثقين بها ليلقوا فيها ابراهيم كانوا عند الكاتب خير العارفين بالتوكل وكانوا سادة المتوكلين العارفين بالله

أما ابراهيم الذى قال حين ألقى فى النار (حسبي الله ونعم الوكيل) فكان مثلا طيباً — عند الكاتب — للجهل بالله وبالتوكل عليه ، وكان الذى قال للنار (كونى برداً وسلاماً على ابراهيم) عند الكاتب — قوة مجنونة أو كالمجنونة ، سفيهة فوضوية ، تضع سنناً وتخرقها ، وتعارض النواميس الطبيعية التى لا تعارض ولا تختل أزلا وأبداً

وكذلك موسى حينما دخل أعزل من كل سلاح مادى إلا إيمانه بالله وتوكله عليه - على فرعون جبار الدنيا فى عصره بقوته المادية وملئه وجنوده . وكذلك سيد المتوكلين خاتم الرسل حينما خرج لقريش فى قلة من صحابته نحو الثلثمائة إلى نفيرهم العام الذى خرجوا به ليحموا عيرهم حاملة أرزاقهم ومادة حياتهم بقضّهم وقضيضهم وخيلهم ورجلهم. الخ

(وبعد) فاما أسباب لا تتخلف أزلا وأبداً ،وما يخالف ذلك فكذب عند الكاتب . وإما رب يفعل مايشاء بسبب وبغير سبب ،ويجرى السبب أو ينقضه أو يبطله كما أخبر بذلك واتفقت عليه رسله وعقلاء الناس وبالجملة فاما دهرية أو إيمان ، واختر لنفسك ماتطمئن اليه وما يثلج له صدرك . وكل ميسر لما خلق له .

قال الكاتب خلافا لاجماع المسلمين بل المتدينين بل العقلاء ص ٢٦٨

« لأن التوكل كما ذكرنا هو الإيمان بالأسباب ، لست أريد أن أقول هو الأخذ بالأسباب مع الاعتقاد بأن الله تعالى قد يفعل من غير الأسباب .فان هذا هو السفه والفوضى التى لا ضابط لها . . . ولا شك أن الاعتقاد بأن الله يدخل فى الأسباب ويدخل بينها وبين الآخذين بها فيجعلها حينا أسبابا ،لأنه راض عن الآخذين بها ويجعلها أحيانا أخرى غير أسباب لانه غاضب على الآخذين بها ويجعلها . . . ويجعلها . . . و . . . و . . . وهكذا يتصرف نقضاً وبناء فى نواميسه وخلائقه - على حسب رضاه وسخطه وحبه وكراهته على حسب اختلاف الأديان والمذاهب وعلى حسب تغير مشيئته ، نعم إن الاعتقاد بأن الله هكذا يصنع ينافى التوكل على كل احتمال »

وهكذا يلوز الكاتب عقيدته و دهرية القرن التاسع عشر أوما رضعه

من حماقات غوستاف لوبون : بالألوان المختلفة والحقيقة واحدة، ومحور واحد تدور حوله الرحا دورات متعددة ، ولا تخرج عن هذا المحور مهما تعددت الدورات : دهرية مقنعة بخرق بالية

ثم نزع إلى حديث المقضى عليه حينما قال حسبي الله ونعم الوكيل ، وقول النبي ﷺ « إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس ، فاذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل » والحديث الآخر « إن الله يلوم على العجز فابذل من نفسك الجهد فان غُلبت فقل توكلت على الله » ثم قوله ﷺ « فان غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل » شارحا بقوله ص ٢٧٠

(معناه إذا أعطيت من نفسك المستطاع ثم غلبت وجب عليك أن تعلم أنك إنما غلبت بالحق وبالقوانين التي لاتفرق بين من يقعون تحت طائلتها ويحتكمون إليها وإذا كان ذلك كذلك وجب عليك الرضا بالحكم وإن كان غلبا أو هزيمة لأنه عدل ووجب عليك الثناء على الحاكم القاضي وان كان قضاؤه عليك لأنه عادل غير محاب ولأنه عالم غير جاهل ووجب أن تقول حسبي الله ونعم الوكيل)

وعلى هذا التفسير فعلى كل مظلوم في حكم أن يثني على قاضيه ويرضى بالحكم مهما كان، إذ أن الرسول ﷺ قد علم المغلوب على أمره أن يقول حسبي الله ونعم الوكيل التي هي بحسب تفسير الكاتب : الرضا بالحكم والثناء على الحاكم ، فياسفاهة الذين وضعوا محاكم الاستئناف والنقض والابرام ، وقضاة فوق قضاة لنظر شكاوى من لم يرضوا الحكم الأول ويروا أنهم مظلومون ، فقد فسر لهم الكاتب ما أمرهم النبي ﷺ أن يقولوه عند الغلب « حسبي الله ونعم الوكيل » بالرضا بالحكم والثناء على

الحاكم ، وإذاً فلا قضاة ظلمة ولا محكوم عليهم بظلم ، وما غلبوا إلا بالقوانين العادلة والقضاء العدل الذى يجب الثناء عليهم وتقبيل رءوسهم وأيديهم وأرجلهم من مظلوميهم . وفى الحديث الصحيح « إنما أنا بشر أقضى بنحو مما أسمع ، فمن قضيت له من أخيه بشىء فانما هو قطعة من النار فليأخذ أو فليدَع » وفى القرآن فى قضاء داود فى الغنم والحرث قوله تعالى (ففهمناها سليمان)

ولكن هذا التحريف المضحك المبكى سببه الانحراف عما يعرف الناس من أوضاع دينهم ومحاولة إطفاء الشمس واستبدال فتيلة بها ، بل دعوة الناس إلى ترك شمس الدين وضيائه إلى ظلمات الدهرية المادية ؛ والأسباب والمسببات الصارمة والنواميس الطبيعية المطردة أزلا وأبداً ، ووصف الله بقوة مجنونة أو كالمجنونة سفيهة فوضوية إذا تحكم فى الأسباب أو أبطلها — عند الكاتب

قال ص ٢٧٠ :

(وأما قول صاحب الناقة أطلقها وتوكلت فانه يذهب فى هذا القول وهذا العمل إلى أن معنى التوكل هو الاستسلام وترك الحيطة والعقل مؤملا أن يفعل الله مايشاء وأن ينزل من أجل ناقته جبريل وميكائيل فى يد أحدهما خطام وفى يد الآخر عقال ليحفظا له الناقة من الضياع والهرب [1] فرد عليه الرسول هذا قائلا (أعقلها وتوكل) مبيناً له أن الاتكال معناه الأخذ بالوسائل مع الاعتماد عليها وعلى انجاحها ومبيناً له أن من سلك الطريق لزم أن يطمئن وألا يخشى من وراء

(١) وتأمل ما فى الكلام ولا يؤذينك مافيه من رائحة الهزء بملكين كريمين من خيار ملائكة الله جبريل وميكال وحط من قدرهما وعملهما فى ملكوت الله

الإسباب جوراً ولا عدواناً كأن يهاجم ناقته المعقولة روح من الأرواح أو عفريت من العفاريت أو شيء آخر خفي من الأشياء الأخرى الخفية[١] . . أو كان يصنع الله بناقته بعض الأشياء التي يزعمون أنه يصنعها خروجاً على السنن والاسباب والعادات بقصد الامتحان أو الابتلاء . . . وهذا ما يشير إليه قوله كل) أى اطمئن وثق بالنتيجة ما أخذت بالحيطة الكامله)

وختم الباب بهذه النتيجة آخر ص ٢٧٠ وأول ص ٢٧١

(وإذا مافهم التوكل كهذاالذى ذكرنا كان قوةمن أعظم القوى وكان مهمازاً يسوق الانسانية أعنف سوق إلى العمل وإلى إفراغ الجهد كله ، وكان قاطعاً لدابر الكسل والركود والاتكال انتظاراً لما وراء الأسباب ولما فى الغيب مما لن يجيء ومما ليس فى الحسبان والتوكل بهذا المعنى هو روح الانسانية ومتى زايلها فقد ماتت وفاتها وهو بهذا المعنى روح الأديان وروح الاسلام)

وقبل أن نتكلم على النتيجة الأخيرة نسألك : هل تنبه فكرك إلى ما افتراه على صاحب الناقة مما لم يدر بخلده من أمله فى نزول جبريل من السماء بزمام وميكائيل بعقال ليحفظا له ناقته ، ولو حلفت بالله أن هذا الخاطر لم يخطر ببال هذا الأعرابى لرأيت أنى صادق ، ولكن الهزء بعالم الغيب من الله وملائكته عند الكاتب لا حد له ينطلق اليه بمناسبة وبغير مناسبة كما جمله هنا لخاطر هذا الاعرابى صاحب الناقة الذى ظن أن التوكل يكفى بدون أسباب — وكثيراً ما كان يكفى عند مايريد الله

---

(١) ولعل الكاتب لا يصدق ماحكى الله فى قصة عرش بلقيس (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر ام أكفر) الآية

خرق سننه لتأييد رسله وكرامة صالحيه

وأما أمل الأعرابي فى أن الله يفعل مايشاء فى حفظ ناقته مما يعرف ومما لايعرف ، فأمل صحيح ، فلله أن يلقى السكينة على مشاعر الناقة فلا تقوم ولا تهرب ، ولله أن ييسر من خلقه الانس أو الجن من يحفظها للأعرابي حتى يعود وإن تهكم الكاتب المادى الدهرى بذلك وبالأرواح الخفية ، وبالأسباب الغيبية ، وأفعال الله بأسباب ظاهرة وغير ظاهرة ، وبغير أسباب بالكلية بل بقدرته ، فسنرجىء البحث معه فيها إلى مابعد

وتفسير الكاتب لقول النبي ﷺ له « اعقلها وتوكل » بقوله « فاطمئن وثق بالنتيجة إذا ما أخذت بالحيطة » افتراء على مراد سيد العقلاء وخاتم المرسلين ، فكم من صاحب ناقة عقلها ولم تحصل الطمأنينة ولا الثقة بهذا السبب ، وكم من النوق تنفك عقلها بنوع من حركتها ، ومحاولات سهلة منها لذلك وتنطلق هاربة ، والواقع شاهد عدل ، ويتعالى مراد النبي ﷺ فى قوله « وتوكل » عن هذا التهافت الذى يحمله إياه الكاتب . وإنما النور الظاهر من هذا التعليم النبوى فى هذا أن يثق صاحب الناقة بعد عقلها بالله تعالى القادر أن يجعل هذا العقل مفيداً مؤديا ماقصد منه فلا تحاول الناقة الانفلات منه ولا يتسلط عليها مخلوق من شياطين الانس أو الجن فيحل العقال ، وهكذا نشرب الدواء ونعتمد على الله أن يجعله نافعاً ونبذر البذر مراعين مايلزم بحسب طاقتنا العلمية والعملية معتمدين على الله أن يكمل نقصنا وأن يتمم مافاتنا بجهلنا ، وأن يدفع الغوائل والعوائق التى نعلمها والتى لانعلمها عنه حتى ينبت ويقوم على ساقه ويثمر ،

وهكذا فى كل شىء له سبب أو لا سبب له نعرفه أونعرفه معرفة ناقصة

ونسأل الكاتب سؤالا نرجو جوابه بلا بهت ولا مكابرة : هل عرف الناس جميع أسباب الأشياء وجميع عوائقها معرفة قطعية لا خلاف ولا نقص ولا شك فيها ولا انتظار لمزيد عليها ، أم هى اجتهادات وتخمينات تمسك الناس بها أمس وقد يرفضونها اليوم أو غدا ؛ والكاتب يعترف أنهم لايزالون يجهلون سر الحياة ويحاولون فهمه . فهل على الناس عيب إذا توكلوا على الله واعتمدوا بقلوبهم عليه بعد أن يعملوا مايعرفون من الأسباب على قدر طاقتهم ومبلغ علمهم

ثم نسأله سؤالا آخر : هؤلاء الفاشلون فى نضال الحياة سياسيا أو حربيا أو اقتصاديا ما سبب فشلهم ؟ والأمثلة كثيرة فى الناس : نابليون وهتلر وموسلينى حتى تشرشل الذى يتغنى الكاتب بعبقريته ، لا يزال يتكشف للناس الغلط تلو الغلط فى سياسته ؛ وتشير إلى ذلك صحف أمريكا ويلخصها أعداد المختار من حين إلى حين كعدد يولية ١٩٤٧ فى مقال (فصل خفى من التاريخ) وكقول محمد التابعى فى أخبار اليوم (أول يونية) : « إن روسيا تسيطر الآن وهذا بفضل أخطاء سياسة تشرشل الشنيعة أثناء الحرب على معظم وسط أوربا وجنوبها الشرقى ، وفى وسط هذا القسم الكبير المهم من أوربا تقوم اليوم حكومات شيوعية تصدع بأوامر روسيا »

ما هو سبب فشل هؤلاء الفاشلين وهم لم يألوا جهدا فى إنجاح أنفسهم ؟ إن قال : القدر وسلطته الغيبية فهذا هو المطلوب ، وإن قال :

جهلهم بأسباب النجاح وسلوكهم بغير قصد غير طريقه فهو المطلوب أيضا فلا عيب حينئذ على المؤمنين بالله في توكلهم على علام الغيوب بعد بذل الجهد فيما يعرفون ليكمل نقصهم في العلم بالأسباب ؛ ويقوى ضعفهم فيما ضعفوا فيه منها ؛ ويمدهم بالعون والتوفيق والهداية والالهام، ويقوى هممهم في ذلك .

وسؤال ثالث : لماذا يفشل أفراد وأقوام في الحياة وينجح آخرون هم أقل من أولئك علماً وعملا وقوة ومعرفة بأسباب النجاح ؟ فان أراد أمثلة من الأمم فخذ مصر واليمن وبلاد العرب والشام والعراق وإيران ، ثم ضع القسطاس المستقيم لعلم كل واحدة منها وعملها ومعرفتها بأسباب الحياة وطرقها ، ثم علل استقلال المستقل منها وفشل الفاشل عن الاستقلال فيها ، كاليمن وبلاد العرب في جانب ، والأخرى في الجانب الآخر

ولا نريد تعليلا سخيفا كتعليل الكاتب فشل علي بن أبي طالب وانهيار جيوشه بسبب دينهم ، ونجاح معاوية وجنود الشام بسبب قلة دينهم ، فهذا تعليل سخيف لم يسبق الكاتب اليه عاقل فيما نعلم ممن كتبوا التاريخ بعلله وأسراره ، اللهم إلا إذا كان أمثال غوستاف لوبون وأمثاله أصحاب الفلسفة المادية الآلية الطبعية التي يضحك منها اليوم عقلاء القرن العشرين ؛ ويعلنون الاعتراف بالقدر وعالم الغيب ، والتصرف الالهي الذي يسخر الكاتب منه ومن المؤمنين به . والواقع والتاريخ ووقائعه قضاة عدل وشهود أثبات ونزاهة لما قلنا.

وسؤال رابع : لماذا فشل الكاتب في الحصول على ثمن بيت بمصر

بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه ممن طلبه منهم حتى رموه بالجنون والحمق : أهو القدر الذى قلوب الخلائق بين أصابع مقدره ؟ أم هو جهله بأساليب الحياة الذى كان يجبره ويكمله استخارة الله قبل الطلب ثم الاعتماد عليه والتوكل والدعاء فى إنجاح الطلب ؟

هذا أم الحرمان من القناعة والزهد وعدم الرضا بما قسم الله حتى هوى فى حفرة الذل والتسول فأذل نفسه بسؤال مالم يجيبوه اليه وحمقوه فيه واسترذلوه ؟ ولقد سأل أقوام دون الكاتب مطالب أكثر مما طلب فنجحوا فيما فشل فيه ، أليس هو القدر الذى أفشله فيما أجيب أمثاله ممن هم دون الكاتب عند نفسه علماً وأدبا وفضلا ، فلماذا فشل ونجحوا ؟

سأرجىء البحث فيما ذكر من حب الدنيا وفى الزهد فيها وما موهه من آراء وما حرّفه من فهم الآيات ، وما شوه به الدين من آراء . إلى فرصة أخرى إذ يحتاج ذلك إلى بسط وتفصيل

وكذلك فى مسألة اختلاط الرجال بالنساء ومدح التبرج والعرى ، والاعتذار عن الفسوق والفجور والآراء الهدامة الشاذة كقوله ص ٩٨

(ان النساء شقائق الرجال وأنهما سواء فى هذه الحياة وفى القدرة عليها ، والحاجة اليها ،وفى أعمالها ومطالبها ، وأن مافيهما معاً من أعضاء وغرائز وميول متشابهة متساوية من عقل وفكر وروح وحياة وتكوين عام لينادى بسقوط هذه الفروق المدعاة بينهما ، فان ذلك تفريق بين متساويين متماثلين ،وهذا باطل فى قانون العقل وقانون العدالة العامة بل وفى كل القوانين حتى القوانين الطبيعية العمياء)

ولا أريد أن أرد عليه فيما ادعى من المساواة بين الجنسين وعلم

الفرق بينهما عقلا وقانونا حتى لدى القوانين الطبيعية العمياء بقول الله (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) (وللرجال عليهن درجة) ولا باستدلال الرسول على نقصان عقل المرأة بأن شهادة اثنتين منهن بشهادة رجل ، وبقعودها عن الصلاة والصيام وقت حيضها ونفاسها — لا أستدل عليه بذلك إذ لا يؤمن به وإن آمن بلفظه حرفه بما رأيت من غرائب التحريف البربرى الأعجمى حتى يجره على وجهه إلى ما تردى فيه من تهتك وإباحية ؛ وإنما أترك الكلام للواقع والمشاهدة ؛ وعلمى (الفسيولوجيا) منافع الأعضاء (والبيولوجيا) علم الحياة ، فهى أعقل من الكاتب وأعرف بخلق الرجل وبدنه وأعضائه وغرائزه ، وبالمرأة ، وكلامهم فى هذا مبسط مبين ؛ وأنا مللت الكتابة والنقل ؛ وسأرجىء ذلك إلى فرصة أخرى

(وبعد) فهل يحيض الكاتب ويحبل ويُرضع ؛ وهل له مبيضان لتوليد البويضات الجنينية ورحم لنمو الجنين فيه وثديان لإرضاع المولود ؟ وهل يرقص ويتكسر ؟ ولا أسأله عن الطبخ والغسل والخبز ، وسكنى البيت وتدبيره وتربية الأطفال وغسل ثيابهم وأقذارهم ، وغسل الثياب وكيها . وبالجملة ما تقوم به زوجه فى داره ، وسائر النساء فى دورهن فضلا عما اختصصن به من أعضاء الحمل والولادة ؛ فلعله يقوم بذلك بدل زوجه . وهل زوجه كتبت كتاب أغلاله واتصلت بدعاة التبرج وجالستهم ؟ لا أظن ذلك فيها ولا أظن قدرتها على ذلك . فضلا عن فقد أعضاء الذكورة وما اليها . فالرجال رجال والنساء نساء مهما تلونت الحيلة

وللقارىء أن يحكم على قوله بما يستحقه من وصف التعقل والهدوء أو التهور وعدم الاتزان . ذلك قوله آخر (ص ١١٠)

(ولعل إلزام المرأة البيت للاسباب المذكورة) أي صيانة لهن من الخلطة بالفجار (لايقل سخفا عن هذه العملية الوحشية الشنيعة) عملية اخصاء الذكور الذين يخدمون النساء «للاسباب المذكورة أيضا »

ثم ضع هذه وما معها قبلا وبعداً بل الفصل كله — مع قول الله تعالى لأطهر نساء العالمين زوجاته ﷺ أمهات المؤمنين (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا . وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) واحكم أيهما أزكى وأهدى سبيلا وأقوم قيلا وأصدق حديثا : آلله أم صاحب الأغلال

لقد كانت ابنة الشاطىء وهى امرأة مثقفة وسيدة مهذبة ، أعقل من صاحب الأغلال، وأوسع علماً وحكمة حينما بينت فى هلال يونية ١٩٤٧ سخف تسوية المرأة بالرجل وسفه ذلك فى مقال عنوانه «عدل لاخير فيه» فى مقال طويل ممتع مملوء بالبراهين الواضحة نقتطف منها ما يأتي . فانها بعد أن ذكرت حجج من يدعون نصرة المرأة ثم سألت وأجابت : ماهذه المساواة المرجوة بينهما : أمساواة فى الخلقة والتكوين ؟ محال . أمساواة فى الشخصية ؟ مسخ وانحراف . أمساواة فى العمل ؟ خلل واضطراب . أمساواة فى الأعباء والمسئوليات ؟ ذلك هو قرار قانون الحياة من أول

الزمان . أم مساواة فى الحقوق المدنية فهو حاصل وأيده الاسلام حين قرر للمرأة حق التعامل ، واعترف بشخصيتها المدنية ، وجعل لها نصيبها العادل من الحقوق المالية والواجبات (قلت) والمواريث

ثم ذكرت أن المساواة بمعناها المطلق لاتوجد حتى بين أفراد الرجال أنفسهم — وضربت أمثالا كقبول بعض الطلاب فى بعض الكليات العلمية ورفض آخرين لتفاوت تافه شكلى كنمرة فى مجموع الدرجات أو قيراط فى الطول والعرض ، أو سبق ولحق بيوم واحد فى العمر والسن فيصبح هذا رئيساً وهذا مرءوساً . بل اختلاف فى مواهبهم : هذا صانع وهذا مهندس وهذا قاض ـ محام ـ طبيب ـ تاجر . ولو طالبوا جميعاً بحق المساواة المطلق لاضطرب الأمر واختل النظام

ثم قالت : وهل الأمر بين الرجال والنساء إلا مثل هذا أو شبيه به أو قريب منه : لكل حرفته التى يصلح لها ، وعمله المناسب لشخصيته ومواهبه . ولو خلينا المرأة — باسم المساواة — تتخلى عن عملها فى البيت وتدع حرفة الأمومة لتنطلق فى ميادين الرجال صانعة أو مهندسة أو تاجرة أو موظفة بشركة لأنها إنسانة آدمية لكان مثلنا مثل من يوجه الرجال جميعاً نحو ميدان واحد دون نظر فى مدى حاجته اليهم أو تقدير لحاجة الميادين الأخرى اليهم .

اللهم انى لا أجد فرقا بين اشتغال النساء بالأمومة واشتغال الرجال بالصناعة والتجارة والسياسة إلا كما بين توزيع الأعمال بين القضاة والعلماء والمهندسين والأطباء والموظفين والصناع . هى مسألة تنويع أعمال وتوزيع

كفايات ، واستئثار مواهب ، واستغلال قوى ، وانتفاع بمقدرات . ولا ظلم ولا تعسف ولا أثرة ولا بغية استعباد كما زعموا

قالت : فان أبوا إلا أن يسموه ظلما فالمسئول الأول عن هذا الظلم هى الطبيعة الأولى(١) التى فرقت فى الخلقة بين الرجل والمرأة بل بين الرجل والرجل ، والمرأة والمرأة . الطبيعة التى جعلت فى كيان الأنثى مكان الولد ، وفى ثدييها النبع الالهى لغذائه ، وفى خلقها الصبر على تكاليف تربيته وحضانته ، وجعلت فى الرجل خشونة المقاتل وقوة المكافح و جلد الصياد . الطبيعة التى لم تخلق قط المساواة المطلقة بين أى اثنين من الناس ولو كانا توأمين ، ولم تخرج قط من مصنعها مثلين متساويين وإنما وزعت المواهب وفرقت الكفايات ؛ لتضمن صانعاً لكل حرفة ، وعاملا لكل عمل ، وبطلا لكل ميدان . هى المسئولة عن هذا الظلم وهى خصمنا الواحد ، فان شئنا أن نطالب بالعدل وتحقيق المساواة بين الجنسين فلن نجد حكما نختصم اليه لينصفنا من الطبيعية الظالمة ويحكم لنا عليها وهيهات هيهات . فما كانت أحكام الطبيعة بالتى تستأنف أو تنقض أو تعقب . فليصيحوا أن المساواة بين الجنسين عدل وحق ، وليضجوا من ظلم الطبيعة وتفريقها ، فلن يجدى الصياح ولن تنفع الشكوى

---

(١) تريد الكاتبة بالطبيعة فطرة الله التى فطر عليها خلقه وقدره السارى فيهم النافذ عليهم وأما وصفها بالظلم ونحوه فتتكلم بلسان الخصوم لتلزمهم الحجة من كلامهم على حد تعبير الخليل فى محاجة عباد النجوم للكوكب والقمر والشمس (هذا ربى) من غير اعتقاد لذلك .

هبوا المستحيل قد كان واستطاعت المرأة أن تقوم بهذا العمل أو ذاك مما قام به الرجال فهل ترانا ندخل الرجل إلى البيت ليحترف الرضاعة والحضانة والتربية مما قامت به الأنثى من عهد حواء أم ترانا نترك البيوت معطلة خلاء ؟ أسئلة لا تنتهى وما أحسبها تنتهى فنسأل : أى خير فى ذلك المدل ؟ ولمصلحة من هذا الانقلاب ؟ أمصلحة المرأة وقد كانت بأنوثتها من القلب الحبيبة الشائقة ، والملهمة الفاتنة والسيدة الحاكمة ، تعنو لها جباه الملوك وترنو إليها أبصار الفرسان ، ويتخذها الرجل فى بيته حرماً مصوناً لا يمسه الغبار ولا تجرحه الأعين ، ولا تناله الأيدى ولا تتطاول إليه الأعناق. أم مصلحة الرجل وسيفقد فيها موضع حبه ، ومثار فتنته ، بل سيفقد سره الأكبر الذى يغريه بالكفاح ، ويهون عليه مايلقى فى موكب الحياة ، ليرى إلى جانبه ذلك المسخ الجديد الذى يثير الرحمة ويبعث على الرثاء ؟ أم هى مصلحة الجماعة وسوف تحرم بهذا الانحراف — إن حصل — بيتها السعيد يتكامل فيه الجنسان ويتعاون الزوجان على حمل الأمانة العظمى ، لترى مكان هذا البيت نزلا كئيباً يأوى اليه رجل مجهد محروم وزميلة له شقية تعسة قد أنهكها جهاد لم تتعوده وأرهقها عمل لم تتهيأ له

ألا إن فى المساواة معنى من العدل لا خير فيه أو هكذا تراها الانسانية . أما الطبيعة فتراها وهماً من الأوهام . وأما المرأة التى مزقوا حجابها وأخرجوها من بيتها فتراها لوناً من الظلم لا مساواة فيه .

(بنت الشاطىء : من الأمناء)

انتهى مانقلته ملخصاً من هذا المقال القيم المدعم بالحجج العقلية

المنتزعة من طبيعة الوجود وحقيقة الواقع وعلم الفسيولوجيا والبيولوجيا.
ولا يسوأنك ماذكرت الكاتبة مكرراً من لفظ «الطبيعة» وظلها ونحوها فهى ترد باطل المدافعين عن تبرج النساء بلسانهم وتعبيراتهم لا بلسان الدين وعباراته

ولها كلمة أخرى فى آخر مقال « الاسبانيات فى المدرسة والبيت » فى هلال ديسمبر سنة ١٩٤٧ قالت

« ألا ليت قومى يعلمون أن المرأة الغربية لم تترك بيتها راضية ، ولم تحترف عن رغبة وهوى ، وانما أُخرجت من البيت تحت ضغط عنيف من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية قاهرة ، واحترفت عن حاجة واضطرار ؛ وهى بعد لاتزال تحن إلى البيت الذى حُرمت منه ، وترى فيه نعيمها المفقود وحلمها الجميل

« ألا ليتهم يعلمون أن فى الغرب مذاهب سياسية واجتماعية نأت بالأنوثة عن صخب المعترك السياسى وغبار الطرقات وشذوذ المساواة ، وأبقتها فى دنياها موضع العزة وجمال البيت وصانعة الأبناء وأنثى الحياة» اه

ولو كان هؤلاء الدعاة إلى الدعارة والفجور واختلاط الجنسين يكفيهم قال الله تعالى . قال رسوله ﷺ . قال العلماء — لما احتجنا إلى كل هذه التطويلات من كلام أهل العقل والتجربة ومقررات علم منافع الأعضاء

وفى قولها فى وصف لبن الأم بأنه النبع الالهى لغذاء الطفل وكذلك استشهادها بما أقرته الشريعة الاسلامية من حقوق المرأة المدنية ، ودفاعها عما قرره الدين والفطرة والعقل من صيانة المرأة وحجابها — دليل إيمان

الكاتبة وعقلها ؛ وحبها للفضيلة والخلق الكريم ، على خلاف ما دعا اليه كاتب الأغلال من تبرج المرأة واختلاطها بالرجال وما يتبع ذلك من فسق وفجور وانحلال ، عمياً عن آداب الديانات والشرائع وقوانين الفطرة والحياة والوجود ، ودعائم الأخلاق والحشمة والعفة ، وما جره التبرج والفجور والاختلاط مما يندى له جبين المروءة والحياء والخلق الكريم

ولقد حدثني وجيه جدة وفاضلها الشيخ محمد نصيف عن سفير إيطاليا بها أنه قال له : أحب من دينكم أمرين :

(١) تحريم اختلاط الرجال بالنساء (٢) تحريم الربا

وقال السفير : كيف أثق بامرأتي تذهب مع شاب صديق أو خليل لها في رحلة إلى جبال الألب عدة أيام أو أسابيع : شاب مكتمل الرجولة والفتوة والحيوية ؟ ثم مدح تحريم الاسلام للربا وحثه على إقراض المحتاج وإمهاله بدون قصم ظهر معيشته بالربا

قال الوجيه : زوج أحد اللوردات بنته فوجدت بكراً فشكرها أبوها على محافظتها على بكارتها وقدم لها هدية لذلك . فضربت على عجزتها وقالت له : اشكر هذه فهي سبب حفظ هذا .

وذكر لي أحد المختلطين بالانكليز عنهم أنهم لا يعرفون بكارة البنت ويقولون هل تعرف بكارة للشبان فتعرف بكارة للفتيات ؟

وذكر أن امرأة سفير فرنسا كانت تعشق سكرتير السفارة فكانت تخلو به في حجرته فاذا طرق السفير عليهم أجابت ارجع فسآتيك تعني بعد الفراغ من خلوتها بخدينها . فهل هذا ما يدعونا اليه كاتب الأغلال ؟

وتهكم الصاوى الكاتب فى أخبار الدنيا تحت عنوان هل صرنا أقل من الصين؟ حينما منعت الرقص المزدوج ، فتهكم بغيرة الأزواج الذين يرون زوجاتهم تتنقلن من ذراع خدين إلى ذراع آخر وهن مخمورات بخمرة الهوى وخمر المدامة . فأى إنسانية هذه ؟ أم هى حيوانية المدنيـة المادية الدهرية الفاسقة الفاجرة التى انطلقت من كل حياء وحشمـــة وخلق إنساني .

إن تعليم المرأة الكتابة والقراءة والمطالعة فى كتب الدين والأخلاق وشيئا من قوانين الصحة وتدبير المنزل ومبادىء العلوم مع الحشمة وعدم الاختلاط ، أمر لا يجادل فى حسنه وطلبه ووجوبه عاقل . أما فن الرقص والغناء والاستحمام المختلط على الشواطىء ، دع زيارة المسارح والسينمات والمواخير والخلاعة والمجون . فهذا فلينصح به كاتب الأغلال لمن يحب ، وعليه أن يبدأ به فى بيته وذويه ليقتدى به المعجبون به وبعبقريته ونبوغه كمن ناصروه فى صحف مصر وأطروا كتابه

وقد أبان معالى عشماوى باشا فى حديثه مع مراسل الأمانة (شعبان ١٣٦٦) حيرة العقلاء فيما وصلت اليه حالة المرأة المتعلمة إذ يقول «أم أنكلم فى مشكلة المرأة المثقفة وقد وقفت عند مفترق الطرق بعد أن تهيأ لها إعداد مضطرب ارتجلناه بغير غاية معروفة أو رسالة مرسومة »

***

يريد كاتب الأغلال فى كتابه (ص١١٩) أن يصور الرسول الكامل فى جسده وروحه ، فى قواه البدنية والخلقية والروحية إنسانا فار الجسم

واهى القوى بليد الهمة صوفياً هندوسياً ، أو راهباً نصرانياً ، فيستبعد عليه تفوقه فى القوى الجنسيـة ويظنها منافيـة لما بعث له من جـلائل الأعمال . ولعله تأثر فى ذلك بما كـتبه المضللون المغرضون من دعاة النصرانية فى رميهم للنبي الـكريم بأنه شهوانى ، ولـكن الله الذى أكمل خلق رسوله وخُلقه وجسده وروحه أعلم منهم ومن كاتب الاغلال بما فطر عليه نبيه من التفوق فى كل كمال بدني وروحى إذ يقول (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملـكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن اراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) فهذه الاباحة للزواج التى لا حد لها من رب النبي وخالقه لا تكون عبثاً ولا لغواً إلا عنـد من لا يؤمن بالقرآن ولم يعرف الرسول ولا رب الرسول

وعهدنا بالـكاتب فى كتابه ذم التجرد والزهد والمعنويات والمرض وتقديس القسوة والمادة والصحة والعافية وما اليها ، فما باله اختار هنـا للرسول ما هجنه واستقبحه ، وباعده عما دعا اليه وألف كتابه له ؟ وعقلاء الناس على خلاف الـكتاب يرون أن كمال القوة الجنسية والنزعات الجسدية والشهوات البدنية ، لا تتنافى مع سمو الأخلاق وعظمة العظماء ، وبطولة الابطال . وها هو ذا (جون سيتوارت ميل) الانكليزى يقول فى كتابه « الحرية » تعريب طه السباعى باشا (ص١٠٢)

« إن الشهوات والنزعات ليست إلا جزءاً متمما وركنا جوهريا من

صفات الانسان الكامل شأن الروادع والمعتقدات كحذوك النعل بالنعل.

وليس يخشى من طغيان النزعات إلا عند اختلال توازنها، أعنى عند ما تشتد طائفة من الميول والأغراض مع بقاء غيرها مما كان يجب أن يجاريها فى القوة ضعيفاً معطلا. والسبب الحقيقى فيما يقترفه الناس من القبائح ليس قوة الشهوات ولكنه ضعف الضمائر. وليس هناك تلازم طبيعى بين قوة الشهوة وضعف الضمير، بل الأمر على عكس ذلك، فانك إذا وصفت امرأ بالتفوق على غيره فى قوة العواطف وتنوع الشهوات فكأنك تسلم بأن نصيبه من مواد الفطرة البشرية أوفر وأجزل: فهو لذلك أقدر ولا شك على عمل الخير وإن يكن أقدر على ارتكاب الشر، وما قوة النزعات إلا اسم آخر للنشاط والهمة وقد تصرف الهمة إلى فاسد الاغراض؛ ولكن لا مشاحة فى أن الطبيعة الموصوفة بالهمة والنشاط هى أبداً أقدر على جلائل الامور ومحاسن الافعال من الطبيعة الموصوفة بالبلادة والجمود وان توقد الاحساس الذى هو مصدر قوة العواطف وحدّة النزعات لهو أيضاً مصدر أشد ما يعرف من حب الفضيلة وأبلغ ما يوصف من ضبط النفس. ولن يستطيع المجتمع أن يؤدى فروضه ويصون مصالحه إلا بتربية قوة الاحساس هذه وإذكاء جمرتها

ولا عجب فما هى إلا المادة الخام التى منها تصور طبائع الابطال وتصاغ نفوس النوابغ فكيف يوفق المجتمع إلى غرضه إذا نبذ هذه المادة جهلا منه بطريقة الانتفاع بها وتصوير الابطال منها. إن الشخص الذى تكون شهواته ونزعاته خاصة بنفسه معبرة عن طبيعته جدير أن يكون من

ذوى الاخلاق . أما الذى لا تكون شهواته ونزعاته على هـذه الصفة من الاستقلال فليس له من الخلق إلا مقدار ما يكون للآلة البخارية . فاذا كانت عواطف المرء قوية فضلا عن كونها مستقلة ثم كانت له إرادة حازمة تتسلط على شهواته وبصيرة ثاقبة تتصرف بعواطفه فهو من ذوى الأخلاق والعزيمة ؛ وكل من يزعم أن استقـلال الشهوات والنزعات غير جدير بالتنشيط فانما يقول بأن المجتمع ليس بحاجـة إلى قوة الشكيمة ، وشدة المراس ، وأنه لا يستفيد خيرا من ذوى الأخلاق الكبـيرة ؛ وأن علو الهمة ليس من الحسنات المنشودة »

انتهى كلام هذا العالم الاجتماعى الأخلاقى الانكليزى ، وهو جدير بالاعتبار وهو شهادة عـدل على صحة ما جاء فى الاحاديث الصحيحة مما اختص الله سبحانه رسوله ﷺ وهو المثل الكامل من كمال خَلقه وخُلقه وقوة عواطفـه وسجاياه البدنية والروحيـة إذ يقول « حُبب إلىّ من دنياكم الطيب والنساء ، وجُعلت قرة عينى فى الصلاة » فجمع له بين كمال البدن والروح . ويقول « لـكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » وقيامه بحقوق أزواجه وإعفافه لهن وهن يزدن على تسع أمر لا يشك فيه مسلم . وإباحة الله له ماشاء من النساء وما دلت عليه الاحاديث من قوة بدنه وروحه ، وما اختص به من تفوق القوة الجنسية : تـكتسح ظلمات الكاتب وما استند اليه من شعر الأخطل وخطله وتجنيه على علم النفس والاخلاق ،وخوضه فيما لايحسن سباحته لينتقص ما حبا الله به نبيه ﷺ من كمالات جسدية

وروحية ليتم له ما رمى اليه فى كتابه من إنكار فضل الله على خلقه واختصاصه من شاء منهم بما يبدد أوهام المادية الدهرية العابدة لحتمية الأسباب ، الجاحدة لآيات الله الخارقة لنظام الطبيعة المرغمة لأنوف عبادها

وإن أعجب لهوس الكاتب لتلك الخيالات التى رد بها ما اختص الله به نبيه من قوة البدن والعواطف والتفوق الجنسى ، فعجبى أشد من استدلاله على ذلك بحديث « كان إذا دخل العشر شد المئزر » فهذا هو الغباء أو الهوى : سحب حكم عشر من الدهر على أيام الدهر أو الحكم بثلث شهر على ١٢ شهراً ، أو رد عدة أحاديث مشتهرة صحيحة عند أهلها بمفهوم خاطىء مخطىء لحديث شد المئزر . ثم الوقاحة والسفاهة برمى حفاظ الأمة وأمناء الشريعة بالهوس الجنسى . الى آخر ما سمح به أدبه معهم

وهذا الكاتب الاجتماعى الانكليزى — وكاتب الاغلال يطرى الانكليز فى كتابه ويتغنى بفضائلهم — قد قرر ما نقلناه عنه فهل يلحقه فى رميه بالهوس الجنسى بمن رماهم به من حفاظ الاسلام ورواة الاحاديث أو يجبن ويتخاذل عن ذلك ؟

أحب أن أسمع مايقول فيه إن كان عنده شجاعة علمية أدبية حتى نعرف أن الكاتب ثائر ناقم على كل حق حيثما كان وأينما وجد . والذى يظهر لنا أنه جن فى رد كل ما هو إسلامى دينى ليخيط بدله مزقا دهرية لوبونية طبيعية .

وقد سمعت قرار الفكر الانكليزى فى المسألة فاسمع خلاصة أمريكية فى ذلك حتى تسمع تأييد الاسلام من شرق الارض وغربها كما قال الله

تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أوَلم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المجرمون)

أما الأمريكى فهو مؤلف كتاب (الانسان ، ذلك العالَم المجهول) وهو حائز جائزة نوبل فى العلوم الطبية ، وقد لخص المختار مقاله ، وهو أعرف وأوثق معرفة بقوى الانسان ومنافع أعضائه اذ قرر ان إفراز الخصيتين الداخلى فى الدم مما يقوى العقل؛ وأن العظماء من القواد والساسة والحكماء كانوا أقوى فى العاطفة الجنسية من غيرهم، وأن اثر ضعف الخصيان فى القوى العقلية أمر مشاهد: بخلاف كاتب الاغلال إذ كذب بما لم يحط به علمه ولم يتصوره فهمه ،وكذب الرواة والمحدثين فيما نقلوا من قوة النبي ﷺ(١) وكذب أنساً خادم النبي ﷺ فى روايته طواف النبي ﷺ على نسائه فى ليلة واحدة بغسل واحد (ص ١٢٠) ورمى الحافظ ابن حجر خاتمة الحفاظ بالهوس الجنسى وتلفيق الروايات فى قوة جماعه ﷺ الخ البذاءات التى تليق بأدب هذا الكاتب وتربيته ومنبته وتمرده على المجتمع الاسلامى وليس الحافظ ابن حجر بأعظم من البخارى امام الدنيا فى حفظ حديث رسول الله ومعرفة صحيحه، فقد رماه الكاتب بالجهل بالحديث ، وأنه يروى

(١) كقوته ﷺ فى سائر المواهب الجسدية والروحية والخلقية فهو الانسان الكامل فى كل المواهب الانسانية حسية ومعنوية ولو عقل الكاتب حكمة إباحة الله له التزوج بعدد لا يحد من النساء لما استبعد وكذب ماجاء من الروايات فيما خصه الله به من القدرة الجنسية التى فاق بها الناس حتى أبيح له من النساء مالم يبح لغيره . حكمة تتعالى عن العبث والسفه .

الحديث الموضوع — المكذوب — وهو لا يعرف وضعه وكذبه.. صرح بهذا شفاها فى دار وجيه نجدة الافندى محمد نصيف بحضور صاحب الدار وولده الأديب حسين افندى نصيف وغيرهم من حاضرى المجلس حينما انجر بحثى معه فى مسألة سأذكرها بعد إلى الاستدلال بحديث رواه البخارى، فما تلكأ ولا تلعثم عن وصف البخارى بما نقلته عنه حرفياً — بلى ليس البخارى بأعظم من صحابة النبي ﷺ الذى فضل عليهم الاستعمار الانكليزى بشهادة كاتب شهد عليه بذلك فى داره هو سيد افندى قطب رئيس قلم التأليف بوزارة المعارف المصرية، بل الصحابة ليسوا بأفضل من أنبياء بنى إسرائيل وأنبياء المتدينين عموماً على اختلاف أجناسهم إذ رماهم بتأخير الانسانية وعرقلة سير الحياة الخ. بله أن الايمان بالله الذى جعله نكبة على البشر والايمان بالآخرة الذى جعله مؤخرا للمؤمنين بها عن اللحاق بركب الحياة

وهذا كله كان غريبا قبل أن نعرف اهدافه ومراميه التى كشف عنها كتابه (الأغلال) من مادية لا روح فيها ودهرية لا خالق لها، ونواميس صارمة لا آيات ولا خوارق ولا معجزات ولا قدرة خالق ولا اختيار له فيها — والديانات التى تقول بغير هذا أغلال تؤخر سير الحياة وتعرقل ركب الأحياء عند الكاتب .

وبالجملة تلخيص مشوه أو مبسط لإلحاد لوبون وأضرابه من ماديى القرن التاسع عشر وما قبله ثم تمزيق دين الاسلام خرقاً ورقاعاً لتلبسه تلك الفلسفة العفنة التى عافها الناس واستهجنوها وعدوها آراء صبيانية أطفالية.

وسأحاول اختصار تلك الكلمة العجلى التى شغلتنى عن أعمالى زهاء أسبوعين

فليس من غرضى استيعاب الكتاب الطويل الممل فقد كشفت عن أساسه ودعائمه، وعمده وأركانه التى تتلخص فى هاتين الحكايتين — ومن أعطاك مفاتيح دار فقد أمكنك من معرفة ما فيها :

(١) ذهب أديب لموادعة صديق امريكى مسافر بطائرة فكان فى الوداع أن قال له : تصحبك السلامة باذن الله ومعونته ، فقال الأمريكى : الله ماله شغل فى هذا !! قال المودع : يحفظ الطيارة من السقوط ومن العواصف مثلا . قال الأمريكى إن سقطت فمن هذا المغفل - وأشار إلى سائقها - الله ماله شغل فى هذا . فكتاب الأغلال تبسيط وشرح لهذه الحكاية الأمريكية .

(٢) ذهب جحا (١) لشراء حمار من السوق فسئل أين تذهب ؟ قال أشترى حماراً من السوق قيل له قل ان شاء الله قال ليه ولماذا أقول ذلك ؟ الحمار فى السوق والثمن فى جيبى . ولما دخل السوق رزىء بلص سرق نقوده فلما رجع قيل له أين الحمار ؟ قال إن شاء الله ضاعت النقود، فقيل له كان ذلك من أول . وضحك الناس عليه .

وفلسفة كتاب الأغلال هى فكرة جحا وهو ذاهب لشراء الحمار ولكن جحا انتبه إلى الحق بعد ضياع دراهمه فهل يرجع صاحب الأغلال ولو بعد خراب مالطة وبعد ما أفسد ما أفسد من أفكار قراء كتابه ؟

---

(١) جحا اسم لشخصية هزلية مجونية تنسب إليها حكايات مضحكة لها مغزى أدبى خلقى واختلف الناس فيه هل شخصيته خرافية أو له وجود تاريخى وفى سوق الوراقين تباع كتب باسم نوادر جحا ..

الله أعلم بشؤون خلقه ولله فى خلقه واضلالهم حِكم كحكمه فى خلق إبليس وإنظاره لاضلال خلقه .

فات أحد كبار الانكليز شيء عزم عليه فقيل له لو قلت إن شاء الله لحصل ، فكان يقول إن شاء الله حتى فيما مضى فيقول عملت كذا أمس إن شاء الله تعالى ، وأظنه المستر كوكس مهندس خزان أسوان الشهير بمصر

أقول سأختصر الكلمة بذكر فرع من فروع مادية الكاتب وهو إنكار تمثل الجن وتصورهم بصور ، وقد جرى بيني وبينه بحث فى ذلك نلخصه فى كتابه ص ٢٠١ س ٢٩

« ومنذ شهور قليلة قام بيني وبين انسان عالم نزاع فى هذا وقد زعم هو بأن العفاريت يتصرفون فى هذه الدنيا وأنه يعرف إنسانا كانوا يخدمونه ويحضرون له الفاكهة من بلاد أخرى فى أوقات تفقد فيها الفواكه وانهم - أي العفاريت - نقلوا له البراميل من بلدة إلى أخرى »

أقول : أنا ذلك الانسان العالم الذى عناه ، والذى قام بيني وبينه ذلك البحث الذى رواه مشوهاً ، ولم يذكر ما استدللت به من آيات وأحاديث منها حديث البخارى « إن شيطاناً تفلّت على النبي ﷺ ليفسد عليه صلاته فأمسكه الرسول وخنقه حتى أحس برد لسانه وهمّ ليربطه فى سارية المسجد حتى يلعب به صبيان المدينة ، فذكر دعوة أخيه سليمان (وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) فأطلقه » فما كان من الكاتب إلا أن رمى البخارى بالجهل بالأحاديث ، وأنه يروى فى صحيحه الحديث الموضوع وهو لا يعرف أنه موضوع . وانفصل الحديث عند هذا الحد إذ لم نكن

ندرى ما وراء الأكمة وما يخفيه الكاتب فى أغلاله من الكفر بالله واليوم الآخر والملائكة والجن والرسل والديانات كلها حتى أعانه فى كتابه الأغلال . وسواء آمن بتمثل الجن وتصورهم أو لم يؤمن ، وصدق ماأخبر الله عنهم فى عصر سليمان وغيره ، وان منهم البنائين والغواصين والمقرنين فى الأصفاد ، ومن عرض على سليمان نقل عرش ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين أو لم يصدق . وسواء صدق الأحاديث فى ذلك أو لم يصدق ، وما توارثه الناس قديماً وحديثاً مما بلغ مبلغ التواتر الذى لاينكره إلامكابر مباهت حتى فى عصر المادة هذا يوجد فى عقلائه من يروى ماوقع من غرائب الحوادث التى لا يعقلها من لم يؤمن بعالم الغيب ويصدقها المؤمنون به

ولقد كان عقلاء الماديين أعقل من كاتب الأغلال وأبعد عن السخف فاذا رأوا شيئاً لا يفهمونه ، أو صحت عندهم رواية لا تنطبق على قواعدهم المادية : قالوا : هذا شىء لم نعرف وجهه ، ولم يكذبوا به ولا بروايته ، واستحيوا من العناد والمكابرة والبهت وإغماض العين لانكار ضوء النهار ولك أن تطلع على ما يختاره « المختار » من حين إلى آخر ، آخرها مقال « قصة شبح » فى عدد يوليو (سنة ١٩٤٧) وراويه عن نفسه رجل من عظماء الانكليز معتمد الحكومة الانكليزية فى فرنسا . فصدقه أو كذبه . وقبلها فى عدد مارس (سنة ١٩٤٧) من مجلة المختار بعنوان (رأيت ملك الجحيم) فيها تمثل الشياطين فى غابة من غابات التبت .

وكل ذلك فرع المسألة الأصلية : الايمان بالغيب ، بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر ، جنته وناره وحشره ونشره ، وقضاء الله وقدره على

ألوجه الذى آمن به المؤمنون الأولون : الصحابة والتابعون وتابعوهم باحسان إلى يوم القيامة . أم الكفر بذلك وتفسيره تفسيراً ماديا دهريا لوبونيا طبيعياً وجودياً على ظلمات فلسفة القرن التاسع عشر ،وإن ظن أنه يخدع الناس بذكر الأسماء الدينية وينزلها على مراده الذى اخترعه وحرفه من دين المادة والطبيعة والكون الآلى(ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)

قال آخر (ص ٢٠٥)

« وليعلم بعد هذا أننا ممن يؤمنون بالأرواح وبالجان ، وبكل ماجاء عن الله ورسوله ، ولكننا ننكر الفوضى وننكر أن يكون الله قد ترك خلقه بلا نظام وبلا قانون يلزمهم الحدود ويريهم السبيل ، أو أن يكون قد تخلى عنهم للفوضى والطغيان »

فرحى لهذا الاعتراف ، إذاً فليؤمن أن الشياطين سخرت لسليمان (كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد) (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك.. قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءى الفئتان نكص على عقبيه وقال إني برىء منكم إنى أرى مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب) تمثل الشيطان بسراقة بن مالك الجعشمى يوم بدر وقال لهم ما حكى الله عنه فلما رأى الملائكة مدداً يزعهم جبريل ولى هاربا فلما نادوا ياسراقة كيف نفر وتنهزم أجابهم الشيطان متمثلا بسراقة إنى أرى مالا ترون .

وحديث تفلت الشيطان على النبي ﷺ ليفسد عليه صلاته وتمكنه منه وخنقه حتى أحس ﷺ برد لسانه وهم بربطه فى سارية من سوارى المسجد لولا تذكره دعوة أخيه سليمان (وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) وسارق تمر أبى هريرة مرارا وأعلمه النبى انه شيطان. ولشيخ الاسلام ابن تيمية رسالة فى أحوال الجن وعلاج من يصيبونه بمرض ونحوه، وكيفية اتقاء شرهم مفعمة بالأحاديث فى ذلك طبعها الشيخ منير الدمشقى بمطبعته المنيرية سماها (إيضاح الدلالة فى عموم الرسالة)وقد ساق البخارى فى كتاب بدء الخلق من صحيحه أحاديث على شرطه فيما جاء فى الجن وأحوالهم ، وفى القرآن سورة الجن وفيها وفى الاحقاف استماعهم لقراءة الرسول القرآن فى صلاته الفجر حينما كان ذاهبا إلى عكاظ بنخلة اليمانية (قرية بطريق الطائف) وأحاديث إسلام طائفة منهم وسكناهم المدينة . وتمثلهم فى صورة حيات وقتلهم لمن قتل منهم حية . والحديث بذلك فى صحيح مسلم وأبى داود وغيرهما

وفى تمرد الجن وطيشهم وعبثهم من الفوائد ما لا يقل عن نظيره من تمرد المتمردين من بنى آدم من تعليمنا كيف نصارعهم ولا نخافهم ونناز لهم ولا نهيبهم ، ونزداد إيمانا بقدرة الله على خلق مخلوقات لا ترى ثم ترى ونوعا حيا عاقلا على أسلوب غير أسلوبنا فى الحياة والمعيشة ، فاذا تمردوا على ما ألزموه من النظام قاومناهم بما فطرنا الله من قوة ، وما هدانا اليه من عقل وتدبير مع الاستعانة به وازددنا علماً بما وراء المحسوس فوق ما نعلمه من المخلوقات التى نحسها ، وأن هناك أحياء غير ما نعرف من

الحيوانات ؛ وأن وراء ما نبصر أمم تحيا وتعيش بطراز غير ما نعرف من طرز الحياة التى ألفناها رغم أنف الدهريين والماديين ، وإن كان فى الناس من يجبن عن مصاولة هذه المخلوقات الضعيفة من الجن وهو أرقى منهم عقلا وحولا وطولا ؛ فهناك من يخاف الفأر والهرة فضلا عن النمر والأسد مع أنه أقوى منها حيلة وفكراً ومعرفة بطرق اتقائها بل صيدها وحبسها فى أقفاصه . فليس فى وجود هؤلاء الجبناء من الناس وعبث الجن بهم أحيانا قليلة للعبرة مايخدش حكمة إقدار الجن على التمثل والتصور ، ولا فيه فوضى ولا خلل ، ولا ترك الله لخلقه وتخليه عنهم كماتصوره الكاتب

أنا أومن بتمثل الجن وتصورهم ؛ وأصدق الصادقين ممن يحكى شيئا من تلك الأحوال الغريبة التى تصدقها القرائن ولوائح الأحوال وشواهد الصدق ومع هذا لا أهاب الجن فى خلاء وظلام ووحدة ولا تشوشت علىّ حالة من حالات معيشتى ولا جرى علىّ فوضى ولا طغيان وأصدق من يحكى انه رآهم أو قاومهم وانتصر عليهم وفروا منه هاربين كسفهاء لصوص بنى آدم .

ومن شاء باهلته على ذلك أن ينزل الله لعنته على الكاذبين .

وليس فى تمثل الجن وترائيهم للناس فوضى ولا طغيان مطلق ولا ترك الله لخلقه وتخليه عنهم كما زعم الكاتب ، وفى تمرد المتمردين من الانس والجن وخروجهم على النظام والقانون حكم وفوائد كثيرة من التوجه لمقاومتهم والهداية إلى قمعهم وعقوبتهم والزامهم النظام والقانون ، وتعلم طرق اتقاء شرهم وفضح حيلهم وأطرهم على الحق والنظام والشرع .

وهل هناك من فائدة لنظام البوليس والادارة ولقانون الجنايات وبحاكمها وقضاتها لولا وجود الأشرار العابثون بالقانون والنظام من بنى آدم.

والعجب لكاتب الأغلال أن يظن فيما جاء فى النصوص الدينية من تمثل الجن وظهورهم بأعمال تهويشية أو عبث ومجون : فوضى أو تخلّ لله عن خلقه أو نحو ذلك من التمويهات التى يرد بها ما جاء فى كتب أنبياء الله تعالى ، وما تواتر فى أخبار الناس عن ذلك. وهل فات الكاتب أن الحياة كلها كفاح وجلاد وصراع ؟ فهذه الوحوش تفترس ، وهذه تدافع أو تهرب أو تقع فريسة ، وهذه الجراثيم المرضية تهاجم جسوم الحيوان والانسان وهذه تدافعها . والغلب لهذه تارة ولتلك أخرى . وفى هذا الكفاح من علوم الحياة ومن التجارب ، ورقى العلوم والصنائع مايعرفه أهله . وقد ذكرنا ما فى عصابات اللصوص وقطاع الطريق ومقاومة القائمين على حفظ النظام والقانون لهم من حِكم وفوائد . فهل يعد الكاتب ذلك كله فوضى وتشويش وتخلياً لله عن خلقه ، وفساداً للنظام ؟ أو الجد والاجتهاد فى رد نصوص الدين بأوهام وسفسطات وبهرج من القول ، وجرى وراء المادة المنكرة لما وراء المحسوس والطبيعة ؟

إذاً فليبك الكاتب على عقله ودينه

ونسأل الكاتب الفاضل إذا كان يؤمن بما أخبر به القرآن من إرسال الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً ومن نزغ الشيطان للانسان ، ومن إنظار الشيطان إلى يوم الوقت المعلوم لاِغواء بنى آدم : هل فى ذلك كله فوضى وأن فيه ترك الله لخلقه بلانظام ولا قانون يلزمهم الحدود ؟

إن كان يؤمن بذلك وأنه لا فوضى فيه ولا تخلى لله عن خلقه ولا تشويش ولا طغيان فليضف إليه تعثاهم أحيانا وعبثهم، مما فيه مصالح لبنى آدم مما ذكرنا بعض فوائده، وإلا فليعلم أن شياطين دين المادية والناعقين بإنكار ما لا يحسونه بحواسهم المقيدة المحدودة لما نقض مذهبهم بمشاهدات الناس لحوادث الجن، ومشاهدة الانبياء والرسل للملائكة وتمثل ما وراء المحسوس من عالم الغيب من الملائكة والجن بصور تُرى وتسمع وتحس، باهتوا التاريخ والتواتر والوقائع ليقوم لهم مذهبهم الحيوانى فى إنكار ماوراء مايعرفون — وما أقل مايعرفون — من الوجود ظاهره فضلا عن خفيه وغيبه. وجاء كاتب الأغلال يهرف بما لا يعرف جهلا أو غباء أو انخداعا بهذه الدهرية المادية التى تكذب بما لم تحط به علماً ولما يأتها تأويله

وإنا لنرجو اليوم الذى ترق فيه مشاعرنا وحواسنا وتتقدم الصناعة والاختراع حتى يرق ما بين المحسوس وغير المحسوس من حجاب، فيرى هؤلاء العمى من الماديين ما لم يكونوا يرونه قبل ذلك. ولسنا نطمع حينئذ فى إيمانهم لأنه بيد الله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها. قل إنما الآيات عند الله ومايشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون. ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون. ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قُبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون)

***

ومن فروع الأصول المادية الدهرية التى اعتنقها الكاتب وفسر بها

ماجاء فى الدين ، مسألة إنكار العين وتأثيرها فقد قال (ص ٢٠٦).

« ومما يتصل بمسألة الأرواح المعتدية مسألة الاصابة بالعين أو النظرة أو ما يسمى عند العامة بالحسد فان الحاسد عندهم إنما يصيب بروحه الخبيثة ومسألة الاصابة مسألة ذات ذيول طويلة وحواش ضافية ولاعتقادها أثر جسيم فى حياة الكثيرين وفى عقولهم وأفكارهم وتصرفهم العام ولها فعل سحرى فى قوتهم العصبية والارادية والعقلية . . .

ثم سرد ماهو منتشر بين الناس فى تأثير العين من حق وباطل وماهو مبالغ فيه أو أوهام ، وهزأ بكل ذلك وبالروايات فيه صحيحها وسقيمها ، ومن ذلك رواية الموطأ والطلب من العائن أن يغتسل للمعين فقال ص ٢٠٧

وذكروا انه عليه السلام أمر أن تغسل عورة العائن والمواضع القذرة من بدنه ثم تجمع الغسالة ثم تصب على المعين ويسقاها . . . .

وقد كذب على الرواية بذكر عورة العائن تشنيعاً لها وتشويهاً وإنما الرواية فى غسل أعضاء الوضوء من العائن : وجهه ويديه وداخلة إزاره ، وفسروها بطرفه الملفوف على وسطه أو بحقويه اللذين يلف عليهما الازار . فحرفها الكاتب إلى عورة العائن إمعاناً فى التشنيع على الحديث ، وخيانة فى النقل ، لأنه يكتب لقوم فتنوا بالخوف مما يسمونه الجراثيم والمكروبات حتى أورثهم هذا الهوس جبناً فاقوا فيه النساء والأطفال ؛ وهلعاً خلع قلوبهم ففقدوا به شجاعة الرجال ؛ فضلا عن الأبطال ، وجُنّوا بما يسمونه النظافة والوقاية من الأمراض ، حتى أن الواحد منهم يتقذر من فم جليسه وصديقه الذى قد يكون أصح منه وأنظف فلا يشرب من كوبه فضلا عن خلطته به فى طعامه ، بل يتقذرون أصابعهم الطاهرة

فأراد الكاتب أن يظهر لهم الدين هـذا المظهر القذر المحتقر تنفيراً وتقبيحاً ، فزعم أن الرواية جاءت بغسل عورة العائن ، والله حسيبه فيما كذب وافترى على الرواية ، ولو جاءت بهذا اللفظ لكان فى حمله على أحسن محامله الأدب معها ؛ فالعورة عند الفقهاء ماتحت السرة وفوق الركبة ، وليست خاصة بالقبل والدبر ،أو السوأتين

اعترف الكاتب بما جاء فى بعض الروايات ثم أخذ يحرفها حتى تطابق أصوله المادية فقال ص٢٠٨:

نعم جاء فى الأحاديث التى رواها المحدثون الثقات « أن العين حق وأنه لو كان شيء سابقا القدر لسبقته العين » ولكن هل هذه الأحاديث فى سبيل من جهل هؤلاء الجاهلين وفى صدد مما قالوا واعتقدوا كلا فان كلام النبوة أضخم وأسمى معنى وهدفا وغاية مما يتوهمون فالعين حق فان الانسان الشرير يرى بعينه فيحقد ويحسد بقلبه ثم يضيب بأعماله وكيده ،والعين حق أيضا فان فى كثير من العيون قوة آمرة ناهية بل قاتلة آسرة وان الرجل الموهوب هذه القوة لينظر أحيانا إلى من حوله فيخضعهم بمجرد النظر ويسلس لنظرته وعينيه أشمس خلق وأعصى طبع ويبلغ من أنفسهم أقصى ما يريد وأبعد ما يرجو ،فيصبحون طوع مشيئته ورهن إشارته فيصبح بينهم الآمر الناهى المتصرف ويصير فيهم الزعيم المعبود أو الشيخ المعبود أو الأستاذ المعبود ، القول قوله ، والتفكير تفكيره والهوى هواه والدنيا دنياه . . .

ثم ذكر عجبه من استعباد شخص لأمة ، وعبادة أمة لشخص وفسره بسر عينيه . وضرب مثل ذلك الشيخ الجاهل السفيه الوقح فى كل جانب من جوانبه — كأنه يعنى محمود خطاب السبكى رئيس ومؤسس جماعة السبكية المتسمين بالسنية — ونجاحه فى أتباعه ؛ وتصرفه فيهم تصرف

الراعى فى قطعان غنمه ، أو كأنهم مخلوقات خلقهم هو وصاغهم فى القالب الذى يريده منهم ؛ أو كأنهم أموات بين يديه ، لايتحرك منهم عضو حتى يحركه ، وفرض عليهم أن يخشعوا بين يديه خشوع العابدين فى صلاتهم ، أو ذلة المشركين أمام أصنامهم ؛ وألزمهم أن يدخلوه بينهم وبين الله فى أقرب موقف يقفونه منه تعالى ، وألزمهم أن تضعوا خياله وصورته بينهم وبين الله وبين القبلة حين الصلاة ، وفرض عليهم أكثر مما فرض الله على عبيده ، وكتب لهم هذه الفروض فى كتاب من كتبه « يعنى العهد الوثيق » زورتها يداه ثم أمرهم أن يتعلموا هذه الفرائض وأن يستذكروها حفظا ليعملوا بها أينما كانوا

وفسر الكاتب نجاح هذا الشيخ الجاهل السفيه الوقح بسر عينيه .

ثم فسر حقية العين أيضاً بأنها مفتاح شخصية صاحبها ومجتمع قواه ومعانيه المختلفة ، ففيها يتجلى الحب والبغض والعداوة والصداقة ؛ والرحمة والقسوة ، والذكاء والغباء ، والقوة والضعف والحزن والسرور ، والصحة والمرض والهدوء والقلق . الخ

وأقول للكاتب الفاضل: ماذكرت من الأمثلة والشواهد والاستنتاج صحيح ولكنه ليس مراد حديث « العين حق» بدليل بقية الحديث «ولو كان شىء سابقا القدر سبقته العين » وبدليل الأحاديث المتواترة المعنى ، المملوءة بها كتب الثقات من المحدثين الذين وثقت بروايتهم لحديث «العين حق» التى تدل على تأثير العين التأثير الذى تنكره أنت وتهزأ به ، كحديث « استرقوا لآل جعفر فانهم تصيبهم السفعة » وحديث رقية

الحسن والحسين « أعيذكما بالله من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » وكحديث الموطأ فى المعين الذى لبط حينما قال له العائن « ما رأيت ولا جلد مخبأة قبل اليوم » ولما اغتسل له العائن فكأنما نشط من عقال .

والأحاديث فى هذا كثيرة يؤمن بها المؤمنون ويجحدها الماديون .

وآية (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) فيها إشارة إلى تأثير العين ؛ ونصيحة يعقوب لبنيه أن يدخلوا مصر من أبواب متفرقة ، ولا يدخلوا من باب واحد كذلك

ونسأل الكاتب عن معنى ما اعترف به من بقية حديث « العين حق » وهو « ولو كان شىء سابقا القدر لسبقته العين » ما معناه ؟ وهل عنده تحريف له حتى يتفق والمادية التى اعتنقها الكاتب ؟

ولعله خانه حذره حينما ساقه معترفا به ثم حصر عن تحريفه فسكت عنه فلم يضحكنا بما عودنا من تحريف وتسخيم

وليس اعتقاد الناس فى تأثير العين اتباعا للأحاديث الصحيحة المروية فى ذلك بمخذل لهم ولا عائق عن سبل النجاح كما زعم الكاتب (ص ٢٠٧) ولا مما يفسد الهيئة الاجتماعية ، ولا مما ينشر الفوضى والخيال المضطرب القاتل كما زعم (ص ٢١٠) وإن وُجد إنسان هستيرى المزاج كالذى عرفه الكاتب (ص ٢٠٨) أكلته الأوهام والظنون من هذه الناحية ، يحسب عيون الناس سهاماً مصوبة اليه ؛ فتخاذل وتمارض ليدفع عنه العيون المصوبة اليه ، فليس هذا المهستر هو كل الناس ، ولا هو القياس الصحيح لجميعهم . فالناس سائرون على جوادّ أعمالهم ، جادون فى مهامهم ، بلا تلكؤ

ولا تخاذل ولا توقف ، فان ظنوا فى أحد تأثيراً عينياً تعوذوا بالله منه ، وتحصنوا بالتحصنات الالهية والرقى النبوية التى لا يصدقها الكاتب ولا يؤمن بها . فماذا يضرهم إيمانهم هذا ؟ بل لقد أفادهم الايمان بالله واللجأ اليه والاحتماء بحماه مما يكفر به الكاتب ويسفهه ، ويريد بكتابه أن يقلعه من قلوب الناس ليستبدلوا به مادية قاحلة مجدبة مميتة قاتلة مبعدة عن الله كافرة به، منزلقة فى أوحال المادة

ماذا يبقى للناس إذا فقدوا فى وسط محيط الحياة المضطرب وأمواجه المصطفقة ثقتهم بالله وإيمانهم به وسفينة رحمته بهم ، وفلك حنانه وشفقته عليهم — إلا الحيرة القاتلة ونار اليأس المحرقة ، والقلق والاضطراب الذى أودى بذلك الحيران الذى أغرق نفسه فى شاطىء بحر الاسكندرية ، ووجد فى جيوبه اعترافه أنه ملحد زنديق لا يستحق أن يدفن فى مدافن المسلمين ، وأظنه اسمه « على أدهم »

فى إحدى افتتاحيات مجلة الثقافة للكاتب الشهير الأستاذ أحمد أمين مقال قيم فيما فقده الناس من الايمان ولم يعوضوا خلفاً عنه ، وما أصابهم من جراء ذلك من مصائب نفسية ومادية الخ

والعجب أن كاتب الأغلال ينكر تأثير العين بالمعنى الذى يعرفه سائر المسلمين ، ثم يخترع لها تأثيراً يضرب له الأمثال بتأثير بعض الزعماء على الدهماء بما أوتوا من نجاح فى التأثير عليهم بسبب دعايات أو إقناع دينى أو سياسى أو مذهبى ونحو ذلك . وإذا كان للعين ما ادعاه الكاتب من هذا التأثير فى الجماعات ، فما الذى يكفره من تأثيرها الآخر الذى جاءت به الشرائع

وما الفرق ؟ اللهم إلا الاغراق فى المادية والكفر بما جاءت به الشرائع من أسرار وحقائق تجحدها المادية .

**

يتهكم الكاتب بثقة المسلمين بدينهم مع أنهم لا يعملون به الآن فيقول آخر (ص ٢١٠)

وهناك مسألة كبرى نشأت أيضا من الجهل بسنة الله وسنة الحياة ومن الاعتقاد بأن العالم ليس محكوما بالنواميس

ذلك أن الناس ظلوا مئات السنين يعتقدون أن المسلمين لن يُغلبوا، لأن دينهم حق ، والحق يجب أن يكون أهله منتصرين أبدا وإن قصروا وأهملوا ونسوا أنفسهم وأن الاسلام لن يهزم أمام الأديان الاخرى لأنه الدين المرضى لله والله لن يترك ما يرضاه للخذلان والهزيمة ،وقد عملوا على أن يصححوا هذه الأغلوطة بالاستدلال بآيات قرآنية مطلقة مجملة نسوا قيودها وشرائطها ،فأمعنوا ضربا فى متاهات الأوهام واستمتاعا بأضغاث الاحلام، وظلوا سادرين حتى فجأهم العالم فانتبهوا مذعورين لا يدرون من أين ولا كيف . وقاموا يتلمسون الطريق وقمنا معهم ولكننا وجدنا بعد هذه النومة الطويلة والأحلام الثقيلة أن أعلام الطريق قد عفت أو كادت ،وأن الرقاد الطويل الثقيل الذى هنئنا به قد باعد بيننا، وبين الأمم اليقظى التى لم يغمض لها جفن فكيف ومتى اللحاق ؟ .

أقول : إن اعتقاد المسلمين ان دينهم حق ، وان الله تعالى ارتضاه ، وأنه لن يُغلب ولن يهزم ، كل هذا حق أيدته الآيات القرآنية ،والشواهد التاريخية ، والتجارب الواقعية الكثيرة . وإلا فماذا يقول الكاتب فى فتوحات الاسلام شرقا إلى حدود الصين ، وغربا إلى المحيط الأطلسي فى عهد خلفائه الراشدين وعهود بنى أمية وبنى العباس وبنى عثمان ، وفى

الانتصارات الصليبية فى عهد محمود زنكى وصلاح الدين الأيوبى وفى فتوح أوربا من غربها فى الأندلس ، ومن شرقها فى العهد العثمانى إلى أواسطها حيث أسوار فينا؛ كل هذا ما كان إلا بدينهم والعلم به والعمل به ؛فكانوا بذلك سادة الدنيا قوة وغلباً ونصراً وفتحاً

ثم لما صار الدين عندهم اسماً بلا مسمى ؛ وعصبية جنسية ، بلا علم ولا عمل ،وناموا كما قال الكاتب نومة ثقيلة أضاعوا فيها دينهم ودنياهم ، واستيقظ الغرب بفضل ما استفاد منهم باحتكاكه بهم غربا فى الأندلس ومدارسه وعلومه وصناعاته ، وشرقا فى الحروب الصليبية ، استفاد من المسلمين حرية الرأى والبحث الحر ، وتقويم الحكام وإرشادهم ، وردّ أهوائهم وباطلهم ، والقيام عليهم للصالح العام ، إلى غير ذلك من أصول الاصلاح والخير ، ورجع إلى بلاده فبذر بذور الاصلاح فيها بالجمعيات العلنية والسرية ، وبالنشر والدعاية ،والصبر على الأذى والاضطهاد ، والقتل والصلب فى سبيلها حتى أثمرت مدنية أوربا الحالية التى خطف بريقها بصر الكاتب وأصمت رعودها آذانه ،فلم يعد يرى ولا يسمع غيرها

لقد أبدع الكاتب القدير سعادة عبدالرحمن عزام باشا فى رسالته «الخالدة» فى بيان محاسن الدين الاسلامى وعرضه على عقلاء الناس عرضا فائقا لإنتشال المجتمع الانسانى من شرور المدنية الاوربية وأوحالها وأوضارها ، والحفر العميقة التى تردت فيها وأردت الناس معهم ممن اقتفى أثرهم . ثم قال وأمل فى رحمة الله :

وبعد فهل يكتب لسكان الشرق من المسلمين وللمسيحيين الذين

تتعلق نفوسهم دائما برحمة الله ، وتترقب هداه إذا اشتدت الكروب والظلمات ، أن ينهضوا مرة أخرى بميراثهم السامى الذى يُقوم من عوج النزاع الفكرى والاقتصادى والعنصرى ؛ ويلطف من حدة المزاج الغربي حتى يؤمن بالأخوة الانسانية ، ويعمل لخدمة السلام العام باخلاص نية ؛ وحسن توجه بما مكن الله له فى الأرض . ذلك ما نسأل الله رب العالمين أن يعجل بتهيئة أسبابه ، إن الله بالناس لرءوف رحيم

وقد كتب المستشرق النمساوى «ليوبولد فايس» المسمى محمد أسد الله رسالة سماها (الاسلام على مفترق الطرق) وصف حال الاسلام ، ومهاجمة المدنية الغربية له من كل النواحي ، وماذا يجب على المسلمين للنجاة من شرور هذه المدنية المادية ، وماذا يلزمهم منها وماذا يضرهم ، بحجج واضحة ، وغيرة صحيحة ونصائح نافعة ،فاقرأها فانها مفيدة قيمة تدل على تفكير عميق وتحقيق صاف رائق ونصح خالص عن تجربة وبصيرة.

وليس اعتقاد المسلمين فى دينهم الحق وأنه لا يُغلب ولا يهزم ، بوهم قاتل ، ولا فضحه الواقع كما زعمه الكاتب (ص ٢١١) ولكن الوهم القاتل هو الجهل بهذا الدين والإعراض عنه ؛ وابتغاء العزة فى غيره من مادية القرن التاسع عشر التى أفسدت على الناس أديانهم وإن كانت أفادتنا ـ على حد المثل «رُب ضارة نافعة» أن نراجع ديننا وأن نمحو منه ما لصق به من بدع وخرافات ، وأن نفهمه على وجهه الصحيح ؛ ونعمل على الوجه الذى يريده الله ويرضاه ، فنجنى منه ما جنى منه المسلمون الأولون من عز وقوة، وغلب ونصر ؛ ونضرب للعالم المثل العالى فى أن الدين نور وقوة هداية

وعمل حياة روحية ومادية .

والزمن كفيل أن يظهر لنا إن كان تألم الكاتب من انتشار الجمعيات الدينية الكثيرة التي تنادى بعز الاسلام ومجده الذى سماه الكاتب أغلوطة تاريخية كبرى (ص٢١١) هل سببه الغيرة على الاسلام أو ألمه من الاسلام وخادميه والساعين فى إعزازه ونصره لاعتقاده فيه تأخيره لأهله عن ركب الحياة وموكب الجماعة

أما تعليله لنجاح هذا المخبول الذى يهذى بالمستحيلات الناعب بالآمال الناعق للجماهير المضللة حتى أخذ برقاب آلاف أو مئات آلاف أو ملايين من هذه القطعان البشرية يقودها كما يشاء « يريد به فضيلة الأستاذ حسن البنا رئيس جماعة الاخوان المسلمين ، تلك الجماهير المضللة والقطعان البشرية عند الكاتب » بأنه قد هاجم أضعف جانب فيهم وهو جانب الرجاء والأمل : فانتصر عليهم بدون عناء فلا يعد نجاحه دليلا على أن له قيمة كشأن أمثاله من المخادعين المستولين على الجماعات بالتلويح لهم بالآمال (ص ٢١٢) فنترك الحكم على صحة هذا التعليل لتلك الجماعات من الاخوان المسلمين وفيهم الكتاب الأذكياء والمتعلمون النبهاء

وأما تهكمه بقول الحافظ ابن كثير « إن مدينة دمشق لا سبيل للأعداء من الكفرة عليها لأنها المحلة التى أخبر الرسول عنها أنها معقل الاسلام عند الملاحم وبها ينزل عيسى ابن مريم » تهكمه عليه بقوله (ص٢١٥)

ولا نعرف ماذا يقول لو عاش بعد أن كتب هـذا فرأى الجيوش الفرنسية ثم الانجليزية تدخل هذه المدينة الاسلامية الجميلة غازية منتصرة أتراه يستطيع أن

يقول إن الاسلام أعطى هذا الضمان الجليل أم تراه يدعى ان ما أورده هنا فى كتابيه يصلح أن يكون برهانا على وجود هذا الصك الالهى المحمدى المزعوم. لا ريب فى أن الذى جعل مثل هذا الشيخ الجليل الحافظ يهم هـذا الوهم هو الغفلة عن سنن الله الصارمة التى لا محاباة فيها ولا فوضى ولا محسوبية.

أقول: لقد أخزى الله شماتة الكاتب بهذا الامام الحافظ الواثق بما روى عن النبي ﷺ وبعز الاسلام، فهذه دمشق الآن تتمتع على مرأى الكاتب وسمعه بحكومة وطنية تنفيذية وتشريعية بوزراء وبرلمان، وبجيش وطنى من أبنائها، وطرد الله عنها ما كان أدبها به من جيوش أجنبيـة: فرنسية أو انجليزية تأديباً عارضاً مؤقتاً كسحابة صيف. فماذا يقول الكاتب الآن وقد رأى وسمع، هل يعترف بفضل الاسلام ويعود إلى حظيرته، ويؤمن بما جاء عن نبيه من أخبار الغيب ويحترم العلماء المحدثين الذين رووا ذلك وآمنوا به؟ أو يبقى مصراً على النواميس الصارمة والمادية الدهرية التى عجّز الله تعالى بسببها، وكذب رسله وآياته لأجلها، ومشى وراء صنمه غوستاف لوبون الذى يتبجح بانكار الله وآياته وخوارق العادات التى أيد بها رسله وأنبياءه الداعين إلى طراطه المستقيم؛ ودينـه القويم، إذ قال فى كتابه (الآراء والمعتقدات) ص ٢٩ « ومع أن علم الحياة الحديث أصاب فى نقصه مبدأ علة العلل (يعنى واجب الوجود: الله) فاننا نرى سلسلة الأشياء تبدو كأنها خاضعة لهذا المبدأ؛ يؤيد ذلك كون الشروح العقلية التى أتي بها العلماء لم تقدر على حل كثير من الأمور الغامضة فى الكون — إلى أن قال: ولا نأسف على ذلك لأن كشف

المصير يحمل الحياة شقية، فالبقر لا يرعى الكلأ مطمئناً إذا علم أن مصيره إلى الذبح ، وأكثر الموجودات تتقهقر جزعا لو اطلعت على نصيبها »

وقال ص ١٤٨ « لعل أهم ثورة ظهرت فى عالم الفكر هى الثورة التى أدى اليها العلم باثباته إن الحوادث تصدر عن نواميس مهيمنة لا عن أهواء الآلهة » إلى أن قال « فلو أن الحادثات التى يخبر بها أولو الكرامات فى الوقت الحاضر ممكنة لتقهقر العلم طائعاً إلى قرون الأساطير الخ — إلى أن قال : وإن كان البحث الدقيق فى خوارق ما بعد الطبيعة يدلنا على أن هذه الخوارق عبارة عن أوهام تكونت فى نفوسنا »

**

اغتر الكاتب بما يُذكر فى الأوراق والكتب من آراء تقال رهن التمحيص والبحث ، فظنها حقائق راهنة وقطعيات لا تتبدل ولا تتحور ، فتراه يقول (ص ٢١٠)

وقد استطاع العلم الانسانى أن يصعد إلى الشموس وإلى المجرات يمددها ويقدرها ويعلم ما هنالك . . .

وأهل العلم بذلك لم يغتروا هذا الغرور فهذا نقولا حداد وهو من المغرقين فى المادية يقول فى كتابه « هندسة الكون بحسب ناموس النسبية » آخر ص ١٥٦

﴿ حاشية ﴾ نلفت نظر القارىء إلى أن هذا البحث وأمثاله من المباحث التى يطمح فيها العقل البشرى إلى استكناه أسرار الوجود لا تعتبر فى حكم المؤكد لأن المعلومات العلمية والأرصاد والاكتشافات التى بنيت

عليها ليست حقائق راهنة بل هي تقريبية ، أو ربما تيسر لأهل العلم أن يؤكدوها أو ينقحوها أو ينقضوها بنظريات أصح منها بما يستجد عندهم من معلومات أقرب إلى الحقيقة وفوق كل ذي علم عليم . اهـ

وذكر مشرفه باشا في رسالته النسبية الخاصة بعد ما ذكر قضاء نظرية النسبية على المذهب المادي ص ٤٤ — ٥٠ قال : والذين يقولون بالنسبية لا يرتكبون الخطأ الذي ارتكبه علماء القرن الماضي وهو خطأ الجزم باستحالة الخلق والفناء بل بالعكس فهم أبعد ما يكون عن الجزم بشيء أو القول باستحالة شيء وإن كان هناك صفة يتصف بها فلاسفة النسبية فهي البعد عن إلقاء أي قول فصل في أية مسألة من المسائل التي يتعرضون لبحثها ، وهناك صفة أخرى ظاهرة في أبحاثهم وأقوالهم ، ألا وهي الاعتراف بحدود المباحث التي يتعرضون لها . فالسير ارثر دانجتون مثلا وهو من زعماء فلاسفة النسبية يذكر في كتابه عن « كنه العالم الطبيعي » إن العلوم الطبيعية محدودة في دائرة من دوائر المعرفة البشرية لا تخرج عنها ويترك الباب مفتوحا إلى المعرفة من غير طريق العلم . اهـ . ص ٥٠

يقول الكاتب ص ٥٨

انه راح يولد هذا الوجود ويشهد تكونه وتولده ، وذهب يحدث حديث الحاضر الشاهد كيف ولدت مادة الكون ومتى ولدت وكيف ظلت تتفاعل وتتطور ثم كيف أخذت تتوالد ثم كيف ولدت هذه الشموس وغيرها من الشموس ثم كيف راحت هذه الشموس نفسها تلد الأتباع والبنين ليحيطوا بها . .

أما كاتب مجلة المقتطف ـ وهو من نعرف اشتغالا بهذه المسائل ـ

فيقول فى عدد أغسطس سنة ١٩٣٨ (ج ٣ مجلد ٩٣) فى هذه المسألة :

موضوع عمر الكون يختلف فى أركانه عن موضوع حجمه وسعته . وثم طرق لتقدير هذا العمر ليس بينها طريقة يصح الاعتماد عليها كل الاعتماد وهى تفضى إلى نتائج متضاربة ؛ والمسألة تدور على قدرتنا على النفوذ بأساليب علمية إلى ما كان عليه الكون فى الماضى السحيق ، ولا عجب إن قلت دقتنا كلما تغلغلنا فى الماضى اهـ

ثم ذكر الطرق التى بحثوا بها المسألة من قياس سرعة النور والمدة التى قضاها حتى وصل إلينا من أبعد المجرات والسدم . وتحليل الصخور المحتوية على مواد مشعة - كالراديوم ونحوه - ونظرية النسبية وتمدد العوالم الكونية وتباعدها ومبدأ توزع الطاقة المتعادل بين الذرات فى الغاز أو بين النجوم

ثم ختم المقال بقوله : لم يكن تصور رحاب الكون بالأمر السهل وأشق من ذلك تصور سعة الزمن الفلكى .

بخلاف كاتب الأغلال الذى جعل المسألة موضع الجزم والمشاهدة بقوله «راح يولد هذا الوجود ويشهد تكونه وتوالده» وذهب يحدث حديث الحاضر المشاهد الخ

وأهل العلم بذلك يقولون عن طرقهم ليس بينها طريقة يصح الاعتماد عليها كل الاعتماد ، وهى تفضى إلى نتائج متضاربة ؛ ويعترفون بقلة دقتهم فى هذه المسائل ، بخلاف صاحب الأغلال الذى يطالع هذه المسائل مطالعة سطحية ويجزم فيها بالآراء الظنية عند أهلها

ويقول الكاتب ص ٥٩ س ٢

« ثم لم يقف عند هذا الحد بل ذهب مسرعا يسابق الوجود فيسبقه، وذهب يخبرنا عما بقى من عمر هذا العالم وعمر هذه الحياة وهذا الوجود الذى سبق أن ولده وأن شهد نشوءه وتكونه وعما بقى من عمر هذا الانسان وغيره من الأحياء ويخبر عن الأحداث والحوادث التى لا تزال فى طريق الوجود والتى لا تزال تترقب لتثب وثبتها .

ويقول السير جيمس جنز فى كتابه «النجوم فى مسالكها ص ١٠٦» (الترجمة العربية) الطبعة الأولى :

فالذرات المدخرة فى الشمس فى الوقت الحاضر تكفيها ١٥ مليون مليون سنة على المعدل الذى تتناقص الآن لكنها قبل أن تأتى على آخر ذرة فيها بزمن طويل لابد أن تكون قد وصلت إلى حالة النجوم الأضعف الأصغر حجما . .

« وإذا أدخلنا فى حساباتنا اعتبارات من هذا النوع ترجح فيما يظهر أن يكون لمعظم النجوم مئات من ملايين الملايين السنين ترجو أن تعيشها قبل أن يخيم عليها الظلام آخر الأمر — وسواء استتبت هذه التقديرات فى النهاية أم لم تستتب فهناك شىء واحد يبدو لنا مؤكدا — هو أن الأعمار البشرية تتلاشى تلاشيا تاما إذا قيست بالزمن الفلكى — لقد رأينا أن الأرض ليست إلا هباءة فى الفضاء والآن نرى أن أعمارنا بل وتاريخ البشر كله ليس إلا هباء فى الزمن » اهـ .

فترى جنز العالم الفلكى الطبيعى أحد أعضاء المجمع العلمى البريطانى يقول ترجح فيما يظهر — سواء استتبت هذه التقديرات فى النهايه أم لم

نستتب — شيء واحد يبدو لنا .

بخلاف كاتب الأغلال الذى جعل العالم : ماضيه وباقيه ،عند الانسان كبناء ساعة ، يخبر عما مضى خبر حاضر مشاهد ، وعما بقى من عمر هذا العالم وعمر هذه الحياة وهذا الوجود ،خبر خالقه وصانعه ، لان الانسان ـ عنده ـ خلق لينازع الله فى علمه وقوته وقدرته

وقال السير جيمس جنز فى كتابه المذكور فى ختامه تحت عنوان (عمر العالم) «لانستطيع أن نقول شيئا موثوقا من صحته عن عمر العالم حتى نعلم الحق عن التباعدات الظاهرية للسدائم ، فاذا تبين أنها واقعية كان من الضرورى أن نجمع الحوادث الفلكية كلها بطريقة من الطرق فى ماض طوله بعض آلاف الملايين من السنين

أما الآن فالشواهد الفلكية العامة تبدو كلها كأنها تصيح احتجاجا على أن يكون الماضى قصيرا إلى هذا الحد ، إنه لايكاد يكون من الممكن تعليل الترتيب الحالى للنجوم إذا كانت أعمارها بهذا القصر . لهذا أرى من الراجح جداً أن التباعدات الظاهرية للسدائم سيثبت أنها زائفة ، وفى هذه الحالة يدل ترتيب النجوم على أن ماضيها يمتد إلى ملايين الملايين من السنين ،كما يمتد مستقبلها إلى نحو ذلك أو إلى ما هو أطول منه . أما الآن فالشواهد على ما يظهر مضطربة جدا بل متناقضة ، ونحن بعيدون عن أن نستطيع الوصول إلى قرار حاسم.

« ومهما يكن الرأى الذى يكتب له النصر فان الكون إذا حكمنا عليه بمقاييسنا البشرية للزمن قديم جداً تتلاشى بجانبه أعمار الناس والامم ، بل

كل تاريخ البشر فقد كانت النجوم قريبة جداً مما هى عليه الآن قبل أن يظهر الانسان على الارض ، وستكون على الراجح قريبة جدا مما هى عليه الآن حين يغادر آخر إنسان . إن تاريخ الجنس البشرى كله ليس إلا طرفة عين إذا قيس بأعمار النجوم . اه

فتأمل قوله (لانستطيع أن نقول شيئاً موثوقا بصحته) (لهذا أرى من الراجح) (أما الآن فالشواهد على مايظهر مضطربة جداً بل متناقضة ونحن بعيدون عن أن نستطيع الوصول إلى قرار حاسم) الخ — مع قول كاتب الأغلال : إنه راح يولد هذا الوجود ويشهد تكونه وتولده، وذهب يحدث حديث الحاضر الشاهد كيف ولدت مادة الكون ومتى ولدت — بل ذهب مسرعا يسابق الوجود فيسبقه ، وذهب يخبرنا عما بقى من عمر هذا الكون وعمر هذه الحياة وهذا الوجود الذى سبق أن ولده وأن شهد نشوءه وتكونه ، وعما بقى من عمر هذا الانسان وغيره من الأحياء . الخ

قل لى بربك : أليس هذا هو الغرور الصبيانى ، والجرأة السفيهة الحمقاء ، وقفو ما لا علم به.

وفى مداعبة لطيفة وحوار فكه نسأل الكاتب : هل درس شيئاً من العلوم الرياضية المتوسطة كهندسة إقليدس وحساب المثلثات المستوية والكروية ؛ وحساب اللورغارتمات الطبيعية والعادية ، والجبر الابتدائى والعالى والفلك العلمى والعملى. وكلها ماعدا اللورغارتمات من علوم الأوائل الذين يحقرهم ، فضلا عما توسع فيه المتأخرون من علوم الرياضة العالية ، وحسابات النسبية .

المسألة اليهودية

عُنى كاتب الاغلال بالمسألة اليهودية فى أغلاله عناية خاصة تسترعى الانتباه والحذر ، فكتب فيها عشر صفحات (٢١٦ — ٢٢٥) وساق فيها من الآراء والاحتمالات ما يدل الاشتباه والحيرة على غرضه الذى يرمى اليه : أهو نصح محض وإيقاظ وتحذير من مستقبل الصهيونية وشرورها ووطنها القومى الذى تسعى له سعياً حثيثاً متواصلا فى فلسطين ، فساق الانذار تلو الانذار كأنه النذير العريان يقول : صبحكم مساكم ، إن العدو بأسفل الوادى يريد أن يغير عليكم فيصبحكم — أو هى دعوة صهيونية مستأجرة لتفتير العزائم وتوهين القوى ينشر بأس الصهيونية وذكائها ، وعلمها وخبرتها وصناعها وعالميتها ، على حد قول الله تعالى (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين)ومن ذلك تحريف الآيات فى ضرب الذلة على اليهود ؛ وإطفاء نارهم ، وبعث الذين يسومونهم سوء العذاب إلى يوم القيامة وتقطيعهم فى الارض أمماً (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله)

سأترك الحكم على غرضه وما انطوت عليه دخيلة نفسه ، وذات صدره حتى تظهره الايام أجلى ظهور ، وحينئذ يكون الحكم للايام وللعقلاء وللقضاة العدل . وإنما المناقشة معه للفهم المقلوب ، والتحريف الشاذ لمدلولات آيات كتاب الله ودفع معانيها الظاهرة فى الصدور والاعجاز وقلب مفهومها رأساً على عقب ، فهذا ماأخوضه.

قال الكاتب ص ٢١٦

هذا ما كان يقوله المسلمون فى العصور الخالية فى سيادة النصارى عليهم .
أما اليوم فقد حل محل هذا الوهم وهم آخر ، وصاروا يقولون هذا القول ويهمون مثل هذا الوهم فى خطر اليهود وفى ملكهم ومحاولتهم إعادة وطن قومى لهم . . .
فقد أكثروا من الادعاء بأن اليهود لاخطر لهم ذاتى، وأنه لايخشى منهم منفردين على المسلمين ولا على الأوطان الاسلامية لا على فلسطين ولا غيرها . ثم زعموا كما زعموا منذ ٥٠٠ سنة بأن الله قد دفع إليهم بعهد مكتوب بأن اليهود لن يكون لهم ملك ولن يكون لهم وطن خاص . ثم اتهموا كتاب الله بوجود هذا العهد فيه وراحوا يتلون الآيات منزليها فى غير مواضعها .

والآيات التى استدلوا بها هى قوله فى سورة البقرة (ضربت عليهم الذلة والمسكنة) ثم قوله من آل عمران (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة) ثم قوله من سورة المائدة (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) ثم قوله فى الأعراف (واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم فى الارض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك)

وقد حسبوا أن هذه الآيات قواطع فى أن اليهود لن تقوم لهم دولة، ولن تكون لهم صولة . ولكن هذا غير صحيح لا بالنظر إلى سنة الله ولا بالنظر إلى كتاب الله . أما سنة الله فانها قد علمتنا بأن من أخذ بأسباب الملك ناله واليهود من أعمل الناس اليوم لهذا الغرض ومن آخذهم بالأسباب

ونقول للكاتب : إن السنن وحدها ليست كافية فى نوال المطلوب إلا على قاعدته المادية الدهرية ، فلسفة القرن التاسع عشر وما قبله من آلية الكون وحكمه بالنواميس الطبيعية ، مع إنكار القدر والاختيار الالهى ، وقد قدمنا الرد على ذلك من كلام أساطين القرن العشرين وما

وصفوا به الفلسفة الآلية المادية أنها أفكار أطفال وصبيان ، وارجع إلى ماانقلت سابقاً من كلام مشرفة باشا عميد كلية العلوم ، وكلام السير جيمس جنز العالم الأنكليزى من كتابه « الكون الغامض »

ونقول لكاتب الاغلال : إن ألمانيا وإيطاليا واليابان لم يدخروا وسعاً فى الأخذ بأسباب السيادة على العالم من قوة عسكرية وحربية وصناعية ، فهل نالوا ما أخذوا بأسبابه ، أم هو القدر الذى جمع عليهم مالم يكن فى حسبانهم ؟

وأيضاً: فهل الأسباب التى أخذت بها مصر والعراق أقل مما هى فى اليمن وبلاد العرب وسوريا حتى استقلت هذه وفشلت الأوليان ؟ إن القدر الذى آمن به طبيعيو القرن العشرين وأدخلوه فى تفكيرهم العلمى لايؤمن به الكاتب ، ويعد الايمان به عجزاً وغلا يعوق التقدم والرقى . لذلك يعد الكاتب أخذ اليهود بالسنن التى يظنونها تصل بهم إلى أهداف الملك والوطن الصهيونى منيلا لهم ماسعوا اليه وإن خالفت النصوص القرآنية . ألا فلينتظر الكاتب نتائج أخذ اليهود بسننهم فإنا مع جهادهم وإعداد العدة لصدهم وإذلالهم ، مع التصديق بما أخبر الله عنهم منتظرون. ولا يخيفنا ما ذكر عنهم من ذكاء وغنى وخبرة وصناعة وعلم ؛ وها هى المسألة قد دخلت فى طورها العملى (قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى)

قال الكاتب ص ٢١٦

« وأما كتاب الله فان هذه الآيات ليست صريحة فى صدق هذه الدعوى أما

(ضربت عليهم الذلة) فى الآيات كلها فان الذلة عند أكثر المفسرين هى الجزية فيكون تفسير هذه اللفظة أن الجزية قد فرضت وقت نزول القرآن على اليهود وفرضها عليهم فى وقت من الاوقات لا يلزمه أن تكون مفروضة عليهم كل الأوقات بدليل أنها الآن مرفوعة عنهم مع صدق القرآن بأنها قد ضربت عليهم وإذا قدر بأن المراد بالذلة فى الآيات هو المعنى الأول السابق إلى الافهام لم يلزم منه صدق هذا الوهم ،ذلك لان أخبار القرآن بأن اليهود أذلة فى وقت نزوله لا يقتضى أن يبقوا أبد الآبدين كذلك . وما من أمة من الأمم إلا قد مرت بها عصور ذلة وضعف مهما كانت اليوم عزيزة منيعة وفى الكتاب (لقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) وكل الناس يعلمون اليوم أن الذلة مضروبة على المسلمين على أوسع نطاق وأحكمه ولكن لا يمكن الزعم بأنهم سيبقون أذلة أبدا . . وأما المسكنة عند أشهر المفسرين فهى الفقر والمراد هنا الفقر القلبي لشدة حبهم المال وقيل المسكنة هى ضرب الجزية وقيل الخراج وكل هذه التفسيرات لا تنافى أن يكون لهم ملك وأن يكونوا يوما ما خطرا مرهوبا .

أقول : فى هذا ألوان من غرائب التلاعب بفهم كتاب الله وتحريفه بقلة حياء (منها) كذبه على أكثر المفسرين أنهم فسروا الذلة بضرب الجزية. والمفسرون يعلمون أن أكثر يهود العالم حتى الذين فى الحجاز حول المدينة لم تؤخذ منهم الجزية وقت نزول هـذه الآيات ، فكيف يفسرونها بما لايؤيده الواقع ، والجزية نزلت فى سورة التوبة فى السنة الثامنة من الهجرة بعد إجلاء يهود المدينة عنها بله يهود العالم كله . ومن فسرها بالجزية فقد فسرها باللازم .

والذلة والصغار والحقارة والمهانة والمسكنة وعدم العزة والأنفة ؛ كلها معان متقاربة لائقة بحالي اليهود أينما كانوا وحيثما قطنوا ، سواء

بأوربا او بأمريكا أو بغيرها. وأما المعنى الثانى الذى وهنه الكاتب بقوله « وإذا قدّر أن المراد بالذلة هو المعنى السابق للأفهام » مما ذكرناه من حال اليهود — فهو المعنى الحق، وهو صادق على اليهود وإن كذبه الكاتب وعدّه وهماً .فالآيات لفظها «ضربت» الذى يدل على الالزام وعدم الانفكاك من ضرب السكة والنقش على وجهيها ما تلزمه ولا يزول عنها . ثم أكدت ذلك بعبارة (أينما ثقفوا)المستلزم لعموم الأمكنة ومن لازمه عموم الأزمنة ثم أكدته تأكيداً آخر بالاستثناء الذى هو من أدوات العموم فيما عدا المستثنى بقوله (إلا بحبل من الله وحبل من الناس) وفسر الحبل بالعهد والميثاق، فهم أذلاء صاغرون أينما كانوا وأيان وجدوا إلا تحت حماية عهد إلهى ومحالفة من الناس ، لا بقوتهم الذاتية التى يخيفنا منها الكاتب

فدعوى الكاتب على القرآن إخباره بذلة اليهود وقت نزوله فقط — كذب على القرآن الذى وصمهم بضرب الذلة والمسكنة عليهم أينما كانوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وقد عرفت معنى الضرب والعموم فى (أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس)

وذكره أن أمماً مرت عليهم عصور ذلة ثم عزت بعد ذلك، لايفيده شيئاً فى دعواه ، فالمسألة فى اخبار الله أنهم ضُربت عليهم الذلة والمسكنة أينما كانوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، لا مرور عصور ذلة على أمم بعدها عزة . وشتان بين المسألتين (الأولى) خبر الله القطعى بضرب الذلة على اليهود أينما كانوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس (والثانية) مرور عصور مختلفة على أمم. فأين هذا من هذا ؟ ثم استشهاده على ذلك

بقول الله تعالى (لقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) مما يدل على أن معرفته بالعربية فسدت إلى حد العجمة الشائنة أو هو الهوى وفساد النية فقول الله (وأنتم أذلة) جملة حالية والأحوال تتجدد وتزول (ودوام الحال من المحال) وأما (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة) فخبر جزم عام لا يتخلف حتى تزول السموات والأرض ولو تبجح ترومان رئيس أمريكا وهدد بنصره لليهود تزلفا لهم لانتخابه رئيسا أصليا فيما يرجوه فى الدورة الانتخابية فستكذبه الأيام وتخونه الأماني (وليغلبن مغالب الغلاب) وقول الكاتب (وكل الناس يعلمون اليوم أن الذلة مضروبه على المسلمين على أوسع نطاق وأحكمه) فقد أملاه عليه بغضه للاسلام حتى لم يعد يفرق بين الذلة والضعف . نعم فى المسلمين اليوم ضعف لا ذلة حتى المحكومين بالأجانب منهم فيهم عزة بقدر ما فيهم من دين وفيهم ذلة بقدر ما تركوا من دينهم ألا فليخبرنا الكاتب عن الذلة بمعناها الصحيح أين هى فى اليمن وبلاد العرب ومصر والشام والعراق على تفاوت بينهم فى الضعف والقوة بقدر تمسكهم بالدين ، أما الذلة المضروبة على اليهود أيام دول النصرانية من عهد قسطنطين وما جرى عليهم من تشريد وقتل أفاقوا منه فى العصر الاسلامى قليلا مع ذلة يستلزمها خبثهم وماضيهم وما قدموا ، ثم جاء العهد الهتلرى وما صبه عليهم وإنا لنتوقع لهم تكرار التاريخ عليهم إذا لم يقلعوا عن خبثهم ونواياهم الشريرة (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم

عباداً لنـــــا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)

وتسأل الكاتب متى احترم المفسرين وأخذ بأقوالهم حتى يأخذهنا عنهم أن الذلة هي الجزية ويعزوه إلى قول أكثرهم كذبا أو قلة فهم لما قالوه أو هوى وسوء نية ليعبر من ذلك على ما يناقض خبر القرآن ووعيده لليهود فيقر بذلك عين اليهود وينال منهم ما يبغيه؟ قال الكاتب ص ٢١٧

وأما قوله (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) فالمراد أن دسائسهم ومكايدهم التي حاكوها باحكام واستمرار للقضاء على الرسول ودعوته قد أخذها الفشل من كل جانب وأنهم هزموا في كل حروبهم التي شبوها مريدين القضاء على الاسلام وهذا لا ينفي أن يكونوا خطرا في المستقبـل .

وأول الآية (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بمـا قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين)

فأنت ترى أن الآية في وصف اليهود أينما كانوا وحيثما ثقفوا ليست خاصة بما فعلوه مع النبي ﷺ فأحبطه الله وأطفأه كما قيده الكاتب بذلك من

عندهم ليتوصل بذلك إلى ما يريد من تهديدنا بهم . والعموم فى الآية ظاهر من قوله وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ومن لفظ كلما الذى يسور به المناطقة قضاياهم الكلية الموجبة، فمن أين جاء للكاتب هذا التخصيص الذى استنتج منه أن يكونوا خطرا فى المستقبل .

وتنبه إلى عبارته فى مكائدهم ودسائسهم :أخذها الفشل وأنهم هزموا .والله يقول :أطفأها الله ،فكأن الكاتب يعادى اسم الله ويتنفر من نسبة فعل إلى الله تعالى ولو نسبه الله لنفسه حتى لا ينخرم تلازم أسبابه ومسبباته وحتى لا يؤمن بقدر إلهى فوق الأسباب والنواميس أو يهدم ما بناه من مادية القرن التاسع عشر وآلية الكون وصرامة النواميس

قال الكاتب ص ٢١٧ س ١٦

وأما بعث الله عليهم من يعذبهم إلى يوم القيامة فانه لا ينافى الملك أيضا لأنه إذا كانت لهم دولة وبقيت الحروب بينهم وبين الآخرين مستعرة فان فى هذا أشد أنواع العذاب وأشد سوم لهم بالعذاب ولا ريب أن المتحاربين كل منهم يسوم الآخر ويصليه العذاب .

وهذا من جنس ما قبله تحريفا وتمويها ، فالآية وعيد من الله تعالى وإخبار منه أنه يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب ، وسومهم سوء العذاب فسره نظيره مما سامهم إياه آل فرعون فى قوله (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فسوم سوء العذاب الذى جرى لهم فى عهد آل فرعون هو الذى أخبر الله عنه أنه يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يفعل بهم نظيره ، وبعثه عليهم من يفعل بهم ذلك هو نظير ما يبعث عليهم

من عباده الكلدانيين والأشوريين فى تاريخهم الماضى (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا) (فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا) فهذا البعث هو نظير ما أخبر الله أنه سيفعله بهم إلى يوم القيامة فمن أين تأتيهم الدولة ويكون لهم الملك مع هذا حتى يتوقعه الكاتب لهم ويشبهه بما يكون بين المتحاربين مع أن المتحاربين لا يقال فيهم عرفا ولغة أنهم يسومون بعضهم بعضا سوء العذاب إلا للمنتصر منهم على المخذول الدال عليه ؛ ثم فى قول الله (عليهم) ما يدل على الاستعلاء والتحكم والاذلال لمن يذوق طعم الأسلوب العربي، ثم الغاية بقوله (إلى يوم القيامة) تعود لغواً على ماتوقعه الكاتب لهم من قيام دولة وملك لهم ويمسى هذا الخبر لغوا وذلك مما لا يعز على الكاتب ولا يستغربه ؛ لأن دينه الذى يقدسه واستبدله بالاسلام هو مادية القرن التاسع عشر وما قبله من كون آلى لا اختيار لخالقه ولا قدر بل نواميس طبيعية صارمة إن تخلفت بقدرة خالقها وإرادته دل ذلك عند الكاتب على أن الخالق قوة مجنونه أو كالمجنونة تقف فى سبيلها ، وأنى لها ذلك كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا . سبحان الله وتعالى عما يقول الكاتب فيه علواً كبيراً

قال الكاتب (ص ٢١٧)

فالقرآن لم يقدم لنا صكا بالضمان من خطر هذا الشعب الذكى الغنى الماكر بل قدم إلينا الأوامر الصارمة الصريحة بأن نحذر ونستيقظ ونقف وقلوبنا

الأحاديث الصحاح بأن حروبا عظيمة ستضطرم بين المسلمين واليهود وقد يكون في هذا مايعطى بأن اليهود قد تكون لهم دولة وجيوش يحاربون بها ودفاعا عنها .

فليهنأ يهود صهيون فقد مزق لهم الكاتب وعيدات القرآن فيهم من ضرب الذلة والمسكنة عليهم أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ومن الخبر الأكيد من بعث من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة مستعليا عليهم ومن إطفاء حروبهم التي يوقدونها لأغراضهم كاعادة ملك داود الخ وتوقع لهم ملكا ودولة يحاربون بها المسلمين ، فياقرة أعين الصهيونية بهذه الدعاية السافرة لهم .

وإذا كان الكاتب يؤمن بما جاء في الأحاديث الصحاح الواردة في ذلك ففيها أن المسلمين ينتصرون عليهم حتى يختبئوا وراء الأشجار والأحجار وحتى يقول الحجر يامسلم : هذا يهودي ورائي . وتخبر بهم الأشجار إلا شجر الغرقد فانه من أشجارهم . وفيها نزول عيسى بن مريم ولا يقبل من أحد إلا الاسلام سواء من اليهود أو النصارى وهذا هو أحد الوجوه في تفسير الآية (وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أي أن أهل الكتاب وقت نزول عيسى يؤمنون به كلهم قبل موت عيسى عليه السلام . والوجه الآخر في معنى الآية أن كل كتابي سواء في وقت عيسى أو قبله يؤمن بعيسى وقت احتضار الكتابي تعرض عليه حقيقة الأمر في مسألة عيسى فيؤمن بالحق فيه سواء كان يهوديا أو نصرانيا والمحتضر تختصر له صفحات حياته

اختصارا يلدقا سينمائيا

قال الكاتب ص ٢١٨

ومما يجب الالتفات إليه أنه لا يحسن منا أن نحكم بأن القرآن قد جهر بأن اليهود لن يكون لهم ملك فى عصر من العصور فاننا لو حكمنا هذا الحكم ثم أبطلت الأيام حكمنا هذا لخشينا أن يكون فى ذلك شىء من توجيه الاتهام إلى القرآن ونصوصه وقضاياه .

ونقول للكاتب : إذا حكم القرآن بحكم قطعى جزمنا به ، وأنه لاتنقضه الايام والليالى ، ولا تبطله الأعوام والعصور ، لأنا نعلم علماً لاشك فيه أنه من عند علام الغيوب (الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان حليما غفورا)

بقى :هل حكم القرآن على اليهود هذا الحكم أنه لن يكون لهم مُلك فى عصر من العصور ؟ فقد رأيت النصوص التى حرفها الكاتب ومزقها شر ممزق ،ليخرج منها بهذه النتيجة التى يقر بها أعين اليهود وينال بها حظوتهم ، وإن كان يُظهر بذلك الغيرة على صدق القرآن ، وزعم إبعاد الاتهام لنصوصه وقضاياه ، وستظهر الأيام حسن فهم المسلمين لكتابهم وصوابه، وإن ارتاب المبطلون ، وتشكك المتشككون (قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى) (إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً) (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)

ونصيحة الكاتب لنا بقوله (ص ٢١٨)

وأن أشد ما يفزعنا وأشد ما حملنا على أن كتبنا هذا الذى كتبنا فى هذه المسألة هو أننا نخاف أن نبقى متوهمين أنفسنا وبلادنا بمنجاة من هذا الخطر

المخيف الفاغر فاه اليوم كما كنا نظن أننا بمنجاة من الخطر المسيحي حتى قضى القضاء . . . وحينئذ لا يجدي الندم كما لم يجد فيما فرغ . وقد لاحظنا أن هذا الغرور — وهو خليق بأن يسمى غرورا — مستول على تفكير إخواننا المقصودين بهذا الخطر الذى يكاد يحاط بهم (يعنى العرب فى جزيرتهم) فهم يرون أنهم لو خلى بينهم وبين اليهود جامعة اليهود ما جمعت من الأموال والقوات ومن العلم والمكر والدهاء لكانت لهم الغلبة ، وإن فقدوا كل شيء من هذه الأمور التى من ملكها فهو المنتصر ومن فاته فلا شيء له .

وقوله ص ٢١٩ س ٦

ولهذه النتيجة — فتح فلسطين لليهود — نتيجة أخرى ، هى أشد هولا وأشد لغزا لمن يفكر فيها ويدربها هى الامتداد العسكرى والاقتصادى والثقافى الذى سيكون أثرا محتوما لاحتشاد القوى اليهودية المخيفة فى ساحة ضيقة مثل فلسطين . . . ومن المعلوم أن هذا الامتداد لن يكون إلا فى بلاد العرب (قلت ومصر والعراق والشام ولبنان حتى اليمن) ومعنى هذا أن الآلة اليهودية لا محالة من أن تتحدى الآلة العربية وتصطدم بها ، ولا ندرى كيف تتكافأ الآلتان مع ما بينهما من الفروق العظيمة ، والقول بأن العزة للكاثر قول كان يصدق أحيانا لما كانت الأمم والجماعات يتنازعون ويتقاتلون بالأكف والحجارة والسهام والنبال وأمثال ذلك ولكنه لا يجب أن يصدق فى الزمان الذى يكون العلم فيه هو الفاصل والحكم والعدة .

وقوله ص ٢٢٠ س ٢٢

وأما فلسطين وسواها من البلاد العربية فهي عاجزة عن الأمرين : عن تدمير اللصوص الواغلين أو إجلائهم وعن منافستهم تجاريا أو صناعيا أو زراعيا ، فما أطيبهم إذن مغنما وما أسعد من ظفروا بهم ودخلوا عليهم الأبواب ، ومن السهل عليك أن تبسط يدك آمنا مطمئنا فتجتذب الطيور المسالمة الضعيفة من أوكارها

لتقدم لك على مائدتك طعاما شهيا سائغا — يريد أن هذا مثلنا مع اليهود — ولكن من الصعب عليك أن تفعل ذلك بعرين الاسود معنى هذا أن بعض الشعوب فيها مناعة ذاتية تقيها الفناء والعدوان وبعضها ليست فيها هذه المناعة فهي محتاجة إلى حماية خارجية والا ذهبت فى المالكين واليهود يعلمون أننا فاقدون لهذه المناعة ولهذا فانهم لا يخشون وغولهم علينا ولا غزوهم إيانا . لن يهاجم اللصوص منزلك وأنت موجود فيه يقظان إلا متى وثقوا من ضعفك وهوانك

ثم نصح (ص ٢٢١) لفلسطين وغيرها من البلدان العربية لنجاتها من جميع الغزاة والدخلاء بتعلم كيفية إيجاد هذه المناعة الذاتية التي تكون في استطاعتها تدمير الغازين ومنافستهم منافسة تمنعهم من أن يتلمسوا لأقدامهم بيننا موضعا ثم قال

أما مالم توجد فينا هذه المناعة فسنظل عرضة لضروب الغزوات وصنوف الغازين ولن يمنعنا من ذلك صراخ ولا احتجاج ولا شيء مما نصنعه من هذا القبيل .

ولم يشرح لنا تلك المناعة الذاتية هل يريد بها إصلاح خلقنا وديننا وبالتبع له دنيانا أو هو رفض ذلك كله والاستبدال به مادية طبيعية لا روح ولا خلق ولا دين فيها كما أعاده وكرره فى كتابه

وقال ص ٢١٩ س ١٤

وأما الاحتمال الآخر الذي يرضينا معشر العرب والذي نعمل له والذي هو أقصى أمانينا — أعني إيصاد الأبواب كلها في سبيل كل يهودي يريد دخول فلسطين — فهذا الاحتمال ـ على أنه أفضل احتمال ـ ليس في استطاعته أن يرد عنا الخطر الصهيوني الذي أنشب أنيابه حقيقة في جانب من جوانب هذا الوطن العربي وذلك أن اليهود حينئذ — وهم أهل الذكاء والحيلة والتصميم والتعصب القومي العجيب — سيلجأون إلى وسائل كثيرة هينة عليهم وعلى من

لم مثلهم ثقافة وعلما ونشاطا ومالا وشأنا دوليا ملحوظا . من هـذه الوسائل تنظيم عمليات التهريب برا وبحرا وجوا والتحايل على الوصول إلى ما زعموه وطنهم الذى لن تثنيهم عن دخوله قوة من القوى ومنها محاولة تكثير مواليدهم وتوالدهم بطرق فنية مبتكرة مفزعة . وهكذا حتى يصيروا عددا جسيما فى هذه البلاد وحينئذ ينطلقون فى سبيل تحقيق أغراضهم الكبرى التى أرصدوا لهـا أضخم الذهنيات العالمية يمدها ذلك الخيال اليهودى الذى ألهبته عبر التاريخ القاسية الطويلة ومعارف هذا العصر الفذ ، ثم تلك الشهية المتيدة التى شهر بالتمتع بها حندة شيلوك وقارون إزاء المال والحياة وإزاء المنافسة فى تحصيلهما ' وإذن فالخطر اليهودى قد صار حقيقة واقعة على كل الاحتمالات والحالات فلو ظفرنا بأجمل ما يلعب بآمالنا ـ وهو وقف الهجرة الصهيونية نهائيا ـ لما كان فى ذلك شىء من الضمان إلا عند من اعتادوا أن يناموا تحت مطارق الأقدار ، فكيف الخلاص إذن .

(ثم تساءل) لماذا يحاول اليهود أن يتركوا أوربا مهبط النشاط الانسانى الرائع ومجلى العبقرية البشرية وأن يتخذوا كل صعب وذلول ليتجمعوا فى هذا الوطن الشرقى العربى الذى يكاد يكون من الناحية الزراعيه والصناعية والعلمية فطريا بدائيا والذى لا قيمة لموارده الطبيعية بالنسبة للبلاد التى يفرون منها .

ثم نفى عنهم أن يكونوا قد خدعوا فاعتقدوا أن مجال العمل والنشاط والحياة فى فلسطين أعظم منه فى الأوطان التى تركوها كما أنه من غير الممكن أن يكون المبدأ الدينى قد خالط رءوسهم فاختاروا هذا المكان من الدنيا انقياداً لعاطفة دينية وطاعة لنص وجدوه فى كتبهم المقدسة. كل هذا لا يمكن أن يكون — وإن جوزه على الجماهير المضللة ولكن الرءوس التى نظمت هذا الغزو وأوفت به على الغاية ليس من الممكن أن يكون قد ألم بها هذا الخيال أو الخيال فالأمر إذن غير ذلك فما هو ؟

ثم المفترض أن بريطانيا وأمريكا — أقوى قوتين تحكمان العالم اليوم — طلبتا إلى اليهود أن يختاروا لهم أغنى وأفضل منطقة فى المانيا أو اليابان أو إيطاليا ليصيروها وطنا قومياً بقوة السلاح فهل من الممكن أن يرضى اليهود بهذا الوطن المفروض المعروض وأن يقدموا على تجربته؟ أجاب بالنفى البات ثم سأل ولكن لماذا لايفعلون

ثم أجاب بقوله ص ٢٣٠ س١٨ .

بالجواب عن هذا نعرف لماذا اختاروا بلدا عربيا وهان عليهم تحدى أهله وتحدى جيرانهم وإخوانهم انهم لايقبلون مثل هذا الوطن لأنهم يعلمون أن أهله سيدمرونهم فى يوم من الأيام أو يجلونهم على الأقل لا محالة هذا من جهة ولأنهم يعلمون من جهة أخرى أن هذه الشعوب ليست هينة المنافسة ولا سهلة القضم والبلع أما فلسطين وسواها من البلاد العربية فهى عاجزة عن الأمرين معا عن تدمير اللصوص الواغلين وإجلائهم وعن منافستهم تجاريا وصناعيا وزراعيا فما أطيبهم إذن مغنما وما أسعد ما ظفروا بهم ودخلوا عليهم الأبواب ! من السهل عليك أن تبسط يدك آمنا مطمئنا فتجتذب الطيور المسالمة الضعيفة من أوكارها لتقدم لك على مائدتك طعاما شهيا سائغا ولكن من الصعب عليك أن تفعل ذلك بعرين الأسد .

ثم حضنا على المناعة الذاتية ولم يبينها لنا بما عودنا من بيانه المسهب الطويل المكرر فلماذا؟ أجبن وهو الشجاع المغوار الذى هاجم المسلمين فى صميم دينهم أم ماذا وراء الأكمة؟ وليس فى فم الكاتب ماء فلماذا لم ينطق. أطنبت فى نقل ما وصف به الكاتب اليهود وما وصفنا والأمثلة التى ضربها لنا ولهم من الطيور الشهية المأكل السائغة المضغ والبلع ومن خلونا من

علوم العصر وصفاته ومكره ودهائه وغناه وماله بجانب تفوق اليهود حفدة شيلوك وقارون فى الذكاء والدهاء والشأن العالمى ليتفكر فى ذلك ساسة العرب وزعماؤها وقوادها وحكماؤها إن كان للتفكير موضع من عنايتهم فى ذلك حتى يبرهنوا أنهم أهل للحياة فى العصر عصر العلم والآلة والصناعة وحتى يكونوا جزءا من قافلة الجماعة وركب الحياة وأننا نهيب بهم كما أهاب بهم الكاتب مع فارق جوهرى بيننا وبينه إذ هو يلغى الدين ونحن نعده كما يعده سائر العقلاء أساس النهضة وعمود الحياة التى لا تقوم إلا عليه ، الدين الذى يقوم على حياة الروح والجسد على المعنى والمادة على الخلق والخلق ، على الزهد والغنى ، على القناعة والسعى والكسب ، على الايمان بقدر الله واختياره مع الأخذ بالأسباب ، على جريان الأسباب فى ديانها مالم تر العناية الألهية تحويلا لحكمة عالية قد نعلمها وقد لا نعلمها . لقد كان من شهوة كثير من الناس انتصار المحور ، وتدمير الحلفاء تدميرا عسكريا — وإن كان رأسهم قد تدمر معنويا واقتصاديا — ولكن العناية الالهية لها من الأغراض والحكم ما هو فوق هوى الكثير (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض) (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم)

وختم الكاتب مقاله بقوله ص ٢٢٥ س ١٤

والذى نريد أن نقوله هنا هو أنه لا محاباة ولا نسب بين الله وبين أحد من خلقه وقد وضع نواميس وسننا وقوانين تحكم هذا العالم على وفق حكمته العليا وعدله الشامل . فمن وفق لاستخدام هذه النواميس والسنن والقوانين وسار معها بلا اصطدام ولا خروج فقد نال ما يبغى ومن عاند هذه النواميس والقوانين

وحاول الخروج عنها فقد هلك ولا محالة ،ولن ينفعه أن يقول انه مسلم وأنه يصلي ويصوم ويكثر من ذكر الله بلسانه كما أن هذه الأقوال والدعاوى لن تجـدي من دهب يتحـدى سنة الله ، فترك الطعـام والشراب والمحـافظة على الصحة والحياة زاعما أنه مسلم مؤمن وزاعما أن المسلم المؤمن معصوم محفوظ منظور من قبل العناية الالهية .

ونحن مع الكاتب نقول إن الأقوال بلا أعمال لا تفيد ولا تجدي ولا قيمة لها عند الله ولا عند خلقه، ولكن نقول ان المسلم حقا الذي يعرف الاسلام من كتاب ربه وسنة نبيه وسيرة لراشدين من خلفائه وسيرة صحب رسول الله ﷺ ورضى الله عنهم ومن تبعهم على أثرهم في فهم الاسلام والعمل عليه والسير على صراطه فهذا معصوم محفوظ منظور من قبـل العناية الالهية: لا تعارضه السنن والنواميس بل تخدمه بمعونة العنـايـة الربانية وبالهداية الالهية وبالتوفيق السماوي ورحمة أرحم الراحمين والشواهد من الواقع والتاريخ أعظم البراهين .

ثما غزا الرسول ﷺ غزوة ولا انتصر على عدو ولا فتح الصحابة شرق الأرض وغربها وصاروا سادة العالم وبيدهم صولجان العز والسيادة إلا بالايمان الصحيح والاسلام الحق الذى كان نور هدايتهم وشمس سيرهم وبه تقدموا علما وعملا وسياسة وسيادة . ان خالدا بن الوليد بطل الاسلام وسيف الله الذى لم يغمد فاتح العراقين وبطل الشام ما شرب السم سم الساعة الذي كان مع مفاوضه الفارسي فلم يضره إلا بقوة الايمان والاسلام . وذلك اليماني — وأظنه أبا خالد الدالاني — الذى ألقي في النار فلم تحرقه وفرح به عمر بن الخطاب حينما رآه وقال ما معناه : الحمد لله الذى أراني في أمة محمـد

من صارت عليه النار بردا وسلاما كابراهيم ما أطفئت عنه النار إلا بقوة الايمان وصدق الاسلام . وهذا شيخ الاسلام ابن تيمية من أعرف الناس بالمعقول والمنقول ماتحدى شيخ الرفاعيةفى زمانه بدخول النار وإياه ليتبين الصادق من الكاذب فى دعوى الولاية والكرامة إلا بالايمان الحق والاسلام الصحيح .

وختاما هل كان الكاتب جادا حينما مدح الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى كتابه بالنجاح ومعرفة الحياة ثم وصف أتباعه الذين نجح فيهم ص ١٤ «بأنهم يعدون بين الشعوب نموذجا رائعا للهوان والضعف والجهل والمسكنة» وعناهم بقوله ص ٧٦ « وكلنا يعلم أن بلدا إسلاميا مستقلا لا يزال اليوم يعيش على هامش الحياة وعلى الفطرة الأولى يعنى أنهم بكونهم على هامش الحياة ليسوا فيها حقيقة بل هم إلى الموت أقرب من الحياة وكذلك مدح جلالة الملك ابن السعود — وهو أهل للمدح ثم قال ص ٧٨ بعد ما وصف بعض قادة الأمم وأن كثيرا منهم كانوا يعملون على أن يحولوا بين شعوبهم وبين العلم ويحرمونه عليهم لأنهم يخافون امتناعهم عليهم وعسر طاعتهم لهم إذا تعلموا، ثم قال : « وحتى فى هذا العصر لا يزال يوجد فريق من هؤلاء القادة الذين يخشون العلم. ومما يؤلم أنه يوجد اليوم فى إحدى البلاد العزيزة علينا من لا يكافئون المتعلمين إلا بالسجن والعذاب والمطاردة » فمن يعنى الكاتب بهذا وهل يظن الناس لا يفهمون مغامزه ولماذا هذا الابهام والتستر بالغلائل التى لا تستر والرمى من وراء جدران الجبن؟

وقف القلم هنا ليعود فى فرصة أخرى والحمد لله أولا وآخرا

الفهرس